w. category

February 2022
I S S N/الرقم الدولي
2394 – 6628

أيقونة اللغة العربية

مجلة التلميذ

مجلة أدبية محكمة دَولية

معامل التأثير العربي
1.29

Chief Patron
Dr.Asgar Hassan Samoon
(IAS)

Vice Chief Patron
Prof. Salahuddin tak

Editor - in - Chief
Dr.Meraj Ud Din Para Nadvi

رئيس التحرير
الدكتورمعراج الدين الندوي

وزارة التعليم العالي بولاية جامو و كشمير بالهند ١٩١١٠١
Higher Education Department J&K Govt.191101
A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature
www.tilmeezjournal.in

دعوة المشاركة و شروط النشر:

تـدعـــو "مجلة التلميذ" الباحثين وأساتذة الجامعات والمتخصصين في اللغة العربية و آدابها من أرجاء العالم الإسلامي، لتقديم نتاجهم العلمي مما له علاقة بموضوعات المجلة وذلك للنشر بها.

يشترط في المقالات المقدمة للنشر ما يلي:

* أن يكون البحث أصيلا وجديدا، لم يسبق نشره في نشريات أخرى مهما كانت،ولم يسبق عرضه أو المشاركة به في ندوة أو ملتقى علمي .

* ألاّ يقل عدد صفحات المقال عن 10صفحات ولا يزيد عن 20صفحة، بما فيها المصادرو الهوامش و الجداول والرسوم التوضيحية، ويجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

*أن يكون المقال مطبوعا على الكومبيوتروفق برنامج."Microsoft Word" بخطّ من نوع Sakkal Majalla

*تتحفظ المجلة عن نشر مقالين متتاليين في العدد ذاته أو في عددين متتالين لمؤلف واحد.

يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدرالإمكان.

ويجب أن يراعى في الأعمال المتضمنة لنصوص شعرية أو آيات قرآنية كريمة، أو أسماء أعلام ضبطها بالشّكل و تخريج الأحاديث والأبيات

*أن توضع الهوامش فكل صفحة وكذلك توضع المراجع والمصاد على آخر صفحة المقال ويراعى في طريقة التهميش المنهج التالي:

*الكتب: إسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الترجمة (إن وجدت)الطبعة دار النشر/الناشر،مكان النشر، وسنة النشر .

*المقالات: إسم ولقب المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، (الجهة التي تصدرعنها)، العدد، الصفحة.

*المراجع الالكترونية:اسم المؤلف،أو المنظمة "عنوان المقال"، العنوان الإلكتروني كاملا، تاريخ التصفح: اليوم، الشهر، السنة.

*المخطوطات:اسم المؤلف وعنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها .

*الصحف: إذا كان خبرا يكتب اسم الصحيفة، والعدد، والتاريخ، ومكان الصدور. أما إذا كانت مقالة يكتب اسم الكاتب، "وعنوان المقالة" واسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها (يومية، أسبوعية، شهرية)، (ومكان الصدور) والعدد، والتاريخ، والصفحة.

*يحق للمجلة (إذا رأت ضرورة لذلك) إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، كما تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض العبارات التي لا تتناسب مع أسلوب النشر.

*الدراسات التي تنشرها المجلة تُعَبّرعن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

المراسلة والاشتراك: يمكنك ارسال بحثك العلمي الى لجنة التحكيم في المجلة العربية للنشر العلمي عن طريق: ارسال البحث الى الإيميل التالية:editor@tilmeezjournal.com موضحا اسم الباحث - عنوان البحث - وصف مختصر للبحث والباحث.

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

Government of Jammu & Kashmir
Higher Education Department

Chief Patron
Dr.Asgar Hassan Samoon (IAS)

Vice Chief Patron
Prof. Salahuddin tak

مجلّة التّلميذ

AL-TILMEEZ

ISSN 2394 -6628

Monthly Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J&K Govt.

A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

سجّلوا انتصاركم بمداد الفخر

Director of Journal
Prof. M.Muzaffar Husain Nadvi

Editor in Chief
Dr.Meraj ud Din Para Nadvi

أعضاء لجنة التحكيم

تضم مجلة التلميذ الدولية المحكمة لنشر البحوث والدراسات كوكبةً من الأساتذة و النقاد و الدكاترة والأدباءالمتخصصين في تحكيم البحوث والأوراق الأدبية و العلمية من مختلف الجامعات العربية العالمية:

مشرفة لجنة التحكيم
وفـــاء عبـــد الـــرزاق
شاعرة و روائية و قاصة
المملكة المتحدة – لندن

رئيس لجنة التحكيم
البروفيسور محمد ثناء الله الندوي
بقســم اللغة العربية و آدابـها،
جامعةعليكرة الإسلامية بالهند

مدير لجنة التحكيم
البروفيسور عبد الماجد القاضي
رئيس قسم اللغة العربية و آدابها
الجامعة الملية الإسلامية بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د. كريمة نور عيساوي
أستاذة تاريخ الأديان،
جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

من أعضاء لجنة التحكيم
البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي،
مدير المركز الثقافي الهندي العربي و رئيس قسم اللغة العربية سابقا بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د.ناصر سليم محمد على الحميدي
أستاذ الأدب و النقد المشارك جامعة تبوك – الكلية الجامعية بأملج المملكة العربية السعودية

من أعضاء لجنة التحكيم
أ.د. محمد الأمين خلادي
أستاذ التعليم العالي بقسم اللغة و الأدب العربي
بجامعة أحمد دراية، ادرار الجزائر

من أعضاء لجنة التحكيم
د. أورنك زيب الأعظمي
مدير تحرير "مجلة الهند" والأستاذ المساعد
الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
أ. د.عبيد الرحمن الطيب
الأستاذ المشارك بمركز الدراسات العربية والإفريقية،
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهيالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د. عبدالمنعم عبدالله خلف حميد الدليمي
استاذ في جامعة تكريت بالعراق
(النحو واللسانيات)

من أعضاء لجنة التحكيم
د. إرشاد أحمد مير
الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بوره كشمير بالهند

من أعضاء لجنة التحكيم
د. معراج أحمد معراج الندوي
الأستاذ المساعد بالجامعة،الهند

مجلة التلميذ (Vol-04 Issue 38) February 2022
ISSN 2394 - 6628

مجلة التلميذ

مجلة علمية عربية محكمة شهرية تصدر عن وزارة التعليم العالي بجاموں وكشمير

مجلس التحرير
Editorial Board

الرئيس العام

الدكتورأصغرحسن ساموں
(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسورصلاح الدين تاك

مدير التحرير

البروفيسورمحمد مظفرحسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتورمعراج الدين الندوي

مساعدوه

البروفيسورة دنيا باقل (الجزائر)
الدكتورة نور أفشا ں
الدكتور عناية الله واني الندوي
الدكتور فاروق أحمد ميرالقاسمي
الدكتور محمد ريحان الندوي
الدكتورمحسن عتيق خان
الدكتورة زهراء علي دخيل (لبنان)
الدكتور رياض أحمد الندوي
نور عائشة/ Noor Aisha(للإنكليزية)

الهـيـئـــة الاستشارية / Advisory Board

البروفيسور محمد صلاح الدين العمري	رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور كفيل أحمد القاسمي	عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسوريسين أحمد شاه	مدير الكليات الحكومية سابقا بكشمير سرينجر
البروفيسور محمد سميع أختر	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسور محمد فيضان بك	الأستاذ بقسم اللغة العربية بجامعةعليكرة الإسلامية
البروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية
البروفيسورمنظورأحمد خان	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر
البروفيسور رضوان الرحمن	رئيس مركزالدراسات العربية والإفريقيةبجامعةجواهرلال نهرو
الدكتور ريحان أختر القاسمي	الأستاذ المساعد بقسم علم اللاهوت السني عليكرة بالهند
البروفيسور شاد حسين	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير
البروفيسور السيد جهانكير	جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد
البروفيسور حبيب الله خان	رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية
البروفيسور عبد الرحمن وار	رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر،كشمير
البروفيسورة تسنيم كوثر	قسم العربية و آدابها بجامعةعليكرة الإسلامية بالهند
د.زكريا السرتي المغربي	المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب
الدكتورهاني يوسف أبو عليون	كاتب فصص قصيرة جدا ،القويسمة/عمان الأردن
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه
د. تيسير محمد أحمد الزيادات	المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
د. كريمة نور عيساوي	أستاذة تاريخ الأديان ، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان.
الدكتور رضوان بلخيري	رئيس تحرير مجلة الرسالة الدولية للدراسات والبحوث ومحاضر بقسم علوم الإعلام والاتصال و نائب عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة العربي التبسي تبسة الجزائر.
الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي	الباحث الأكاديمي بالدوحة دولة قطر
الأستاذ عبدالقادرسلامي	جامعة تلمسان بالجزائر

الآراء المنشورة في مجلة "التلميذ" تعبرعن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبرعن رأي المجـــلة

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

محتويات العدد

كلمة العدد	رئيس التحرير	0 7
صلات الفعل "هوى يهوي هوّى "	د.أورنك زيب الأعظمي	09
دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة.....	الأستاذ أشرف عطا إبراهيم شاهين	19
شعرية الصورة الفنية في ديوان بحترى الأندلس.....	الأستاذ رائد عطية إبراهيم أبو يحي	33
دور الذكاء العاطفي في رفع مستوى تحصيل طلبة...	الأستاذ فراس عطية إبراهيم أبو يحي	60
الشيخ عبد العزيز الولفلي رحمه الله	د.مولاي لخضر نجيحة/ محمد عبد الصمد	74
الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتو باللغة...	الأستاذة سديرة سهام	87
التصورات الإستراتيجية لتكتل "بريكس BRICS".....	د.مشاور صيفي / لخضر بوالطمين	103
العولمة و سؤال الهوية الثقافية العربية	الدكتورة نوارة قريد	117
منهج المحدثين في التعامل مع مرويات السيرة النبوية	د.بن عراج عبدالرحمن	127
الحافظ ابن حجر العسقلاني شاعرا	محمد عرفان دار	138
العلامة بديع الزمان سعيد النورسي و إسهاماته.....	الدكتور الشيخ محمد روح الأمين	153
تصوير البحار في روايات حنا مينا	محمد أزهر سي.أتش	160
المرأة الكويتية و دورها في تأسيس المشروع.....	محمد على أعظم مدا	167
الأثر الإجتماعي لعلماء المالكية في مصر و الشام...	فوزي رمضان	180
العاطفة الشعرية لدى الشاعر أبه جده أبوبكر.....	جده حسن محمد	194
الإقبال على تعلم اللغة العربية	فرحانة كنجيبي بي بي	204
إستراتيجية الخطاب عند الشيخ محمد البشير..	العيد أحمد علاوي	219
تجربة غسان كنفاني في الصحافة	محمد مدثر عالم	230
صورة المجتمع المصري في رواية " أرض النفاق"..	محمد مزمل حق	239
توظيف التراث في مسرحيات جمال أبو حمدان	أ.د.معراج أحمد معراج الندوي	253

AL-TILMEEZ
Arabic Research Journal
Of
Higher Education Department J & K Govt.
A Monthly Refereed Research Journal in Arabic Language & Literature

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد :

(فرابر2022/ رجب 1443 هـ)

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، و جعل العلم ضياءً والقرآن نورا، و رفع الذين أوتوا العلم درجات عليّة، وجعل تعليمه نعمة مقدمةً على خلق الإنسان، ومقدمةً على تعليمه البيان. و الصلاة والسلام على رسول الله الهادي إلى سبيل الإيمان، وعلى آله وصحبه و أهل القرآن و السنة، اللهمَّ أدخلنا في زمرتهم يا رحيم يا رحمن!

مرحبا قرائنا الكرام و إخوتي الأعزاء ها قد اتينا لكم اليوم بعدد جديد لمجلتكم المؤقرة!

يسعدني و يريحني أن أعرض على القراء الكرام البحوث الأدبية و المقالات العلمية التي وصلت إلينا من كل صوب و حدب للعدد الثامن والثلاثين من "مجلة التلميذ"المحكمة الدولية (فرابر2022/ رجب1443 هـ)

و كما أنتم تعرفون بمعرفة جيدة بأن موضوعات المجلة تشمل كل التخصصات الأدبية و العلمية مثل التاريخ الأدب العربي وفلسفة العلوم العربية وعلوم اللغة العربية العلمية. و الشعر و الشعراء ولأن المجلة ذات هدف و رسالة تسعى إليها من خلال المجتمع العلمي، ولكننا نقبل أيضاً البحوث العلمية الرصينة في مختلف المجالات. بالإضافة إلى أوراق علمية منشورة وحاصلة على صيت وتميز بعد ترجمتها للعربية إن كانت حقوق النشر تسمح بذلك.

ولهذا، على الباحثين الراغبين الكرام في نشر بحوثهم في المجلة أن يختاروها من حيث الجودة ويكتبوها بأسلوب احترافي. وكما أن تكون خاضعًا لشروط النشر المقبولة عمومًا في المجلات المحكمة الدولية ذات السمعة والمصداقية والنزاهة العلمية.

نجدد آمالنا بأن يكون هذا العدد مليئًا بالبحوث العلمية المتميزة على غرار سنونه السابقة و ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل مجلتكم نافعة لكل من يحب لغة الضاد و نتمنى أن يزكو خيرها وينمو عطاؤها ليستمرَّ مع الأيام القادمة بفضله عزَّوجلَّ. ونسأله سبحانه و تعالى مخلصا أن يأخذ بأيدينا

إلى سبيل الحق والصواب، وأن يرزقنا جميعا صادق القول وصالح العمل، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سميع قريب.

وندعو جميع الأكاديميين المهتمين بالضاد إلى تقديم الدعم العلمي والمساهمة الفاعلة لإنجاح جهود هذه المجلة الدولية ومساعيها العلمية البحثة.

ختاماً.. نتمنى أن نكون قد وفقنا بما قدمناه خلال السنوات الماضية التي ستستمر بإذن الله.. ولا أنسى هنا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى جميع أعضاء لجنة التحكيم خاصة إلي المشرف العام الدكتور أصغر حسن ساموں و نائبه البروفيسور صلاح الدين تاك و مشرفة لجنة التحكيم الشاعرة و الروائية و القاصة وفاء عبد الرزاق بالمملكة المتحدة – لندن، و رئيس لجنة التحكيم البروفيسور محمد ثناء الله الندوي بقسم اللغة العربيةوآدابها،جامعةعليكرة الإسلامية بالهند و مدير لجنة التحكيم البروفيسور عبد الماجد القاضي رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بالجامعة الملية الإسلامية بالهند ، وجميع الكتاب والمشاركين والمهتمين على دعمهم الكبير الرائع الفعّال لما قدموه لخدمة المجلة من أعمال مُتقنة، وناجحة، في تطويرها، وتقدمها بشكل ملحوظ.

مرحبا بكم معنا فى العدد الثامن و الثلاثين و مرحبا بكلّ باحث و باحثة وبكلّ قارئ متعطّش.و اقرأوه بكل رغبة فيه و شوق عارم إليه ليكون لنا و لكل الناس من حولنا حياة أوفر و أفضل علما و أدبا. مع تحياتي لكم الخالصة.

رئيس التحرير

الدكتورمعراج الدين الندوي

سرينجر كشمير بالهند

صلات الفعل (هَوَى يَهْوِي هَوَى)

(في ضوء القرآن وكلام العرب)

د. أورنك زيب الأعظمي

مديرتحرير"مجلة الهند"وأستاذ مساعد،قسم اللغة العربية وآدابها،

الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي

Abstract :**In Arabic there are some verbs that have been mutually used by the Arabic poets and the Qur'ān. And, to me, such verbs are the most eloquent verbs. It is because they are the most suitable verbs to the expressions used for. Among such verbs are (*abiqa*), (*abá*), (*adhina*), (*ba'ūda*), (*tabi'a*), (*ḥaqqa*), (*khashiyá*), (*danā*), (*rʾaá*) (*warada*) and (*hawá*). Today we will take the verbs *hawá* and discuss the prepositions applied to it with different meanings that apper after these prepositions.**

This verb (*hawá*), which means to fall, developes into different denotions and meanings when a few prepositions are applied. Such prepositions are *ilá*, *bā*, *'alá*, *'an*, *fī*, *lām* and *min* so *hawá ilaihi* means to incline towards s.o./s.th, *hawá bihi* means to make s.o. to fall, *hawá 'alaihi* means to fall on the side of. and so on. The following study will be conducted in the light of the Qur'ān and Arabic poetry of the citation periods.

الملخّص: في اللغة العربية أفعال أوردها كلّ من القرآن الكريم وكلام العرب وعندي مثل هذه الأفعال أبلغُ فعلٍ وأفصحه وذلك لأنّها تؤدي مراد ما استخدم له خير أداء. ومن مثل هذه الأفعال أبِق، أبى، أذِن، بعُد، تبِع، جهّز، أجاب، حَقّ، خشِي، دنا، ذهِل، رأى، رضِي، سَرَّ، استوى، أفلح، وَرَدَ وهَوَى. في هذه المقالة سنتناول الفعل (هَوَى) فنحاول شرح معناه وبيان مختلف دلالاته وكم تغيّرت دلالته بعد دخول الصلات عليه.

فالفعل (هَوَى) قد جاء في مختلف سور القرآن الكريم كما استخدمه العديد من شعراء العربية الفحول، وتدخل عليه سبع صلات وهي إلى والباء وعلى وعن وفي واللام ومِن. فهَوَى إليه: مال، وهَوَى به: أسقطه، وهَوَى عليه: خرّ على تلك الجهة، وهَوَى له: أراده، وهلمّ جرًّا. وستكون هذه الدراسة المتواضعة قائمة على كلام العرب والقرآن الكريم.

الكلمات الدلالية: الأفعال العربية، الصلات، المدلولات، المعاجم، كلام العرب والقرآن الكريم.

المدخل: اللغة العربية تزخر بالأفعال ولكن لم يختر منها القرآن إلا ما كان أفصح وأبلغ وأنسب بالسياق الذي جاء فيه. فللإياب والذهاب، مثلًا، أفعال عديدة كما للجود والسخاء أفعال كما للكلام والحديث أفعال

ولكن القرآن الكريم اختار منها ما كان أفصح وأبين وأبلغ فمثلًا أعطى وآتى فأكثرَ من إيراد (آتى) وأقلّ من استخدام (أعطى) وكذا فضّل (بَدَأ) على (شَرَعَ) وهكذا اصطفى (سَارَ فيه) على (طَوَّفَ فيه) ودواليك.

وكذلك اختار فعلًا بمناسبة وتركه لمناسبة أخرى كما اختار كلمة لمجرد المجانسة أو التجرّد فالسَوْق أورده للفجّار والمتقين معًا (سورة الزمر: 71 و72) كما فرّق بينهما في الفعل فأورد للأول السَوْق وللثاني الحشْر (سورة مريم: 85-86) وهكذا الأمر مع الصلات فترك الفعل المتعدي بنفسه وأورد الفعل المتعدي بالصلة كما رأينا في أمر الإذاعة. وسنفرد بهذا مقالًا إن شاء الله تعالى.

وهذه المقالة المتواضعة ستتحدّث عن الفعل (هَوَى) ومعناه ودلالاته والصلات الداخلة عليه في ضوء كلام العرب والقرآن الكريم.

معنى الفعل (هَوَى يَهْوِيْ): هَوَى يَهْوِيْ هَوًى يعني أراد إيجابيًا أو سلبيًا كما قال المقنع الكندي:

وإنْ ضيّعوا غيبي حفظتُ غيوبَهم	وإنْ هم هَوَوا غيّ هويتُ لهم رشدا[1]

وقال سَعيَة بن العُرَيض اليهودي أخو السموأل:

واجتنبُ المقاذعَ حيث كانت	وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ[2]

ولكلّ من الإرادتين قول الكميت الأسدي:

ونمنع بالأسنة ما سخطنا	مكابرةً ونأخذ ما هَوِينا[3]

ولذا يرادفه نَوَى ورَامَ وما شابههما من الأفعال كما قال الراعي النميري:

بني وابشي قد هوينا جواركم	وما جمعتنا نية قبلها معا
خليطين من حيّين شتى تجاورا	جميعًا وكانا بالتفرق أمتعا[4]

وقال مسكين الدارمي:

لكلِ امرئ شعبٌ من القلب فارغٌ	وموضعُ نجوى لا يرام اطلاعها[1]

[1] شرح ديوان الحماسة،723/2 (غريد الشيخ)

[2] ديوان الأصمعيات، ص 84، المقاذع: الفحش من الكلام

[3] ديوانه، ص 430

[4] شعره، ص 99

ومن هنا يعني: التمني كما قال أبو ذويب الهذلي:

سبقوا هوَيَّ وأعنقوا لهواهم	فتُخُرِّموا ولكل جنبٍ مصرع[2]

ومن التمني تدرّج للحب كما قال مرداس بن حمّام الطائي:

هوَيتُكِ حتى كاد يقتلني الهوى	وزرتُكِ حتى لامني كلُّ صاحب[3]

حتى شاع هذا اللفظ للحبّ والوداد ولذا استخدموه مرادفًا للمحبة فقال عمر بن أبي ربيعة:

لا تجعلنْ أحدًا عليك، إذا	أحببتَه وهويتَه، ربّا[4]

دلالات الفعل (هَوَى يَهْوِيْ): وللفعل مدلولات عديدة نذكر طرفًا منها كما يلي:

1. الميل إلى الشيء كما قال تعالى: "وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١". (سورة النجم)
2. السقوط كما قالت الخنساء:

كأنّ جمانًا هوَى مرسلًا	دموعَهما أو هما أسرع، ديوانها[5]

وقالت الخنساء أيضًا:

إنّ أبا حسّان عرشٌ هَوَى	مما بنى الله بكِنٍّ ظليل[6]

وقال كثيّر عزة:

أبوكم تلافى قبّةَ الملك بعدما	هوى سمكُها وغيّر الناسُ حالَها[7]

3. الانحطاط كما قال جابر بن رألان:

ولكنما يخزى امرؤ تكلم استَه	قنا قومه إذا الرماحُ هوينا

[1] شرح ديوان الحماسة، 691/2 (غريد الشيخ)

[2] ديوان الهذليين، 2/1

[3] شرح ديوان الحماسة، 838/2 (غريد الشيخ)

[4] ديوانه (طبعة دار صادر، بيروت)، ص 26، ربّ عليه: حاكم عليه

[5] ص 78، هما: عينان

[6] ديوانها، ص 96، كن: قبر

[7] ديوانه، ص 87

فإن تبغضونا بغضة في صدوركم	فإنا جدعنا منكم وشرينا[1]

4. وحتى جاء للموت كما قال عمرو بن كلثوم:

ستعلم حين تختلف العوالي	من الحامون ثَغرَك إن هوينا[2]

وقال سُوَيد المراثد الحارثي:

لعمري لقد نادى بأرفعِ صوته	نعيُّ سُوَيدٍ أنّ فارسكم هوى[3]

5. والهلاك كما قال تعالى: "كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١". (سورة طه)

صلات الفعل (هَوَى يَهْوِيْ) ودلالاتها: وللفعل (هَوَى) سبع صلات وهي إلى والباء وعلى وعن وفي واللام ومِنْ فهَوَى إليه يعني: مال إليه وتوجّه نحوه ونزل إلى الأسفل فقال أبو ذويب الهذلي:

فألقى غمده وهوى إليهم	كما تنقضّ خائتة طلوب
موقَّفَةُ القوادم والذنابى	كأنّ سراتها اللبنُ الحليب[4]

وقال معن بن أوس:

لكان هوى الغيّ إلى غناه	وكان من العشيرة في مكان[5]

وقال تعالى: "رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧". (سورة إبراهيم)

وقالت الجيداء بنت زاهر الزبيدية ترثي زوجها:

بدرُ تِمٍّ هوى إلى الأرض لمّا	رشقتْه السهامُ من كفِّ عبد[6]

[1] شرح ديوان الحماسة، 79/1

[2] ديوانه، ص 29، العوالي: ما فوق مجد إلى تهامة إلى ما وراء مكة

[3] شرح ديوان الحماسة، 543/1

[4] ديوان الهذليين، 95/1، خائتة: منقضة أي عقاب، موقفة: ذات بياض وهي شرّ العقبان

[5] ديوانه، ص 71

[6] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 49

قال أبو خراش الهذلي:

ترى طالبي الحاجاتِ يغشونَ بابَه	سراعًا كما تهوِي إلى أدَمَى النحلُ[1]

وقال المتوكل الليثي:

لا والذي يهوى إلى بيته	من كلِّ فجٍ مُحرمٌ ناحل[2]

وقال امرؤ القيس:

رأى أرنبًا فانقضّ يهوي أمامَه	إليها وجلّاها بطرفٍ مُلَقلَق[3]

وأما هَوَى به فيعني: أسقطه وأطاره كما قال كثيّر عزة:

يا عمرو لو نالتْك أرماحنُا	كنتَ كمن تهوي به الهاويه[4]

وقال تعالى: "وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١". (سورة الحج)

وكذا يعني: سقط في مكان خاص كما قال عبد المطلب بن هاشم القرشي:

وربّ مَنْ يهوي بكلّ مَعلم[5]

وهَوَى عليه: سقط على جانبه كما قال علقمة الفحل:

وظلَّ لثيرانِ الصريم غَماغِمٌ	يُداعسُهنّ بالنَضيّ المُعَلَّب
فهاوٍ على حُرِّ الجبين ومُتَّقٍ	بمِدراته كأنها ذَلْقُ مِشعَب[6]

ويرادفه "خَرَّ عليه" كما قال حاتم الطائي:

---

[1] ديوان الهذليين، 166/2

[2] شعره، ص 239

[3] ديوانه، ص 106

[4] ديوانه، ص 510

[5] ديوان الشعراء المعمّرين، ص 452

[6] ديوانه، ص 27، غَماغِمٌ: خوار الثيران عند الطعن

فخرَّ على حُرِّ الجبين بضربةٍ	تقُطُّ صِفاقًا عن حشًا غيرِ مُسنِد[1]

وقال سراقة البارقي:

وقاتل حتى مات أكرمَ ميتةٍ	وخرَّ على وجهٍ كريمٍ وحاجب[2]

وقال عبد مناف بن ربع:

تركناه يخرُّ على يديه	يمُجُّ عليهما عَلَقَ الوتين[3]

وأما هوى إليه عليه فيعني: التفت إليه على شيء كما قال كثيّر عزة:

أميرَ المؤمنين إليك نهوي	على البُختِ الصلادم والعَجوم[4]

وهَوَى عنه: سقط عنه كما قال بكر بن النطاح:

هوتِ الجدودُ عن السعود لفقده	وتمسّكتْ بالنحس والدبران[5]

فـ"عن" هنا للمصدر كما قال الصمة بن عبد الله:

بكتْ عيني اليسرى فلمّا زجرتُها	عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا[6]

وقال أبو صخر الهذلي:

فتعلّمي أنْ قد كلِفتُ بكم	ثم افعلي ما شئتِ عن علم[7]

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

هذا الذي لجَّ البعادُ به،	ما كان عن رأي ولا لبّ[1]

وقال الطرماح:

---

[1] ديوانه، ص 75

[2] ديوانه، ص 93

[3] ديوان الهذليين، 48/2

[4] ديوانه، ص 344، بخت: إبل فارسية خراسانية، صلادم: قوية الحافر، عجوم: ناقة قوية على السفر

[5] شعره، ص 40

[6] شرح ديوان الحماسة، 741/2 (غريد الشيخ) فـ"عن الجهل يعني: بالجهل

[7] شرح ديوان الحماسة، 749/2 (غريد الشيخ)

فيمَ تقول تميمٌ؟ يا ابنَ قينهم،	وقد صدقتُ، وما إنْ قلتُ عن فَنَد[2]

وهَوَى فيه: سَقَطَ فيه ووَقَعَ كما قال بشر بن أبي خازم:

هوى في مُلحَدٍ لا بدّ منه	كفى بالموت نأيًا واغترابا[3]

وقال الفرزدق:

سيعلمُ مَنْ سامى تميمًا إذا هَوَتْ	قوائمُه في البحر من يتخلّف[4]

فـ"في" هنا ظرفية كما قال امرؤ القيس:

وقد طوّفتُ في الآفاق حتى	رضيتُ من الغنيمة بالإياب[5]

وقال تأبط شرًا:

وطعنةِ خَلسٍ قد طعنتَ مُرِشّةٍ	لها نَفَذٌ تضِلُّ فيه المَسَابِرُ[6]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

إذا اختبطوا لم يُفحِشوا في نديّهم	وليس على سؤالهم عندهم بخل[7]

والأمثلة على هذا كثيرة.

وأما هَوَى له فيعني: أراده كما قال هدبة بن الخشرم العذري:

تعسّفَ من غضيانَ حتى هوى لنا	بيثربَ ليلًا بعد طولِ تجنّبِ[8]

وقال كعب بن مالك الأنصاري:

---

[1] ديوانه (طبعة دار صادر، بيروت)، ص 32

[2] ديوانه، ص 127

[3] مختارات ابن الشجري، ص 306

[4] ديوانه، ص 392

[5] ديوانه، ص 43

[6] ديوانه، ص 80

[7] شرح ديوانه، ص 261

[8] ديوانه، ص 77

ضربناهم حتى هوى في مكرّنا	لمنخرِ سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها[1]

وقال أبو ذويب الهذلي:

فرما ليُنقِذ فرَّها فهَوَى له	سهمٌ فأنقذ طُرَّتَيه المِنزَع[2]

وأما هَوَى منه فـ"مِنْ" هنا ظرفية كما قالت صفية الباهلية:

كنّا كأنجمِ ليلٍ بينها قمرٌ	يجلو الدجى فهوَى من بينها القمرُ[3]

وقال آخر في ابنه:

هوى ابني من علا شرفٍ	يهول عقابَه صعدُه[4]

وقال عبيد بن عبد العزى السلامي:

تبادِرُ عينها بكُحلٍ كأنه	جُمانٌ هوَى من سِلكه متتابع[5]

وقال نابغة بني جعدة:

يمورُ الندى في مِدرَيها كأنه	فريدٌ هَوَى من سلكه فتحدّرا[6]

الملخص: ظهر مما سبق من الدراسة الوجيزة للفعل (هَوَى يَهْوِيْ) وتتبعه في كلام العرب والقرآن الكريم أنّ الفعل (هَوَى) يعني: أراد إيجابيًا أو سلبيًا ويرادفه نَوَى ورَامَ وما شابههما من الأفعال ومن هنا يعني: التمني، ومن التمني تدرّج للحب حتى شاع هذا اللفظ للحب والوداد ولذا استخدموه مرادفًا للمحبة. وهكذا فالفعل يدلّ على الميل إلى الشيء فالسقوط والانحطاط والموت والهلاك. وتدخل عليه سبع صلات وهي إلى والباء وعلى وعن وفي واللام ومِنْ فهَوَى إليه: مال إليه وتوجّه نحوه ونزل إلى الأسفل، وهَوَى به: أسقطه وأطاره وسَقَطَ في مكان خاص، وهَوَى عليه: سقط على جانبه ويرادفه "خَرَّ عليه"، وهَوَى إليه عليه: التفت إليه على شيء، وهَوَى عنه:

---

[1] ديوانه، ص 267

[2] ديوان الهذليين، 15/1

[3] شرح ديوان الحماسة، 601/1 (غريد الشيخ)

[4] شرح ديوان الحماسة، 569/1 (غريد الشيخ)

[5] قصائد جاهلية نادرة، ص 122

[6] جمهرة أشعار العرب، ص 624

سقط عنه، وهَوَى فيه: سَقَطَ فيه ووَقَعَ، وهَوَى له يعني: أراده. وأما هَوَى منه فمِنْ هنا ظرفية لا غير.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يوفّقنا للمزيد من خدمة اللغة العربية التي نزل بها كتابه العزيز.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
3. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3
4. ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
5. ديوان الشعراء المعمّرين، للدكتورة شمس الإسلام أحمد حالو، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2010م
6. ديوان الطرماح، د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
7. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
8. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
9. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، بيروت، 1996م
10. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
11. ديوان تأبط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
12. ديوان حاتم الطائي، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م
13. ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم: الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
14. ديوان سراقة البارقي الأصغر، تحقيق وشرح: حسين نصّار، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1947م
15. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق وتقديم: د. فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، 1980م
16. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحقّقه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م
17. ديوان كُثَيِّر عَزّة، جمع وشرح: د. إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
18. ديوان كعب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق، سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966م

19. ديوان معن بن أوس المزني، صنعة: د. نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، 1977م

20. الراعي النميري: شعر الراعي النميري وأخباره، جمع وتقديم وتعليق: ناصر الحاني، دمشق، 1964م

21. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمع وترتيب: بشير يموت، المطبعة الوطنية، ط1، 1934م

22. شرح ديوان الحماسة للعلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى

23. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م

24. شعر المتوكل الليثي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، د.ت.

25. شعر بكر بن النطاح، صنعة: الأستاذ حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد، 1975م

26. شعر هدبة بن الخشرم العذري، صنعة الدكتور يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1986م

27. علقمة الفحل، شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م

28. قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م

29. مختارات شعراء العرب لهبة الله بن علي أبي السعادات العلوي المعروف بابن الشجري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة العملية التعليمية

(مبادرة التعليم الأردنية2003 أنموذجا)

الأستاذ أشرف عطا إبراهيم شاهين

Ashraf Atta Ibrahim Shahin

Abstract: **This study aimed to identify the most effective technological techniques that can be employed in the educational process, and to try to determine the extent of the impact of these technologies in improving the quality and development of education in schools, and to realize the impact of the role of information technology in improving teacher and student performance within the educational environment, and the study showed that one of the most important Technologies that serve the development of the educational process are represented in personal computers, televisions, telephones, electronic home appliances, modern portable devices, e-books, e-mails, video conferencing and interactive whiteboards. Information technology improves the quality and accessibility of education, improves the learning environment and increases motivation towards education, and for an applied representation of the role of technology in improving education, the Jordanian Education Initiative has been identified through its five axes in employing modern technologies.**

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أنجع التقنيات التكنولوجية التي يمكن توظيفها في العملية التعليمية, ومحاولة الوقوف على مدى تأثير هذه التقنيات في تحسين جودة التعليم وتطويره في المدارس, وإدراك أثر دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين أداء المعلم والطالب داخل البيئة التعليمية, وأظهرت الدراسة أن من أهم التقنيات التي تخدم تطوير العملية التعليمة تتمثل في أجهزة الكمبيوتر الشخصية وأجهزة التلفزيون والهاتف والأجهزة المنزلية الإلكترونيّة والأجهزة المحمولة الحديثة, والكتاب الإلكترونيّ, والبريد الإلكترونيّ, ومؤتمرات الفيديو, و السبورة التفاعلية, وكشفت الدراسة أن تحسين عملية التعلم والتعليم تظهر من خلال المناهج والمعلم والطالب وأساليب التدريس, كما تعمل تكنولوجيا المعلومات على تحسين جودة التعليم وسهولة الوصول إليه, وتحسين بيئة التعلم وزيادة الدافعية نحو التعليم, وللتمثيل التطبيقي على دور التكنولوجيا في تحسين التعليم تم التعرف على مبادرة التعليم الأردنية من خلال محاورها الخمسة في توظيف التقنيات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات, العملية التعليمية, جودة التعليم, مبادرة التعليم الأردنية.

مقدمة: يرتبط تقدم الأمم والشعوب بمدى توظيفها لوسائل المعرفة والتقنيات الحديثة, والتي تتحول إلى أيقونة تشير إلى مدى ازدهار الدول, وصعودها قطار الحضارة, فبقدر امتلاك الدول للكوادر المتعلمة تحفر اسمها في ركب الرقي, وتمتلك القدرة على الإبداع والتميز والمنافسة الإنتاجية, ولا يمكن أن يتحصل هذا التقدم دون تطوير

وتنمية للموارد البشرية, بل تجعل من أهم سياساتها المستقبلية الاستثمار الجيد في القطاعات البشرية والموارد الطبيعية, كل هذا يقودنا إلى الحديث عن أهمية التعليم, وضرورة وضع الخطط والاستراتيجيات التي من شأنها النهوض بالعملية التعليمية والعلمية, ومن خلال هذه المشروعات نتحول إلى دول قوية تجعل ركيزتها الأساسية تطوير المجتمع. لهذا تشهد العملية التربوية تطوراً كبيراً في مجال قطاع التعليم, مما أدى إلى زيادة الأساليب التعليمة وتنوعها, وازدياد أعداد المؤسسات التعليمية, والخدمات المقدمة والبرامج, واستحدثت أساليب وطرق حديثة وأنماط تعليمية متنوعة, ففي الوقت الحالي أصبحت المعرفة والاقتصاد المعرفي ضرورة من ضروريات الحياة, وأمر مهم لجميع الدول, ونظراً لظهور شبكات المعرفة والنظريات التكنولوجية, أصبحت المعرفة الأساس الذي ترتكز عليه المجتمعات, وتتنافس فيه للوصول إلى القوة والحضارة (آل سرور, 2018), ويعد تصميم مادة التعلم واختيار الطريقة الجديدة والحديثة لأساليب التدريس باستخدام التكنولوجيا المتطورة تسعى إلى فتح آفاق كبيرة بين المعلم والمتعلم في الحصول على المعلومات بدقة ووقت أقل (عاشور, 2009).

ويعتبر المجتمع المدرسي أحد الركائز المنوط بها نهضة الدول وتقدمها, بذلك تعد رافداً لا يمكن الاستغناء عنه في إحداث التطور العلمي للمجتمع, مما استوجب على القيادات التربوية ضرورة السعي لإحداث التطور في العملية التعليمية, وإحداث الاصلاحات للعملية التربوية برمتها, ولهذا تعتمد الجودة التعليمية في المدارس وتطورها بشكل أساسي على الجودة التي تتمتع بها عناصر التعليم المتمثلة بالطالب والهيئة الإدارية والتدريسية و المقررات المنهجية, فمن المعروف أن تطوير التعليم ورفع جودته يتطلب تحديد جوانب القوة الموجودة في تلك العناصر وتنميتها, والكشف عن جوانب الضعف التي تحول دون تطوير وتحسين تلك العناصر أو التقليل منها قدر المستطاع (غطاس, 2019), ولتحقيق ذلك تعمد الخطط الحديثة إلى توظيف التكنولوجيا الحديثة في العملية التعليمية, فقد بات هذا الأمر من متطلبات القرن الواحد والعشرين ومستجداته التعليمية, وذلك لما تمتاز به من سيطرة علمية كاملة على جميع عناصر العملية التعليمية, فقد كان للتعليم الإلكترونيّ واستخدام الحاسوب وشبكات الأنترنت الأثر الأكبر في العملية التعليمية بشكل خاص على أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة الذين يعدون المحور الأساسي للعملية التعليمية (عليمات, 2014), ويعتمد نجاح العملية التعليمية على مدى استجابة وفعالية محوريها (المعلم والطالب) مع توظيف التقنيات التكنولوجية, مما شكل دافعاً إلى ضرورة وجود حاجة ملحة لنجاح العملية لوجود عنصرين أساسيين وهما: المعرفة والتدريب المستمر على استخدام التقنيات الحديثة حتى تتم العملية التعليمية بكل يسر وسهولة, والحصول على الفائدة الكبرى من التعليم ومواكبة المعرفة والتطور المبنية على استخدام الأساليب الحديثة والتقنيات المتطورة, كما يتأثر كلا من الطالب والمعلم بهذه التقنيات, حيث أنها تعمل على تطويرهم وتأهيلهم وتنمية مهاراتهم بشكل متواصل لتطوير العملية التعليمية والنهوض بها (الغيشان, 2013).

ويأتي توظيف تكنولوجيا المعلومات في العملية التعليمية بوصفه حلًّا ناجعاً للتغلب على مشكلة تدني جودة وفعالية التعليم في بلدانا العربية والإسلامية، حيث يعتبر استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أحد البدائل الناجعة التي يمكن الاعتماد عليها في إدارة التعليم. ويتم اختيارها من قبل المخططين لتطوير التعليم بوصفها بديلاً للتغلب على مشكلة جودة التعليم, ويستند هذا إلى الحقائق التي تحدث في البلدان المتقدمة بأن استخدام تكنولوجيا المعلومات في تنظيم التعليم أثبت قدرته على دعم تحسين نوعية التعليم, وأخذت الدول النامية تحث السير نحو اتخاذ الخطوات تحقق مجتمع متعلم, ومواكب لجميع التطورات والمستحدثات التكنولوجية في جميع مؤسساتها التعليمية, والعمل على النهوض بالمستوى التعليمي لأبنائه, ومن هذا المنطلق جاء بحثنا في محاولة لتسليط الضور على دور توظيف تكنولوجيا المعلومات في تحسين العملية التعليمية, وقراءة مشروع مبادرة التعليم الأردنية التي انطلقت عام 2003, وفق رؤية أن استخدام التكنولوجيا له جلّ الأثر في بث الطاقة الإيجابية في نفوس الطلبة, ويحوّل الغرفة الصفية إلى بيئة تعليمية تفاعلية مميزة, مما يؤدي إلى ظهور التفكير الناقد وحل المشكلات والعمل التعاوني (العبد الكريم,1429هـ), وتعتبر تكنولوجيا المعلومات محفزًا للتغييرات الأساسية في دور المعلم، والأنشطة الطلابية للوصول إلى أحدث المعارف. لذلك، يجب أن يكون كل نظام تعليمي محفز إلى التكنولوجيا حتى يتمكنوا من تحسين قدرتهم على التعلم بشكل أسرع وأفضل وأكثر ذكاء. وبالتالي، فإن تكنولوجيا المعلومات هي واحدة من مفاتيح نموذج المدرسة المستقبلية الأفضل.

مشكلة الدراسة:

بات التعلم الإلكترونيّ أمر اً ملحاً تقتضيه الظروف الحالية, فقد أدى التغيير السريع الذي حدث في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين إلى إحداث أثر كبير في جميع المجالات خاصة المجال التعليمي, بالإضافة إلى ذلك فإن للتطور التكنولوجي أهمية كبيرة وبارزة في قيادة الأمم إلى عصر المعلومات والمعرفة, فالإنسان يعيش في زمن يمتاز بالمعلوماتية والتطور, وقد سيطرت التقنيات الحديثة على مختلف المجالات من خلال تقنية الأنترنت وتكنولوجيا المعلومات وأجهزت الحاسوب الآلي, وقد عملت على تغيير الأسلوب والطريقة التي يعمل بها العالم, إذ أصبح العالم أشبه بقرية واحدة(آل سرور, 2018), ووسط هذه الحالة كثيراً ما نجد التربويين يبحثون باستمرار عن أفضل الطرق لتوفير بيئة تفاعلية لجذب اهتمام الطلاب, فللتعلم الإلكترونيّ أهمية جمة للطلاب والمعلمين على حد سواء, فهي تزودهم بأساسيات القرن الواحد والعشرين (المهارات التكنولوجية) التي باتت صبغة هذا القرن, وما تتنافس عليه المؤسسات الكبرى لجذب أصحابها, فالتعليم الإلكترونيّ هو أهم مميزات مدرسة المستقبل (العنزي,2011).

ونظراً لأن الطلاب يتفاعلون مع التكنولوجيا الحديثة, ولديهم الشغف للبحث والتنور بكل ما هو جديد, واستخدام التكنولوجية وتوظيفها في كافة مجالاتهم الحياتية, لذلك لا بد من الاستفادة من تجارب الأخرين في توظيف

هذه التقنيات والوصول إلى تعلم إلكتروني ناجح, ويرى (مهدي, 2012) أن التعلم الإلكترونيّ من أبرز مستحدثات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتي تشكل الأساس في تطوير وازدهار التعليم وذلك لكونه يعتمد على الأنترنت المميز بالتطورات المتسارعة فيه, بالإضافة إلى مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب وقدرتهم وإمكانية استخدامها في الوقت والزمان المناسبين للطلاب, أي عدم التقيد بالمكان والزمان والحصول على المواد التي تناسب قدرات الطالب في أي وقت, بالإضافة إلى القدرة على الحصول على المعلومات والكتب والمصادر التي يريدها الطالب بكل سهولة ويسر, لذلك فإن التعليم الإلكترونيّ ساعد على حل بعض المشكلات التي يعاني منها التعلم التقليدي بشكل فعال (آل سرور, 2018), وتحاول الدول استثمار تكنولوجيا التعليم في تحسين جودة التعليم بمواكبة مستجدات التقنيات التعليمية في مؤسساتها التربوية, وتجتهد في استخدام أحدث التقنيات التي من شأنها تنمية مهارات الطلاب, وتطوير رغبة التعليم الذاتي لديهم, ويتطلب نجاحها امتلاك الكفاية الضرورية لاستخدامها من الطلبة والمعلمين, ولهذا أدركنا مشكلة توظيف تقنيات التكنولوجيا في العملية التعليمية.

أهداف الدراسة وأسئلتها:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة العملية التعليمية, والتعرف على أثر استخدام تقنيات التكنولوجيا في جودة التعليم, ومعرفة مدى نجاح تجربة توظيف تكنولوجيا المعلومات في المبادرة التعليم الأردنية من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي التقنيات التكنولوجية المستخدمة في العملية التعليمية؟
- ما أثر توظيف تقنيات تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة العملية التعليمية؟
- ما أهم التجارب الأردنية التي عملت على توظيف تقنيات تكنولوجيا المعلومات في التعليم؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من بحثها في تكنولوجيا المعلومات, لما له من أثر كبير في تحسين جودة العملية التعليمية والتعلمية, وتأمل الدراسة أن تشكل حافزاً للمعلمين للاستفادة منها في تطوير أساليبهم التدريسية من خلال توظيف تقنيات التكنولوجيا ضمن التعليم الإلكترونيّ, ويؤمل أن تشكل الدراسة تغذية راجعة للمعلمين لمعرفة نقاط القوة والضعف في تعاملهم مع وسائل التكنولوجيا التعليمية داخل البيئة الصفية, كما نؤمل أن تشكل مرجعاً من المراجع التي تعتمد عليها عملية رسم سياسات التعليم ووضع الخطط الناجحة لرقي بالعملية التعليمية, كما نتوقع أن تفتح الدراسة المجال أمام الباحثين للتوسع في هذا المجال الحيوي خاصة مع ظهور الحاجة للتعلم عن بعد. فتسعى هذه الدراسة إلى معرفة مدى تأثير استخدام تقنيات تكنولوجيا التعليم الحديثة على جودة التعليم وتطويره, ومعرفة أهم التقنيات الحديثة التي تحتاجها العملية التربوية في مدارسنا.

مصطلحات الدراسة:

التقنيات الحديثة: وهي كل ما هو جديد ومتطور من الأجهزة والمعدات والبرامج والأدوات المستخدمة في مجال التعليم, وتستخدم بهدف زيادة التفاعل بين الطالب والمعلم, والطلاب أنفسهم, والطالب والمادة التعليمية, وتطوير العلم والتعليم, والعمل على النهوض به وازدهاره, (سرور, 2018), فهي نمط أو أسلوب تدريسي جديد يهدف لإحداث تغيير إيجابي لدور كل من المعلم والطالب, وتيسر طرق الوصول للمعلومة, والتغلب على مشكلات التعليم التقليدي بفاعلية وجدارة بهدف تحسين جودة التعليم (بدرخان, 2021)

جودة التعليم: تعرف بأنها الشروط الأساسية اللازم توافرها لدى المؤسسات التعليمية من أجل بلوغ مكانة تعليمية مرموقة للمدارس, من خلال تزويد الطلبة بالمعارف والاتجاهات الضرورية (غطاس, 2019)

العملية التعليمية: هي العمليات والنشاطات التي تجري داخل الصف الدراسي, والتي تعمل على إكساب الطلاب المعرفة النظرية, أو القدرات العلمية أو الاتجاهات الإيجابية, وهي عبارة عن نظام من المعرفة يحتوي على مدخلات ومخرجات ومعالجة, فالمقصود بالمدخلات هم المتعلمين , أما المعالجة فهي العملية المنظمة التي تحدث لتنظيم المعرفة وفهمها وتفسيرها, والعمل على ايجاد الترابط بين المعلومات وربطها بالمعرفة السابقة, أما بالنسبة للمخرجات فهم الطلاب الذين يتخرجون من العملية التعليمية وهو على درجة عالية من العلم والمعرفة.(آل سرور, 2018)

تكنولوجيا المعلومات: جاء في تعريف الأمم المتحدة (1999)، والذي نص على كون الـ ICT تشمل خدمات الأنترنت ومعدات وخدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية ومعدات وخدمات تكنولوجيا المعلومات ووسائط الإعلام والإذاعة والمكتبات ومراكز التوثيق ومزودات المعلومات التجارية وخدمات المعلومات المبنية على الشبكات، وغير ذلك من أنشطة المعلومات والاتصالات ذات الصلة, بينما تعرفها اليونسكو بأنها أحد أشكال التكنولوجيا التي يمكن استخدامها في عمليات تكوين المعلومات ومعالجتها وتخزينها ونقلها وعرضها ومشاركتها وتبادلها بالوسائل التقنية المختلفة. ولا تشتمل هذه التكنولوجيا فقط على الأدوات التقنية التقليدية مثل الراديو والتلفاز، وإنما أيضا على الأجهزة الحديثة مثل الهواتف الخلوية والحواسيب والشبكات والبرمجيات وأنظمة الأقمار الصناعية وغيرها من الوسائل والتقنيات الحديثة، بالإضافة إلى الخدمات والتطبيقات المرتبطة بها (عبد القادر, 2018)

التعليم الإلكترونيّ: هو تقديم محتوى تعليمي إلكتروني من خلال الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى ومع المعلم ومع أقرانه سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أم غير متزامنة, وكذلك إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان المناسبين, فضلا عن إمكانية إدارة هذا التعليم أيضا من خلال تلك الوسائط الإلكترونيّة.(زيتون, 2006)

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على دور التكنولوجيا في تحسين جودة التعليم.

دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة العملية التعليمية

تعرَّف تكنولوجيا المعلومات على أنها خليط من تكنولوجيا الحاسوب والاتصالات السلكية واللاسلكية مع تقنيات أخرى مثل الأجهزة والبرامج وقواعد البيانات وتكنولوجيا الشبكات ومعدات الاتصالات السلكية واللاسلكية الأخرى. ويتم توظيفها في نظم المعلومات التنظيمية لتوفير المعلومات للمشتغلين عليها لاتخاذ قراراتهم, وتنفيذ خططهم التطويرية, ولذلك تسمى (تقنية المعلومات) ولهذا تعتبر تكنولوجيا المعلومات (IT) مصطلح عام يشمل أي تقنية تساعد البشر على إنشاء المعلومات أو تغييرها أو تخزينها أو توصيلها أو نشرها. وتضم تقنية المعلومات أجهزة الكمبيوتر الشخصية وأجهزة التلفزيون والهاتف والأجهزة المنزلية الإلكترونيّة والأجهزة المحمولة الحديثة, والتي من شأنها أن تعمل على معالجة وتخزين ونشر المعلومات الصوتية والصور والنصية والرقمية بواسطة الإلكترونيّات الدقيقة على أساس مزيج من الحوسبة والاتصالات السلكية واللاسلكية, والأجهزة الصوتية والفيديوهات.

ويمكن استثمار تقنية المعلومات التي تم تعريفها في العملية التربوية من خلال تصميم برامج تعليمية من نحو إعداد فيديوهات يوتيوب بأسلوب ممتع وجذاب لشرح الدروس بهدف كسر جمود الروتين خاصة في الموضوعات العلمية الجامدة, بربط المحتوى العلمي الجامد بأمثلة واقعية يتفاعل معها الطالب في أفلام فيديو قصيرة, كما يمكن مثلاً توظيف الهواتف النقالة في العملية التربوية من خلال توظيف تقنية تطبيق كاهوت KAHOOT، الذي يتم تحميله على الهواتف, والذي يساعد على خلق روح المنافسة بين الطلاب, وبراعي التعلم الذاتي, وينمي الثقة بالنفس, ويجعل الطالب يقوم بدور المعلم, كما يمكن إنشاء مجموعة واتس على الهواتف المحمولة يتم فيها نشر فيديوهات واختبارات, ويتم العمل فيها بروح الفريق, وتشجع التعلم الجماعي, وتقوي الاتصال بين أفراد المجموعات, خاصة في مرحلة التعلم عن بعد والتي رافقت حالات الاغلاقات للمدارس في أوقات الكوارث الطبيعية مثل جائحة كورونا التي عصفت بالعالم وعطلت جميع مرافق الحياة, وابتعد الطلاب عن التعليم الوجاهي, يمكن تكليف طلاب الصف إنشاء مدونة خاصة بالصف على الشبكة العنكبوتية يستطيع من خلال جميع طلاب الصف مشاركة انجازاتهم الصفية, ونشر فيديوهاتهم الخاصة, وتفعيل استراتيجية الصف المقلوب (Flipped Classroom) مكا يتم نشر اختبارات فيها, وتشجيع التغذية الراجعة والتأمل الذاتي من خلال تفاعل المعلم والطلاب على صفحة المدونة, وغيرها من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الفعاليات الصفية المستقبلية.

واقترح التربويون لنجاح توظيف التكنولوجيا في العملية التربوية ضرورة تطوير مفهوم التكنولوجيا التربوية بما يتناسب وحالة التطوير, مما أدى إلى نشأة نظريات تعلم بديلة، بحيث لم يقتصر التحول النوعي على عملية تغيير

المفاهيم التقليدية للتعلم، بل امتد أيضا ليشمل التغييرات في بيئات التعلم الإلكترونيّ بغرض تحسين الأداء في مجالات التعليم والتعلم والإدارة التربوية (Nawaz and Kundi, 2010). ويمكن وصف تلك النقلة النوعية من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التقليدية إلى التقنيات الحديثة عبر ثلاث مراحل هي: التعلم الإلكترونيّ التقليدي (traditional e-Learning), والتعليم الإلكترونيّ المدمج (Blended Learning), التعلم الإلكترونيّ الافتراضي المعاصر (Contemporary virtual e-Learning), وقد ارتبطت التطورات التكنولوجية في التعليم الإلكترونيّ بنظريات التعلم مثل السلوكية والموضوعية والبنيوية، وكان الانتقال بينها انتقالاً تدريجياً وفق متطلبات التغيير. ولذلك فمن الضروري التعرف على أهم المبادئ العامة لهذه النظريات لمعرفة وتفسير طريقة تناولها لمفهوم التعلم الإلكترونيّ و طريقة دمج الـICT حيث سيتم التركيز على الموضوعية والبنيوية (عبد القادر, 2018), فقد استوجب إدخال تكنولوجيا المعلومات في العملية التربوية إلى ضرورة إحداث تطوير في استراتيجيات التدريس.

لقد ظهر أثر تكنولوجيا المعلومات في تطوير اساليب التدريس التقليدية التي تعتمد على التلقين, فقد نجح التنبؤ بحداث تغيرات في الأساليب التدريسية, خاصة تلك التي تنظر إلى حصر دور المعلم في نقل المعرفة إلى عقول الطلبة بالاعتماد على نظرية المدخلات – عمليات المعالجة – مخرجات, فلم يعد مع توظيف التكنولوجيا مقبولا من المتعلم تلقي المعلومات والقبول بها ما لم يقوم بتجريبها بنفسه, والتفاعل معها واجهاد عقله بتأويلها وتفسيرها من خلال الاعتماد على الاستقصاء, والانتقال إلى مرحلة لاستنباط (Deduction) حيث يتم فيها التركيز على توظيف استراتيجيات التعلم التعاوني واستخدام أدوات التكنولوجيا في التواصل وتبادل المعلومات بحيث يشترك المتعلمون في صياغة الأهداف والوصول إلى تحقيقها بناء على احتياجاتهم وميولهم واحتياجات المجتمع(عبد القادر,2018)، مع مراعاة قدرات وميول واهتمامات كل طالب, والتي تدعم استراتيجيات تعلم ترتكز على الاستكشاف وبناء المعرفة, كما أن تكنولوجيا المعلومات سهلت الوصول إلى المعلومة, وتعدد مصادر المعرفة مع توسع انتشار الأنترنت, فلم يعد المعلم أو الكتاب هو مصدر المعلومة الوحيد, كما تنوعت بفضل البيئات الرقمية الأنشطة الاثرائية التي تعتمد على التواصل وتبادل المعلومات من خلال الويكي الحديث والبريد الإلكترونيّ والمدونات والفيديوهات التعليمية, وقد ساعدت تكنولوجيا المعلومات على زيادة دافعية الطلاب نحو التعلم, بل شكلت التقنيات الحديثة حافزاً للطلبة تشجعهم على استكمال الواجبات والمهام, وجعل الدرس أكثر تشويقاً لهم, كما تصبح تكنولوجيا المعلومات أداة عرض مهمة تقدم مواد تعليمية إضافية داعمة للمنهج منها المسموع ومنها المرئي في إطار من التكرار المستمر للمهارات (وهو ما يتوافق مع المنظور الأول لتوظيف الـ ICT في التعليم أي ما يطلق عليه توظيف التكنولوجيا كوسائط متعددة ووسيلة للتواصل السمعي – البصري, كما توظف في أنشطة التدريب على الاختبارات وكأداة عرض تقديمي لتدعيم الدروس، وأحياناً يتم استخدام بعض الألعاب التعليمية باستخدام الأقراص المضغوطة(عبد القادر, 2018).

بل أصبحت مكتبات العالم بفضل التعليم الإلكترونيّ عبارة عن مكتبة افتراضية واحدة متاحة بياناتها المكتوبة والمسموعة والمرئية للجميع, ويمكن توظيف تكنولوجيا المعلومات في العملية التعليمية، من خلال تصميم تطبيقات قواعد البيانات، التي تخزن وتعالج البيانات والمعلومات الأكاديمية، سواء أنظمة المحاضرات، أو أنظمة التقييم، أو معلومات المناهج الدراسية، أو إدارة التعليم. وكذلك المواد التعليمية, كما يمكن أن تحقق جودة التعليم من خلال إنشاء برامج تعليمية تفاعلية متعددة الوسائط على شبكة الأنترنت، تتكون من تطبيقات تعليمية وأدوات تعليمية, كما يمكن تحسين استخدام التلفزيون التعليمي بوصفه مادةً إثراء تحسن نوعية التعليم. كما يبرز التعلم المقلوب بوصفه استراتيجية تعليمية تساهم في تحسين جودة التعليم, وتعرف الفصول المقلوبة (المعكوسة) بأنها نموذج تربوي يرمي إلى استخدام التقنيات الحديثة و شبكة الأنترنت بطريقة تسمح للمعلم بإعداد الدرس عن طريق مقاطع فيديو أو ملفات صوتية أو غيرها من الوسائط، ليطلع عليها الطلاب في منازلهم أو أي مكان آخر باستعمال حواسيبهم أو هواتفهم الذكية أو أجهزتهم اللوحية قبل حضور الدرس. في حين يُخصص وقت المحاضرة للمناقشات والتدريبات والمشاريع ويعتبر الفيديو عنصراً أساسياً في هذا النمط من التعليم حيث يقوم المعلم بإعداد مقطع فيديو قصير ويشاركه مع الطلاب في أحد مواقع الويب أو شبكات التواصل الاجتماعي.(زوجي,2014)

التقنيات الحديثة المستخدمة في العملية التعليمية:

تحتاج عملية دمج التكنولوجية في العملية التعليمة إلى توفر تقنيات خاصة لا بد من توافرها حتى تنجح الخطط في توظيفه, وقد استطاعت الباحثة المتميزة (آل سرور) من حصرها, والتعريف بها, وتبيان أهميتها, وسنعمل على تلحيصها في بحثنا اعتماداً على تلك الدراسة, ويمكن حصر التقنيات الآتية:

الحاسوب: وهو عبارة عن جهاز الكتروني يقوم بعرض المادة التعليمية على الشاشة الخاصة, ويتم ذلك بعد دمج الصور والمؤتمرات السمعية والحركية والبصرية ومقاطع الفيديو التي من خلالها يتوفر للمتعلم التفاعل والقدرة على التحكم في البرامج المتاحة, ويستخدم في التعلم الإلكترونيّ والتعليم عن بعد.

الكتب الإلكترونيّ: وهي كتب تعليمية مبرمجة مستفيدة من مختلف الوسائل التعليمية مثل الفيديو وأجهزة تشغيل أقراص الليزر, والأصوات والصور الثابتة والمتحركة, وهي كتب يتم عرضها على شاشة الحاسوب أو أي جهاز الكتروني, ويكون على أشكال إلكترونية متعددة.

البريد الإلكترونيّ: يمكن استخدامه من خلال الأجهزة التي تستخدم الأنترنت, ومن ثم استخدامه بشكل كبير في نطاق التعليم, والذي يسمح للمتعلم إرسال رسائل نصية والملفات من خلاله, وهو يعد من الوسائل الفعالة في تبادل المعلومات بجميع أشكالها النصية أو الرسومات أو الفيديو أو الجداول.

مؤتمرات الفيديو: ويتم من خلالها ربط المتعلمين وإعطائهم ميزة المشاركة وجها لوجه, ويتم من خلال عرض

للقطات فيديو تفاعلية بغرض التواصل بين المشاركين وإيجاد التفاعل بينهم, وتحتاج هذه التقنية لكاميرا لعرض الصور والأصوات بطريقة مباشرة, ويتم من خلالها عقد المؤتمرات المرئية والمسموعة وعقد الاجتماعات ومناقشة المعلومات وتبادل الخبرات والمعرفة بين المشاركين, ويمتاز بسهولة التطبيق.

الهاتف الخلوي: وهو من أهم الأجهزة التي يمكن استخدامها إذ أنه يعتبر من الأجهزة المحمولة والمتوفرة بين أيدي جميع المتعلمين, ويمكن استخدامها عن طريف إرسال الرسائل بشكل مباشر من خلاله أو عن طريق الأنترنت, ويطلق عليه مسمى الهاتف التعليمي عند استخدامه لأهداف تعليمية, ويمتاز بالمرونة ويتوفر بأيدي أغلب المتعلمين, ويمكن توفيره لكافة الأعمار, واستخدامه غير مقيد بزمان أو مكان.

السبورة التفاعلية: ويتم من خلال هذه التقنية عرض المادة التعليمية على لوح أبيض, وهو عرض تفاعلي للمشاريع والمتواجدة على جهاز الكمبيوتر, ويتيح للطلاب التلاعب في الصور المسقطة على اللوح, ويعمل باللمس, وهو مزود بسماعات وميكروفون, ويعمل على حفظ الصور والأشكال التوضيحية والرسومات في ذاكرتها, ومن ثم نقلها إلى حسابات الطلاب.

البيئة الافتراضية: وهي بيئة افتراضية تشير إلى التفاعل بين المتعلمين والمعلمين من خلال التفاعل عبر الأنترنت, وهو عبارة عن نظام يقوم بنقل المواد التعليمية للطلاب, ويمكن الوصول إليها داخل وخارج المؤسسات التعليمية, وهي تشجع التعلم خارج البيئة الصفية, وتساعد على التعلم عن بعد.

أهمية دمج تكنولوجيا التعليم في العملية التعليمية:

تعتمد عملية دمج تكنولوجيا التعليم على توظيف التقنيات السابقة في مختلف أنواع التعليم الإلكترونيّ, ويترتب على هذا الدمج تفعيل دور التقنيات الحديثة في تطوير العملية التربوية, والنهوض بالعملية التعليمية, ونظرا للدور المهم الذي تقوم به تقنيات الحديثة في التعليم فقد سعت الأدوات التربوية إلى توظيفها في مؤسساتها التعليمية, بهدف تطوير مستوى طلابها, كما تحول الطالب من دور حفظ المعلومات إلى دور صانع للمعلومة, ومشارك في إنتاجها وترسيخها, ووفقاً لـ(عبد القادر, 2018) فإن من مزايا هذا الدمج يظهر أولاً: تحسين عملية التعلم والتعليم, أفقد تأثر مجال التربية بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كل من عمليات التعليم والتعلم والبحث العلمي، حيث ظهر تأثير الـ ICT من خلال العناصر التالية, المناهج: فهي تقدم الدعم القوي للمناهج المعاصرة القائمة على تأكيد المهارات، وخاصة مهارة توليد المعرفة وليس مجرد نقلها، والكفاءة والأداء، والاهتمام الأكبر بالكيفية التي تستخدم بها المعلومات وليس بمحتواها فقط, والمعلم: بالاستعانة بأدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، تم تدريب المعلمين على المشاريع التعاونية واستراتيجيات التغيير مما انعكس على قدرتهم الإيجابية في تصميم خبرات تعلم فعالة وذات معنى, استراتيجيات التدريس: ساعدت المساحة الزمنية المرنة التي وفرها دمج المناهج مع الـ ICT على زيادة تفاعل المتعلمين

مع المعلومات، والذي أدى إلى ظهور سيناريوهات وطرق تدريس جديدة تتراوح بين أشكال التعلم الذاتي والتعاوني مثل: التعلم القائم على اللعب, والتعلم القائم على الاستقصاء, والتعلم القائم على المشروعات, والصف المقلوب, الطالب: ساعدت الـ ICT على زيادة دافعية التعلم لدى الطلاب واستمتاعهم بعملية التعلم القائم على الاستقصاء الذاتي وحل المشكلات والإبداع.

وتظهر ثانياً: تحسين جودة التعليم وسهولة الوصول إليه: يتيح الـ ICT للمتعلم إمكانية وحرية الحصول على المعلومات ونشرها، وبالتالي إمكانية التعليم والتعلم وقتما وأينما شاء، وكذلك الاطلاع على أفضل الممارسات العملية التطبيقية مما ساهم في إزالة العديد من القيود التي كانت تواجه المتعلمين وخاصة من ذوي الاحتياجات الخاصة والفئات المحرومة والفقيرة, والمساهمة في مواجهة معدلات التسرب العالية للمتعلمين والتي تعد من أكبر المشكلات التي تواجه العملية التعليمية في الدول النامية.

ثالثا: تحسين بيئة التعلم: تعمل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على تغيير عمليات التعليم والتعلم من خلال إضافة عناصر حيوية لبيئات التعلم ومنها: توفير البيئات الافتراضية, و تعدد مصادر المعرفة، وخاصة تلك المستندة إلى الويب والوسائط المتعددة، ومراعاة الفروق الفردية للمتعلمين بحيث يتناسب المحتوى العلمي والوسائط المستخدمة والمهام المطلوبة مع احتياجات المتعلمين مع توافر تغذية راجعة مناسبة, وتوافر وتنوع طرائق التعلم والتي تتراوح بين التقليدي والإبداعي، الفردي والتعاوني الجماعي، في ظل استفادة قصوى من الوقت.

رابعا: زيادة دافعية التعلم: ساهم دمج الـ ICT في عملية التعلم في زيادة نسبة دمج المتعلمين من خلال توفيره لما يلي: تحول المناهج من محورية المحتوى (Content-centered) إلى مناهج تقوم على الكفايات (Competence-based) المتعلقة بمجتمع المعرفة. وتحول خبرات التعلم إلى ممارسات واقعية متدرجة (Scaffolds) تهيئ المتعلم لسوق العمل. واستبدال نمط التدريس التقليدي بنمط آخر أكثر تفاعلية وتشويقا يعتمد على المتعلم كشريك في تكوين المعرفة واستكشافها من خلال تعدد مصادر المعرفة وأدوات المعرفة والوسائط التي يقدمها, و إتاحة فرص التواصل وتبادل الخبرات مع المجتمعات التعليمية المختلفة عبر الأنترنت، وإتاحة الفرصة للطلاب لتقديم التغذية الراجعة لأنفسهم وللمجتمع المدرسي ساهم في ارتفاع مستوى المسؤولية -الذاتية والجماعية- التعليمية لديهم.

معيقات دمج تكنولوجيا المعلومات في العملية التعليمية:

يتعرض توظيف تكنولوجيا المعلومات في العملية التعليمة لمعيقات تقف أمام نجاح التجربة, ومن أهم هذه المعيقات, نقص المعدات والأجهزة والمصادر, والتي تشكل أكبر عقبة أمام تنفيذ تلك البرامج خاصة في الدول النامية, أو المناطق البعيدة عن مركز المدينة, وكذلك يشكل نقص الدعم عقبة صعبة خاصة الدعم التقني الذي يهتم بمواجهة الاعطال أو الدعم الاداري , أو الدعم المادي الذي يؤدي إلى نقص في التمويل الضروري لشراء الأجهزة وصيانة

الشبكات وعقد برامج التدريب, وتوفير الأجهزة لجميع الطلبة, وغياب البنية التحتية المناسبة من توصيلات كهربائية وشبكات إنترنت وملاءمة الغرف الصفية, من حيث المساحة أو توفر الخدمات أو من حيث إعداد الطلبة الهائلة داخل الغرف الصفية, وضعف المناهج وعدم مناسبتها وإمكانية تطبيقها وفق التقنيات الحديثة, وكذلك اتجاهات المعلمين انفسهم ومدى قابليتهم لهذه الأساليب الحديثة, ومدى الكفاءة التي يتمتع بها المعلم والطالب في استخدام البرامج, حيث يعانون من قلة المعرفة ونقص التدريب وعدم الثقة بهذه الأساليب التعليمية.

نموذج مبادة التعليم الأردنية 2003

انطلقت مبادرة التعليم الأردنية برعاية ملكية من جلالة الملك عبد الله الثاني, وبمتابعة حثيثة من جلالة الملكة رانيا العبد الله كمؤسسة غير ربحية رائدة في مجال توظيف تكنولوجيا التعليم في العملية التربوية, فقد خطت في رسالتها مبدأ (تحفيز عملية تطوير التعليم من خلال الإبداع ودمج التكنولوجيا في التعليم بما يساهم في الإضافة النوعية للطلبة والمعلمين والنظام التعليمي من أجل بناء الاقتصاد المعرفي) (المبادرة,2013), تم تطوير نموذج مبادرة التعليم الأردنية بالاعتماد على الخبرات المكتسبة في مجال تطوير التعليم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والجهد المبذول لإحداث نقلة نوعية في التعليم نحو الاقتصاد المعرفي. حيث عملت مبادرة التعليم الأردنية منذ عام 2003على استقطاب أحدث الوسائل التعليم والتقنيات لتنفيذها في المدارس الحكومية وتقييم أثرها على البيئة التعليمية التعلمية, ويهدف نموذج مبادرة التعليم الأردنية إلى خلق بيئة مدرسية تفاعلية تعزز مهارات القرن الواحد والعشرين لدى الطلبة بحيث يصبحوا محور العملية التعليمية من خلال التوظيف الفعال للتكنولوجيا في التعليم وتمكين المعلم من إدارة الموارد المتاحة بكفاءة, (المبادرة,2013), ويستند النموذج على خمسة محاور يمثلها الشكل التالي:

المحور الأول : البنية التحتية التكنولوجية

يتم عبر المحور الأول توفير بنية تكنولوجية داعمة للعملية التعلمية التعليمية في المدارس وجعلها أكثر تفاعلية، من خلال تمكين المعلمين والطلبة من الوصول إلى المصادر الإلكترونيّة في جميع أرجاء المدرسة، فبعد عمل تقييم لاحتياجات المدارس التقنية اعتماداً على طبيعة البناء المدرسي؛ يتم صياغة التوصيات المتعلقة بتوفير وسائل تكنولوجيا صفية ملائمة ومختبرات حاسوب تضمن توافر عناصر النجاح لتطبيق التعلم المحوسب، بالإضافة إلى توفير شبكة اتصال سلكية ولا سلكية. ويعمل فريق المبادرة مع الأطراف المعنية والشركاء على تحديد التصميم المناسب لغرف المصادر المتعددة الاستخدام وتحديد الوسائل المطلوبة من ألواح تفاعلية وما شابه بحسب نتائج تقدير الاحتياجات لكل مدرسة(المبادرة,2013) ولهذا فقد نفذت المبادرة مشروع ريادي قائم على فكرة (تفريد التعليم) باستخدام تقنية الجيل الثالث (G3) في بعض المدارس الأردنية بشراكة مع شركة كوالكوم العالمية من خلال مشروع حاسوب لكل طالب, فمنحت الطلبة فرصة الولوج السريع إلى المصادر التعليمية عبر الأنترنت, كما عملت ضمن هذا

المحور على دعم وزارة التربية والتعليم الأردنية في الوصول إلى الحلول التكنولوجية الأنسب والداعمة لتعلم الطلبة, ورافق ذلك وضع خطة لتدريبية المعلمات والطالبات والأهالي، في مواضيع تقنية ذات صلة، مثل مفهوم تفريد التعليم وصيانة الحاسوب المحمول وبرمجيات الحاسوب ومصادر التعليم الإلكترونيّة على الأنترنت، والسلامة والأمان في استخدام الأنترنت. وتدريبهم على كيفية الدخول إلى بوابة منظومة التعلم الإلكترونيّ.

المحور الثاني: بناء القدرات (التنمية المهنية)

لضمان توظيف فاعل للوسائل التكنولوجية في دعم عملية التعليم والتعلم؛ تعمل مبادرة التعليم الأردنية مع الكادر التعليمي من إداريين ومعلمين بداية على بناء رؤية مشتركة وخطة لتفعيل التكنولوجيا على مستوى المدرسة وكيفية تقبل الكادر التعليمي للتغيير التكنولوجي التعليمي المنشود من خلال برنامج إدارة التغيير، بحيث تكون هذه الخطوة هي الأساس لبرامج التنمية المهنية المقدمة مثل برنامج مهارات التعلم للقرن الحادي والعشرين الذي يعنى بأساليب التعلم الحديثة ومحو الأمية المعلوماتية ومهارات البحث في الشبكات العنكبوتية، لاسيما الدمج الفاعل لوسائل تكنولوجيا التعليم الحديثة وكيفية توظيفها بحيث تخدم العملية التعليمية بفاعلية. كذلك يظهر أثر برامج التنمية المهنية على الطلبة من حيث تطوير مهارات الاتصال والتواصل وحل المشكلات والتفكير الناقد لديهم، بالإضافة إلى الاستخدام الآمن للأنترنت، كما ويتم تقديم برامج تدريب خاصة تتناسب وطبيعة المشاريع التي يتم تنفيذها في المدرسة, (المبادرة,2013) ولإنجاح هذا المحور فقد قامت المبادرة في عام 2013 على سبيل المثال بتدريب 400 معلم يمثلون 200 مدرسة على مفهوم تصميم المشاريع التي تعزز مهارات القرن الواحد والعشرين, كما طورت ضمن هذا المحور برنامج حلول مايكروسوفت لتزود الغرف الصفية بتكنولوجيا تساهم في إثراء خبرات التعلم اليومية للطلبة، إذ توفر مجموعة من التطبيقات التعليمية المبتكرة، لخلق بيئة تعليمية قوية مبدعة وجديدة للطلبة والمعلمين، بما يسمح لهم الولوج إلى تطبيقات فعالة من مكان واحد.

المحور الثالث: المصادر التعليمية الإلكترونيّة:

عملت المبادرة مع وزارة التربية والتعليم وشركاء المبادرة على تطوير المناهج المحوسبة استنادا إلى نتاجات التعلم الوطنية المعتمدة في وزارة التربية والتعليم ضمن المعايير العالمية بحيث تكون هذه المناهج مصادر مساندة وإثرائية تعتمد في تطبيقها أسلوب التعلم المتمازج وتعمل على تحفيز تفكير الطلبة وتبسيط المفاهيم الصعبة، من خلال الوسائط المتعددة والمحاكاة والتي توازن في تنمية مختلف حواس الطلبة أثناء عملية التعلم وخاصة السمعية والبصرية. ولا يقتصر عمل المبادرة على تفعيل استخدام المناهج المحوسبة بل تقوم على تجريب العديد من البرمجيات الإثرائية المحلية والعالمية وتقييم أثرها من خلال دراسات تقييمية بالتعاون مع الشركاء العالميين والمحليين للمبادرة بهدف توفير مصادر متنوعة تساعد على بناء المعرفة وتطوير مهارات التفكير العليا في الرياضيات والعلوم، بالإضافة

إلى تطوير مهارات المحادثة والكتابة والاستماع باللغتين العربية والإنجليزية, ومن مشاريعها تصميم (مناهج الهدهد الذكي) حيث تعمل هذه الأداة التعلمية التكنولوجية على تمكين الأطفال من تعلم اللغة العربية في سن مبكرة ومساعدة المعلم على تحسين وتعزيز مهارات القراءة والكتابة لديهم، وتتميز برمجية الهدهد باستخدامها لأسلوب تفاعلي مشوق ومتلاءم مع المرحلة النمائية للأطفال بشكل منسجم مع البيئة والسياق الثقافي والاجتماعي, كما تم تشكيل مجموعة الرحّالة الدولية ومبادرة التعليم, حيث يقوم هذا البرنامج بتعزيز مهارات التفاعل والتواصل والتشبيك وتبادل الخبرات بين الثقافات المختلفة، من خلال الربط بين الغرف الصفية في الشرق الأوسط وأميركا الشمالية، عبر الدوائر التلفزيونية المغلقة وتشاركت المبادرة مع مجموعة "نومادز العالمية".

المحور الرابع: الاستدامة في النموذج التعليمي لمبادرة التعليم الأردنية

تعمل مبادرة التعليم الأردنية على بناء الكفاءات ونقل الخبرات لكوادر المدرسة والقائمين على متابعتها لضمان استمرارية تطبيق برامج النموذج التعليمي لها والتأكد من قدرتهم على تفعيل هذه البرامج بالشكل الأمثل، حيث يتم تشكيل فرق محورية وتدريبها بشكل مكثف على آلية متابعة التطبيق وكيفية توثيق قصص النجاح وأثر النموذج على العملية التعليمية في المدرسة. ومن جهة أخرى يتم نقل ملكية البرامج إلى الجهة المستفيدة من تطبيق النموذج خلال خطة عمل بحيث تعمل على اعتماد البرامج ضمن خطتها السنوية، ويعد برنامج فرصتي للتميز والذي نفذ خلال العام 2014جوهر الاستدامة في نموذج المبادرة التعليمي.(المبادرة , 2013)

المحور الخامس: المتابعة والتقييم

واكب تطبيق النموذج التعليمي لمبادرة التعليم الأردنية محور أساسي هو المتابعة والتقييم المبني على النتائج والذي يضمن تحقيق الهداف المتفق عليها والوصول إلى الأثر المرجو، وذلك بقياس مؤشرات الأداء لعملية التغيير التي تصاحب النموذج بدءا من تركيب البنية التحتية التكنولوجية ووصولا للاستدامة في التنفيذ. وتعتمد منهجية المتابعة والتقييم التي تنفذها المبادرة على الأسلوب الكمي أو النوعي أو كليهما بحسب ما تتطلبه خصوصية الحلول والبرمجيات التعليمية التي يتم تطبيقها، وتستهدف عمليات التقييم جميع الأطراف المعنية في مجتمع المدرسة من طلبة ومعلمين وإداريين(المبادرة, 2013).

وختاماً يمكن القول بأن تم التوسع في تطبيق نموذج مبادرة التعليم الأردنية في المدارس التابعة لمبادرة "مدرستي" حيق عقدت مبادرة التعليم الأردنية شراكة مثمرة مع مبادرة مدرستي قبل أربعة أعوام، إذ أصبحت المبادرة الشريك التنفيذي لقطاع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات مع مبادرة مدرستي، الامر الذي يهدف إلى تطبيق النموذج التعليمي للمبادرة خارج المدارس الاستكشافية، وفي بقية المدارس الحكومية في كافة محافظات المملكة، وكنتيجة لهذه الشراكة أصبح نموذج مبادرة التعليم الأردنية مطبقا في 76مدرسة حكومية تعمل فيها مبادرة "مدرستي" (المبادرة, 2013).

المراجع و المصادر:

1. آل سرور, نورة هادي,(2018), توظيف التقنية الحديثة في العملية التعليمية في المملكة العربية السعودية, ودورها في تحسين أداء المعلمين والطلبة, مجلة العلوم التربوية والنفسية, العدد الرابع, المجلد الثاني, فبراير.

2. بدرخان, سوسن سعدالدين, محمود, حفيظة محمد, غنيم, فداء محمد, النعيمي, سليمان طلال (2020), درجة تأثير استخدام التقنيات التعليمية الحديثة على جودة التعليم وتطويره في جامعة عمان الأهلية من وجهة نظر أعضاء الهيئة الأكاديمية, مجلة البلقاء للبحوث والدراسات, الأردن, مجلد 33, العدد 2.

3. زوحي, نجيب (2014), ما هو التعلم المقلوب (المعكوس) Flipped Learning, مجلة تعلم جديد 28 / 2 / 2014 / https://www.new-educ.com.

4. زيتون، حسن (2006), تصميم التدريس, رؤية منظومية, عالم الكتب, بيروت.

5. عاشور, محمد إسماعيل نافع, (2009), فاعلية برنامج Moodel في اكتساب مهارات التصميم ثلاثي الأبعاد لدى طلبة تكنولوجيا التعليم بالجامعة الاسلامية, الجامعة الاسلامية , غزة.

6. عبدالقادر, أشرف, (2018), استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحسين التعليم والتعلم, مجلة تعلم جديد 27 / 7 / 2018 , https://www.new-educ.com/

7. العبد الكريم، مشاعل عبد العزيز(1429هـ), واقع استخدام التعليم الإلكترونيّ في مدارس المملكة الأهلية بمدينة، الرياض(رسالة ماجستير غير منشورة)،جامعة الملك سعود، الرياض, السعودية.

8. عليمات, علي, (2014), واقع استخدام معلمي العلوم للمستحدثات التكنولوجية في تدريسهم بمحافظة المفرق, مجلة المنارة, مجلد 20, العدد 1.

9. العنزي، فاطمة بنت قاسم, (2011), التجديد التربوي والتعلم الإلكترونيّ. دار الراية للنشر والتوزيع, عمان.

10. غطاس، وفاء(2019), وسائل تنمية المهارات التعليمية وتحقيق جودة التعليم، المؤتمر الدولي المحكم بعنوان: تطوير الانظمة التعليمية العربية، سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، (25) بتاريخ ،22-2019/3/23 في مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان.

11. الغيثان, ريما عيسى, والعبادي, محمد حميدان, (2013), تقويم برامج التربية العملية في قسم العلوم التربوية في كلية الآداب, جامعة الزيتونة الخاصة من وجه نظر الطالبات والمعلمات, دراسات, العلوم التربوية, المجلد 40, العدد 1.

12. مهدي, حسن ربحي(2012), فاعلية استراتيجيتين للتعلم التشاركي القائم على الويب في تنمية مهارات توليد وتطبيق المعرفة لدى طلبة جامعة الأقصى, جامعة عين شمس, كلية البنات للآداب والعلوم, مصر.

13. مبادرة للتعليم الأردنية 2003, التقرير السنوي, 2013

مجلة التلميذ (Vol-04 Issue 38) February 2022
ISSN 2394 - 6628

شِعريّة الصُّورة الفنيّة في ديوان بُحتري الأندلس (ابن مُجبر)

"دراسة أسلوبية تطبيقية"

الأستاذ: رائد عطية إبراهيم أبو يحيى
RA'ED ATIEH IBRAHIM ABU YAHYA
وزارة التربية والتعليم الأردنية / عمّان

الملخص: يُعَدَّ الشِّعر عند ابن مجبر طبع, وليس وليد التَّكلف و الصنعة , فغلب على صوره الشعريّة طابعالتّقليد و مُحاكاة القدماء, لذا أُطلق عليه " بُحتري الأندلس", ووظَّف الشَّاعر معظم مجالات أنماط الصورة الفنية من الإنسانية و الحياة اليومية و الطبيعة و الحيوان و الثقافية, وغلب استخدام نمط الحياة اليومية في صوره خاصَّة في مجال الحرب و أدواته من السيف و الرمح, وتحدث كثيراً عن معارك المنصوربل جلّ ديوانه في مدح انتصارات المنصور, متأثراً بالجو السياسيّ العام الذي أثر على بلاد الأندلس في تلك الحقبة وكثرة الحروب, و في مجال الحيوان أكثر من صورة الخيل بأنواعها و صفاتها و ألوانها لأنَّها تخدم غرضه العام, كما تحدث عن صورة الغزال بأسمائها المختلفة وربطها بالغزل, وفي المجال الثقافي برز تأثر صور الشاعر بالقرآن الكريم و الحديث الشريف, وتوزعت أنماط الصورة الفنيّة بين الصورة البصريّة والسمعيّة و اللونيّة و الحركيّة و الذوقيّة و الشميّة, و أكثر الشاعر بشكل لافت من نمط الصورة البصريّة, وعللنا ذلك بطبيعة الموضوعات الحربيّة التي تناولها الديوان و حاجتها إلى الصورة البصريّة التي تعبر عن واقع الحياة اليوميّة .

الكلمات المفتاحية: الشّعر الأندلسيّ, ابن مجبر, الصُّورة الفنيّة, مادتها, أنماطها. تشكلاتها.

مقدمة:. تعريف بالشّاعر ابن مُجْبَر (بُحتري الأندلس)

يحيى بن مُجْبَر: هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجْبَر الأندلسيّ المرسيّ[1], وأضاف الذهبيّ في نسبه " الفهريّ الاشبيليّ"[2], وهو أديب, وشاعر, مُتقدم في طريقة الشعر, برع فيها وفاق أهل زمانه[3],وقال عنه ابن الخطيب : كان في وقته شاعر المغرب, لم يكن يجري أحد مجراه من فحول الشعراء, يعترف له بذلك أكابر الأدباء وتشهد له بقوة عارضته و سلامة طبعه, قصائده التي سارت مثالاً, وشعره كثير مُدون يشتمل على أكثر من

[1]. الحمداني , فالح , الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف,مؤسسة الوراق. عمان , ط1 ,2001, ص19

[2]. الرباعي , عبد القادر,الصورة الفنية في شعر أبي تمام , ط1 , 1984, ص 29

[3]. ابن مجبر , ديوان بحتري الأندلس , جمع يوسف عيد , ط1 , 2002 , ص 49

سبعة آلاف وأربعمائة بيت, امتدح الأمراء و الرؤساء[1], وجنى عليه الزمان,فضاع معظم شعره, وبقي لنا منه أقل من ثلاثمائة بيت مشتتبين دفات كتب الأدب, وقام الدكتور يوسف عيد بجمعها في ديوان سماه " ديوان بحتري الأندلس", مات ابن مجبر بمراكش ليلة النحر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وقيل سنة سبع.[2]

.الصورة الفنية عند القدماء

مِمَّا لا شكَّ فيه أن مصطلح الصورة الفنيّة مُصطلح حديث على درس البلاغة العربية, كان ظهوره نتيجة التأثر بمصطلحات النقد الغربيّ, فلن نجد في تراثنا البلاغي العريق استخدام صريح لهذا المصطلح بتسميته المعاصرة, فلم يعرفه نقاد البلاغة العربية, لكن من المؤكد أن القضايا التي يطرحها هذا المصطلح موجودة في درسنا البلاغيّ, ولكن باختلاف في طريقة العرض أو التناول أو التسميات, ويعرف لسان العرب الصورة في باب صور بـ: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء, وهيئته وعلى معنى صفته, يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته [3], ويعرف الجاحظ الشعر بقوله " الشعر صناعة, ضرب من الصيغ وجنس من التصوير" [4] فيقصد بالتصوير البيان, كما لمّح أبو هلال العسكريّفي كتابه الصناعتين للصورة في حديثه عن البلاغة إذ يقول :" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن " ويرى العسكري أن للحواس دورفي تلمس الصورة " ينبغي أن تعرف أنأجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك"[5], وعن علاقة الحواس بالصورة الفنية يتحدث عبد القاهر الجرجاني " ومما يقتضي كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس أن يكثر دوراته على العيون ويدوم في مواضع الإبصار, وأن تدركه الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات, وذلك أن العيون هي التي تحفظ صورة الأشياء على النفوس وتجدد عهدها بها"[6].

أمّاابن رشيق فيجعل " أصل البلاغة الطبع, لها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها وتكون ميزاناً لها وفاصلة بينها وبين غيرها ", ويذكر الصورة صراحة بقوله :" وبعضهم وأظنه ابن وكيع . مثل المعنى بالصورة, واللفظ بالكسوة, فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخس حقها وتضاءلت في

---

1. الديوان, ص 68
2. الديوان, ص 78
3. الديوان, ص 78
4. الديوان, ص 91
5. الديوان, ص
6. الديوان , ص 68 - 69

عين مبصرها "[1], ويرجح الباقلاني أن نجاح صنعة الشاعر تكمن في أن " يتخير الألفاظ الرشيقة للمعاني البديعة وأن يضع في حسبانه أن الصورة وسيلة للإبانة عمّا في الحياة من جمال و النفوس من تلهف" [2], وجعل ابن المعتز للصورة حدود في كتابه البديع, واهتم بالاستعارة فقال "و إنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل أم الكتاب "[3], أما القرطاجني فيقترب من الصورة كثيرإذ يقول " أن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان, فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين و أذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"[4], في حين أن السكاكي قدَّم فهما متميزا للبيان أي لأنواع الصورة الشعرية المنضوية تحت هذا العلم كما ناقش قضية ارتباط اللفظ بالمعنى [5]. ونخلص إلى أن الصورة الفنية لم تكن معروفة في تراثنا العربي من حيث المفهوم المصطلحي, إلا أنها كانت موظفة كثيرا في دراساتنا النقدية البلاغية.

.الصورة الفنية عند المحدثين

تناول المحدثون الصورة الشعريّة في العديد من مصنفاتهم, و حاول كل مؤلف أن يضع بصمته في هذا الميدان, محاولين سبر غورها من حيث دلالتها و طبيعتها و مصادرها وعناصرها, واعتمدت الدراسات على منبعين : الأول اعتمد على التراث جاعلاً منه أساساً لدراسته, والثاني استفاد من الدراسات الغربية وآرائهم المتجددة " وأما منطلقاتهم فمتعددة بتعدد قناعاتهم, فانطلق بعضهم من ثقافته التراثية مقراً بما أنجزه العقل العربي لجلاء فنها, و انطلق الأخر من ثقافته الأجنبية" [6]

يعرف عبد القادر القط الصورة الفنية بأنها : الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع و الحقيقة والمجاز و الترادف و التضاد و المقابلة و التجانس و غيرها من وسائل التعبير الفني, ويصرح الدكتور نعيم اليافي : أن لغة الفن لغة انفعالية, و الانفعال لا يتوسل بالكلمة و إنما يتوسل بوحدة تركيبية معقدة حيوية لا تقبل الاختصار نطلق عليها اسم "

---

1. الديوان , ص 74
2. الديوان , ص 85
3. الديوان , ص 85
4. الديوان , ص 67
5. الديوان , ص 78
6. الديوان , ص 65

الصورة " فالصورة إذن هي واسطة الشعرو جوهره وكل قصيدة من القصائد وحدة كاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة في لبنات بنائها العام وكل لبنة من هذه البنات هي صورة تشكل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه[1], في حين يعتمد أحمد دهمان على العقل في تعريفها فيقول:" أن الصورة الشعرية هي تركيبة عقلية و عاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه, وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميّزة الإيحاء والرمز فيها , والصورة هي عضوية في التجربة الشعرية وذلك لأن كل صورة داخلها تؤدي وظيفة محددة ومتآزرة مع غيرها ومسايرة للفكرة العامة[2], في المقابل عرفها عز الدين إسماعيل من وجه نظر وجدانية فقال :" الصورة دائما غيرو اقعية وإن كانت منتزعة من الو اقع؛ لأن الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الو اقع" [3], ويربط محمد غنيمي هلال بين الصورة الفنية و الوحدة العضوية للقصيدة " فالصورة لابد أن تكون عضوية في التجربة الشعرية, كما يفهم من معنى الوحدة القصيدة العضوية في المذاهب الأدبية بعامة, ويقتضي أن تؤدي كل صورة وظيفتها في داخل التجربة الشعرية التي هي الصورة الكلية, وذلك بأن تكون الصورة الجزئية مسايرة للفكرة العامة أو الشعور العام في القصيدة " [4], ويحدد أحمد الشايب في حديثه عن الصورة الأدبية العلاقة بينها و بين العاطفة, و يبين أثر العاطفة في تكوينها : " فالصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ و بجرسها الموسيقي ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معاً بحيث يكون من ذلك كله تأثيران : أحداهما معنوي عاطفي, والثاني موسيقي يعين في قوة العاطفة و سرعة تأثيرها, وهذا ما يسمى حسن النظم أو جمال الأسلوب " [5], نلحظ تر ابطاً وصلة وثيقة بين هذه المصطلحات التي لا تعدو أن تكون في حقيقة أمرها سوى معايير فنية تدخل في صميم النص, وتفي عليه شيئاً من الجمال يؤدي إلى الاهتمام والتذوق لدراستها وفق الصورة.[6]

المبحث الأول: موضوعات الصورة و مجالاتها

.منابع الصورة عند ابن مجبر

المادة صفة ثابتة في الشيء, أو علامة على شيء معلوم متعارف على شكله ولونه و عناصر تكوينه بشكل عام,

---

1. الديوان , ص 85
2. الديوان , ص 67
3. الديوان , ص 69
4. الديوان , ص 69
5. الديوان , ص 65
6. الديوان , ص 90

ولكنها عند الشاعر و الفنان بشكل عام ذات دلالة خاصة تتعدى إشاراتها المعجمية إلى كونها موضوعاً له وظيفة إنسانية يشترك فيها بنو البشر في الإحساس والفعل بصفة غالبة, فالشاعر ينظر إلى الكون نظرة عامة فيها الوحدة والاشتراك, فمواد الصورة هي نفسها مواد العمل الأدبي, إنها كلمات و أفكار و مشاعر و مو اقف ممزوجة معاً, فالمادة هي هيئة معينة تجد روح الشاعر وذاته أو تجربته بشكل عام فيها معادلاً مناسباً, وهذه هي بداية إدراكه الحسي للأشياء[1], و ابن مجبر كما نعته صاحبا بغية الملتمس والإحاطة كما أوردناه في تعريفنا شاعر حاذق متمكن من صنعته يمتلك أدواتها " فالتصوير بمعناه العام سمة أساسية عنده, كما أنَّه سمة أساسية في كل شعر جيد , و الصورة عند ابن مجبر تتميز عادة بأنها لا تأتي مجرد تشبيه شيء بشيء آخر, و إنما تفتش عن لوحة تحمل الإيحاء الذي يجد هذا التناظر بين طرفي التشبيه" [2], ومن خلال استقصاء ديوان الشاعر برزت عند ابن مجبر منابع و رو افط ساهمت في صقل صوره الفنية, وشكلت مادة أساسية ابتكر من خلالها صوره, ومنها :

.الحياة الإنسانيّة :

كان للإنسان حضور لافت في الصور الفنية عند ابن مجبر, وعمد إلى توظيفها بما يخدم أشعاره ويوصل أفكاره, و قاربت على خُمس الصور الفنية في ديو انه, وإذا ما تعمقنا في موضوع الإنسان في صور ابن مجبر الفنية سنجد اهتماماً كبيراً من الشاعر بجسم الإنسان التي شكلت نسبة مرتفعة من صور الإنسان , إذ بلغت ثلاث وخمسين صورةً ومن أبرز محاورها صورة أعضاء الإنسان ومن هذه الأعضاء "العين " فهي شاهد عيان على ما يدور , فمن الطبيعي أن تكون صورتها ظاهرة في شعر ابن مجبر, والعين استخدمها آلة بصرية لرسم لوحة المعركة, أو تنقل قادة الجيوش ومن غير العين يقوم بها خاصة إذا ما رغبنا في وصف معركة أو نزال, يقول ابن مجبر:

قد لعمري أبصر النور الذي مذ بدا أعشى عيون النّوب [3]

فالنحل كان أيام فتنة المنافقين وما حلّ على البلاد من ظلام لا يرى معالم الطريق, والآن وبفضل ما قام به المنصور من إخماد للفتنة أبصر الطريق , فالعين و مادتها الإبصار ساهمت في تشكيل لوحة فنية متكاملة وضحت الفرق بين الحالتين, والعين أداة من أدو اتتصوير العشق و قناة لنقل مشاعر و انفعالات المحبين:

دع العين تجني الحب من موقع النظر وتغرس ورد الحسن في روضة الخضر
أمتعها فيه فإن تك لوعة صبرت وما ذم العو اقب من صبر
فتور العيون النجل يطلب بالهوى وإن غفل التفتير لم يغفل الحور [1]

---

[1]. الديوان , ص 65

[2]. الديوان , ص 69

[3]. الديوان , ص 65

فابن مجبر يشخص العين على أنها إنسان خبير يعرف مو اقع العشق الهادئ المغلف بالحياء, فما تجنيه العين من حُبّ تقوم بغرسه في بستان العشق فهي مصدر من مصادر العشق وميزان لمعرفة الجمال . وكسب عطف المعشوق .ولغة خطاب بين المحبين

رشا كلما أدمت جفوني خده أشار إلى قلبي بعينيه و انتصر [2]

وعين الشاعر وسيلة للوصول لممدوحه وأداة لرؤيته إذ ما عز عليه اللقاء به , فهو يراه كمن يرى نفسه في المرآة فكانت صورة العين معينا للشاعر في غرض المدح

تراه عيني وكفي لا تباشره حتى كأني في المرآة أبصره [3]

وعين الشاعر وسيلة لتعبير عن حزنه , فعندما أراد الرثاء استخدم الجفن فهو غطاء العين لان الدمع أو الدم يكون خلفه ويسهل أن يسيل منه الدمع أو الدم,فهو يرثي الأمير يوسف بن عبد المؤمن فاختار صورة الأجفان وهي انسب للبكاء

جل الأسى فأسل دم الأجفان ماذا الشؤون لغير هذا الشأن [4]

ومن خلال استعراضي لصورة العين عند الشاعر ابن مجبر في صوره الفنية أجدأنه استخدم صورة العين في حديثه عن الحروب و المعارك ومدح الأمير فبرزت أهمية العين في هذا الموقف مركزاً على عملية الرؤية وقوة الإبصار, ولكن عندما استخدمها في الغزل تحدث عن جمالها وروعتها فعمد إلى وصفها فاستخدم لها من الأسماء " بجل , حور, فتر" ولم يذكر قوة الإبصار, وعندما وظفها في الرثاء استخدم الجفن الخارجي للعين لعبر عن نزول الدمع المختفي خلف هذا الستار.

ومن موضوعات الحياة الإنسانية الحواس , و بالنسبة لصورة الحواس فقد توزعت صور الشاعر بين أربع حواس أساسية بلغ عدد صورها إحدى عشرة صورة كان لحاسة البصر منها سبع صور.

ورأى ما لم يكن يعهده فهو مشغول بطول العجب

أحجم الأعداء عنكم رهبه من رأى الموت عيانا يرهب [5]

وأرجح أن الشاعر أكثر من استخدام حاسة البصر والرؤية لطبيعة القصائد المتعلقة بالمدح, التي تحتاج إلى

---

[1].الديوان , ص 68

[2].الديوان , ص 69

[3]. الديوان , ص 69

[4].الديوان ، ص 86

[5].الديوان , ص 65

تأكيد و برهان لما تحمل من فكره والرؤية أقوي الحواس تعبيرا عن ذلك جاعلة من الشاعر شاهد على ذلك, فالصورة عند ابن مجبر اعتمدت على حاسة البصر في مدح الأمير أو وصف معاركه.

أما حاسة السمع فقد استخدمها مع الأعداءفهم لم يستمعوا لمن نصحهم بالاستسلام و أن لا طاقة لهم بجيش المنصور الذي كتب له النصر و فتح بلاد الجريد فلا ينفع معهم وعظ وهم لا يحسنون الإصغاء جاعلا منهم حجارة لا تعقل مستخدما معهم صيغة السؤال بهدف التعجب متأثرا بالقران الكريم بقوله تعالى " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " (البقرة 74) ناسبا الإصغاء للقلب لتتحرك العاطفة و الخوف مما تحمله لهم من مصائب .

لم يصغ للوعظ لا قلبا ولا أذنا وكيف تصغي إلى الوعظ الجلاميد [1]

واستخدم حاسة الذوق مع موضوعات العشق والغزل , لان العشق عند الشاعر ذوق لا سمع و لا رؤية يحتاج من صاحبه أن يتذوق طعمه و يخبر خفاياه وكأنه يشير إلى أن الذوق يعلق في اللسان و يميز بسهولة

غير راضٍ عن سجيّة من ذاق طعم الحب ثم سلا [2]

معلنا رفضه قبول سجية من ذاق طعم الهوى و نسيه فهي صفة منبوذة عنده, ويربط الشاعر صور حاسة الشم بالمديح وكأنه يسير بها إلى رائحة عطايا الممدوح

أراك شممت رائحة الأماني لذلك شِمْتَ بارقة السرور [3]

ظهرت المرأة في صور ابن مجبر وتنوعت هذه الصورة فربط بين المرأة و وصف الأشجار و الزهور مقيماً علاقة بينهما تظهر جمال أثر المرأة في الطبيعة مرة وأخرى يظهر جمال المرأة من خلال الطبيعة في ثنائية جميلة

إذا القُضْب هزتها الرياح تذكروا قُدود الحسان البيض فاعتنقوا القُضبا [4]

فجمال أغصانالأشجار وروعة تمايلها بفعل الرياح التي تبدع في تحريكها استدعى صورة رقصات الحسان في حركة التمايل جاعلا من صورة المرأة أساساً لكشف جمال الطبيعة في نفس الناظر , كما يجعل من الأشجار و الأغصان صورة معبرة عن جمال المرأة موضحة جمال المرأة من خلال ربطها بالطبيعة التي كشفت سرا من أسرار جمالها

حدرت نقاب الصون عن صفح خدرها فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر

---

1. الديوان , ص 77
2. الديوان , ص 67
3. الديوان ، ص 71
4. الديوان , ص 79

وراودتها عـــــن لثمـــة فتمنعـــت وما عادة الأغصانأن تمنـع الثمـــر [1]

لقد أبدع ابن مجبر في صورته الفنية مقارناً بين المرأة والزهر فهي تضع نقاباً يظهر منه خدها في صورة جميلة كتفتح الزهور فمشهد تفتح الزهر زاد من جمال الصورة كما أبدع في وصف تمنعها عنه بصورة الأشجار لا تمنع الثمر فجاءت الطبيعة بزهرها و أشجارها لتجمل صورت حبيبة الشاعر.

.الحياة اليومية

ارتفعت عدد الصور الفنية في مجال الحياة اليومية إلى سبع و سبعين صورة خاصة في مجال الحرب والسلاح , ولعل ذلك يعود لانشغال ابن مجبر بحروب عصره سواء حروب الموحدين مع أعداء الأندلس أو مع من وقف إلى جانبهم من العرب و تلك الثورات التي قامت ضدهم, فصور الحرب وما يتعلق بها من سلاح خاصة السيف أغنت شعر ابن مجبر, وتوزعت صور الحرب و الجيش عنده على عدة محاور فمنها صور وصف الجيش ومنها صورة الجيش العظيم الذي يصعب حصر عدده حتى ضاقت الأرض به ينزل على الأعداء كالمطر الشديد.

أعزى بهم جيشا تطبق الأرض عنه أفواجه والوهم عن إحصائه

كالعارض الثجاج بـك هو ائـــــه لكن دم الأبطال من أنو ائـه [2]

وتكثر عند ابن مجبر صور الملائكة ودورها في القتال

أسائلكم لمن جيش لهام طلائعه الملائكة الكرام [3]

كما تمثل صورة قيادة الجيش بما فيها من صفات قيادية الكثير من صور ابن مجبر ومن الصور التي تكثر صورة القيادة الحكيمة التي حققت النصر, متسائلاً بهدف التقرير عن أسباب عدم خسارة أي جيش كان المنصور قائداً له, فالسبب الرئيس للنصر بعد نصرة الله أن المنصور هو قائد الجيش.

لم ليس يغلب كل جيش قدته ونصيره و ظهيره الغلاب [4]

ولم يغفل عن ذكر صورة تأييد الله للمنصور في جهاده لنصرة الهدى بدافع ديني, فهو مؤيد من الله.

من يكن مطلبه نصر الهدى نال عند الله نجح المطلب [5]

ولا يخفى البعد الديني عند الحديث عن صور قيادة الجيش فهي حروب دينية لنصرة الإسلام و القادة

---

[1] .الديوان , ص 87

[2] .الديوان , ص 87

[3] .الديوان , ص 78

[4] .الديوان , ص 80

[5] .الديوان , ص 89

منطلقهم ديني يتصفون بالتقوى والإيمان

مشمر البرد للحرب الزبون وقد ضفت عليه من التقوى جلابيب

للحرب جل مساعيه وما تركت منه الحروب تهادته المحاريب [1]

وبرزت صورة الأعداء في هذا الجانب مطلقا عليها مجموعة من الصور منها صورة الذعر من جيوش الإسلام و الخوف من الموت المؤكد

أبقاه والذعر المخيف يبيده فكأنه سبع على أشلائه [2]

ولا يغفل ابن مجبر أن يصور الأعداء بصورة الداء العقام والذي لا بد من الخلاص منه و استئصاله:

فسل ما حل بالأعداء منه وكيف استؤصل الداء العقام [3]

أما صورة القائد فقد كثرت في ديوانه, وتاريخيا يرتبط ابن مجبر بالخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب " المنصور" ليزخر ديوانه بصور الحاكم والقائد, فهو يقضي حقوق الله و الدفاع عن دينه ضد الأعداء:

قضى حقوق الله في أعدائه ثم انثنى و النصر تحت لوائه [4]

والدين حلّ في أعلى الرتب بفضل المنصور والخلافة لا تشكو لأنه فيها

أيها المنصور أن الدين قد حلّ من عزك أعلى الرتب

أن الخلافة لا تشكو بمعضلة والحافظ الله والمنصور يعقوب [5]

وتعد صورة السيف من أكثر أدوات الحرب استخداما عند شاعرنا ابن مجبر فوردت في ثلاث عشرة صورة و بأسماء مختلفة نوعت في الصورة الفنية عنده فهذا الصارم سيف المنصور ينحني على رقاب ملوك الروم مستأصلا جيوشهم

أنحى عليه بالصوارم و القنا حتى إذا لم يبق غيرُ ذمائه [6]

واستخدم " الحسام " أداة صنعت لقتل الأعداء, فحسامه ماض وعلى رقاب اعدائه له أثر,وهنا يربط الشاعر بين أثر السيف والدعاء عن المسلم فالنصر لا يكون بالسيف وحده بل بالدعاء لله بالنصر والتوكل عليه

---

1. الديوان , ص 78
2. الديوان, ص 91
3. الديوان , ص 87
4. الديوان , ص 69
5. الديوان ، ص 71
6. الديوان , ص 83

مطلقاً على الدعاء وصف الحسام لما له من أثر في تحقيق النصر فهو متحصل بالسيف و الدعاء معاً

ولك الحسامان اللذان هما هما السيف ماضٍ و الدعاء مجاب [1]

والسيف عند ابن مجبر يحتاج لقائد بمواصفات حتى يكون له اثر فالعبرة ليست في السيف بل في حامل السيف, ووظف الشاعر صورة السيف لتعبير عن السعي للوصول إلى الهدف و الغاية

غير أن السعي محمود ولا يقطع السيف إذا لم يُضْرب [2]

والسيف وسيلة من وسائل التأديب رابطاً بين تأديب العلم و تأديب السيف, جاعلاً حلّ السيف آخر الحلول الذي لا حلّ بعده, ولكل مقام مقال, وكذلك لكل موقف سيفه, فالسيوف البيض تسل وقت حاجتها و تحفظ بعناية و تدخر لوقت حاجة, كما أقام علاقة عشق بين السيف والدماء, فالسيف عاشق لشرب الدماء وكأنها رحيق متلذذا في شربها خاصة إذا كانت دماء الأعداء في وقيعة عميرة سنة 583 فقد أعمل فيها المنصور القتل ونزع الحسن منها

ومن لم يؤدبه تأديب الكتاب فما له غير ذُباب السيف تأديب

فالبيض منهن مسلول و مدخر والخيل منهن مركوب ومجنوب

إن كان عربد في الأعداء صارمه فإنه لرحيق الهام شِرّيبُ [3]

واستخدم الشاعر صورة السيف وما فيها من قوة في رسم صورة غزلية موظفاً صورة السيف في موضوعات الغزل, فخوض المعارك تحت وقع السيوف أهون عنده من أثر وقع عيون محبوبته في نفسه, فإن كان ذا دربه بالقتال, فقد أعلن استسلامه أمام وقع عيونها التي استفزت الشاعر؛ لينزع أدوات الحرب ليفرغ لحرب, ولكن من نوع آخر ليجعل صورة السيف تخدم غرض الغزل:

ليتنا خضنا السيوف ولم نلق تلك الاعين النُجلا

واستفزتنا عيونهم فخلعنا البيض والاسلا

نصروا بالحسن فانتهبوا كل قلب بالهوى جذلا [4]

واستخدم الشاعر السيف بأسماء وصفات عدة منها الصارم , و الحسام , البيض . الطبيعة.

---

1. الديوان , ص 83
2. الديوان , ص 80
3. الديوان , ص 78
4. الديوان , ص 78

الأندلس من أجمل بقاع الأرض طبيعة, و شعرائها من أكثر شعراء العرب وصفاً للطبيعة وصورهم الفنية زاخرة بالطبيعة, و ابن مجبرواحد من شعراء الأندلس فلا غرابة أن اهتم بالطبيعة, وجعل منها مادة لصورة الفنية, وديو انه يزخر بالصور الفنية ذات المصدر الطبيعي من نباتات و ازهار و شجروأرض خصبه و صخورو جبال إلى موارد الماء فالاجرام السماوية والبحر, ومن الطبيعة الصامتة نستعرض صورة البحر عند ابن مجبر فالبحر قيل فيه الكثيرو نعت بالكثير من الأوصاف, وجاءت صورة البحر دالة على الغضب والبأس على الأعداء واستخدم الشاعر البحر رمزاً للمنصور, فربط بين صورة البحر و المنصور فالبحر قد هاج و ارتفعت أمواجه في بأس وقوة على الأعداء ليتحقق بعدها النصر فالبحر كناية عن المنصور:

بحر طمى و البأس من أمواجه صبح بدا و الحق من أضوائه [1]

كما أطلق صورة البحر على القلعة التي يصعب اقتحامها, كما البحر الذي يصعب اقتحامه وترويضه و يبقى دائما عصي على الجميع كذلك القلعة هي كالبحر منيعة حصينة يصعب اقتحامها, والموت بانتظار من يحاول الاقتراب منه, كما جعل البحر أداة من أدوات الموت بل به عطش للموت فشخص البحر بإنسان عطش للموتى, كما أن البحر أداة من أدوات القتال تكون لها كلمة الفصل

قالوا ردوا باقتحام البحر عن غرر والموت يدلي بأنياب وأظفار

أن الحمام الذي في البحر غالهم قد غال عثمان ذا النورين في الغار

نيران حرب بموج البحر قد طفئت وهـــي الموائد بين الماء و النـــار [2]

أما الرياح فقد وردت صورتها مرتبطة بالغزل و المدح فهي التي تحرك الأغصان لتتمايل ر اقصة

إذا القُضْب هزتها الرياح تذكروا قُدود الحسان البيض فاعتنقوا القُضبا [3]

وتدخل صورة الرياح عن ابن مجبر ميدان المعارك في التي تحرك رايات الجيوش لتبقى خفاقة دالة على القوة و الصلابة

بنفسي الراية البيضاء تهفو بأنفاسي و انفاس الرياح [4]

وتبرز صورة الظل في صور الشاعر الفنية جاعلاً منها قالب خاص للمدح , فالممدوح ما هو إلا كالظل البارد الذي يظل الشاعر من حر الهجيرة بما يغدق عليه من العطايا خاصة وقت اشتداد الازمات بالشاعر

---

[1]. الديوان , ص 77

[2]. الديوان , ص 84

[3]. الديوان , ص 70

[4]. الديوان ، ص 65

له في شدة الازمات روح كبرد الظل في حر الهجيرة [1]

والظل صورة من صور الشباب و الصحة و العافية ولكنه ظل يزول بسرعة كاشفا عن احتمى به فهو ظل يتحرك طوله حسب الوقت مرة يظلك و مرة يتركك

ظل صفا لي ثم زال بسرعة يا ويح مغتر بظل زائل [2]

أما الورة التي يطمح الشاعر في بلوغها في صورة الظل عندما تطلق على الممدوح خاصة إذا كان أميراً , فظل المنصور بغية الشاعر

إن شئت ظل لا يزول بحالة فاعمد اليه ذي الامام العادل [3]

اهتم الشاعر بصورة القمر و اتخذ منه موضوعات عدة للصورة التي لها علاقة بالقمر و مفهومه الجمالي عند العرب, فالقمر عند العرب صورة من صور الجمال و العشق و الحب و مظهر يعكس الظلماء

وزائرة و الليل ملق رو اقه ومن أين للظلماء أن تكلم القمر [4]

لا عجب أن اهتمت صور شاعر اندلسي بالنبات و الزهور, لذا كانت حاضرة في صور ابن مجبر بحتري الأندلس, وصور النبات مرتبط بالمدح , فالممدوح يقدم الثمر لطالبه فقد جعل الشاعر من عطايا المنصور التي يبثها يمناه لشجرة ترسل زهورها و ثمارها للناس وجعل من عطاياه سحبا تنبت زهوراً

تبثُ يمناه زهرا في الطروس ولا نُكر على السحب أن ينبتن أزهارا [5]

فالزهر و النبات عموما استخدم عند ابن مجبر لوصف كثرة عطاء الممدوح

أتت كتب البشائر عنه تترى كما يتحمل الزهر الكمام [6]

كما ارتبط النبات و الشجر بالغزل فصورة الزهر أضحت من صور المحبوبة عنده, فهو يسرّح عينه في الأفق لتبحث عن مواطن الجمال في محبوبته فهي كوردة حسن غرست في بستان الجمال:

دع العين تجني الحب من موقع النظر و تغرس ورد الحسن في روضة الخفر [7]

---

[1] .الديوان , ص 77

[2] .الرباعي , عبد القادر, الصورة الفنية في شعر أبي تمام , ص 59

[3] .سورة الحجر , الآية 18

[4] .الديوان , ص 68

[5] .سورة الشعراء ,الآية 193

[6] .الديوان , ص 75

[7] .الديوان , ص 75

و ابن الأندلس عالم بانواع واسماء الزهوروالاشجاروتفاصيلها و مواطن الجمال فيها فهذه محبوبته كالظبي الرشيق رائع الجمال وخده كزهر الرمان ونور السوسن

ظبي غرير الحسن طرز خده بالجلناروغض نور السوسن [1]

وتمثل الشاعر صورة الأرض الخصبة أو القاحلة في التعبير عن حالته النفسية أو المالية , فالجدب عنده العوز و قلة المال , والمرعى الخصيب مصدر المال و العطاء و الثراء موازنا بين الصورتين في بيت واحد

وقائلة تقول وقد رأتني أقاسي الجدب في المرعى الخصيب[2]

.الحيوان

أكثر الشاعر ابن مجبر من استخدام الخيل من الحيوان الأليف وذلك لأنها وسيلة مهمة من وسائل الحرب بل من أهمها و استخدمها بكثرة في هذا المجال, واهتم بالخيل من كانت من العتاق و الخفيفة و المحجلة و السريعة , ولا يركب إلا الكريمة من الخيل التي رباها مهرا , ذات ألوان مختلفة من أبلق, و أشقر, و أشهب , وأصفروهذه الصفات في الخيل تخدم غايات الشاعر من قصائده التي تتحدث عن الحرب و أبطالها وكل ما يمكن أن يكون سببا في كسبها , فكانت صورة الخيل الأكثر من غيرها في صور الحيوان عند الشاعر ابن مجبر فمجموع صورها أحدى عشرة صورة متجاوزة في حجمها ثُلث الصور, فتبرز صورة الخيل في شعر ابن مجبر مرتبطة بالحرب و بالسيف موازنا بين صورة السيف المجرد من غمده للقتال و الأخر المدخر لموقف آخروبين صورة الخيل التي ركبت للقتال و التي جنبت و ادخرت لقتال آخر في متضادات لتصور الخيل مع السيف مجتمعة فعال المنصور في القتال و انتصاره في تلك الموقعة ولتظهر صورة الخيل جانب مهم من جوانب قوة المنصور وضعف اعدائه فهو لم يستخدم كل اسلحته

فالبيض منهن مسلول و مدخر والخيل منهن مركوب و مجنوب [3]

وليست كل الخيل تصلح للقتال فتخير نوع معين من خيول الحرب بصفات تجعلها أداة من أدوات الانتصار و تحقيق أفضلية على الأعداء فيقول :

ترمي المجانيق بالأحجار فضله من رمتهم منهم الجرد السراحيب [4]

و أبدع ابن مجبر في رسم صوره في حديثه عن الخيل, وقدّم لقصيدة المدح بوصف الخيل متناولا مجموعة من

---

1. الديوان , ص 74
2. الديوان , ص 82
3. الديوان , ص 83
4. الديوان , ص 89

صفاتها, فهي خيل عتاق أصيلة سريعة كالريح وجميلة المنظر كعروس تتحلى بالحجول .الخيل المحجلة .وهي من علامات الزينة والتي ذكرها الرسول عليه السلام في حديثه عن صفات الخيل

له حلبة الخيل العتاق كأنهـــا نشاوى تهادت تطلب العزف و القصبا

عرائس أغنتها الحجول عن الحلي فلم تبغ خلخالا و لا التمست وقفـــا [1]

أما لون خيوله فقد رسم ابن مجبر صورة فنيه غاية الروعة عندما وصفها بان لونها أبلق وهو السواد مع البياض وان هذا اللون ناتج لان الحصان اعطى الليل نصف لونه فغار النهار واخذ منه البياض ليتوزع لونه بين الليل و النهار في مشاهد درامية, ومن ألوان خيولة " الورد " وهو الذي غلبت عليه الحمرة مثل لون الشفق وقت الغروب يميل إلى الزهري كامل اللون من رأسه حتى الذيل, ومنها الاشقر للونين الأحمر والأصفر وله عدة درجات بلون جلد راحة اليد ومنها الاصفر ومنها الاشهب الأشهب مزيج من اللونين الأبيض والأسود بدرجات متناسبة مائل إلى لون الفضة و الخيل الشهب كانت من خيول الملوك:

و أبلق أعطى الليل نصف إهابه وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا

وورد تغشى جلده شفق الدجى فإذا حازه دلى له الذيل و العرفـــا

و أشقر مج الراح صرفا أديمـه و أصفر لم يمسح بها جلده صرفـــا

و أشهب فضي الاديم مدنـــر عليه خطوط غير مفهومة حرفـــا

تهب على الأعداء منها عواصف ستنسف أرض المشركين بها نسفـــا [2]

واستخدم الشاعر التشخيص مع خيله في قصة سقوط ممدوح الشاعر كم فوق ظهره في صورة فنية جميلة ذاكرا " الطرف " وهو الكريم من الخيل معللا سبب سقوط الممدوح في صورة فنية فلم يجعل السبب الخيل أو الممدوح بل الحالة النفسية التي أثرت على الحصان فعندما صعد المنصور ظهر الحصان , شعر الحصان بالكبر على باقي الخيول لأنه تشرف بحمله ففقد إدراكه للأمور ولم يعرف هل مسكه أم ركض به فسقط الممدوح وهو من فن تحسين القبيح

ألا أصفح عن الطرف الذي زل إذ جرى أيثبت طرف فوقه الناس و الدهر

تداخله كبر لئن كنـــت فوقـــــــه فتلك لعمـــــري زلة جرها الكبر

لـــم يدر هل أمسكته أو ركضتـــــه وللعجب سُكر ليس يعدله سكر [3]

---

[1] .الديوان , ص 70

[2] .الديوان , ص 69

[3] .الديوان , ص 85

وللخيل مكانة عند ابن مجبر حتى انه في ترحاله طلبا للعطاء لم يستخدم الناقة بل اعتمد على جواده في رحلته التي وصفها

متى أصغى إلى تصهال طرف يجبه بالعويل و بالصفير

وأورده المناهل وهـــي رزق فيصدر بي عن الماء النمير[1]

ليكمل وصف رحلته ولكن على جواده ولم يذكر الناقة في ديوانه بل ذكر البعير في موقع واحد وان حصانه سار في اثره واعتقد أن مرجع ذلك لتغير الحياة ففي العصر الجاهلي كانت الناقة للرحلة أما مع التجديد لم تعد شروط بناء القصيدة يلتزم بها الشعراء وربما لأنه يرى في نفسه فارسا في كل وقت

أحس بوسق أبعرة رآها فأقبل يرتعي بعر البعير[2]

وتتعلق صورة الخيل في ذهن ابن مجبر بأصلها العربي, فهي من عتاق الخيل الخفيفة السريعة النشيطة التي تصلح للحرب و الكر الفر و تحدث عن لونها و أبدع في وصفها في كونها بين الابلق و الورد والاشقر والاشهب والاصفر و تحدث عن بعض صفاتها و اسمائها مثل الطرف و الجرد و السراحيب ولم يهمل زينه الخيول حاصة الخيول المحجلة .

أما حيوانه البري المفضل فكان الغزال و أكثر الشاعر من صورة الغزال بأنماط مختلفة باختلاف استخدام الصورة, فجاءت صورة الغزال مقترنة بالغزل وكأنه جعل الغزال رمز للمحبوبة, فالشاعر ينادي غزاله وقد اختار لها اسم الرشا وهو ولد الظبية الصغير المدلل رابطا بينه و بين نبات السدر البري و يعترف إنه لو كان منصفا لنادها (رشا) الصدر و يطلب منها أن تعطف عليه وان لا تكون قاسية معه

يا رشأ السدر ولـــو انني أنصفت ناديت رشا الصدر

يا قاسي القلب ألا عطفة تثني إليها رقــة الخصـــر[3]

و ابن مجبر يتغزل بحصانه فبم سيصوره إذا كانت المحبوبة صورها بالغزال الصورة العليا للجمال عنده لذا صور جواده بالغزال , فانت ترى كل " طرف " جواد كأنه غزال فتقع في حيرة من امرك هل ما تحت هذه الغبرة غزال أم جواد من حسنه فهو جواد نال الحسن لأنه تربى عند غزال وجدته في البيداء فضمته إلى سربها وقامت على تربيته و هي تعتقد انه غزال لا جواد من حسنه حتى انه لا يعرف انه جواد إلا حين يعدو عندها فقط تعرف انه جواد من خلال الجري و السرعة .

---

[1] .الديوان , ص 85

[2] ابن منظور , لسان العرب , مادة نطف

[3] .الديوان , ص 83

ترى كل طــرف كالغزال فتمتري أضبيا ترى تحت العجاجة أم طرفا

وقد كان في البيداء يألف سربه فربته مهرا وهـــي تحسبه خِشفا

تناوله لفظ الجواد لأنـــــه إذا ما أردت الجري أعطى له ضعفا [1]

وأعجب ابن مجبر بصورة النحل و وظفها في شعره لغايات مختلفة منها اهتمامه بصورة اليعاسيب وعدم إنتاجها للشهد فجعلها صورة لما لا فائدة منه فأهل البغي لم يحسنوا الترحيب بالأمير بل سعت للخيانة به.

توهمت أنأهل البغي تمنعها وقلما حمت الشهد اليعاسيب [2]

ومن الحيوان المفترس كانت صورة الأسد حاضرة في قوته و بأسه فهذا المنصور كالأسد و اقف على أشلاء فر ائسه وقد أعمل فيها القتل وأدخل فيها الخوف

ابقاه و الذعر المخيف يبيده فكأنه سبع على أشلائه [3]

ونقل صورة الأسد في قوة قتاله و شدة أثره على العدو و حضوره في مملكته بعد أنأنهى العزاء

ثاب العزاء وحان الاخذ بالثار قد عاد في غابه الضرغام الضارب [4]

.المجال الثقافي

يشكل المجال الثقافي عاملا حيويا في تكوين الشاعر العقلي و الخيالي معا [5] وبلغ عدد صور المجل الثقافي سبع و اربعين صورة توزعت على اربعة رو افد وهي: الر افد الديني : فقد تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في تسع صور منها,فقد تأثر الشاعر بقوله تعالى (إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين) [6] فيقول:

أو جاء مسترقا إليكم مارد إلا وأحرقه هناك شهاب [7]

ومن صور التأثر بالقرآن الكريم رسم الشاعر صورة للأعداء وهروبهم من المعركة هدف كل منهم أن ينجو بنفسه تاركا غيره لمصيره غير آبه له فالموقف عظيم وهو مقتبس من الآية (يوم يفر المرء من أخيه وأمه و صاحبته و

---

1. الديوان , ص 79
2. الديوان , ص 70
3. الديوان , ص 65
4. الديوان , ص 67
5. الديوان , ص 72
6. ابن جعفر, قدامة , نقد الشعر , ص 124
7. ابن رشيق , العمدة في محاسن الشعر , ص 286

بنيه) [1]

ولو فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود [2]

ومن الصور الدينية التي حضرت في صور ابن مجبر صور الانبياء و الرسل فذكر صورة سليمان بالملك وداوود في التهجيد في محرابه وربط بين صورتهما و صورة ممدوحه و اتصافه بصفاتهم

أنتم سليمان في الملك العظيم في طول التهجد في المحراب داوود [3]

كذلك ذكر صالح وهود عليهما السلام و ذكر صورتهما في نصح قومهم و وعظهم متحدثا عن أخبار الأمم البائدة كعاد وثمود وغرقهم في الظلال

لجت ثمود وعاد في ضلالهم ولم يدع صالح نصحا ولا هود [4]

وفي مجال الحياة الأدبية فقد ذكر ابن مجبر الشعراء من أمثال الفرزدق وجرير, مفتخراً بقدرته على حفظ الكثير من أشعارهم

وأذكر للفرزدق الف بيت وأكثر في الرواية عن جرير [5]

وعن عناصر الحياة الثقافية فقد ذكر الشاعر في أشعاره الدواوين و الكتب و القلم و الطرس و المهراق و الكاتب و الخطيب

فمن يقف كالطرس تحسب أنه و إن جردوه في مُلاءته التفا

كما خطط الزاهي بمهراق كاتب فجر عليه ذيله وهو ما جفا [6]

ومنه قوله:

رأى العداه ومنهم من دنا ونأى فاستعمل الماضيين السيف و القلم [7]

المبحث الثاني : أنماط الصورة الفنية

للصورة الفنية أنماط مختلفة تتشارك في العمل الفني لتخرج صوره مناسبة للموقف, وقد انتبه ابن طباطبا

---

[1] .الجرجاني , عبد القاهر, أسرار البلاغة , ص 80

[2] .الرباعي , عبد القادر, الصورة الفنية في شعر أبي تمام , ص 164

[3] .الديوان , ص 65

[4] .الديوان , ص 65

[5] .الديوان , ص 79

[6] .الديوان , ص 72

[7] .لمزيد من الامثلة على التشبيه انظر الديوان الصفحات : 65 , 67 , 71 , 77 , 78 , 79 , 81 , 83 , 84 , 85 , 90 , 91 , 92 , 93

لتنوع أنماط الصورة الفنية عندما تحدث عن التشبيهات بقوله : " التشبيهات على ضروب مختلفة, فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة و هيئة, ومنها تشبيه به معنى, ومنها تشبيه به حركة, ومنها تشبيه به لونا , ومنها تشبيه به صوتا ", وبعد استقرائي لديوان ابن مجير توصلت لانماط متعددة من الصور عنده , من بصرية , وسمعية , ولونية , وذوقية , و شمية , و حركية بتفاوت في نسبة استخدامها.

.الصورة البصرية

معظم صور ابن مجبر جاءت بصرية حتى قاربت ما نسبته 90 % من باقي الأنماط, مما شكل ظاهرة جعلتني اتوقف عندها كثيراً, محاولاً تلمس أسبابها, ومما لا شك فيه أن لحاسة البصر أهمية في رسم الصور الفنية, وجعل المتلقي يتفاعل معها, وينشّد لجمالها, وأعتقد أن موضوع قصائد ابن مجبر فرض عليه طغيان الصورة البصرية لأن جلّ ديوانه يصف معارك المنصور ومما لا مجال للشك فيه أن وصف المعارك يحتاج لآلة تصور المعركة والصورة البصرية خير من يقوم بهذه الوظيفة, وإذا ما تتبعنا بعض النماذج التطبيقية على الصورة البصرية سنصل لنتيجة السابقة

ترمي المجانيق بالأحجار فضله من رمتهم منهم الجرد السراحيب
من كل ملمومة صماء حائمة على النفوس فتصعيد وتصويب
يقول مبصرها في الجو صاعدة هذا بلاءٌ على الكفار مصبوب
تمهد الأمر في أكناف دولته حتى تآلف فيها السّخْلُ والذيب [1]

فالصورة البصرية هي فقط من يستطيع أن يصور هذا المشهد القتالي, صورة المجانيق وهي ترمي الحجارة على أسوار قلاع الأعداء, وتصور الخيول السريعة وهي تغير عليهم, والمتتبع للمشهد يشاهد تصاعد الدخان من وسط قلاعهم المحترقة والأمن ينتشر في بلاده حتى ترى بعينك صغار الماعز يرعى مع الذئاب.

.الصورة السمعية

أما الصورة السمعية فقد وظفها الشاعر ابن مجبر في صوره الفنية في أربع عشرة صورة, و تأتي بعد الصورة البصرية من الأهمية والغزارة, ويوظف ابن مجبر الصورة السمعية في أحد أبياته الحربية, فهو يعتقد أن المحارب لا يظفر بالنصر و الانتصار " الغايات " إلا بعد سعي و تعب و مشقة و عناء حتى أنه يحتاج لسعي من ذهاب و إياب حتى تسمع قرع الطنابيب في ساقه و الطَّنابيب: جمع الطُّنْبوب، وهو:عظْم السَّاق، أَي تقرع سوق الإِبِل انْكِماشاً وحِرْصاً على إِغاثته

وليس يظفر بالغايات طالبها إلا إذا قرعت فيها الطنابيب [2]

فصورة الشاعر تعتمد على الصورة السمعية فجمال التصوير في صوت الطنابيب ويظهر هنا تأثر الشاعر ببيت الشاعر الجاهلي سلامة بن جندل (ت 23 ق. هـ) إذ يقول ابن جندل : كُنَّا إِذا ما أَتانَا صارِخٌ فزِعٌ ... كان الصُّراخُ لهُ قَرْعَ الطَّنابِيبِ

وفي تأكيد الشاعر على اهمية السمع يوظف الصورة السمعية لتعبير عن حاسة السمع فهو يعلن لمن يلومه في الهوى انه يملك اذن تسمع النجوى مهما خفي لكنها لا تسمع من يلومه في الهوى فيقول :

ثقلت عـــن لومكـم أذن لـم يجد فيها الهوى ثقلا

تسمع النجوى و إن خفيت وهي ليست تسمع العُذلا [3]

.الصورة الذوقية

أما الصورة الذوقية فقليل استخدامها في صور ابن مجبر الفنية فقد وردت في ديوانه في اربع صور, واستخدامها عند الشعراء قليل, ويوظف ابن مجبر الصورة الذوقية في صورته الغزلية فهولا يقبل من ينسى طعم الحب بعد أن جربه ويعتبر هذه السجية معيبه في حق من يرتكبها مستخدما الذوق مع الحب و قد يكون الدافع أن طعم الأشياء الجميلة يبقى عالقا في لسان الإنسان و يميز طعمه بسهولة و يميزه عن غيره فيقول :

غيرراضٍ عن سجية من ذاق طعم الحب ثم سلا [4]

ويبدو لي أن هنالك علاقة بين ذكر الشاعر الصفات و للشيم و السجايا و الصورة الذوقية عند ابن مجبر فها هو يخبرنا عن المنصور أنه ملك يتمتع بشيمات و صفات لا يستطيع احد أن ينكرها وقد اروت الظمآن لمثل هذه الشخصية ولا ينكرها إلا من به نطف وهو العيب [5] فمن به عيب نكران الحقائق ينكر شيم المنصور و استخدم معها الصورة الذوقية لتبقى عالقة فيقول :

ملك تُرويك منه شيمة أنست الظمآن زرق النّطف [6]

.الصورة الشمية

وردت الصورة الشمية عند ابن مجبر مرة واحدة ليعبر بها عن استحالة أن ينال العطاء فقد شم رائحة

---

[1] .الجرجاني , عبد القاهر , أسرار البلاغة , ص 342

[2] .الرباعي , عبد القادر , الصورة الفنية في شعر أبي تمام , ص 163

[3] .الديوان , ص 69

[4] .الديوان , ص 80

[5] .الديوان , ص 81

[6] .لمزيد من الامثلة على المجاز المرسل انظر الديوان: 65 , 67 , 68 , 69 , 73 , 74 , 77 , 78 , 79 , 80 , 83 , 87 , 89 , 90

العطايا من بعيد لكنه لم يحصل عليها واستخدم معها حاسة الشم لأنها تكون بعيدة عنه وكذلك العطايا

أراك شممت رائحة الأماني لذلك شمت بارقة السرور[1]

.الصورة اللونية :

يتكأ الشاعر على الصورة اللونية المرتبطة بالصورة البصرية في تجميل صوره الفنية خاصة في وصف الخيل ولقد وردت في الديوان في خمس صور منها :استخدم الشاعر صورة اللون الأسود مع الغراب لتدل على صورة الأعداء وقد فرق المنصور شملهم وجعل بلادهم خربا تنعق فيها الغربان السود فيقول:

قد فض شملهم عنها وقد نعّبت فيها من الحين غربان غرابيب [2]

.الصورة الحركية

استخدم الشاعر الصورة الحركية في ديوانه وجاءت في أكثر استخدامها مقترنه مع غيرها من الصور خاصة الصور البصرية ولقد وظفها الشاعر مع ممدوحه ليدل على سهولة رجوعه منتصرا فبعد أن قضى حقوق الله في أعدائه رجع بيسر واستخدم الفعل " انثنى " ليدل على المطاوعة

قضى حقوق الله في اعدائه ثم انثنى والنصر تحت لوائه [3]

ويظهر أثر الصورة الحركية في توضيح الصورة الفنية في تحريك الرياح لأغصان الأشجار وتشبيه ذلك برقصات الفتيات مازجا بين الصورة البصرية واللونية

إذا القضب هزتها الرياح تذكروا قدود الحسان البيض فاعتنقوا القضبا [4]

ووظف الصورة الحركية في توضيح صورة الشدائد التي تلم بالإنسان عندما شبهها بمبرد الحداد واعتمد على حركة المبرد في توضيح الصورة الفنية فيقول:

كمبرد القين إذ يعلو الحديد به وليس يأكله إلا ليصلحه [5]

المبحث الثالث: تشكيلات بلاغية للصورة الفنية

.التشبيه

مما لا شك فيه أن التشبيه فن بلاغي يساعد على سعة خيال الشاعر, وله دورمهم في جمال التصوير,وعرفه

---

[1] سلمان , حسام, الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني, رسالة ماجستير,جامعة النجاح, ص 104

[2] .الديوان , ص 67

[3] .الديوان , ص73

[4] .الديوان , ص 65

[5] .سلمان , حسام, الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني, ص 97

قدامة بن جعفر:" إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها و افتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتها, وإذ كانالأمركذلك فاحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثرمن انفرادهما فيها, حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد"[1], كما تحدث ابن رشيق عن التشبيه بقوله : " صفة الشيء بما قاربه و شاكله من جهة واحة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته , لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه " [2], أما عبد القاهر الجرجاني فعرف التشبيه بقوله : " اعلم أن الشيئين إذا شبه احدهما بالاخركان ذلك على ضربين : أحداهماأن يكون من جهه امر بيّن لا يحتاج إلى تأويل , والاخر أن يكون الشبه محصولا بضرب من التأويل" [3], وعن اثر التشبيه في تكون الصورة الفنية في الدراسات البلاغية الحديثة يتحدث الرباعي عن التشبه بقوله:" لقد ظلت النفس البشرية تحرك العقل وتوجهه وهو يستجيب إلى أن انتقل من مجرد إنابة شيء عن شيء لعلاقة فعلية بينهما فقط إلى عقد مقارنات بين أشياء لا تجمعهما بالضرورة تلك العلاقة و إنما الذي يجمعهما فقط تماثل في الشعورومن هنا جاء وجه الشبه, فالتشبيه ـ بناء على هذا . صورة تجمع بين أشياء متماثلة, واساس هذا التماثل كامن في النفس و الشعور." [4]

وبعد استقصائي للصور الفنية للشاعر خلصت إلىأنه استخدم في ديو انه 32 تشبيها و شكلت ما نسبته 39% من مجموع التشكيلات البلاغية , وبرز التشبية في جميع أغراض شعره, وفي أغلب معانيه واغراضه الشعرية في صورة ممدوح و المرأة , الخيل , و الحرب , العدو... , ويمكن ملاحظة أن الشاعر استخدم التشبيه بأنواعه كما سنرى من خلال تقديمي لنماذج من تشبيهاته في الصفحات القادمة وأن كان الشاعر أكثر من التشبيه البليغ كما أن أكثر أداة من أدوات التشبيه استخدمها الشاعر كانت " الكاف " وبدرجة اقل استخدم " كأن ", فلقد وظف الشاعر التشبيه لبيان عظم حجم جيش المسلمين فقد حشد المنصور لقتال روم الأندلس جيشا عظيما ضاقت الأرض عن أفواجه و صعب على من اجهد نفسه بعده فهو مثل العارض الثجاج أي المطر الشديد الانصباب الذي ينهمر بقوة فكشف التشبيه عن حجم الجيش وقوته فكان تشبيهه موفقاً ومؤدياً للغرض الذي سعى له الشاعر من خلال استخدامه للتشبيه يقول:

أغزى بهم جيشا تضيقُالأرضُعن أفواجِه والوهمُ عن إحصائه ِ

---

[1].الديوان , ص 65

[2].الديوان , ص67

[3].الديوان , ص 78

[4].الديوان , ص 77

كالعارضِ الثجّتاج ملءُ هوائـــه لكن دمُ الأبطالِ مــن أنوئهِ [1]

لقد أكثر ابن مجبر من استخدام التشبيه في المدح ليظهر صورة ممدوحه فها هو المنصور وقد انتصر على اعدائه واعمل فيهم القتل كأنه اسد يتبختر فوق جثث قتلاه لقد وظف الشاعر التشبيه المفرد في تصوير مهابه المنصور واختار له السبع

أبقاه والذعر المخيف يبيده فكأنّه سبع على أشلائهِ [2]

ولم ينس ابن مجبر توظيف التشبيه للحديث عن كرم ممدوحه وبيان اثر عطاياه في الناس , فكرم المنصور يعرف وقت الازمات فشبهه أثر كرم المنصور ببرودة الظل في وقت الهجيرة , فلله درها من صورة فنية غاية في الحسن و الجمال

له في شدة الازمات روحٌ كبَرْدِ الظلِّ في حر الهجيرة [3]

الحياة لا تدوم لإنسان على حال , فهي متقلبة بين فرح وترح والكريم قد تأتيه مصائب تثقله كمن يحمل جندلا , ولم تخفى هذه الحالة على ابن مجبر وهو الكريم و قد تتقلب به الاحوال فوظف التشبيه توظيف حكيم عارف حاذق بامور الحياة فيقول بان الكريم معرض للشدائد لكن هذه الشدائد أن وقعت على الكريم فهي خير له لأنها تبين عن صفات الصبر و التحمل عنده فجعل من صورة الشدائد خير للإنسان فهي كمبرد القين وهو الحداد نعتقد انه ينهي الحديد ولكنه يعمل على اصلاحه فشبه الشدائد بمبرد الحداد فيقول :

إن الشدائد قد تغشى الكريم لأن تبين فضل سجاياه و توضحه

كمبرد القين إذ يعلو الحديد بـه وليس يأكله إلا ليصلحـــه [4]

ووظف التشبيه في وصف مقصورة بناها المنصور والحقها بقصره فوصفها ابن مجبر أجمل وصف.[5]

---

1. الديوان , ص 77

2. الديوان , ص83

3. أبو غليون, هاني يوسف, الحجاج في النص القرآني, " سور الحواميم أنموذجا", دار زهدي للنشر, عمان, ط1, 2020, ص 140

4. الديوان , ص 80

(5) وفي بيان أسماء المؤلفين للمواليد المختلفة للشيخ محمد علي مسليار النلكتي أن عام ولادته هو 1269. ولعلّ ما أثبتناه هو الصواب لأنه الّذي يتضح من قول أستاذه الشيخ كويا كوتي مسليار، قد ورد ذكره في مرثية الشيخ أحمد بن موسى البردلي رحمه الله حيث أنشد:

طَوِيلُ شَأْنٍ قَصِيرُ الْعُمْرِ وَهْوَ حَوَى كَثِيرَ خَيْرٍ وَلَمْ يَجْمَعْهُ فِي الْأَسَنِ

إِذْ كَانَ خَمْسِينَ إِلَّا وَاحِدًا وَبَدَتْ مِنْ قَوْلِ أُسْتَاذِهِ الْعَالِي عَلِي حَسَنِ

.المجاز المرسل :

هو كلمة تستعمل في غير معناها الأصلي و تكون فيه العلاقة بين المعنى المذكور والمعنى المحذوف هي غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي , و عرفه الجرجاني : " إذا عدا باللفظ عما يوحيه أصل اللغة وصف انه مجاز على معنى انهم جازوا به موضعه الاصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولا ." [1] ويقول عبد القادر الرباعي فيه : " أما المجاز المرسل فهو مجرد تحرير لغوي بسيط ناب فيه شيء عن شيء لعلاقة فعليه بينهما ." [2], ومن خلال تتبعي للمجاز المرسل في ديوان ابن مجبر وجدت انه قد اسخدم المجاز المرسل في 15 موضعا لتشكل ما نسبته 18 % من التشكيل البلاغي عند الشاعر ولتساعد في توظيف الصورة الفنية في شعره, يقول الشاعر:

ما غرّ قفصة إلا أنها اجترمت فلم يكن عند أهل الحلم تثريب [3]

ففي قول الشاعر " غرّ قفصة " مجاز مرسل علاقته المحلية فذكر المحل قفصة وقصد الذي يحل فيه وهو سكانها, فقفصة لا تغر إنما أهلها, ومن الأمثلة على المجاز المرسل قول الشاعر:

ركب إلى نار الجحيم مسيرهم وركابهم لا تستطيع مسيرا [4]

في " نار الجحيم " مجاز مرسل علاقته الحالية وهو عندما يكون المعنى المذكر حالا في المعنى المحذوف و المقصود فقد ذكر الجحيم و قصد محلة و جهنم, ومن توظيف الشاعر للمجاز المرسل في صورة الفنية قوله

تراه عيني وكفي لا يباشره حتى كأني في المرآة أبصره [5]

فقول الشاعر " عيني " و " كفي " فيه مجاز مرسل , لأنهما جزء من الإنسان فعلاقة المجاز المرسل الجزئية

عَبْدُ الْعَزِيزِبْن عَبْدِ اللهِ مِنْ رَجَبٍ تَمَامُهُ قَوْلُهُ الْآتِي اسْمَعَنْهُ مِنِي

فِي الْأَيْبِ دُبْلَ جَنُوحِ الْأَرْبِعَا وُلِدَا فَاحْسُبْ جَمِيعَ حُرُوفٍ قَالَهَا تَبِنِ

(1) وهو ختن الإمام زين الدين المخدوم الكبير جد صاحب فتح المعين رحمهم الله. توفي سنة 991 وقبره في مقبرة جامع فنان.(Ponnani)

(2) وعبارته : وفي الكلام على البسملة أبحاث شريفة وتنبيهات شتى سمحنا بها في حاشيتنا على عمدة التعريف في نظم مختصر التصريف للزنجاني من تأليف الشيخ العلامة الفاضل خالنا عبد العزيز بن عبد الله المعبري الفنّاني تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.اهـ ص:2، شرح كتاب الميزان للشيخ باوى مسليار الولفلي

(3) وهو المدفون في مقبرة مسجد تُوتُونْغَالْ بفَنَّانْ. اهـ

(4) ويمكن أن يجمع بين هذين الرأيين بأن نسب الشيخ عثمان المخدومي ينتمي إلى الشيخ أُتَّانْ مُسْلِيَار المتقدم. إلا أنه يشكل فيه نسبة الشيخ المؤلف والشيخ عثمان صاحب عين الهدى إلى المعبر لأن أُتَّانْ مُسْلِيَار لم يعرف بأنه معبريٌّ وقد عاش قبل قدوم أسرة المخاديم إلى فنّان والله أعلم.

(5) المتوفى سنة 1393 هـ

فالشاعر ذكر الجزء وقصد الكل فهو لم يقصد أنه يرغب في رؤية الممدوح والسلام عليه فقط بل يقصد التقرب له والجلوس عنده ومرافقته في معاركه وان يكون فيحاشيته, وتكثر المجازات في شعره.[1]

.الكناية :

هي إطلاق لفظ وإرادة لازم معناه مع قرينه لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وعلى هذا فيكون الفرق بين المجاز والكناية أن القرينة في المجازتمنع من إرادة المعنى الأصلي وفي الكناية لا تمنع, والكناية من العناصر التي يلجأ إليها الشاعر في تشكيل صوره ولها من الاهمية درجة كبيرة إلى جانب التشبيه والاستعارة, لأنها تسهم في تشكيل الصورة بذاتها دون الامتزاج مع عناصر أخرى حتى عدّت من اوضح معالم الصورة الشعرية , وتكمن بلاغة الكتابة في انها تأتي في الموضع الذي لا يحسن التصريح فيه واعتمادها على الايجاز في التعبير[2] و ابن مجبر اهتم بالكناية في ديوانه حيث استخدم الكناية في 19 موضعا في ثنايا صوره الفنية لتشكل ما نسبته 23 % من صوره, ومن امثلة الكناية عند ابن مجبر استخدامه الجدب كناية عن الفقر والمرعى الخصيب كناية عن الغنى أوعطايا المنصور,فابن مجبر يخبرنا أن محبوبته رأت في حاله العجب فهو يعاني الفقر الشديد وهو في حصرت المنصور فوظف الكناية لتعبر عن سوء حاله وفي الوقت عينه تعبر عن كرم الممدوح لينال العطاء منه, فيقول :

وقائلة تقول وقد رأتني أقاسي الجدب في المرعى الخصيب [3]

ومن الكنايات الجميلة عند ابن مجبر توظيف " أكتله الحرب " كناية عن هرم الإنسان في هذه الدنيا و" ارضعته وليدا " كناية عن الشباب

أكلته الحرب شيخا كبيرا وقديما قد ارضعته وليدا [4]

كما وظف الشاعر الكناية لتوضيح صورة القوة عند المنصور فجعل " البحر" كناية عن المنصور بجامع القوة والبأس بينهما.

بحر طمى والبأس من امواجه صبح بدا والحق من أضوائه [5]

الاستعارة:

الاستعارةُ: هي تشبيهٌ حُذفَ أحدُ طرفيه، وتعدُّ من المجاز اللغوي وعلاقتها المشابهة دائماً,ونفهم من التعريف

---

(1) أي الشيخ أحمد بن موسى البردلي السابق ذكره

(2)تذكرة الفصول، الشيخ موسى بن أحمد البردلي

[3] مفيد نجم، الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 2009،42، ص 41.:

[4] مفيد نجم، المرجع نفسه، ص 57.:

[5] مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية، إشراف و تحرير علي عبودي المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013 ص 204. :

السابق أنّ التشبيه لابدَ فيه من ذكر الطرفين الأساسين وهما(المشبه والمشبه به) فإذا حُذف أحد الركنين لا تصبح استعارة, والاستعارة من تبرز ملامح النشاط اللغوي الذي يخرج المعنى نطاقه الضيق إلى نطاق أوسع حيث تُستدعى فيه المخيلة في محاولة لتفجير الطاقات الكامنة بين علاقات اللغة فتشكل فيما بينها صورا نابضة بالحياة [1], والاستعارة أكثر فنون التشكيل البلاغي ورودا عند ابن مجبر فقد رصدتُ خمسين صورا في ديوانه لتقارب نسبتها للصور 44 % وبرزت بشكل واضح الاستعارة المكنية مركزا على علاقات المشابهة في شعره , معتمدا على التشخيص في استعاراته في محاولة لاحياء المواد الحسية, ومن استعاراته جعل " الوهم " كأنه إنسان عاقل يتقن العد ولكنه هنا عجز عن احصاء عدد جيش المنصور لكثرته في استعارة مكنية إذ حذف المشبه به الإنسان فزاد هذا التوظيف من توضيح صورة عظمة جيش المنصور

أغزى بهم جيشا تضيق الأرض عن أفواجه والوهم عن إحصائه [2]

ومن استعاراته في صورة الغزل تشخيص الشوق بانسان يدعو الاخرين اليه و ايضا جعل من القلب إنسان يدعى ويلبي الدعوة في صورة استعارة مكنية فالشوق يشتاق ويدعو من يشتاق اليه لقربه

دعا الشوق قلبي و الركائب و الرّكبا فلبوا جميعا وهو اول من لبى [3]

ويوظف ابن مجبر الادوات الحربية في رسم صورة ممدوحه فأعطى السيوف من الصفات الإنسانية فالسيف مؤدب لمن احتاج للتأديب لتظهر الاستعارة قوة ممدوحه

من لم يُؤدّبهُ تأديبُ الكتاب فما له بغير ذبُاب السيف تأديب, [4]

ويوظف الشاعر في استعارته ممدوحه المنصور بصورة البحر في قوته وصلابته وعدم القدرة على اقتحامه, فأمام البحر تتكسر كل قوة وتصبح عاجزة , كم تغنى الشعراء في وصف قوة البحر , فكان منهم ابن مجبر في رسم صورة رائعة حسنة للمنصور مستخدما الاستعارة التصريحية فقد ذكر المشبه به " البحر " وحذف من استعارته المشبه " المنصور", وليعمق الشاعر صورة الاستعارة استخدم في البيت عينه استعارة مكنية عندما شبهة " الموت " بحيوان مفترس يدلي بأنيابه و اظفاره مطاردا كل فريسة

قالوا رِدُوا باقتحام البحر عن غرر والموت يدلي بأنياب و أظفار [5]

---

[1] : حفناوي بعل، مدخل في نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية، منشورات دار الاختلاف الجزائر، ط1، 2009، ص 45.

[2] عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 55. :

[3] سليمة خليل، و هنية مشقوق، الأدب النسوي بين المركزية و التهميش، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، : ص 262.

[4] سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، تر مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، القاهرة، ط4، 1966، ص 321.:

[5] سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ص 6. :

وتبرز الاستعارة التصريحية في وصفه لقوة ممدوحه المنصور في سعيه لاسترجاع ملكه بالاسد الذي عاد إلى غابه ملكا وجاهزا للثأر ممن حاول التطاول على ملكه و تظهر لنا جليا كثرة استخدام الاسد في استعارات ابن مجبر

ثاب العزاء وحان الاخذ بالثار قد عاد في غابه الضرغام الضاري [1]

ولم ينس ابن مجبر الخيل .وهي من أهم أدوات الحرب . من استعاراته فقد وظف صورة العروس وما تستخدم من زينة في وصف الخيل في استعارة تصريحية فجل خيول المنصور تحوي زينة طبيعية فهي محجلة وهذه من صفات الجمال للخيول حتى أن هذا الجمال الطبيعي اغناها عن الحلي فجمالها من تلقاء نفسها

عرائس أغنتها الحجول عن الحلي فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا [2]

ونلحظ أن الاستعارة " حظيت باهتمام كبير من المشتغلين في البلاغة والفلسفة واللسانيات, مما شكل بيئة خصبة لتعدد النظريات التي توظف دورها في النص, مما يولي أهمية بالغة للدور التفاعلي للطاقة الاستعارية"([3]), ولهذا اهتم ابن مجبر بالصورة الفنية القائمة في تشكلها على الاستعارة , ومن جميل استعاراته التي وظفها لرسم صورة ممدوحه قصة الجواد الذي اوقع المنصور وكيف جمل ابن مجبر هذه الحادثة باستخدام الاستعارة المكنية بان جعل الجواد مذنب ويطلب له العفو والصفح

ألا اصفح عن الطرف الذي زل إذ جرى أيثبت طِرف فوقه الناس و الدهر [4]

ومن خلال دراسة التشكل البلاغي في صور الشاعر وجدنا انه يكثر و بشكل واضح من الصورة الاستعارية خاصة الاستعارة المكنية والتي ادخل التشخيص في طياتها وكانت نسبتها عالية جدا قاربت النصف.

---

[1]: بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة و النشر، تونس، ط 1 ص 123.

[2] : بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية التونسية، ص 123.

[3] مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية ص 342 :

جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، – من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر فاتن البستاني مراجعة محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت : 2008[4]، ص 330.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. اسماعيل, عزالدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر , دار الفكر, ط3 , 1978
3. الجاحظ , الحيوان , تحقيق عبد السلام هارون , دار إحياء التراث. بيروت , ج3 , ط3, 1969
4. الجرجاني , عبد القاهر, أسرار البلاغة, تحقيق محمود شاكر, مطبعة المدني , ط1 , 1991
5. جعفر, قدامة بن جعفر, نقد الشعر , تحقيق محمد خفاجي , دار الكتب العلمية. بيروت
6. الحمداني , فالح , الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف,مؤسسة الوراق. عمان , ط1 ,2001
7. ابن الخطيب , الإحاطة في أخبار غرناطة , المجلد الرابع , ط1 , 1977
8. ابن خلكان , وفيات الأعيان, تحقيق إحسان عباس , المجلد السابع , دار صادر
9. دهمان , احمد , الصورة البلاغية عن عبد القاهر الجرجاني , دار طلاس , ط1 , 1986
10. الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج 21 , مؤسسة الرسالة , ط7 , 1990
11. الرباعي , عبد القادر, الصورة الفنية في شعر أبي تمام ,جامعة اليرموك , ط1 , 1980
12. ابن رشيق , العمدة في محاسن الشعر , تحقيق محمد محي الدين , دار الجيل. بيروت, ط5 ,1981
13. سلمان , حسام, الصورة الفنية في شعر ابن القيسراني, رسالة ماجستير,جامعة النجاح
14. الشايب , أحمد, أصول النقد الأدبي , مكتبة النهضة , 1945
15. الصائغ , عبد الإله , الصورة الفنية عيارا نقديا , ط 1 , 1987
16. الضبي , بغية الملتمس , تحقيق إبراهيم الابياري , ط1, 1989
17. العسكري ,أبو هلال ,الصناعتين , تحقيق مفيد قميحة , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1, 1981
18. أبو غليون, هاني يوسف, الحجاج في النص القرآني, " سور الحواميم أنموذجا", دار زهدي للنشر والتوزيع, عمان, الأردن, ط1, 2020
19. القرطاجني , حازم , مناهج البلغاء وسراج الأدباء , تحقيق محمد المحتسب , 1981
20. ابن مجبر, ديوان بحتري الاندلس, جمع يوسف عيد , دار الفكر العربي. بيروت , ط1 , 2002
21. محمد , الولي,الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي , ط 1 , 1990
22. ابن المعتز, عبدالله , البديع, تحقيق كراتشقوفسكي , دار المسيرة , ط 3 , 1982
23. ابن منظور, لسان العرب , مجلد 4 , دار الفكر, ط1 , 1990
24. هلال , محمد غنيمي, النقد الأدبي الحديث , دار النهضة , د.ت

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

دور الذكاء العاطفي في رفع مستوى تحصيل طلبة صعوبات التعلم

الأستاذ : فراس عطية إبراهيم أبو يحيى
Feras atieh Ibrahim Abu yahya
ماجستير تربية خاصة
متخصص في مجال صعوبات التعلم
وزارة التربية و التعليم الأردنية

Abstract: **This study aimed to investigate the dimensions of emotional intelligence prevalent among students with learning difficulties in the education of the Sahab Brigade, and also aimed to determine the nature of the relationship between these dimensions and the areas of reading, writing and arithmetic within learning difficulties, and its relationship to the level of academic achievement. It was prepared by Shrink, which Abu Dayyah, 2006, translated and calibrated to the Jordanian environment, which has acceptable degrees of sincerity and stability. The current study community consisted of all students with learning difficulties who were in learning resource rooms at Othman Ibn Affan Secondary School. The results of the study indicated the dimensions of intelligence. Emotional intelligence among students with learning difficulties, and the results of the study indicated that there are statistically significant differences in emotional intelligence and improvement in academic achievement.**

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى بحث أبعاد الذكاء الانفعالي السائدة عند طلبة صعوبات التعلم في تربية لواء سحاب, كما هدفت إلى تحديد طبيعة العلاقة بين هذه الأبعاد ومجالات القراءة والكتابة والحساب ضمن صعوبات التعلم, ومدى علاقته بمستوى التحصيل الدراسي, ولتحقيق هذه الأهداف استخدم الباحثون مقياس الذكاء الانفعالي الذي أعدته شرنك, والذي قام أبو دية،٢٠٠٦, بترجمته وتعييره على البيئة الأردنية ويتمتع بدرجات صدق وثبات مقبولين, وتكوّن مجتمع الدراسة الحالية من جميع الطلبة ذوي صعوبات التعلم المتواجدين في غرف مصادر تعلم في مدرسة عثمان بن عفان الثانوية, وقد أشارت نتائج الدراسة وجود أبعاد الذكاء الانفعالي عند طلبة صعوبات التعلم, كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الذكاء الانفعالي وتحسن مستوى التحصيل الدراسي.

مقدمة:تكاد تتفق الدراسات التربوية والنفسية على أن الذكاء وحده ليس كافياً لتحقيق تفوق الطلبة ونجاحهم, فإذا كان هذا حال من يتمتعون بمستوى مقبول من الذكاء, فكيف سيكون عليه حال طلبة صعوبات التعلم الذين يعانون من تدني مستوى الذكاء, مما استوجب البحث عن نمط جديد من الذكاء يفك شفرة تدني التحصيل المعرفي والدراسي, فظهرت الحاجة الى ما يعرف بمفهوم الذكاء الانفعالي (Emotional intelligence) الذي يعتبر بؤرة ارتكاز التفوق في المجالات العلمية, لما يمتلكه من مهارات تساعد على التفكير وحلّ المشكلات, من خلال الوعي والتنظيم الذاتي, والتحفيز, والدافعية الاجتماعية, مما دفع الباحثين للتفكير بين العلاقة بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي لدى الطلبة الموهوبين والعاديين وطلاب صعوبات التعلم, فالذكاء العاطفي هو " القدرة على التعرف على نفسك وتطبيق هذه الحكمة على العالم من حولك" (Hilary,2021). فهو نوع خاص من الذكاءات الحياتية.

ويمكن تنمية مهارات الذكاء العاطفي من خلال ممارسة بعض الأساليب، وبذلك يكون من الموضوعات التي نالت الاهتمام في العقود الثلاثة الأخيرة, ومحاولة فهم دره في تنمية مهارات الفرد والجماعة, وتوجيه سلوكهم, ولهذا سنحاول الوقوع على أهم التعريفات التي حددت مفهومية الذكاء الانفعالي بحسب اتجاهاتها النظرية, و أثرها في كشف السمات الشخصية والمهارات الانفعالية والاجتماعية, والحاجات النفسية, ومن أبرز تعريفات الذكاء العاطفي يبرز تعريف مايروسالوفي وكاريسو الذي يعرفه بأنه " التعبير والتحليل الدقيق للانفعالات الشخصية و انفعالات أخرى, والقدرة على تحديد مشاعر الفرد الخاصة وتصنيفها والتعبير اللفظي والوجهي عنها" (هاشم, 2004), بينما يركز دنيال جولمان على الانفعالات الذاتية التي تحقق نجاحاً في الجو انب الحياتية, فيرى أنه " مجموعة من القدرات المتنوعة التي يمتلكها الأفراد واللازمة للنجاح في جو انب الحياة المختلفة, والتي يمكن تعلمها وتحسينها وتشتمل المعرفة الانفعالية, وإدارة الانفعالات والحماس والمثابرة وحفز النفس, وإدراك انفعالات الآخرين, وإدراك العلاقات الاجتماعية (سعيد, 2015), ويذهب بار– أون أبعد من ذلك في تعريفه للذكار الانفعالي فهو "تنظيم من المهارات والكفاءات غير المعرفية في الجو انب الشخصية والانفعالات الاجتماعية التي تؤثر في قدرة الفرد على التعامل بنجاح مع متطلبات البيئة والضغوط المحيطة, وهو عامل مهم لتحديد قدرة الفرد على النجاح في الحياة" (بلقاسم, 2014).

ويعرف عثمان (2002) الذكاء الانفعالي بأنه " القدرة على الانباه والإدراك الجيد للانفعال والمشاعر الذاتية, وصياغتها بوضوح لمر اقبة وإدراك دقيق لانفعالات الآخرين ومشاعرهم للدخول معهم في علاقات انفعالية اجتماعية إيجابية تساعد الفرد على الرقي العقلي والانفعالي والمهني وتعلم المزيد من المهارات الإيجابية للحياة" أما جورج, (2000) فيعرف الذكاء الانفعالي بأنه: " القدرة على إدراك المشاعر من خلال التفكير وفرض المعرفة

الانفعالية وتنظيم المشاعر بحيث يستطيع الفرد أن يؤثر في مشاعر الآخرين" ويختصرها إبراهام (1991) بأنها : " القدرة على استخدام الانفعالات بصورة إيجابية" (العنزي, 2010) وتعدد التعريفات التي حاولت توضيح الدلالة المصطلحية لهذا المفهوم بحسب النظريات التي انطلقت نها, على أن الذكاء الانفعالي عرّف بأنه " قدرة الفرد على الانتباه والإدراك الصادق لانفعالاته ومشاعره الذاتية, و انفعالات الآخرين ومشاعرهم والوعي بها وفهمها وتقديرها بدقة ووضوح وضبطها والتحكم فيها وتوجيهها, واستخدام المعرفة الانفعالية وتوظيفها لزيادة الدافعية وتحسين مهارات التواصل الانفعالي والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين, وتطوير العلاقات الإيجابية التي تكفل للفرد والآخرين النجاح في شتى جو انب حياتهم (زيدان, 2004).

ويمكن لنا من خلال استقراء العديد من تعريفات للذكاء الانفعالي ملاحظة أنها تتوزع بين محورين رئيسين مختلفين في تحديد مفهوم الذكاء الانفعالي, وهما: محوريرى أن الذكاء الانفعالي يتكون من مجموعة من القدرات العقلية, ومنفصلا عن سمات الشخصية, ومن هؤلاء مايروسالوفي, والفريق الآخريرى أن الذكاء الانفعالي يتكون من مجموعة الكفاءات الشخصية والاجتماعية, وهو غير مستقبل عن سمات الشخصية, ومن هؤلاء جولمان, وبار أون (بلقاسم, 2014), ومما سبق يرى الباحثون أن تعريفات الذكاء الانفعالي تتفق فيما بينها على أنها: " إدراك الفرد لمشاعره ولمشاعر الآخرين, ووعيه بها وفهمه لها, وتنتظم الانفعالات والمشاعر وضبطها والتحكم بها وتوجيهها لدى الفرد والآخرين, وتوظيف الانفعالات واستخدام المعرفة الانفعالية زيادة الدافعية؛ لتحسن المهارات وتطوير السلوكيات الإيجابية, والتفاعل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين, والتعاطف مع مشاعرهم, ويتفق الباحثون على أن أساس أي تغير في حياة الإنسان لابد وأن يحدث في ذات الانسان أولا (العنزي, 2010), وهذا ما تطمح دراستنا للوقوف عليه وتأكيده أو نفيه, فنحن نهدف من هذه الدراسة بحث أثر الذكاء الانفعالي في تحسين مستوى طلبة صعوبات التعلم, ومدى مساهمته في رفع مستوى تحصيلهم الدراسي.

مشكلة البحث:

يرى العديد من الباحثين أن من أسباب التسرب المدرسي, وارتفاع نسبة الاكتئاب, وتراجع الدافعية للتعليم تعود إلى تدني مستوى مهارات الذكاء الانفعالي لهذه الفئات, ومن هنا لفت الذكاء الانفعالي اهتمام الباحثين, بوصفه نوعاً من أنواع الذكاء الاجتماعي القادر على رصد الانفعالات والمشاعر الخاصة بالفرد والجماعة, وتتمثل مشكلة البحث في محاولة بحثها للعلاقة التي تربط بين دور الذكاء الانفعالي والمهارات الاجتماعية وبين تحسين مستوى التحصيل المعرفي لدى طلبة صعوبات التعلم, فقد " ساد ولمدة طويلة من الزمن في الأوساط التعليمية اعتقاد بأن النجاح في الحياة والمدرسة يعتمد بالدرجة الأولى على القدرات العقلية المتمثلة في أداء متميز على اختبارات الذكاء الرسمية، متناسين أو متجاهلين النظريات الحديثة التي ترى أن النجاح يعتمد على ذكاء

متعدد, فالمقاييس الانفعالية والاجتماعية تتنبأ بالنجاح للطفل أكثر مما يتنبأ به رصيده من المعارف أو قدرته المبكرة على القراءة " (العنيزات,1438 هـ), فتهدف الدراسة للبحث التحليلي فيما يرتبط بعملية تحسين المستوى الدراسي من مؤثرات مختلفة, حيث يمثل فهمنا لهذه المؤثرات و آثارها على تحسين " الانجاز والتحصيل الدراسي تعطينا مؤشرات واضحة ومهمة عن مستقبل تلاميذنا, وتمكنا من معرفة ما يعوق تلك العملية, وبالتالي البحث عن الطرق اللازمة والأساليب المناسبة لتفادي المعوقات, والوصول بالأداء الدراسي إلى مستوى مقبول" (بلقاسم,2014), خاصة ان هنالك العديد من الاسباب التي تؤدي الى تدني التحصيل ما زالت مجهولة.

ولقد لاحظ الباحثون في دراساتهم تعارضا كبيرا في علاقة الذكاء الانفعالي, وبين الإنجاز أو التحصيل الدراسي, ووفقاً لدراسة (بلقاسم, 2014), فقد توصل من خلال استعراضه للدراسات السابقة, فقد أظهرت بعض الدراسات وجود علاقة موجبة بين الذكاء الانفعالي والانجاز الدراسي, منها دراسة باركر وآخرون (Parker,al 2004), توصلت إلى أن النجاح الأكاديمي ارتبط بشكل قوي مع الابعاد المختلفة للذكاء الانفعالي, ومن هذه الدراسات دراسة (سهاد المملي, 2010) ودراسة فوقية راضي,2001) وكذلك دراسة أبي سمرة,2000), في حين نجد دراسات أخرى وجدت عدم وجود علاقة بين الذكاء الانفعالي والانجاز الدراسي, كدراسة عبد العال عجوة, 2002), ودراسة اسماعيل الصاوي (2006) وغيرها من الدراسات, وبذلك تكون العلاقة جدلية خلافية, وتحتاج الى العديد من الدراسات التي ترجح حالة على أخرى, وتقوي فرضية إحداهما, لهذا جاءت أهمية دراستنا خاصة في مجال صعوبات التعلم.

أهداف الدراسة وأسئلتها:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى اعتماد طلبة صعوبات التعلم على الذكاء الانفعالي في رفع مستوى تحصيلهم الدراسي, وإدراك أبعاد الذكاء الانفعالي لدى عينة الدراسة, والتعرف على درجة تأثير الذكاء الانفعالي على التحصيل الدراسي لدى طلبة صعوبات التعلم, كما تهدف الدراسة الى توفير مرجعية علمية للقائمين على غرف مصادر التعلم تمكنهم من استثمار قدرات الذكاء الانفعالي في التنبؤ بجودة التعليم, وجعل الطلبة يقتربون من مستوى تحصيل أقرانهم, وذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مستويات الذكاء الانفعالي عند طلبة صعوبات التعلم؟
- هل توجد علاقة بين الذكاء الانفعالي وارتفاع التحصيل الدراسي لدى طلبة صعوبات التعلم؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الذكاء الانفعالي تعزى إلى متغير المبحث؟
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في الذكاء الانفعالي تعزى لمتغير الذكاء العام؟

أهمية الدراسة:

تهتم أساليب واستراتيجيات التدريس المتبعة في العملية التعليمية إلى تنمية المعلومات المعرفية والمهارات التعليمية العقلية لدى طلبة صعوبات التعلم دون أي اهتمام بالجوانب الشخصية والانفعالية, فهي تهتم بتنمية الجوانب العقلية واهمال الجوانب الانفعالية, و انطلاقا من هذه الحقائق فإن أهمية الدراسة تنبثق من مجالين: مجال نظري يوضح هذا المجال المستحدث في الاساليب التعليمة, ويكشف مستوى الذكاء الانفعالي لدى طلبة صعوبات التعلم, والكشف عن العلاقة بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي ومجال عملي يهدف الى اعادة النظر في محكات تحديد طلبة صعوبات التعلم, وعدم الاقتصار على المحكات الاكاديمية والتحصيلة, واضافة بعد ثالثا يتمثل بالمحكات الانفعالية, كما تكتسب الدراسة أهمية من محاولتها الكشف عن السمات النفسية والسلوكية لدى طلبة صعوبات التعلم.

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين الذكاء الانفعالي وارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى طلبة صعوبات التعلم, بحيث يشكل الذكاء الانفعالي أحد الاستراتيجيات هذه الفئة.

مفاهيم الدراسة الإجرائية:

الذكاء الانفعالي: تعتمد هذه الدراسة في تعريف الذكاء الانفعالي على نموذج بار– أون حيث يعرف الذكاء الانفعالي وفق هذا النموذج المختلط على أنه " منظومة من القدرات الانفعالية الشخصية والاجتماعية, تلك التي تمنح الفرد القدرة على التكيف مع الصعوبات المحيطة والضاغطة" (المللي, 2010), لأنه مزيج من المكونات المعرفية والانفعالية والاجتماعية, وبذلك يكون الذكاء الانفعالي أكثر اتساعا وتكاملا, فيمثل هذا النموذج كل مهارات الفرد في التعامل مع انفعالاته الشخصية من حيث فهمها وإدراكها والتحكم بها, ويضبط مهارات التعامل مع انفعالات الاخرين, ويتلمس المهارات الاجتماعية من حيث رصد العلاقات الاسرية(رزق الله, 2006), وتتوزع مهارات الذكاء الانفعالي وفق نموذج بار– أون إلى خمس كفاءات وهي: مهارة الكفاءة الشخصية, ومهارة الكفاءات الاجتماعية, ومهارة إدارة الضغوط, ومهارة التكيفية, ومهارة كفاءة المزاج العام (المللي, 2010).

التحصيل الدراسي: هو أداء الطلبة الأكاديمي في مجموعة من المواد الدراسية, خاصة ما يحققه من درجات في اللغة العربية والرياضيات, والمتمثل في نتائج الطالب في نهاية للعام الدراسي 2020 / 2021.

صعوبات التعلم: تعرف دائرة التربية الامريكية صعوبات التعلم بأنها " الاطفال ذوو صعوبات التعلم المحددة هم الذين يفصحون عن اضطراب في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية اللازمة لفهم اللغة واستعمالها محكية كانت أوكتابية يتجلى على شكل اضطراب في الإصغاء أو التفكير أو الكلام أو القراءة أو الكتابة أو التهجئة أو إجراء حسابات رياضية(الوقفي, 2003), فهو فئة من الطلبة تظهر تذبذبا في أدائهم المتوقع وأدائهم

الفعلي في احد المجالات الأكاديمية من التهجئة والتعبير الكتابي والحساب.

المهارات الاجتماعية:: قدرة الفرد على التفاعل بإيجابية مع زملائه وحُسن التعبير عن المشاعر الايجابية والسلبية، وضبط انفعالاته في مو اقف التفاعل الاجتماعي مع رفاقه، وكذلك التعرف على مشاعر زملائه وتلميحاتهم، وحُسن التصرف بما يناسب الموقف، وتقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطالب على المقياس المستخدم في هذه الدراسة(العلوان, 2011).

حدود الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة من طلبة مدرسة عثمان بن عفان/ لواء سحاب, للعام الدراسي 2020 / 2021

مكونات الذكاء الانفعالي

اعتماداً على دراسة الباحثين فقد تم تحديد مكونات الذكاء الانفعالي استنادا على التعريفات التي أطلقوها في دراساتهم, لتشكل القواعد المنهجية له, والابعاد الابستمولوجية للذكاء الانفعالي, وتتقارب عند الباحثين من المفهوم والدلالة, فحدد تعريف (مايرو سالوفي) أربعة أبعاد له, تم حصرها في: القدرة على إدراك الانفعالات بدقة بعد تقييمها والتعبير عنها, من خلال تحليل شيفرة انفعالات الوجوه, والقدرة على توليد الانفعالات والوصول إليها لتسهيل ملية التفكير, حيث يتم يرصد أثر توظيف الانفعالات في المو اقف الحياتية وقياس استخدامها, القدرة على فهم الانفعالات والمعرفة الانفعالية, ورابعها القدرة على تنظيم الانفعالات لتسهيل النمو العقلي والانفعالي من حيث إدارتها وتوجيهها (العنيزات,1438 هـ), بينما وضع (جولمان) خمس مكونات أساسية للذكاء الانفعالي, وهي: الوعي بالانفعال أي (المعرفة الانفعالية) وهي العملية المعرفية التي تحول أو تترجم فيها المدخلات الحسية إلى خبرات ذات معنى, أي تفسير المعلومات والاشارات الوجدانية الخاصة بالآخرين, وتتمثل في ادراك الرسائل غير اللفظية, والتعبيرات الانفعالية, ونبرة الصوت, وكل قنوات الاتصال مع الآخرين, وإدارة الانفعالات والتي تهدف الى السيطرة على الانفعالات وبالتالي السيطرة على الأفعال التي تحمل الانفعالات السلبية كالقلق والحزن والخوف والغضب, تنظيم الانفعالات (التحفيز الذاتي) بضبط الانفعالات وتوجيهها لخدمة الهدف, واستثمار الانفعالات بصورة منتجة تحقق الانجاز والتفوق, وصناعة أفضل القرارات, والتعاطف (المشاركة الوجدانية) بمعرفة وادراك مشاعر الغير, والتواصل الاجتماعي أو فن معالجة العلاقات الشخصية المتبادلة (المهارات الاجتماعية) ويقصد بها الإدارة الفعالة للانفعالات في التعامل مع الآخرين, بفهم مشاعرهم(بلقاسم, 2014).

ورصد بار– باون مكونات للذكاء الانفعالي, يرى فيها مجموعة منظمة من المهارات والكفايات غير المعرفية في الجو انب الشخصية والاجتماعية والانفعالية التي تؤثر في قدرة الفرد على النجاح في البيئة وقدم نموذجاً في الذكاء عرف بالنموذج المختلط (Mixed Model)؛ إذ يضم قدرات عقلية كالوعي الذاتي الانفعالي، وخصائص شخصية

تعدّ منفصلة عن القدرات العقلية كالاستقلالية في الشخصية حيث عدّ الذكاء الانفعالي يتكون من (15) مهارة وكفاية موزعة على خمسة مكونات في الجو انب الشخصية والاجتماعية والانفعالية تتعلق بنجاح الأفراد، وهذه المكونات هي: المكونات الشخصية الداخلية, وتفسر علاقة الفرد مع نفسه وتضم قدرات الوعي الذاتي الانفعالي، والتوكيد، واعتبار الذات، وتحقيق الذات, والاستقلالية, ومكونات العلاقات بين الاشخاص الذي يفسر علاقة الفرد مع الأفراد الآخرين. ويضم ثلاث قدرات هي: العلاقات الشخصية، والمسؤولية الاجتماعية، والتقمص العاطفي, والمكونات التكيفية, ويضم ثلاث قدرات هي: مهارات حل المشكلات، والمرونة، واختبار الو اقعية, مكونات إدارة الضغوط والتوتر ويشمل هذا المكون قدرتين هما: تحمل الضغوط ومقاومة الاندفاع, و مكونات المزاج العام ويضم هذا المكون قدرتين هما: التفاؤلية أي القدرة على النظر إلى الجانب المضيء في الحياة، والسعادة أي الشعور بالرضا في الحياة والتمتع بها (العلوان, 2011). كما قدم ديلوكس وهيجز تقسيما لمكونات الذكاء الانفعالي يتكون من خمسة عوامل: الوعي بالذات؛ معرفة الفرد لمشاعره, واستخدامها في اتخاذ قراراته, وتنظيم الذات؛ أي إدارة الفرد لانفعالاته بشكل يؤجل إشباع الحاجات, وحفز الذات باستخدام الفرد لقيمه بهدف تحقيق غاياته, والتعاطف الذي يشير الى القدرة على فهم مشاعر الآخرين, والمهارات الاجتماعية التي تعني قدرة الفرد على قراءة وإدارة مهارات الآخرين.

أما الدراسات العربية فقد كثفت جهودها لتحديد مكونات الذكاء لانفعالي, وبرزت العديد من الدراسات التي حددت أربعة بعاده, ومن هذه الدراسات نجد دراسة (راضي, فوقية,2001) وهي: ضبط الانفعالات؛ وتقصد بها قدرة الفرد على التحكم بانفعالاته, وضبط دو افعه, والتعامل مع المشاعر لتكون ملائمة, من خلال فهم ما وراء الشعور, التعاطف: وتعنى بالحساسية لمشاعر ومخاوف الغير, وقراءة المشاعر غير المنطوقة للآخرين والتواصل معهم, وإدارة العلاقات من خلال التأثير الايجابي والفعال للفرد في علاقته مع الآخرين عن طريق فهم انفعالاتهم, والاحساس بنبض مشاعرهم, والتعامل بلطف ومودة, والدافعية الذاتية: أي المهارة في استخدام الانفعالات والمثابرة وحث النفس على الاستمرار في مواجهة الاحباطات, والشعور بالأمل والتفاؤل في مواجهة العقبات من أجل تحقيق الأهداف, كما توصل الباحث (عثمان ورزق, 1998) الى تحديد خمسة أبعاد لمكونات الذكاء الانفعالي وهي: المعرفة الانفعالية: ويقصد بها القدرة على الانتباه والادراك الجيد للانفعالات, وإدارة الانفعالات: من حيث القدرة على التحكم في الانفعالات السلبية وكسب الوقت للتحكم فيها وتحويلها إلى انفعالات إيجابية, وتنظيم الانفعالات من خلال توجيهها الى تحقيق الانجاز والتفوق, والتعاطف وهو القدرة على ادراك انفعالات الاخرين, واخيرا التواصل وهو التأثير الايجابي القوي في الاخرين ومساندتهم وحسن معاملتهم(بلقاسم, 2014).

المبادئ الأساسية للذكاء الانفعالي

يرى (سبارووناية, 2006) أن الذكاء الانفعالي يقوم على ثماني مبادئ أساسية لخصها (بلقاسم) في ما يلي:

أولا: كل واحد منا في وضعية تحكم ومسؤولية تجاه أفعاله.

ثانياً: لا أحد يمكنه التحكم في انفعالاتنا ومشاعرنا إلا إذا سمحنا له نحن بذلك.

ثالثاً: الأشخاص مختلفون, يختبرون العالم بشكل مختلف, يشعرون بشكل مختلف, ويريدون بشكل مختلف.

رابعاً: تقبل الآخر واحترامه, وعدم الحكم عليه.

خامساً: المشاعر والسلوك شيئان منفصلان, فإذا مست مشاعرنا فهذا يعني أننا لا نستطيع التحكم في أنفسنا وسلوكنا.

سادساً: كل المشاعر مبررة ومهمة.

سابعاً: إحداث التغيير ممكن, بما فيه تغيير أنفسنا.

ثامناً: كل الناس لديهم ميل طبيعي نحو التطور والصحة.

وعليه تعتبر هذه المبادئ محكات رئيسية للذكاء الانفعالي, تحترم الإنسان وردود أفعاله, باعتبارها ردود أفعال لها جذورها الضاربة في صلب الشخصية الإنسانية التي تميزها الفروقات الفردية(بلقاسم,2014)

مقاييس الذكاء الانفعالي

أثار موضوع قياس الذكاء الانفعالي نقاشا طويلا بين الباحثين, واعتبروه من أصعب موضوعات الذكاء الانفعالي, ولم يستطيعوا تقديم مقياس موحد أو متفق عليه للذكاء الانفعالي, وذلك عائد لافتقار البحث العلمي لوسائل قياسية جيدة, " فلا يزال قياس الذكاء الانفعالي في مهده, فالدراسات التي أجريت في هذا المجال تكاد تكون نادرة في العالم العربي, و أيضا عالميا, رغم أنه أصبح تحت التركيز بين العامة والمتخصصين (بلقاسم, 2014), والملاحظ تعدد طرق القياس وتنوعها وذلك عائد الى الخلفية الابستمولوجية التي انطلقت منها الابعاد التي اعتمدت على تعريف الباحث للذكاء الانفعالي وتفسيره له, وتباينت المقاييس بين بالرجوع للقيمة التي اعتمدها الباحث أهي قيمة شخصية أم عقلية معرفية أم كفاءة فردية, مما ترتب عليه ظهور العديد من المقاييس للذكاء الانفعالي, ويمكن لنا رصد في عجالة أهمها:

مقاييس الأداء: وبحسب هذا المقياس تعد مؤشرات التقييم هي الطرقات الفردية في الذكاء الانفعالي التي لها علاقة بقدرات مرتبطة بالانفعالات بشكل عام, وتحصيل درجات مرتفعة في هذا المقاييس تشير الى قدرة أكبر للتعرف على انفعالات الآخرين, ويمكن تطبيقه من خلال عرض موقف حزين ويسأل حول تفسيراته لهذا الموقف

من خلال عرض بدائل للإجابة عليه, فيرتبط التقييم فيه بجودة الاختبار, ورصد اجماع عينة الدراسة على الاجابة الامثل, والتي تتو افق مع الاجابة التي يتو افق عليها الجميع, ومن أشهر نماذج هذه المقاييس يبرز مقياس (MSCEIT) الذي اعده (مايروسالوني وكارسو) بوصفه مقياسا مقننا يستخدم لقياس القدرة مكون من 141 عبارة, ومن الامثلة على مقاييس الأداء يظهر مقياس الذكاء الانفعالي متعدد العوامل (MESS) ومقياس تحديد الوعي (LEAS).

مقياس التقرير الذاتي: وهو عبارة عن مقياس بأسلوب التقرير الذاتي, من حيث وصف المشاركين لأنفسهم على مقياس (ليكرت) المكون من مجموعة من البنود على شكل جمل وصفية, أي انها تعتمد على فهم الاشخاص لأنفسهم, ويندرج تحت هذا النوع من الاختبارات المقاييس المشهورة منها: مقياس قائمة معامل الانفعال (EQ-i) للباحث (بار – أون), والتي تعد أقدم أداة لقياس الانفعالات, وهي أداة تقرير ذاتي مكون من 133فقرة موزعة على 15 مقياسا فرعيا, وكذلك اختبار خريطة الذكاء الانفعالي لكوبر وصواف ويشتمل على أكثر من 250 بندا يعالج ابعاد البيئة الحالية, والكفاءة الانفعالية والقيم والمعتقدات ومخرجات الذكاء الانفعالي , واختبار قائمة الكفاءات الانفعالية (ECI) لجولمان وبوياتزي ويقيس التقرير الذاتي وأسلوب تقرير الآخرين ويتكون من 72 عبارة تقيس كيفية تعامل الفرد مع المو اقف الانفعالية, ومقياس الذكاء الانفعالي (EIA) لجولمان ويقيس التقرير الذاتي وأسلوب تقرير الآخرين وهو تقييم لمدة سبعة دقائق لقياس مدى تواجد المكونات الأربعة للذكاء الانفعالي, ومقياس سلم مستويات الوعي الانفعالي(LEAS) ويستخدم لقياس مستويات الوعي الانفعالي الذاتي والوعي لدى الآخرين.

اختبارات تقدير المحيطين: وهو طريقة ثنائية لقياس سمات الشخصية, وهي مشابهة لطريقة التقرير الذاتي, ولكن يقوم بتقدير سلوك المفحوص, شخص أو أشخاص آخرين على معرفة كافية بالمفحوص, وتستخدم للحصول على معلومات حول إدراك الآخرين لسمات الفرد المستهدف فيما يتعلق بالذكاء الانفعالي, وتستخدم أسئلة مثل حدد مستوى (س), وتصنف مقاييس تقدير المحيطين الى نوعين على أساس من يقوم بهما, فالنوع الاول يقوم به المشرفون والرؤساء, والثاني يقوم به الزملاء بالتقدير والحكم.

مجالات الذكاء الانفعالي

تتعدد مجالات تطبيقات الذكاء الانفعالي في مجالات الحياة اليومية, ويبرز منها الذكاء الانفعالي في البيئة الأسرية, حيث تؤثر حالة اندماج الطفل مع مجتمعه طردا مع طبيعة العلاقات الاسرية التي يعيش فيها, ويتعلم الطفل الانفعالات اولا في بيته, فطبيعة العلاقة بين الطفل وبيئته الاسرية تؤثر تأثيرا بالغا في نشاطه العقلي الوجداني ايجابا او سلبا, وتشير الدراسات أن الآباء الذين يتمتعون بذكاء انفعالي مرتفع ينمو اطفالهم بطريقة صحية, ويتمتع اطفالهم بمستويات مرتفعة من الذكاء الانفعالي, وبهذا تشكل الاسرية البيئة الانفعالية الاولى

للطفل, كما تشكل البيئة المدرسية المرحلة الثانية من نمو الذكاء الانفعالي, خاصة في الجو انب النفسية والاجتماعية, ويمكن اعتبار الذكاء الانفعالي مكونا ثالثا بالإضافة إلى مكون القدرات العقلية والمهارات الفنية, فهو يعتبر منبئا جيدا للنجاح في المستقبل, إذ يتكون من عناصر مثل الثقة وحب الاستطلاع وضبط الذات والقدرة على التواصل والقدرة على التعاون, ويقوم نموذج التعليم الاجتماعي الانفعالي (S.E.L) على تعليم الأفراد المهارات الشخصية, ولمهارات (البينشخصية) التي تحتاجونها في تطوير ذواتهم, وعلاقاتهم وأعمالهم, إنها المهارات التي تسمح للتلاميذ بتهدئة أنفسهم عند الغضب, وتسمح لهم بتكوين صدقات مثمرة وتمنحهم القدرة على حل الصراعات(بلقاسم, 2014).

أهمية الذكاء الانفعالي

تكمن أهمية الذكاء الانفعالي انطلاقا مما توصلت إليه الدراسات النفسية من أن الذكاء العقلي العام غير كاف لوحده لتحقيق النجاح للفرد على صعيد المدرسة أو الأسرة أو العمل، فضلاً عن أن معطيات مهارات الذكاء الانفعالي تعد في جوهرها أساس الشخصية المتزنة الواعية التي تمتلك القدرة على ضبط انفعالاتها، والإصرار على تحقيق الأهداف رغم المصاعب، والتعاطف الوجداني مع الآخرين وامتلاك مهارات التواصل الاجتماعية، والتي تسهم جميعها في حفظ الأفراد و اتزان شخصيتهم وتقدمهم (العنيزات, 1438هـ), ويلعب الذكاء الانفعالي دورا هاما في تو افق الطفل مع والديه واخوته و اقر انه بحيث ينمو سويا مما يؤدي الى تحسين مستوى التحصيل الدراسي, كما يعتبر الذكاء الانفعالي عاملا حاسما في النجاح, " ويرى شابيرو أن الأفراد الأذكياء انفعاليا يتوفر لديهم الدافع الذاتي للإنجاز والرغبة والإرادة لمواجهة العو ائق, وهؤلاء الأفراد يتوقع نجاحهم ولا يعانون من المتاعب (سعيدة, 2020).

إجراءات الدراسة:

مجتمع الدراسة وعينتها

يتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة صعوبات التعلم الملتحقين بغرفة مصادر التعلم في مدرسة عثمان بن عفان الثانوية / مديرية التربية والتعليم للواء سحاب, للعام الدراسي 2020 / 2021 نهاية الفصل الدراسي الثاني, موزعين على صفين دراسيين هما الخامس والسادس الأساسي, حيث بلغ مجتمع الدراسة (22) طالبا, ونظرا لصغر حجم مجتمع الدراسة فقد تم اعتبار مجتمع الدراسة هو ذاته عينة الدراسة, فقد تم اختيار عينة الدراسة بطريقة قصدية, وتم توزيع (22) استبانة على طلبة غرفة المصادر, وتم استعادتها جميعا, ولم يتم استبعاد أي استبانة منها, وبذلك خضعت جميعها للتحليل.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي , المعتمد على عينة الدراسة.

تصميم الدراسة:

تحتوي الدراسة على ثلاثة متغيرات: المتغير المستقل وهو الذكاء الانفعالي, والمتغير الوسطي وهو طلبة صعوبات التعلم والمتغير التابع وهو التحصيل الدراسي للعام 2020/ 2021

أداة الدراسة:

من خلال تقصي والاطلاع على أدبيات الاطار النظري الخاص بموضوع الدراسة, لم يقف الباحث على مقاييس متعددة في المتغير المستقل للدراسة طبقت على طلبة صعوبات التعلم, وكل ما وقع عليه الباحث دراسة (القمش, مصطفى وآخرون, 2013) التي طبقت على طلبة صعوبات التعلم في محافظة الكرك, فشكلت هذه الدراسة مرجعا مهما لدراستنا, لهذا قام الباحث باستخدام مقياس الذكاء الانفعالي التي اعتمدت عليها تلك الدراسة خاصة من حيث تحكيم الاستبانات, وصدق المقياس, فقد قام الباحثون باستخدام مقياس الذكاء الانفعالي الذي أعدته (Shrink,1996) المكون من (125) فقرة, والذي قام (أبو دية,2006) بترجمته وتعييره على البيئة الأردنية حيث تكون المقياس بصورته النهائية من (96) فقرة موزعة على (5) أبعاد, حيث اشتمل بعد معرفة الانسان لانفعالاته على (18) فقرة, وبعد إدارة الانفعالات والتحكم بها على (22) فقرة, وبعد تحفيز الإنسان لذاته على (21) فقرة, وبعد تقدير انفعالات الآخرين على (14) فقرة, وأخيرا بعد إقامة العلاقات الاجتماعية على(21) فقرة.(القمش, 2013).

صدق المقياس:

يؤكد القمش أن (أبو دية.2016) قد عرض المقياس بعد ترجمه على عشر محكمين من حملة الدكتوراه في مجال علم النفس والإرشاد النفسي في الجامعات الأردنية، بهدف تقييم الفقرات و إبداء ملاحظاتهم من حيث درجة ملاءمتها لقياس الذكاء الانفعالي, فقرة. كما قام الباحثون في هذه الدراسة التحقق من الصدق العاملي للمقياس من خلال تطبيق المقياس على عينة مكونة من (N=80), حيث أجري التحليل العاملي لاستجابات الطلبة على فقرات المقياس باستخدام طريقة المحاور المكونات الرئيسة (Principal Axis Factoring) تبعه إجراء تدوير فاريماكس المتعامد Varimax Rotation, وتبين من أن المقياس يتمتع بدرجة صدق مقبولة.

ثبات المقياس:

وللتحقق من ثبات المقياس قام أبو دية بتطبيق معامل ارتباط بيرسون حيث بلغت قيمته (٠.٨٦) وهي قيمة مقبولة إحصائيا لغايات البحث العلمي. وفي الدراسة الحالية, حسب الثبات بطريقة الاتساق الداخلي على عينة أخرى غير التي تم تطبيق المقياس عليها مكونة من (٦٠) طالبا وطالبة، وبلغ معامل ألفا لكرونباخ (٠,٨٨)مما يؤكد

محافظة المقياس على ثباته.

تطبيق الأداة:

تم تطبيق أداة الدراسة على جميع طلبة صعوبات التعلم الملتحقين في غرف مصادر التعلم في مدرسة عثمان بن عفان الثانوية للبنين, مديرية تربية لواء سحاب, نهاية العام الدراسي 2020 / 2021, موزعين على جميع الصعوبات التعلمية (قراءة، كتابة، حساب) حيث قام الباحث بمناقشة الاستبانة وفقراتها وما تهدف إلى قياسه مع الطلبة، وتمت الإجابة عليها بطريقة ذاتية من قبل الطلبة وذلك بعد تزويدهم بالتعليمات الدقيقة والخاصة بطريقة الإجابة، وقد تسلم الباحث الاستبانات المعبأة خلال نفس اليوم، وبعد استعادة الاستبانات وتدقيقها كانت جميع الاستبانات مجاب عليها, وجميعها سليمة وعددها (22) استبانة صحيحة, أخضعت للتحليل.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي نصه:

ما أبعاد الذكاء الانفعالي السائدة لدى طلبة صعوبات التعلم في مدرسة عثمان بن عفان؟

وبحساب المتوسطات الحسابية والانحر افات المعيارية لأبعاد الذكاء الانفعالي الخمسة , فقد لاحظ الباحث أن أكثر الابعاد شيوعا كان بعد (إقامة العلاقات الاجتماعية), فقد اختاره سبعة طلاب, وبنسبة (36.3%) من مجموع العينة وبمتوسط حسابي (26.6%), , وجاء في المرتبة الثانية البعد (تحفيز الانسان لذاته) واختاره خمسة طلاب, وبنسبة (22.7%) من مجموع العينة, وبمتوسط حسابي (24%), واحتل البعد (معرفة الإنسان لانفعالاته) المرتبة الثالثة واختاره أربعة طلاب وبنسبة (18.1%) من مجموع العينة , وبمتوسط حسابي (23.3%), وجاء بعد(إدارة الانفعالات والتحكم بها), واختاره ثلاثة طلاب وبنسبة (13.6%) من مجموع العينة, وبمتوسط حسابي (14%), واخيرا بعد (تقدير انفعالات الآخرين) واختاره طالبان, وبنسبة (9%) من مجموع العينة وبمتوسط حسابي (13%), ومن خلال استقراء نتائج السؤال الاول نلحظ تو افر أبعاد الذكاء الانفعالي عند طلبة صعوبات التعلم وبنسبة جيدة جدا تسمح بتطويرها للاستفادة منها في تنمية التحصيل الدراسي, ونعلل سبب ارتفاع بعد (إقامة العلاقات الاجتماعية),بأن طلبة صعوبات التعلم تحاول تعويض فرق التحصيل الدراسي عن اقر انه بعمل علاقات اجتماعية تظهر شخصيتهم داخل الغرفة الصفية, من نحو أن يكون مسؤولا عن النظام, ومشرفا على الطلبة, ويحب طلبة الصعوبات الذوبان داخل المجموعات التعليمية, وتنجز الاعمال التي تطلب منها, وهم فئة متعاونة مع الزملاء, مما ساهم بتطوير الذكاء لديهم, كما نلحظ أن البعد (تقدير انفعالات الآخرين) احتلت مرتبة متأخرة من بين الابعاد وقد يعود ذلك لضعف قدراتهم وتشتت الانتباه ومشكلات إدراكية, وعدم اكتراث لانفعالات الاخرين فما يهم هذه الفئة الاستفادة من خبرات الآخرين.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي نصه:

ما مستوى الذكاء الانفعالي السائدة لدى طلبة صعوبات التعلم في مدرسة عثمان بن عفان؟

وقد تم تمثيل هذا السؤال من خلال تقديم مقياس الذكاء الانفعالي للطلبة مكون من(68) فقرة وطلب من افراد العينة اختيار ما يعتقد أنه يمثله بوضع علامة داخل المربع الذي يريده وقد توزعت العلامات بين (لا تنطبق تماما) و(نادرا ما تنطبق) و(تنطبق احيانا) و(تنطبق غالبا) و(تنطبق تماما).

وبتحليل نتائج اجابات الطلبة توصلنا للنتائج التالية:

يمتلك طلبة صعوبات التعلم مستويات الذكاء الانفعالي الأتية بصورة مرتفعة وذات دلالة, فهم يستطيعون إخبار الناس بمشاعرهم, وأحاول أن أجعل لحياتي معنى, أتقبل ذاتي, ولدية فكرة واضحة عما يرغبه في حياته, يعتمد الآخرون علي, يعتقد أهلي بأني شخص اجتماعي, لدي القدرة على تهيئة نفسي لجميع المو اقف, أغضب من أتفه الأسباب, وعندما أغضب اتصرف دون تفكير, اندفاعي يسبب لي المشاكل, يسهل على فهم أشياء جيدة, أحاول فهم المشكلة حتى اتمكن من حلها, وأجيد حل المشكلات, لدي أمل بما هو أفضل في المستقبل, أكون دوما مبتسما, أعرف كيف اقضي اوقات جيدة, راضي عن شخصيتي, اعتقد أنني الأفضل في كل ما انجزه مقارنة بغيري.

وقد لاحظ الباحث من خلال مقياس الذكاء تدني مستوى الذكاء عند طلبة صعوبات التعلم بصورة ذات دلالة في المجالات الآتية: لا يثق بنفسه, لا يعرف الأمور التي يجيدها, يفضل أن يتخذ الآخرين قراراته بدلا منه, يميل أن أكون تابعا أكثر من أن يكون قائدا, ليست لديه فكرة عما يريد, يصعب عليه إبداء شاعره تجاه الاخرين, يعتمد على افكار الآخرين عندما يعمل معهم أكثر من الاعتماد على أفكاره الخاصة, ولا يتقن استخدام طرق مختلفة للإجابة عن الأسئلة الصعبة, ويتهرب من الأمور الصعبة.

وعند مقارنة نتائج مقياس الذكاء الانفعالي بسجل مستوى الطلبة التحصيلي, فقد لاحظ الباحث تحسن مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة الذين يمتلكون مستويات مرتفعة من الذكاء الانفعالي, فلاحظ الباحث أن بعض الطلبة ممن يمتلكون الذكاء الانفعالي يجهدون أنفسهم حتى يصل لمستوى أقر انه من الطلبة العاديين, بل كثيرا ما يقارن نفسه بهم ويرى أنه أفضل منهم, مما دفع الباحث للخروج بالتوصيات التالية بناءً على نتائج مقياس الذكاء الانفعالي:

التوصيات:

- ضرورة إعداد برامج تدريبية ذات علاقة بتنمية أبعاد الذكاء الانفعالي المختلفة لدى الطلبة ذوي صعوبات التعلم بشكلٍ خاص لما له من أهمية كبرى في زيادة دافعيتهم نحو التحصيل الدراسي.

ـ الاهتمام بشكل علمي بأسباب انخفاض مستوى بعض أبعاد الذكاء الانفعالي لدى الطلبة ذوي صعوبات

التعلم وعلاقة ذلك بتدني تحصيلهم الدراسي.

المراجع و المصادر:

1. بلقاسم, محمد (2014), الذكاء الانفعالي وعلاقته بالانجاز الدراسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي, رسالة ماجستير, جامعة وهران, كلية العلوم الاجتماعية, قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا.

2. أبو دية، اشرف (2006) فاعلية برنامج إرشاد جمعي في تنمية دافع الإنجاز والذكاء الانفعالي لدى طلبة الصف الثامن الأساسي في مدارس الزرقاء الحكومية". رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الهاشمية. الزرقاء. الأردن.

3. راضي، فوقية (٢٠٠١), العلاقة بين الذكاء الانفعالي والتحصيل الدراسي والقدرة على لتفكير الابتكاري. المجلة التربوية, 2 (11), جامعة عين شمس. القاهرة.

4. رزق الله، رندة , (2006), فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الانفعالي، دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق على عينة من تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية.

5. سعيد, سعاد جبر(2015) الذكاء الانفعالي وعلم النفس التربوي, ط1, عالم الكتب الحديث, إربد.

6. عثمان، فاروق السيد ورزق، محمد عبد السميع (٢٠٠١) الذكاء الانفعالي: مفهومه وقياسه. مجلة علم النفس التربوي، المجلد 58, العدد.15

7. العنزي, يوسف بن سطام (2010), الذكاء الانفعالي والسمات الشخصية لدى المنتكسين وغير المنتكسين على المخدرات, أطروحة دكتوراه, جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية, الرياض.

8. العلوان, أحمد (2011),الذكاء الانفعالي وعلاقته بالمهارات الاجتماعية و أنماط التعلّق لدى طلبة الجامعة في ضوء متغيري التخصص والنوع الاجتماعي للطالب, المجلة الاردنية في العلوم التربوية, م 7, ع 2

9. العنيزات, صباح حسن (1438 هـ), الذكاء الانفعالي دراسة مقارنة بين الطلبة المتفوقين أكاديمياً والطلبة العاديين في المرحلة الأساسية في الأردن وعلاقتها بمتغيري الجنس والعمر, مجلة العلوم التربوية, العدد التاسع, ربيع الآخر.

10. الملي, سهام (2010), الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة من المتفوقين والعاديين (دراسة ميدانية على طلبة الصف العاشر من مدارس المتفوقين والعاديين في مدينة دمشق), مجلة جامعة دمشق, المجلد 26, العدد الثالث.

11. القمش, مصطفى, والجوالده, فؤاد، المعايطة, خليل، الهباهبة, عبد الله (2013), أبعاد الذكاء الانفعالي السائد لدى طلبة صعوبات التعلم في محافظة الكرك بالأردن و أثره على نوع صعوبة التعلم، الجنس، والصف الدراسي, مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية), المجلد ٢٧, العدد 4.

12. هاشم, سامي محمد(2004), الذكاء الانفعالي وعلاقته بالصحة النفسية, دراسات عربية في علم النفس, دار غرب للطباعة والنشر, القاهرة, المجلد الثالث, العدد الثالث.

13. How Can I Improve Emotional Intelligence (EQ) Medically reviewed by Kendra Kubala, PsyD — Written by Hilary I. Lebow — Updated on June 6, 2021) https://psychcentral.com/lib/what-is-emotional-intelligence-eq

الشيخ عبد العزيز الوَلَفّلِي رحمه الله؛ حياته ومساهمته في خدمة اللغةالعربية والعلوم الشرعية

د.مولاي لخضر نجيحة

دكتوراه تعليمية اللغة والنص الأدبيبجامعة تمنراست، الجزائر

محمد عبد الصمد

باحث الدكتوراه بكلية تونجان الحكومية التابعة لجامعة كاليكوت

Abstract: Kerala has centuries of heritage with Arabs and Arabic language. And it is doubtless to say that Arabic Language and literature had its deep roots in the soil of Kerala from the early eras itself when the sun of Islam rose on the shores of Kerala. And it is crystal clear that the scholars of Islamic Sharee'a who have been devoted themselves in the field of Learning and Teaching have a vital role in establishing a heartfelt relation between Arabic language and the non-Arabic Society of Kerala. We can see many Keralite Scholars who took the lead in rise and growth of this relation. Thus, Shaikh Abdul Azeez Al Walappily was a radiant personality who offered many vital contributions in the contemporary world of Arabic language and especially, Arabic linguistics.The aim of this research article is to introduce his contributions, to the Arab world, from the numerous writings of him; who was known as a famous religious-teacher, linguistic scholar and author of Kerala, uniformly.

الملخص: هذا البحث يستهدف إلى التعريف عن إسهامات أدبية وعربيةلعالمٍ إسلامي سنّي عاش قبل قرنٍ واحدٍ في كيرالا؛ العلامة عبد العزيز الولفلي الفناني المليباري رحمه الله. ويستم من خلال البحث رسم حياته و آثاره العلمية والبحثية وتسليط الضوء على إسهاماته في مجال التأليف العربي ومساهماته في النثر العربي والشعر العربي أيضا.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية وآدابها، العلوم الشرعية، كيرالا، المؤلفات

المدخل: تتمتّع ولاية كيرالا الهندية بتاريخ مجيد لقرونها الماضية الثرية بعلاقاتها الثنائية مع العرب واللغة العربية. ومما لا شك فيه أن للغة العربية وآدابها جذورا عميقة في تربة ولاية كيرالا منذ العصور الأولى عندما أشرقت شمس الإسلام على شواطئها. ومن الواضح تمامًا أن علماء الشريعة الإسلامية الذين كرسوا أنفسهم في مجال التعلم والتعليم لهم دور لا ينكر في إقامة علاقة وطيدة بين اللغة العربية والمجتمع العجمي في ولاية كيرالا. يمكننا أن نرى العديد من علماء ولاية كيرالا الذين أخذوا زمام المبادرة في صعود ونمو هذه العلاقة. وهكذا كان الشيخ عبد العزيز الولفّلي شخصية متميزة قدم العديد من الإسهامات الحيوية في عالم اللغة العربية المعاصروخاصة في مجال بحوث اللغويات العربية. الهدف من هذا البحث هو التعريف بإسهاماته في العالم العربي من خلال كتاباته العديدة.

ترجمة الشيخ عبد العزيز الولفلي

هو فضيلةالعلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله مسليار الولفّلي دارًا الفنّاني بلدا رحمه الله ونفع به الإسلام والمسلمين. ولد الشيخ عام 1273هـ[1] في منطقة فنّان نجلا للشيخ عبد الله مسليار الفناني الّذي كان أحد أفاضل علماء فنّان. أما نسبه فأجمع المؤرّخون على أنه ينتمي إلى الشيخ عثمان. يقول الشيخ السيد إبراهيم الخليل البخاري : "وقد وجدنا على غلاف نسخة خطية لكتابه مناقب سيدنا حمزة ﷺ بيتا ظاهره أنه للمؤلف رحمه الله ، لعلّ الكاتب نسخه عن نسخة المؤلف - والله أعلم - وهو:

مَالِكُ ذَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْجَانِي أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ مِنْ عُثْمَانِ

إلا أنهم اختلفوا في تعيين الشيخ عثمان هذا، فقال البعض إنه الشيخ عثمان المخدومي؛ صاحب كتاب عين الهدى شرح قطر الندى.[2] واستُدِلّ لهُ بعبارة تلميذه الشيخ أحمد بن موسى البردلي حيث قال واصفا المؤلف :

سَلِيلُمَخْدُومِنَا الْأَعْلَام بِضْعَتُهُمْ لَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْآبَاءِ فِي الْحَسَنِ

ويعضد المذكوروصفُ ابنِ أخته الشيخ محمد بن إسماعيل الفنّاني المعروف بـ "باوى مسليار الولفّلي" المؤلفَ بأنه معبريّ في بداية شرحه لكتاب الميزان في علم التصريف.[3]هذا، وقد نقل عن الشيخ المؤرّخ محمد علي مسليار النلكّتي

---

(1) وفي بيان أسماء المؤلفين للمواليد المختلفة للشيخ محمد علي مسليار النلكتي أن عام ولادته هو 1269. ولعلّ ما أثبتناه هو الصواب لأنه الّذي يتضح من قول أستاذه الشيخ كويا كوتي مسليار، قد ورد ذكره في مرثية الشيخ أحمد بن موسى البردلي رحمه الله حيث أنشد:

طَوِيلُ شَأْنٍ قَصِيرُالْعُمْرِوَهْوَ حَوَى كَثِيرَخَيْرٍوَلَمْ يَجْمَعْهُ فِي الْأَسَنِ
إِذْ كَانَ خَمْسِينَ إِلَّا وَاحِدًا وَبَدَتْ مِنْ قَوْلِ أُسْتَاذِهِ الْعَالِي عَلِي حَسَنِ
عَبْدُ الْعَزِيزِبْن عَبْدِ اللهِ مِنْ رَجَبٍ تَمَامُهُ قَوْلُهُ الْآتِي اسْمَعَنْهُ مِنِي
فِي الْأَيْبِ دُبْلَ جَنُوحِ الْأَرْبِعَا وُلِدَا فَاحْسُبْ جَمِيعَ حُرُوفٍ قَالَهَا تَبِنِ

(2) وهو ختن الإمام زين الدين المخدوم الكبير جد صاحب فتح المعين رحمهم الله. توفي سنة 991 وقبره في مقبرة جامع فنان.(Ponnani)

(3) وعبارته : وفي الكلام على البسملة أبحاث شريفة وتنبيهات شتى سمحنا بها في حاشيتنا على عمدة التعريف في نظم مختصر التصريف للزنجاني من تأليف الشيخ العلامة الفاضل خالنا عبد العزيز بن عبد الله المعبري الفنّاني تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.اهـ ص:2، شرح كتاب الميزان للشيخ باوى مسليار الولفلي

رأيُ أنه الشيخ عثمان مسليار المعروف بـ"أُتَّانْ مُسْلِيَارْ"[1] المتصل نسبه إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفّانٍ ﷺ.[2]

الدراسة والمشايخ

وبعد أن تلقى دراسته الابتدائية من والده نفسه، تابع دراسته لدى عديد من العلماء العباقرة مثل الشيخ باوى مسليار الصغير الفنّاني، والشيخ علي حسن المخدوم المعروف بـ "كويا كوتي مسليار" والشيخ زين الدين المخدوم الأخير رحمهم الله تعالى أجمعين.

في مجال التدريس

هذا، وكان حلقة درسه واحدة من تلك الحلقات العلمية الممتازة والمشهورة آنذاك. بدأ يقيم حلقته أولا في جامع فنّان الكبيروذلك من عام 1298 إلى عام 1304 هـ. ثم انتقل إلى منطقة بَانْدِكَاشَالَا و أقام هناك إلى عام 1307 هـ. وبعد ذلك أسّس حلقته في الجامع الشرقي بمنطقة بردل من جنوب مليبار. وتابع الشيخ تدريسه هناك إلى عام 1322 هـ، العام الّذي توفي فيه.

تلامذته

وَلِنعْرَفَ عِظَمَ شخصيته المباركة يَكْفِينَا مجردُالوقوف على قائمة هؤلاءالعلماء المتميزين والمحققين الّذين تخرجواعلى يده والّذين ساهمواالشيءالكثير في النهضات الدينية و التربوية في الديَار المليبارية في القرن الماضي. فمن أجلِّ تلامذته الشيخ عبدالرحمن مسليار البانايكّلامي المشهوربـ"العروس"، والشيخ الحاج أحيمدالتشاليلاكاتي والشيخ أحمد بن موسى البردلي المشهوربـ"أَمُّوكَّاِي مُسليار" والشيخ موسى بن أحمد البردلي[3] وغيرهم من الأعلام.

وصف حلقة درسه

ومن أحسن ما وصل إلينا في وصف حلقة درسه المبارك، ما قام ببيانه أحد تلامذته الشيخ موسى بن أحمد البردلي في كتاب «تذكرة الفصول»وهو منقول فيما يلي حتى يتمكن القارء من أن يتعرّف على بهاء حلقة درسه وأساليب تربيته قلبا وقالبا:

"ثم إن والدنا كان صديقا ومحبا لشيخنا الكبير عبد العزيز الفنّاني وكان مدرّسا في الجامع الشرقيّ فسأل الشيخ والدنا عن أولاده فقال إن ولديّ موسى ومحي الدين يقرآن في المسجد الورّتنكلي فأمره أن يضمّنا إلى درسه فضمّنا إليه

[نظام قراءة أكابر الطلبة على الأصاغروبيان الكتب التي كان يدرسها الشيخ]

---

(1) وهو المدفون في مقبرة مسجد تُوتُونْغَالْ بفَنَّانْ. اهـ

(2) ويمكن أن يجمع بين هذين الرأيين بأن نسب الشيخ عثمان المخدومي ينتمي إلى الشيخ أُتَّانْ مُسْلِيَار المتقدم. إلا أنه يشكل فيه نسبة الشيخ المؤلف والشيخ عثمان صاحب عين الهدى إلى المعبر لأن أُتَّانْ مُسْلِيَار لم يعرف بأنه معبريٌّ وقد عاش قبل قدوم أسرة المخاديم إلى فنّان والله أعلم.

(3) المتوفى سنة 1393 هـ

فأحبّنا وأسْلَمَنَا إلى بعض تلامذته الفاضلين ووكّله أن يقرأنا باقي التحفة وقطر الندى؛ لأن الشيخ كان يقرأ على تلامذته الألفية وما فوقها إلى مختصر المعاني شرح التلخيص، وكتب المنطق وسائر العلم من سائر الفنون فضلا في علمي العروض والقافية ورسالة الماردينية وغيرها ممّا لا يحصى. فلمّا أتممنا كتاب قطر الندى شرعنا في قراءة الألفية فقرأها علينا الشيخ الكبير مع شركائنا منهم الحاجي أحمد بن الحاجي محيي الدين الكنّنتريّ الشرقيّ - الّذي كان مقيما في جندرور بعد حجّه وتزوُّجِه، المتوفّى هناك- وغيرُه من التلامذة المشهورين

[تعامله مع الطلبة]

وكان الشيخ رجلا جليلا مهابا شفيقا على المتعلّمين يوزّع أوقاته على ترتيب الدرس وعلى وظائفه وأوراده.

[درسه لشرح ألفية ابن مالك]

فكان يقرأ علينا الألفية صباح كلّ يوم ويمتحن التلامذة بحفظهم فكان يأمرنا أن يقرأ واحدٌ بعد واحد بيتا بيتا على ترتيب النظم حتى أتممنا جميعا ما حفظناه على ظهر القلب وبين ذلك يسألنا عن القواعد المفهومة من الأبيات وطريقة درسه أنه ~ يقرأ أبياتا منها بقدر ما يقرأ كل يوم على الحفظ ويعربها ويبيّن معانيها ثم يشرع في قراءة الشرح فيحلّه ويوفّقه للمتن فكان يقرأ كذلك علينا مقدار ساعة ونصفها.

[محافظته على الأوقات]

وبعد الفراغ يقوم ويتغذى على قصر المسجد ثم يرجع فيشرع في درس آخر إلى أن مضى ثلث النهار ثم يصلّي الضحى ويصعد القصر ويقبل وينتبه قبل الزوال بربع ساعة فيتوضّأ ويصلّي الظهر مع الجماعة لأوّل وقتها وبعد الرواتب البعدية يشرع في الدرس بمقدار ساعة ثم يقوم إلى التعشّي وبعد الفراغ يشرع في درس آخر إلى أن حان وقت العصر فيصلّيه وبعده يشرع في الأوراد ثم يطالع الكتب إلى أن وقت المغرب

[وظائفه بين العشائين]

فيصلّيها مع الرواتب فيجلس المتعلّمون في داخل المسجد حلقا حلقا فيقرأون والشيخ يدور في الزاوية الشمالية قارئا ورده وإذا احتاج أحد من المتعلّمين إلى سؤال الشيخ في حل المشكلات.. يقف عند أي باب من المسجد إلى الزاوية فيقف الشيخ ويجيبه

[اعتناءه بدراسة الطلبة]

فإذا حان وقت العشاء يقعد عند باب الزاوية فيدعو ثم يقوم إلى الرحبة المتسعة أمام المسجد فيصلّي العشاء إماما لأول وقتها مع جماعة قليلة والمتعلّمون يقرأون ولا يؤذّن الأذان الراتب للعشاء إلا إذا مضى مقدار ساعتين من المغرب فإذا أذّن يختمون الدرس ويصلّون جماعة في داخل المسجد

[اشتغاله حتى ولو بعد العشاء]

وكان الحاجّ الفاضل الشيخ محيي الدين الكنّنتري الشرقي صديقا ومحبّا وملازما للشيخ رحمه الله وحاضرا

مع الجماعة في كل صلاة وبعد ما صلّى الشيخ العشاء وروا تيها كان يجلس مع صديقه المذكورويقرأ عليه كتاب السير أو غيره إلى أن يفرغ المتعلّمون من صلاة العشاء الأخيرة ويذهبوا إلى محالّهم فيرجع الحاجي إلى داره ويجاء من ديارأهل كنّنتر بطعام العشاء للشيخ فيأكله مع خادمه ويعطي ما فضل للمتعلّمين الّذين لم يذهبوا إلى محالّهم فإذا مضى ثلث الليل يصعد القصروينام

[وظائفه بعد اليقظة]

ويستيقظ قبل الفجر بساعة فيصلّي التهجّد ويشتغل بالأوراد حتّى أذّن لصلاة الفجر فإذا صلى الصبح يقعد ويشرع في الأوراد الفتحية ويختمها عند طلوع الشمس، ثم يشرع في الدرس كما تقدّم، وهذا دأبه كلّ يوم.

[حرصه على الصلاة]

وكان يعجّل الصلاة لأوّل وقتها ويحرّض المتعلمين على ذلك ويعزّر كلّ من لا يحضر تكبيرة التحرّم.

[قراءة كتب خاصة أسبوعيا وذكر بعض تأليفه رحمه الله]

وكان بينما يقرأ علينا الألفية يقرأ علينا كل يوم الخميس كتبا أخر، منها: متن السمرقندي والبهجة السنية التي نظّمها هو وشرحها فتح واهب العطية الّذي ألّفه بعد النظم وغيرها. وكان رحمه الله أهدى إليّ حبرا أحمر مع ظرفه وقلما أسود يأمرني بكتابة المتن بالأحمروالشرح بالأسود واستكتبني كتاب فتح واهب العطية فكتبته له على ما أمرني به

[ما نال التلميذ بدعاء الشيخ]

وكان يستخدمني أيضا وفي بعض الليالي الحارّة ينزل من القصر ويوقظني ويضطجع في أيّ محلّ من الزاوية ويأمرني بالترويح على نفسه فأروّحه تارة إلى أن هبّ من نومه فإذا استيقظ ورآني مروّحا عليه كان يقول لي: أنت إلى الآن تروّح! لم فعلت ذلك؟، أقول: لكي أنال الرضاء به من حضرتكم فيقول لي: أنت تصيركبيرا ويكرّرذلك مرارا لعلّ الله سبحانه وتعالى أجاب دعوته فنلت ما يسّر الله عليّ والحمد لله على ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء جزاه الله عنّي خيرا كثيرا.

[حجه مرة ثانية]

ولم يزل يقرأ علينا كما سبق حتّى إذا انتهينا إلى باب العطف من الألفية عزم على الحجّ ثانيا إلى بيت الله الحرام فتهيّأ لذلك وتهيّأ معه جماعة من أغنياء قريتنا منهم شيخنا أحمد بن موسى الكنّنتري وغيره فخرجوا كلّهم راكبين من شرق الجامع وذلك سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة فوصلوا إلى الحرمين الشريفين فحجّوا وزاروا ثمّ رجعوا سالمين غانمين.

[سبب رجوعه لبلدته]

وقد كان صديق الشيخ الحاجّ الفاضل محي الدين الكنّنتري مات ليلة عيد الفطر من تلك السنة، فلمّا رجع

الشيخ إلى قريتنا ورأى أحوالها بعد موت صديقه كتب على جدار المسجد مرثية له وكره الإقامة في المسجد للدرس فعزم على رجوعه لبلدته

وكان قال لي عند ارتحاله: إني لأرجو أن أقيم درسا في جوار بلدتنا فإن ساعدني الله على ذلك سأعلمك بذلك فلتصل إلينا فتقرأ عندنا إن شاء الله تعالى، فلم يوفّق الله على ذلك لهجوم وفاته قبل ذلك وذلك في ضحى السبت العشرين من رجب سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبويّة كما ذكره شيخنا الصغير أحمد [1] في قصيدته الّتي رثّاه بها المسمّاة بالقصيدية النحيبية بالمحاسن العزيزية وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها سبعا وسبعين بيتا."[2]

وفيما يلي أوائل تلك المرثية المذكورة:

زَالَ الهَنَـا وَسُـرُورُ القَلْـبِ مِـنْ حُـزْنِ أَجْرَ اقُـهُ زَمَنًـا يَـزْدَادُ عَـنْ زَمَـنِ

مِـنْ كُـلِّ نَاحِيَـةٍ تَـأْتِي عَسَـاكِرُهُ وَلَـيْسَ مِنْهَـا مَفَـرٌّحـمّ فِـي مـدن

فَلَـذَّةُ الطُّعْـمِ وَالْمَشْـرُوبِ ذَاهِبَـةٌ وَالنَّـوْمُ طَـارَلَـهُ عَنِّـي وَأَرَّقَنِـي

وَلَا أَظُـنُّ سُـلُوًّا مِنْـهُ لِـي أَبَـدًا وَلَا أَرَى مَـنْ لَـهُ التَّخْلِـيصُ مِـنْ مِحَنِـي[3]

فَطُفْـتُ وجْـهَ الْأَرَاضِـي كَـيْ أَفُـوزَبِمَـنْ لَدَيْـهِ سُـؤْلِي فَلَـمْ يُوجَـدْ وَلَـمْ يَكُـنِ

وَكُنْـتُ أَبْكِـي بُكَـا الْخَنْسَـاء إِذْ فَجِعَـتْ بِصَـخْرِهَا إِذْ عَرَانِـي أَعْظَـمُ الشَّـجَنِ[4]

وَلَـمْ أَكُـنْ قَـطُّ أَدْرِي مَـا الْبُكَـاءُ وَمَـا دَرَيْـتُ مَـا الْوَجْـعُ وَالْأَسْـقَامُ لِلْبَـدَنِ

---

(1) أي الشيخ أحمد بن موسى البردلي السابق ذكره

(2) تذكرة الفصول، الشيخ موسى بن أحمد البردلي

(3)قوله (محني) والمِحْنَةُ: واحدة المِحَنِ التي يُمْتَحَنُ بها الإنسان من بليَّةٍ. ومَحَنْتُهُ وامْتَحَنْتُهُ، أي اختبرته «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»

(4) الشجن الحزن والجمع أشجان «مختار الصحاح» ص: 161.

فَكَانَ يَبْكِي بُكَا النُّكْدِ الْمُثَاكِلِ[1] لَيْـ ـسَ الْعَقْلُ فِيهِنَّ كُلُّ الْخَلْقِ جَاوَبَنِي

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَ لِي حِينٌ يَجُودُ بِصَبْـ رِأَوْسُلُوٍّ فَيَا دَهْرِي تُسَاعِدُنِي

إِنِّي هَلَكْتُ هَلَاكًا لَا أُكَيِّفُهُ مِنْ حَادِثٍ عَمَّ لِي كُلًّا بَلْ وَأَزْعَجَنِي

فَكَيْفَ لَا وَمُحَيَّا الْأَرْضِ مُكْتَئِبٌ[2] إِذْ كُلُّ خَيْرٍ غَدَا فِي الْقَبْرِ بِالْكَفَنِ

إِذْ مَا جَرَى لِلِقَاءِ اللهِ أَبُو السُّرْجِ الَّذِي ضَاءَ مِنْهُ السِّرُّ كَالْعَلَنِ

أَضْحَى ضُحَى السَّبْتِ أَيْ عِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ مِنْ عَامِ غَشْكَبْ[3] رَحِيلُ الْعَالِمِ الْفَطِنِ

عَبْدُ الْعَزِيزِبْنِ عَبْدِ اللهِ نَشْأَتُهُ فِي الْعِلْمِ وَالْخَيْرِوَالْإِحْسَانِ وَالْمِنَنِ

نَجْلُ[4] الْكِرَامِ الَّذِينَ الْعِلْمُ مُنْتَشِرُ مِنْهُمْ إِلَى سَائِرِالْبُلْدَانِ وَالْمُدُنِ

سَلِيلُ[5] مَخْدُومِنَا الْأَعْلَام بِضْعَتُهُمْ لَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْآبَاءِ فِي الْحَسَنِ

سَمَا كَمَا قَدْ سَمَا مِنْ بَيْنِنَا عَلَمًا إِذْ كَانَ عَبْدًا مُضَافًا لِلْعَزِيزِعُمِي

فَصَارَعَبْدًا عَزِيزًا لَيْسَ يُشْبِهُهُ عَزِيزُمِصْرٍوَلَا سَيْفُ بْنِ ذَى يَزَنِ

---

(1)قوله (المثاكيل)كثير الثكل الثُّكْل: الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ. والثُّكْل والثَّكَل، بِالتَّحْرِيكِ: فِقْدان [فُقْدان] الْحَبِيبِ وأكثر مَا يُسْتَعْمَلُ فِي فُقْدان المرأَة زَوْجَها «لسان العرب»

(2)قوله (المكتئب) مُكْتَئِبُ اللَّوْنِ: إذا ضَرَبَ إِلى السَّواد، كَمَا يَكُونُ وَجْهُ الكَئِيبِ«لسان العرب»

(3)قوله (من عام غشكب) أي عام 1322هـ

(4)قوله (النجل) النسل«مختار الصحاح»

(5)والسليل: الولد سمي سليلا لأنه خلق من السلالة «لسان العرب»

بَحْـــرُ الْعُلُـــومِ جَمَـــالُ الـــدِّينِ جَـــدَّدَهُ ... بِالـــــدَّرْسِ لِلْعِلْـــــمِ وَالْإِرْشَـــــادِ للسُّـــــنَنِ

وَإِنَّ ذَاكَ لَتَـــــأْتَمُّ الْهُـــــدَاةُ بِـــــهِ ... كَأَنَّـــــهُ عَلَـــــمٌ وَالنَّـــــارُ فِـــــي الْقُـــــنَنِ[1]

حَـــــلَّالُ مُشْـــــكِلَةٍ دَلَّالُ مُعْضِـــــلَةٍ ... فَصَّـــــالُ مُجْمِلَـــــةٍ أَعْيَـــــتْ ذَوِي الْفِطَـــــنِ

وَكُـــلُّ صَـــعْبٍ لَدَيْـــهِ كَالْحَدِيـــدِ لَـــدَى ... دَاوُودَ فِـــي حَـــالِ صُـــنْعِ الـــدِّرْعِ وَالْجُـــنَنِ

اَلْأَلْمَعِـــيُّ الْأَدِيـــبُ الْحَـــاذِقُ الْفَهِـــمُ الْـــ ... حَبْـــرُ الْهُمَـــامِ الْجَلِيـــلُ الْمَـــاهِرُ الـــذَّهَنِي

كَـــمْ عِلْـــمِ عَقْـــلٍ وَنَقْـــلٍ فِيـــهِ لَـــيْسَ لَـــهُ ... ثَـــانٍ يُمَاثِلُـــهُ فِـــي الشَّـــامِ والْـــيَمَنِ

وَكَـــمْ أَرَانَـــا بِلُطْـــفٍ مِنْـــهُ غَامِضَـــةً ... وَكَـــمْ هَـــدَانَا بِنُطْـــقٍ مِنْـــهُ كَـــاللّبَنِ

وهناك مرثية ثانٍ له رحمه الله، قد تم نظمها على يد الشيخ محمد مسليار الوازكادي، وهي كما يلي:

سُـــبْحَانَ مَـــنْ هُـــوَ حَـــيٌّ دَوْمَ أَزْمَـــانِ ... مُحْيِـــي الـــوَرَى وَمُمِيـــتٌ مَـــا لَـــهُ ثَـــانِ

صَـــلَّى عَلَـــى خَيْـــرِ مَبْعُـــوثٍ بِفُرْقَتِـــهِ ... بَكَـــتْ لَـــهُ الأَرْضُ يَـــا مَـــوْلاَيَ أَشْـــجَانِي

أَجَابَهَـــــا اللهُ أَنِّـــــي قَـــــدْ أُنَوِّبُـــــهُ ... أَهْـــلِ الوِرَاثَـــةِ فِـــي عِلْـــمٍ وَعِرْفَـــانِ

فَمِـــنْهُمُ العَـــالِمُ المَشْـــهُورُ ذُو الْكَـــرَمِ ... عَبْـــدُ العَزِيـــزِبْـــنُ عَبْـــدِ اللهِ فنَّـــانِي

العَـــادِلُ الـــوَرِعُ الحَـــاوِي مَكَـــارِمَ أَخْـــ ... لاَقٍ مُـــدَرِّسُ مَـــا مِـــنْ كُـــلِّ أَفْنَـــانِ

(1)قوله (القنن) جمع القُنَّةُ بالضم: أعلى الج بل «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»

نَحْــوًا وَصَــرْفًا وَفِقْهًــا وَالبَــدِيعَ مَعَــا نِـي وَالقَــوَافِي عَرُوضًــا فَــيْضُ مَنَّــانِ

فَضْــلاً بِعِلْــمِ بَيَــانٍ والتَّصَــوُّفِ تَــوْ حِيــدٍ وَمَنْطِــقِ تَفْسِــيرٍ لِقُــرْآنِ

وَمَــا عَــدَاهُ فَرِيــدُ الــدَّهْرِ مُنْتَخَــبٌ لَــهُ تَصَــانِيفُ شَــتَّى قَــرْمُ شِــجْعَانِ

كَــنَظْمِ مُخْتَصَــرِ العِــزِّي وَنُزْهَــةِ أَسْــ مَــاعٍ وَنَظْــمِ سَــمَرْقَنْدِيَّةٍ دَانِــي

بِشَــرْحِهِ فَــتْحُ وَاهِــبِ العَطِيَّــةِ يَــا بُشْــرَى لَــهُ أَشْــعَرُ الشُّــعْرَا بِــأَقْرانِ

كَــذَا مَنَاقِــبُ أَهْــلِ البَــدْرِوالبَــدَوِي وَالفُرْطَــوِي عَلَــوِي وَالْحَمْــزَةِ الْبَــانِي

يَــا حَبَّــذَا الزَّهْــرُ مِــنْ أَكْمَــامِ رَوْضِ مَخَــا دِيــمٍ عُــلاَ نِعْــمَ ثَمْــرًا مِنْــهُ لِلْجَــانِي

فِـي الأَيْــبِ دُبْــلَ جُنُــوحِ الأَرْبِعَــا وُلِــدَا بَحْــرُ الوَفَــاةِ بِمَــوْجِ[1] العُمْــرِ أَدْهَــانِي[خ1]

بِضِعْفِ عَشْــرِ[2] ضُحَى سَبْتٍ مِنَ الرَّجَبِ مِــنْ عَــامِ غَشْــكُبَ[3] مَجْزِيًّــا بِرِضْــوَانِ

وَارْحَــمْ لَــهُ وَلِمَــنْ أَمْلَــى مُحَمَّــدِنِ الْــ قَفْــرِيِّ مَــوْزِفَيَــا لَلَّــهِ لِلْعَــانِي

وَاغْفِــرْ بِجُــودِكَ وَبْنِي وَسْــطَ جَنَّتِــكَ الْــ حُسْــنَى بِــدُرِّوَيَــاقُوتٍ وَمَرْجَــانِ

(1) أي عمره 49 سنة
(2) أي 20
(3) من عام 1322 هـ

إسهامات الشيخ في مجال التأليف العربي

ولقد تمكن يراعه رحمه الله من إنتاج نتاج علمي عديد في مجال التأليف الإسلامي والعربي. ولكن على الرغم من تأليفه لما يزهو على عشرة مؤلفات، إلا أن المجتمع الهندي فضلا عن المجتمع العربي والدولي لم يكن على علم عميق حول هذه المؤلفات الممتازة. لأن معظمها كانت غير مطبوعة إلى الفترة المعاصرة حتى قام فضيلة العلامة السيد إبراهيم الخليل البخاري حفظه الله بجمع وترتيب تلك الرسائل القيمة وطبعها في 2019م.

لا شك أنه بورك ليراعه ~ حيث استطاع أن يؤلف العديد من المؤلفات الرائعة والنافعة. وعلى كل حال، بإمكاننا أن نقطع بأنه قد ألّف ما لا يقلّ عن تسعة مؤلفات كتبا مستقلة بالإضافة إلى تلك المنظومات العديدة التي أنجبها في مختلف أطوار حياته كما نفهم من عبارات سطّرها تلاميذه نظما ونثرا، فعلى سبيل المثال: يقول الشيخ أحمد بن موسى في مرثية الشيخ عبد العزيز رحمه الله:

وَكَـمْ لَـهُ مِـنْ تَصَـانِيفٍ مُحَبَّـرَةٍ ... كَـنَظْمِ كَعْـبٍ وَنَثْرِ السَّـعْدِ فِي اللَّسَـنِ

مِنْهَـا مَنَاقِـبُ أَهْـلِ الْبَـدْرِ وَالْعَلَـوِ الـ ... ـزَّاكِـي فَللَّـهِ مَـا فِيهَـا مِـنَ الـزَّيَنِ

وَالْفُرْطَـوِي وَالْـوَلِيِّ الْكَامِـلِ الْبَـدَوِيّ ... فَـلَا يُعَادِلُهَـا الـدِّينَارُ فِـي الـثَّمَنِ

وَحَمْـزَةَ الْقَـوْمِ عَـمِّ الْمُجْتَبَى فَلَقَـدْ ... فَاقَتْ عَلَى أَنْوَاعِهَا يَا صُنْعَةَ اللَّسِـنِ

وَنَظْمُ مَتْنِ اسْـتِعَارَاتٍ مَعَ الشَّـرْحِ الْـ ... ـعَزِيزِ عِقْـدُ يَوَاقِيـتٍ مَـعَ الْجُمُـنِ[1]

وَنَظْـمُ مُخْتَصَـرِ الْعِـزِّي نَظَّمَـهُ ... مِـنْ غَيْـرِ حَـذْفٍ وَتَتْمِـيمٍ لِمُتَّـزِنِ

وَهَـذِهِ نُبْـذَةٌ مِنْهَـا وَكَـمْ مَنَـعَ الْـ ... ـعَجِيبَ مِـنْ غَيْرِهَـا أُعْجُوبَـةُ الـزَّمَنِ

فالشيخ إبراهيم الخليل حفظه الله قام بتقسيم مؤلفات الشيخ عبد العزيز إلى قسمين اثنين؛ الأول: المدح والمناقب، والثاني: ما سوى المدح والمناقب ومعظمه اللغويات العربية. وفيما يلي تفاصيل القسمين.

القسم الأول: المجموعة البهية للمناقب العزيزية

هذا الكتاب جمع وترتيب الشيخ البخاري حفظه الله لمؤلفات العلامة الشيخ العلامة عبد العزيز الولفلي الفناني رحمه الله – في فن المدح والمناقب. فلقد أجاد وأحسن الشيخ البخاري حفظه الله في جمع هذه الكتب التي ما زالت معظمها مجهولة لدى الدوائر العلمية حتى في ديار مليبار فعثر على مخطوطاتها ومبطوعاتها القديمة بعد بحث جاد ومحاولات شديدة فحصل على تسعة كتب للشيخ الولفلي رحمه الله من مختلف الجهات.

ففي هذا الكتاب، تم جمع خمسة من رسائل الشيخ الولفلي والتي قد خصّ كلّا منها لذكر مناقب من كرّمهم الله تعالى بالدرجات العلا والمقامات العليا وهي كما يلي:

1)مناقب أهل بدر

وهذه الرسالة من تلك المناقب والموالد التي ذاع صيتها وشاع قراءتها في مجالس مليبار وحفلاتهم من قديم الأزمان. ألّفه رحمه الله عام 1305هـ حينما كان يقيم في مسجد باندیکاشالا من محافظة كنّور. ولهذه الرسالة نسخ كثيرة وغزيرة، أكثرها في ضمن كتب المناقب والموالد المجموعة المتداولة في الديار المليبارية. واعتمد الشيخ البخاري في هذا الكتاب على نسخة مطبوعة مستقلة، كتبه الشيخ زين الدين الكودنجيري وتم طبعه في مطبع محكي الغرائب بفنّان في عام 1340 هـ الموافق 7 يناير 1932م.

2)مناقب سيد الشهداء حمزة ﷺ

اعتمد الشيخ البخاري في جمع هذه الرسالة على نسختين قديمتين لها، إحداهما مخطوط بخطّ الشيخ موسى بن محمّد السرانفي، والأخرى مطبوعة، طبعه مطبع مرشد الأنام بترورنغادي من محافظة مالابرام سنة 1372 هـ. وهذا الكتاب أهداه الشيخ الولفلي رحمه الله إلى صديقه الشيخ أبي بكر الفنّاني، فقبل تلك الهدية وقام بطبعها.

3)مناقب السيد أحمد البدوي ﷺ

هذه المناقب مختصرة من كتاب مناقب السيد البدوي المطوّل الذي لا يزال مؤلفه مجهولا. اختصره الشيخ الولفلي عند قدومه إلى منطقة بردل حيث أقام حلقة درسه هناك لمدة طويلة. أهدى الشيخ الولفلي رحمه الله نسخة منه لتلميذه الغالي الشيخ أحمد بن موسى المعروف بـ أَمُكَّاري مسليار والتي سطّر في غلافه اسم المؤلّف رحمه الله. وكان أهل بردل يتبرّكون بالنسخ من نسخة قديمة لها محفوظة لديهم.

4)مناقب الشيخ عبد القادر الثاني الفرطويرضي الله عنه

يقول الشيخ البخاري حفظه الله في صدد هذه الرسالة: ألّف [الشيخ الولفلي] رحمه الله هذه الرسالة في صفر عام 1306هـ حينما كان يقيم في مسجد باندیکاشالا من مقاطعة كنّنور. وجدنا نسخة مطبوعة لهذا الكتاب، تمّ طبعها في مطبع مصباح الهدى بتِرُورَنغَادي من محافظة مالابرام في 28 شعبان 1352 هـ الموافق 6 ديسمبر 1934م كما كتب في

(1)قوله (جمن): هَنَواتٌ تُتَّخَذُ عَلَى أَشكال اللُّؤْلُؤ مِنْ فضَّة، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَاحِدَتُهُ: جُمانة «لسان العرب»

الصفحة الأخيرة منها. والترجمة في غلافها هو: مناقب ولي الله الربّاني والغوث الصمداني الشيخ عبد القادر الثاني ابن الشيخ الوليّ السلطان البالافتني عثمان الهمداني ﷺ وقدّس الله روحهما ونوّر الله ضريحهما ونعفنا بهما آمين. وقد كتب في الغلاف والصفحة الأخيرة اسم المؤلف رحمه الله .

5)مناقب السيد علوي الممبرمي ﷺ

هذا الكتاب اختصار لكتاب مناقب السيد علوي المبرمي الّذي ألّفها ابنه السيد فضل بن علوي رحمهم الله. وقد حكى الشيخ البخاري في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب عن الشيخ أحمد بن موسى المشهور بأَمُّوكّاري مسليار، أحد تلامذة الشيخ المؤلّف وخليفته رحمه الله أنه قال: إن شيخي وأستاذي عبد العزيز الفنّاني الولفّلي اختصر مناقب السيد علويّ المنفرمي الّتي ألفها ابنه السيّد فضل فُوكُويا وغيّر مقدمته وبعض المواضع وزاد في أوّله وآخره وفي حشوه أبياتا غير ما في الأصل. ولهذا، نَسَبَ هذا المولد إلى السيد فضل دون أن ينسبه إلى نفسه نظرا إلى الأصل. وكذلك ألحق في آخره مرثية الشيخ القاضي عمر البلنكوتي رثّاه بها شيخه السيّد علويّ. ولا بأس بنسبتها إلى الشيخ عبد العزيز رحمه الله لأنه هو المختصر لتلك المناقب.اهـ

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ إبراهيم البخاري قد قال في آخر مقدمته لهذا القسم يعني المجموعة البهية: "فأفردنا هذه المناقب في هذا الكتاب بدون إيتاء الرسائل الأخر [للشيخ الولفلي رحمه الله] ،تسهيلا لقاصدي قراءة هذه المناقب والمواليد في مجالس ذكرهم ودعواتهم. والرسائلُ الأُخر تُطْبَعُ – بإذن الله - في كتابٍ آخَر مُسْتَقِلٍ والله وليّ التوفيق." اهـ

القسم الثاني: المجموعة السنية للرسائل العزيزية

وفي هذا القسم قام الشيخ البخاري حفظه الله بجمع رسائل الشيخ العلامة عبد العزيز الولفلي رحمه الله تعالى في فن اللغويات العربية كما سبق ذكره. وهذه الكتب كلها أيضا تطبع لأول مرة حيث جد الشيخ البخاري واجتهد في العثور على نسخ هذه الكتب كما سبق فقام بتحقيقه تحقيقا جادا.

وهذا الكتاب يحتوي على أربعة رسائل متنوعة للشيخ العلامة عبد العزيز الولفلي رحمه الله: وهي كما يلي :

1) عمدة التعريف في نظم مختصر التصريف؛ وهو- كما يدلّ عليه الاسم نفسه- نظم تصريف العزّي الّذي يعتبر متنا رائعا من بين المتون في علم التصريف للشيخ إبراهيم الزنجاني رحمه الله. ولدى الدوائر العلمية المليبارية اعتناء عظيم بهذا المتن حيث يعد الكتاب الأوّل الّذي يتعلّمه المبتدئون من طلبة الشريعة الغراء حسب المناهج المليبارية التراثية المتداولة. تم نسخ الكتاب من مخطوط قديم بخط الشيخ المرحوم موسى بن محيي الدين اليلّنتري البردلي، كان ما زال مخطوطا لم تطبع إلى الآن. ولهذا النظم شرح لابن أخت الناظم الشيخ باوى مسليار

الولفّلي الفنّاني رحمهما الله.

2) البهجة السنية نظم المقدمة السمرقندية؛ وكما هو واضح من الاسم، إنه الكتاب الّذي قام فيه المؤلف الشيخ الولفلي بنظم المقدمة السمرقندية في علم البلاغة والتي ألفها الإمام أبو القاسم ابن بكر الليثي السمرقندي رحمه الله. وقد تم نسخ هذا الكتاب عن نسخة الشيخ المرحوم إبراهيم بن عبد الله البردلي – أخي الناظم رحمه الله- طبعها مطبع منبع العجائب بفَنَّان. وهي مكتوبة بيد الشيخ عبيد الله بن كُنْجِ مَرَكَّارْ مُسْلِيَارْ المولوي الفُتُّورِي وتمت كتابتها يوم 11 ربيع الآخر سنة 1329 هـ .

3) فتح واهب العطية شرح البهجة السنية نظم المقدمة السمرقندية؛ وهو شرح نظمه المذكور. وهذا الكتاب أيضا لم يطبع قبل. تم نسخ الكتاب عن خط الشيخ موسى بن محيي الدين اليلّنتري البردلي السابق ذكره وتم كتابتها سنة 1372 هـ، ولعله نسخه ذلك عن نسخة الشيخ موسى بن أحمد البردلي – تلميذ الناظم – الّذي يذكر عنها في كتابه تذكرة الفصول .

4) نزهة الأسماع في خواص النعناع؛ وهو رسالة ممتازة قام فيه الشيخ الولفلي ببيان خواص بقلة النعناع وفوائدها. حصل الشيخ البخاري على نسختين خطيتين لهذه الرسالة النظمية الممتازة. الأولى منهما نسخة بخط الشيخ محمّد بن زين الدين الشكّاني البردلي – أحد تلامذة الشيخ الولفلي رحمه الله.

المصادروالمراجع

- الشيخ محمد علي مسليار النلكوتي، مَليالتل مهاردنمار "عظماء مليبار" (في اللغة المحلّية)،دارالإرشاد، كيرالا الهند، 1997 م
- الشيخ أبوبكر أحمد، تاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، كيرالا الهند، 2013 م
- السيد إبراهيم الخليل البخاري، المجموعة السنية للرسائل العزيزية (تحقيق ودراسة)، دار المعدن للبحوث الإسلامية، كيرالا الهند، 2019 م
- السيد إبراهيم الخليل البخاري، المجموعة البهية للمناقب العزيزية (تحقيق ودراسة)، دار المعدن للبحوث الإسلامية، كيرالا الهند، 2019 م
- السيد إبراهيم الخليل البخاري، جولة دراسية حول الإسلام في الديار المليبارية، الطبعة الأولى، دار المعدن للبحوث الإسلامية، كيرالا الهند، 2019م
- السيد شهاب الدين البخاري، ترجمة الشيخ عبد العزيز مسليار الولفلي (في اللغة المحلّية)، الطبعة الأولى،أي بي بي، كيرالا الهند، 2021 م
- الشيخ باوى مسليار الولفلي، شرح الميزان في علم التصريف، مطبعة ترورنغادي، كيرالا الهند
- الشيخ محمد علي مسليار النلكوتي، بيان أسماء المؤلفين للمواليد المختلفة (غير مطبوع)
- الشيخ أحمد بن موسى البردلي، مرثية العلامة عبد العزيز الولفّلي (غير مطبوع)
- الشيخ محمد مسليار الوازكادي، مرثية الشيخ عبد العزيز الولفلي (غير مطبوع)
- كمال الدين الباقوي، مرثية الشيخ عبد العزيز الولفلي (غير مطبوع)
- الشيخ موسى بن أحمد البردلي، تذكرة الفصول (غير مطبوع)

الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بين إشكالية التجنيس و مسألة الهوية.

(آسيا جبّار أنموذجا)

The feminist voice in Algerian literature written in the French language Between the problem of naturalization and the issue of identity.

الأستاذة: سديرة سهام

أستاذة محاضرة صنف – أ -

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار – قسنطينة –

Abstract: One of the most known letirary publications , the algerian noval whriten in french , it's considered as a very important kinds That discribes the fendamental diffrenced between its affiliation and identity... Describing many subjects related with suffring , worries and many others of algerian problems. Therfore, it's not adresses only to the algerian populations but to French and the whole world As an example of the algerian whriter Assia Jebar who tolk and discus: freedoom of algerian women, and tried to face the death and the oblivion in her whriting and merk her presence in thd land of Algeria. She has olso been tired to the marginalosation of the education of wamen.. and finally she has already succesed in putting forward a firl and solid world founded clearly and well based. My experience in this novelist event in Algeria. The theme was marked by: the feminist voice in Algerian literature written in French between the problem of naturalisation and the question of identity Asia Jabbar as a model.

Key Words: Féminine Voice. Algerian literature written in French. The Algerian. novel. Naturalization. Identity.

الملخص: تعد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مكسبا هاما للأدب الجزائري، رغم الاختلافات القائمة حول انتمائها و هويتها. و هي لا تقل شأنا عن الخطابات الروائية العربية، عالجت موضوعات كثيرة تتعلق بمعاناة الجزائريين و همومهم و آلامهم، لتتسع و تأخذ أبعادا أكثر شمولية، باعتبارها الصوت الموجه لفرنسا و للعالم قاطبة. و قد آثرت الكاتبة الجزائرية آسيا جبار في إبداعاتها الروائية أن تناقش مواضيع أخرى مختلفة تتعلق بحرية المرأة الجزائرية، و حاولت أن تواجه بكتاباتها الموت والنسيان، و تحقق أثرا لوجودها في أرض الجزائر. كما حاولت أن تكشف الأشكال الجديدة لتهميش النساء سواء المتعلمات أو الأميّات. فهي تكتب لأنّها لا تملك أن تقوم إلا بذلك الفعل، و قد نجحت بالفعل في طرح عالم ثابت و متين مؤسس بشكل جلي على العلاقة التي تربط النص بالخطاب. وحاولت في هذا الموضوع أن أتحدث عن التجربة الروائية عند الكاتبة آسيا جبار، و عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية عموما و التي اكتسحت الساحة الأدبية فارضة وجودها بعد كل

الصعوبات التي واجهتها من تشكيك في هويتها إلى التقليل من دورها. فكان الموضوع موسوما:

"الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بين إشكالية التجنيس ومسألة الهوية آسيا جبار انموذجا".

الكلمات المفتاحية: الصوت النسوي؛ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.؛ الرواية الجزائرية؛ التجنيس؛ الهوية.

المدخل: شكّل الصوت النسوي موضوعا محوريا في الأدب الجزائري، و قضية هامة خوّلته اعتلاء عرش الأدب باعتباره صوتا ينافس الرجل الكاتب، عندما رفعت المرأة قلمها مشهّرة عن وجودها ومعلنة عن حرب ضارية شعارها التمرد و التغيير، لتأكيد ذاتها و رفع الجور عن أنوثتها إن لم نقل إنّ المرأة بصوتها تريد أن تعيش وضعا انتقاليا بين ذاتها و بين وضعها ووضع آخر تتطلع إليه، فهي تكافح و تكابد من أجله لتنتقل من شخصية مهمشة محتقرة إلى شخصية لها وجود و مكانة، بل و حضورا و في جميع الأصعدة. و قد سمحت لها الظروف بإبراز قدراتها الفكرية و ارتضت مقولة:« أنا موجودة إذ أنا قادرة على الكتابة »هذه المقولة التي عكست وعْيَ المرأة العربية بصفة عامة و الجزائرية بصفة خاصة.

إنّ حضور المرأة في الأدب الجزائري سواء المكتوب باللغة العربية أم الفرنسية هو حضور مميّز و خاص للجنس اللطيف الذي كشف النقاب عن أدب جمعي يجمع بين الرقة و الشعور و الخصوصية و الجرأة الأنثوية، فرضت فيه المرأة نفسها و كسّرت طابوهات المجتمع الذكوري لتخلق لنفسها فضاء خاصّا منحها مكانة و بعدا اجتماعيين.

و لأهمية هذا الموضوع أردت أن أقدم منجزا بعنوان: الصوت النسوي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بين إشكالية التجنيس و مسألة الهوية آسيا جبار انموذجا، لأقف على مجموعة من القضايا أهمها:

- المصطلح النسوي / الأنثوي
- إشكالية التجنيس و سؤال الهوية
- الأدب النسوي المكتوب بالفرنسية
- آسيا جبّار و ظاهرة الكتابة عندها.

1 _ قراءة في المصطلح نسوي / أنثوي / نسائي:

شاعت هذه المصطلحات« أنثوية، نسوية، نسائية »لدى الكثير من الدارسين في إطار النقد النسوي، و بالضبط لتحديد ماهية الصوت النسوي هذا الأخير الذي يندرج ضمن هذه الدائرة المفهوماتية. و لعلّ هذه المصطلحات الثلاثة مؤهلة لاحتواء كل القضايا التي قد يحملها مصطلح الصوت النسوي، فلا يمكن الفصل مثلا

بين المؤنث و النساء و لذلك سنعمل على تحديد المصطلحات حسب تعدد المفاهيم.

يظهر أنّ مصطلح المؤنث واسع و لا يتبنى بالضرورة محمولات إيديولوجية تشتغل على آليات نوع الجنس مؤنث/مذكر، امرأة/رجل، فالنص المؤنث مرهون بالإبداع الذي لا يمكن أن يخضع لشرط مسبق كالهوية الجنسية.

أما إذا عدنا إلى الترجمة فإنّ مصطلح feminism تترجم إلى نسوية أو نسائية و أيضا feminine تترجم مرة أنثوي و مرة أخرى أنوثي و ثالثة نسوي

إنّ الترجمة من اللغات الأجنبية – اللغات الأصلية – إلى اللغة العربية أمر فيه لغط كبير، ذلك أنّ اللغة العربية تتنوع مفرداتها و سعتها تغري كل مترجم بالتفرد بمصطلح يخصه، فيتمّ تعميمه حتى و إن كان خطأ فيتكشف للباحث مصطلحات كثيرة يحتم عليه إما البحث في اللغة الأصلية للمصطلح – انجليزية، فرنسية أو يونانية... الخ أو رفض بعض المصطلحات و الاقتناع بمصطلح ما. فمثلا ترفض الناقدة العراقية « نازك الأعرجي » « توظيف مصطلح الكتابة الأنثوية لأنّ الأنوثة تعني عندها ما تقوم به الأنثى و ما تتصف به و تنضبط إليه، و لفظ الأنثى يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية و ذلك لفرط ما استخدم اللفظ لوصف الضعف و الرقّة و الاستسلام والسلبية »[1] فالناقدة هنا تكرس المفهوم التقليدي لهذا المصطلح، فالأنثى وفقا لهذه النظرة ضعيفة رقيقة، متقلبة عاطفية، بحاجة إلى حماية الرجل و هي بهذا تقزّم من وجود المرأة و عدم إعطائها حقها الطبيعي، لذلك فهي تُؤثر استخدام مصطلح النسوي بدل الأنثوي، هذا الأخير الذي يعكس فقط الجنس البيولوجي.

و يستمر الاختلاف و التباين و هذه المرة بين مصطلحي:« النسوي و النسائيfeministe » وهنا تذهب الكاتبة « شيرين أبو النجا »في كتابها الموسوم بـ:« نسوي أو نسائي » لتطرح إشكالية التفرقة والتمييز بين المفهومين مطالبة بضرورة التمييز بين مفهومي نسوي و نسائي عندما نتحدث عن الأدب الذي تكتبه المرأة لكي لايتم تصنيف ذلك الأدب على أساس هويّة منتجة الجنسية، ولذا فهي تؤكد على« التفرقة دائما بين

نسوي (أي وعي فكري و معرفي) و نسائي (أي جنس بيولوجي) »[2] فلفظة نساء تحيل إلى الجنس البيولوجي و هو لا علاقة له بالتوجه الفكري، و هو متغير ينصهر و يذوب نتيجة التأثر الذي تمارسه المقتضيات الاجتماعية و الثقافية على الفرد،أمّا لفظة النسوية عكس ذلك حيث نقول هذا إبداع نسوي: أي إبداع يدعو

[1] أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الروائي بالإيديولوجيا من 1930الى 1982، رسالة ماجيستير ، كلية الآداب جامعة دمشق،1948، ص 114.

[2] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ص 52. :

لثورة حقوق المرأة العالمية و يتماشى مع تيار تحرير المرأة و مساواتها بالرجل في الحقوق و الواجبات ككائن اجتماعي كامل من الدرجة الأولى، و يعد هذا الإبداع نضالا لمكافحة التمييز ضدّ المرأة، إنّه:« منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء و داعية إلى توسيع حقوقهنّ »[1] شعار هذه المنظومة هو الحفاظ على مباديء الحرية التي هي جزء من حقوق المرأة.

أما« سارة جامبيل » الكاتبة المتخصصة في كتابة الأدب المعاصر للمرأة و نظرية التجنيس فقد أكّدت في كتابها الموسوم بـــ:« النسوية و ما بعد النسوية » أنّ لفظة النسوية تعني« كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة و استجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية الذي يجعل الرجل هو المركز هو الإنسان و المرأة جنسا ثانيا أو الآخر في أنثوية الأنثى »[2]

وهي هنا تريد أن تعطي للمرأة مكانة في عالم الثقافة التي سيطر عليها الرجل، و لهذا يعد مصطلح " النسوي " هو المصطلح الأصح و الأشمل.

2- إشكالية التجنيس و سؤال الهوية:

لقد استطاعت المرأة الجزائرية من خلال قلمها أن تحيي وجودها و تخترق عالم الكتابة، وتمنحه هويته و تفرده و خصوصيته، و هو ما يمكن أن نطلق عليه ب كتابة المرأة **l'écriture féminine** أو كما يسمى كذلك بالكتابة النسائية المؤنثة، و هنا يتأكد لنا بأن الكتابة ليست حكرا على الجنس الذكوري فقط، و إنما تعدتها إلى الآخر (النساء) يقول« عبد الله الغذامي« :» إنّ طريق المرأة إلى موقع لغوي لن يكون إلا عبر المحاولة الواعية نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة تضارع الفحولة و تنافسها و تكون عبر كتابة تحمل سمات الأنثوية و تقدّمها في النص اللغوي لا على استرجال و إنما بوصفها قيمة إبداعية تجعل الأنوثة مصطلحا إبداعيا مثلما هو مصطلح الفحولة »[3] معنى هذا أنّ نتاج المرأة مختلف عن نتاج الرجل، هو إبداع متميز تطلق فيه الأنثى العنان لقدراتها الإبداعية و لمشاعرها المتدفقة و لشفافيتها و صدقها، لتكشف عن أدب خاص يعبر بصدق عن الطابع الخاص لتجربة المرأة الأنثى و خصوصيتها التي تختلف عن الرجل. فالاختلاف البيولوجي للمرأة ينعكس على الجانب الفكري لها لأن استخدامها للغة مختلف عن الرجل، فهي تضع لمسات للنص الإبداعي، فتتسري الأنوثة من ذاتها إلى النص و تتشكل الجمالية النظرية لتفي بمتطلبات الو اقع الشعوري، و تخترق عالم الكتابة الأنثوية، و يصبح الصوت النسوي حاضرا إن لم نقل مسجّلا حضوره أمام الصوت الذكوري مؤكدا مشروعيته و هويته، و تنتقل

---

[1] المرجع نفسه ص 87. :

[2]: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982 ص 418.

[3]: **Assia djebbar , la réfugiée linguistique , armelle Datin et Isabelle colombat , nuit blanche le magazine du livre n 92 , 2003 , p 22.**

المرأة إلى« مستوى انتزاع بعض شروط الكتابة من الرجل عن ذاتها و عن اختلافها بدون وصاية أو ارتهان و يدخل ضمن صراع الأقوى » [1] فالمرأة فرضت نفسها في مجتمع ذكوري لا يؤمن بالجنس الأنثوي في مجال الإبداع والكتابة عموما، خاصة وأنّ الصوت النسوي أدخل إلى خانة الهامش لاعتبارات أهمها أنّ« المرأة تعيش على هامش عالم الذكور » [2] أي أنها تابعة للسلطة الذكورية، و من هذا المنطلق أصبحت الكتابة بالنسبة للمرأة متنفسا و طريقة ناجعة و فعالة لإثبات وجودها والانفلات من كل القيود و العوائق التي ما فتيء الرجل يضعها في طريقها . و قد سعت جاهدة لإظهار هويتها في عالم يحكم فيه الذكور دون غيره، راسمة بذلك الخطوط العريضة لفنّها و إبداعها مستعينة باللغة لتكشف النقاب عن خصوصيتها التي تنصب في وعاء الحقيقة بعيدا عن كل جمالية وزيف.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل أنّ القول بأدب نسوي و آخر ذكوري يحيل على وجـــود هوية جنسية للنص ؟

إنّ القول بكتابة ذكورية و بكتابة أخرى نسوية قد يطرح إشكالية التجنيس، و يفضي بنا للدخول في اختلافات محورها الأنا (الرجل) و الآخر (المرأة) فالإنسانية « في عرف الرجل شيء مذكر، فهو يعتبر نفسه يمثل الجنس الإنساني الحقيقي... أما المرأة في عرفه تمثل الجنس الآخر » [3] فالذكر هو الذات الإنسانية، بينما المرأة هي الموضوع، الذكر هو العقل بينما الأنثى هي الجسد.

و قد دعا الكثير من النقاد إلى إلغاء التمييز الجنسي بين الذكر و الأنثى عن طريق رفض اتخاذه كمعيار لخصوصية الكتابة الأنثوية، مما يعني استرجاع الذات المفقودة و الانطلاق مع هوية جديدة تحمل معاني الاستقلال و التحرر. تقول الناقدة « خالدة سعيد » « فعل الكتابة لدى النساء بشكل أخص عملية تحرر من حيث أنه موضعة و كشف لتجارب و معاينات و تصورات و حاجات و أحلام طال عهدها بالصمت و الخفاء، و الكتابة تبلورها، تخرج بها إلى مدار العام، تسمح بتشكل خصوصياتها تشكلا مبتدعا داخل قوانين العام كمتخيل جماعي و فضاء جماعي و قضايا، و لغة و تصورات و منظومة إشارية قيمية و موروثات. هذه الموضعة تطمح إلى تدخل الكتابة النسائية في تشكيل مفهومات و تشكيل المتخيل و التأثير في منظومة القيم و المصطلحات، فالخصوصية هي منطلق الكتابة، و بنار هذه الخصوصية يتوهج العام » [1] فخصوصية الكتابة النسائية حسب نظرة الناقدة حاضرة في كتابة المرأة لأن المرأة بطبيعة الحال تختلف عن الرجل في تجربتها الحياتية، وتركيبتها النفسية و البيولوجية. فمسألة الخصوصية في الكتابة النسائية تبقى حتمية تثبتها نصوص المرأة ذاتها و التي تستمد مقوماتها من خصوصية تركيبة الأنثى النفسية ووضعها الاجتماعي، و أفقها الوجودي.

---

[1] jean déjeux , situation de la littérature maghrébine de langue français, p 33 :

[2] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ص 329. :

[3] آسيا جبار بوابة الذكريات، تر: محمد يحياتن، سيديا الجزائر، 2014، ص 10. :

و قد حاولت الكتابات النقدية التصدي للمرأة الكاتبة و محاولة إبعادها عن ميدان الكتابة واستلابها حقها في اللغة و طمس وجودها في عالم الكتابة، إلا أن المرأة حاولت أن تثبت خصوصية أدبها، و من ثمة تثبيت هوية الأنثى المستقلة ذلك أن سؤال الخصوصية إنّما هو« مسألة لهوية الكتابة النسائية التي ارتبطت في وعي الكتابة النقدية بإقصاء النساء من الحقل الاجتماعي والسياسي و الثقافي كحقيقة مضمرة ينتجها لاشعور المنطق الذكوري »[2] إلا أنّ هذا الاستلاب وهذا القمع لم يدم طويلا فسرعان ما تصدت المرأة له و استعادت مكانتها و فرضت وجودها على الساحة الإبداعية من خلال سؤال الهوية المتمركز حول الذات « أن أعرف من أكون يعني أن أعرف الموقع الذي أحتله »[3] و جوهر هذه المقولة هو ما يعني بتجديد هوية جديدة نابعة من الذات، و التي تنطلق من حاجة المرأة إلى تمثيل ذاتها و تكوينها لتتغلب على عجزها، تقول الناقدة« لويس إيرلغاراي » « إنّه ينقصها شيء ما (سواء بالمعنى الاجتماعي أو الجنسي) و هو ما يمتلكه الرجال و تستحق النساء بكل إنصاف أن تحصل عليه المكانة الاجتماعية و الحياة العامة و الحكم الذاتي والاستقلال و الهوية المنفصلة »[4].

أمّا المنظرة الفرنسية« هيلين سيكسو Héline cixous » تتقيد « بالهوية المحددة للجنس، فهي ترتبط بالمرأة و تعتبرها بنية إيديولوجية تحكم الأنوثة لا الذكورة »[5] و هنا تركز على الذات الكاتبة بصرف النظر ما إذا كانت ذكرا أم أنثى. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الاختلاف القائم و الواضح بين الرجل و المرأة بيولوجيا و ثقافيا ينعكس على الإبداع ؟ و هل الفرق التكويني بين الجنسين من حيث التكوين العقلي ينعكس في إبداعاتهما؟.

يجيب الناقد عبد الله الغذامي:« أنّه لا يكفي المرأة أن تكون أنثى حتى ينعكس ذلك على لغتها ومن ثمة على إبداعها فهناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل و بعقليته و لغته، و كنّ ضيفات أنيقات على صالون اللغة، إنهن نساء استرجلن و بذلك كان دورهنّ دورا عكسيا إذ عززقيم الفحولة في اللغة، و هذا ضاعف من غياب المرأة عن الفعل اللغوي »[6] فالكتابة عند المرأة حسب الناقد عبد الله الغذامي هي إثبات لوجودها و صمودها، استطاعت المرأة أن تجعل من ذاتها شخصية فاعلة لا جسدا بلا روح. فالكتابة بالنسبة لها هي تشكيل لوعي جديد خاصّ بها، هذا الوعي الذي يبقيها بين حدود الذات ة تخوم الكتابة، و من هنا «تصبح كتابة المرأة – اليوم – ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف أو من حيث النوع، إنّها بالضرورة صوت جماعي فالمؤلفة هنا و كذلك اللغة هما

---

[1]: المصدر نفسه ، ص 11.

[2] ينظر المصدر نفسه ص 523. :

[3]: أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص 114.

[4]: Assia Djebar , les Alouettes naïves , ed , Julliard , 1967,pp231-232 :

[5] المصدر نفسه ص 54. :

[6]:. المصدر السابق، ص 162

وجودان ثقافيان فيهما تظهر المرأة بوصفها جنسا بشريا، و يظهر النص بوصفه جنسا لغويا و تكون الأنوثة حينئذ فعلا من أفعال التأليف و من أفعال القراءة و التلقي » [1]

وبهذا تكون المرأة قد فتحت الباب على مصراعيه لكتابة نسوية تحمل الأنثى على أعلى مستوياتها، و بذلك تحقق حريتها و انطلاقتها المفتوحة إلى الأمام و التعبير عن الحياة في أدبها بصفتها جنسا مستقلا بذاته.

3 – الأدب النسوي المكتوب بالفرنسية نموذج للرواية الجزائرية:

بالرغم من الظروف الاجتماعية و الاقتصادية القاسية التي كان يعاني منها المجتمع الجزائري بسبب نكبة الجزائر بالاحتلال الفرنسي و ما صاحبها من انحطاط ثقافي و انتشار واسع للجهل والأمية، إلا أنّ ذلك حال دون أي نتاج روائي، هذا النتاج الذي اضطلع بدور كبير في قضايا الثقافة و الفكر فكان إبداعا وطنيا استوعب النضال التحريري و الكفاح المسلّح، و قام بدور هام في الحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية التي واجهت تحديات استعمارية استهدفت ثقافة و حضارة و مصير الشعب الجزائري. و قد وجد الروائيون الجزائريون أنفسهم في مواجهة المستعمر، فاتخذوا من اللغة الفرنسية وسيلة لمخاطبة المجتمع في ظل تلك الظروف، حيث« برزت كوكبة من المثقفين باللغة الفرنسية، الذين اكتسبوا وعيهم عبر التجارب القاسية مع المستعمر، الذي أذاق مواطنيهم ألوانا من الاضطهاد و التنكيل، خاصة و أنّ هذا المستعمر لم يف بوعوده التي قطعها للجزائريين لنيل الاستقلال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية » [2] تمثلت تلك النخبة في مجموعة من الكتاب الرجال و النساء على حد سواء، منهم " مولود فرعون، محمد ديب، مولود معمري، كاتب ياسين، مالك حداد و آسيا جبار".

فظهرت في عام 1950 م رواية "ابن الفقير لمولود فرعون "(1913-1962) [3] و التي تعدّ أول عمل روائي مكتوب باللغة الفرنسية، و بعدها بسنتين نشر محمد ديب (1920-2003) روايتـــه "الدار الكبيرة "سنة 1952، أما رواية "الحريق" l'incendie ، فكانت سنة 1954 و "مهنة الحياكة" le métier à tisser وهما روايتان مكمّلتان لرواية الدار الكبيرة، و كلها روايات ترصد واقع المجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي و تنقل معاناة الفرد الجزائري و لوعته و حزنه و بؤسه من واقع حياة ديست فيها كرامة الشعب و تعرضت فيها مقدساته إلى الدمار و الخراب.

كما نشر مولود معمري (1917-1989) رواية "الربوة المنسية la coline oubliée" سنة 1952 و سنة 1955" نوم العدل " le sommeil du juste « ومع انفجار الثورة المسلحة نجد أنّ هذا الأدب المكتوب باللغة

---

[1] بولفعة خليفة، الهوية و المرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق و كسر المحظور، مجلة الأثر، العدد 21، ديسمبر 2014، جامعة محمّد الصديق بن يحي، جيجل، ص : 164.

[2] ينظر: : Jean déjeux , la littérature fémine de langue français au maghreb , pp 81-82

[3] CRASC. عبد القادر بودومة، تفكيك حجاب اللغة، مقاربة فينومينولوجية لنص آسيا جبار – الأصوات التي تأسرني – منشورات وهران 2010، 122. :

الفرنسية قد بلغ مستوى عاليا في محتواه و شكله و طموحاته الفنية، و خاصة على يد كاتب ياسين في روايته "نجـــمة" التي صدرت عام 1956 و أثارت نقاشات واسعة لتمردها على خط الرواية الكلاسيكية، و دخولها مغامرة التجريب المفعم بالرموزو التراث الشعبي و المناخات الشعرية الرقيقة »[1].

وهكذا تميز النص الروائي بالو اقعية النابعة من صدق عاطفة الكاتب، هذا الأخير الذي كان يسرد في لحظات الشدائد و المحن لا في لحظات الفراغ و التأمل الخيالي، لذلك كان يتحرى الأمانة في رصد الأحداث و تسجيل الوقائع، لأنه يدرك أشد الإدراك خلفيات الظروف السياسية و الاجتماعية التي كانت تتخبط فيها البلاد، فكان تصوير الكاتب تصويرا دقيقا صادقا يترجم روحه الوطنية و غيرته على سيادة البلاد.

أمّا مالك حداد (1927-1978) الروائي و الشاعر، و الذي كانت معظم كتاباته تتجلى فيها الروح الشاعرية، فقد كان يستغني في أغلب الأحيان عن تقنيات الكتابة الروائية المتعارف عليها، ويولي الأهمية للغة الشعرية فيوظفها في سروده، و هذا ما ميز أعمال مالك حداد الروائية كرواية الانطباع الأخير " la dernière impression " الصادرة في عام 1958، و رواية "سأهبك غزالة " Je t'offrirai une gazelle الصادرة عام 1959 التي جاءت على شاكلة سيرة ذاتية للكاتب، و كذا رواية " التلميـــذ و الدرس " l'élève et la leçon عام 1960، و أيضا رواية "رصيف الأزهار" لم يعد يجيب le quai aux fleurs ne répond pas عام 1961، و كلها نصوص تركز على الو اقع المرير و ظروف الحياة القاسية التي عاشها أبناء الجز ائر.

و عموما كان النص الروائي حاضرا، و كان بركان الكلمة يوازي بركان الثورة المسلحة، فلم يتوان الكاتب الجز ائري أن ينقل إلينا أحداث الثورة و أيام الكفاح المرير ضد الاستعمار.

أما الكاتبة آسيا جبار (1939-2015) فمارست الكتابة مبكرا و هي لا تتجاوز العشرين من عمرها «معتقدة أنّها في وفاق مع تطور الوسط الثقافي و كذا المجتمع و الثقافة الأم التي انطلقت منها أي الثقافة العربية .و لكنها اكتشفت بمرور السنين و بإدراك مختلف الرهانات الناجمة عن تجربتها الحياتية، اكتشفت إلى أنّ الكاتبة تسعى إلى تحقيق نوع من التحدي و المقاومة ضد القوى الظلامية والتيارات التقهقرية »[2] و قد كانت أغلب مواضيعها تدور حول المرأة. و قد تنوعت مصادر آسيا جبار الإلهامية بتنوع تجاربها الذاتية، لذلك فقد نجحت في طرح عالم ثابت و متين يرتكز بشكل جلي على العلاقة التي تربط النص بالخطاب، هذا الأخير الذي يأتي على فلسفة الحرية و الإرادة في الوصول إلى الراحة و الاطمئنان، ففي روايتها الموسومة بـــ:" نساء الجز ائر في شققهم " femmes d'Algérie dans leur appartement تطرقت الكاتبة آسيا جبار إلى و اقع المرأة الجز ائرية الممل، و أنه

[1] آسيا جبار بوابة الذكريات، ص 250. :

[2] Assia djebbar , l'amour , la fantasia , p 11:

لا سبيل للخروج من هذا الو اقع إلا بالكلام دون توقف و الخروج و التجوّل بكل طلاقة متساوية مع الرجل و في الفضاء المخصص له- الرجل – و الممنوع عنها، و هو نوع من التحدي تحدي الو اقع الذي يبقيها سجينة في المدن الكبرى [1]، كما غلب على أسلوب الكاتبة الجرأة في الطرح و ميلها الشديد للسرد التاريخي. كتاباتها مزيج بين الشعرية الجمالية و النظرة التاريخية، و هي من الأصوات النسوية العالمية البارزة، فهي شاعرة و قاصة و مسرحية و منتجة أفلام، و الكتابة عندها هي رغبة و لا علاقة لها بالوعي الذي ينظم الرغبة و يقننها، تقول الكاتبة: « ذات يوم جميل جلست إلى العمل، مدفوعة برغبة الكتابة، خلقت شخصيات بدون هدف محدد، ثم بدأت هذه الشخصيات في الحركة، ثم سحبتني معها » [2]. هكذا انطلقت الكاتبة من هذه الرغبة، و رسمت معالم التميّز في خطاباتها بلغة محايدة ترجمتها أعمالها الأدبية.

أمّا الكتابة بلغة الآخر - اللغة الفرنسية- فراجع إلى أسباب كثيرة خصوصا أن ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر « هي ظاهرة شائعة في المجتمعات العربية، إذ يزخر التاريخ الأدبي الحديث بنماذج عديدة من الكتاب الذين كتبوا بلغة غير لغتهم الأصلية، إمّا طواعية منهم و إما لأنها لغة مستعمر، وقد كتب بعضهم بالانجليزية و كتب آخرون بالفرنسية، و لم ينظر إليهم كإنجليز أو فرنسيين من بين هؤلاء جبران خليل جبران و جورج شحاتة من لبنان و إدوارد سعيد و جبرا إبراهيم جبرا من فلسطين... و غيرهم » [3].

أما عن أسباب الكتابة باللغة الفرنسية، فتوضّح الكاتبة آسيا جبار أنّ اللغة الفرسية بالنسبة لها هو تحد للمستعمر الفرنسي بالدرجة الأولى و مجابهته بلغته و تفوّقه عليه أحيانا، في مقابل تمسكها بانتمائها و هذا ما نلمسه في مختلف أعمالها. إنّ لجوء الكاتبة إلى اللغة الفرنسية في كتاباتها كان« اختياريا، و ليس لكونها مفروضة عليها كلغة مستعمر، إذ أنّها هي التي أقحمت الكتابة في عالم الرواية. فالكتابة باللغة الفرنسية هي تقديم الذات بلغة الآخر و المخاطرة بأن تنتزع من الوطن الأم و أن تنفصل عن الأخوات اللواتي عدنا بعد غياب معنوي، فالتحدث عن الذات بلغة خارج حدود لغات الآباء » [4] فاللغة الفرنسية بالنسبة لها هي لغة العبور، لأنها تكتب للذات وللآخرين هي أداة للتحرر و التواصل مع باقي العالم، فهذه اللغة نقلت الحقائق كما هي و ترجمتها في صورتها بمنتهى الأمانة و لم تكن أداة للخيانة.

(*) تكتل يضم البرازيل وروسيا والهند والصين بالإضافة إلى جنوب إفريقيا، تأسس في لقاء سوتشي الروسية 2009 بين الدول الأربع الأولى، ثم ضم جنوب إفريقيا ليُعلن عنه كتكتل شامل بداية من قمة دوربان في 2011 بجنوب إفريقيا، ويحتوي على قرابة 40% من حجم الاقتصاد العالمي وأنشأ بنك بريكس برأسمال يقارب 4400 مليار دولار...للمزيد انظر: محمد عبد الشفيع عيسى، التكتلات الاقتصادية الدولية...تجمع بريكس نموذجا، السياسة الدولية، العدد 200، المجلد 50، أفريل 2015، ص114-117.

(1) محمد السيد سليم، سليم محمد السيد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1999، ص 267.

(2) كارن أبو الخير، "الخصوصية الصينية: هل تنجح قيادات بكين في إدارة تحولات مصيرية؟"، السياسة الدولية، العدد 187، جانفي 2012، ص159.

(3) محمد عبد الله يونس، "المستقبل الصفري: القوة الأمريكية في عصر القلق"، السياسة الدولية، العدد 187، جانفي 2012، ص 181.

إن الكتابة بلغات أخرى في نظر الكاتبة لا يعني الكتابة بفكر و مشاعر هذه اللغات، و قد كانت الأديبة مقتنعة بأنّ كل كتاباتها باللغة الفرنسية إنما هي مساهمة منها في إثراء الأدب العربي، تقول في إحدى نصوصها « و ها أنا أقف في موقف متناقض، أكتب رواية جديدة باللغة الفرنسية متهيئة بل متأكدة أنني أواصل العمل و أنني أقدم أدبا عربيا. »[1]

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقول بأن الأدب الحقيقي هو إبداع يتجاوز الحدود الزمانية والمكانية لتغدو هوية الأدب الحقيقية هي انتماؤه للقضايا الوطنية والإنسانية بغض النظر عن اللغة.

4- آسيا جبار و ظاهرة الكتابة عندها:

طرق الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فنونا أدبية كثيرة من شعر و قصة و مسرح ورواية، و هو أدب مكتوب بالفرنسية بروح عربية، اتخذ لنفسه طريقة جديدة في الإبداع هي لغة الآخر، ما يعني أن الصوت الذي استطاع تجاوز الحدود و التعريف بالشخصية الجزائرية بشكل عميق هو ذلك الأدب الذي دوّنه جزائريون بلغة (موليـــير) و التي تعد في نظر الكتاب اللغة الكفيلة لحرية التعبير و البوح، تقول الروائية آسيا جبار:« أنا أدرك اختياري النهائي من الكتابة باللغة الفرنسية، هو بالنسبة لي ضرورة لا غير. و هذا الحيز في الفرنسية هو لغة كتابتي لا أستبعد باقي اللغات الأم التي أحملها معي دون الكتابة بها .» [2] فبلغة الآخر استطاعت الكاتبة آسيا جبار أن تطرق مواضيع عجزت عن تعريتها بلغة الأم، ومن هنا فهي تثير قضية مهمة جدا هي علاقة الذات باللغة الأم و اللغة المكتسبة.

وقد تجلت اللغة الفرنسية في هذا اللون من ألوان الأدب و هي الرواية و نحن نخص بالذكر الرواية النسوية ذات البعد الزماني و التاريخي، والتي حاولت الكاتبات من خلالها التطرق إلى الحياة الاجتماعية و السياسية و الاحتجاج ضد الظلم الاجتماعي و السياسي و الرفض الكلي للنظام الاستعماري من جهة و للسلطة الذكّورية من جهة أخرى.

صمد هذا الفن وواجه وتصدّى ووصل إلى النضج و العالمية يقول مصطفى الأشرف: « هذا الأدب و إن كان نقصا إلا أنه استطاع و لأول مرة أن يعكس و بحروفه الفرنسية الواقع الجزائري في وقت تعذر على بعض الكتاب أمثال (كامو) الذي كان يفتقد الشجاعة لترجمة ذاك الواقع... و القول بأن هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة

---

[4] ليان بريمر، عالم بلا قيادة: كل أمة لنفسها، الرابحون والخاسرون في عالم المجموعة الصفرية، ترجمة: فاطمة الذهبي، بيروت: دار الفارابي، 2014،ص 33.

[5] محمد عبد الله يونس، كل دولة لنفسها: الرابحون والخاسرون في عالم المجموعة الصفرية، السياسة الدولية، العدد 189، جويلية 2012، ص 160.

الفرنسية عمليا يتحدث عن التوالد الذاتي تقريبا في جانبه الجمالي و الفني » [1].

وفي مجال الكتابة الروائية بالذات، كان الصوت النسوي نقلا لخبايا النفس، وانفجارلصمت دام طويلا. و نأخذ بادئ ذي بدء ما نشرته الكاتبة « فاطمة الزهراء أمليان » وبالاسم المستعار آسيا جبار في أولى إصدارتها الروائية مع« العطش » la soife عام 1957، و في هذه الرواية تتحدث الكاتبة و بضمير المتكلم عن التنافس العاطفي و الرغبة الجامحة في التحرر لدى الشباب الجزائري. أما سنة 1958 أصدرت الكاتبة رواية ثانية بعنوان « القلقون » l'impatients وفي هذا النص اهتمت بمشاكل المرأة و التي أثيرت في الحرب الجزائرية الفرنسية (حب، حرية، زواج، طلاق...) و هنا تفتح الكاتبة الباب على مصراعيه لموضوع و عالم المرأة و تحاول مناقشته و تحليله.

و في سنة 1962 ظهرت رواية « أبناء العالم الجديد » les enfants du nouveaux monde و في هذه الرواية تتحدث الكاتبة عن نساء جزائريات كافحن في الحرب بكل بسالة و قوة و شجاعة وسردن الأحداث التاريخية من جهة أخرى، و اعترفت الروائية أنّ أحداث رواية أبناء العالم الجديد تحمل لآرائها و أراء أبناء الوطن، تقول آسيا جبار:«كنت أرغب أن ألقي بنظرة إلى أبناء وطني و موقف ليلى البطلة من الداخل يعبر عن موقفي » [2].

و تواصل آسيا جبار إصداراتها مع رواية« الحب و الفانتازيا l'amour , la fantasia » عام 1984 هي سيرة جمعوية أنشأتها الكاتبة لكسر حاجز الخوف الذي عزل تعبيرها و النساء الجزائريات وتحقيق صوت جماعي بواسطة الراوي، و بالتالي الوصول للمبتغى و هو الهروب من الصمت الخانق لوجودها، وهي رواية تاريخية تعكس الهوية الأنثوية الجماعية.

أما رواية « لا مكان لي في منزل أبي nulle part dans la maison de mon père » سنة 2007 ترجمها محمد يحياتن إلى اللغة العربية باسم بوابة الذكريات [3]. وفي هذه الرواية تطلق الكاتبة العنان لذاكرتها الحميمية لتحكي سيرة فتاة جزائرية تحكي عن ذكريات طفولتها و مراهقتها لترسم أول خطوة في الانكشاف الذاتي تحت عنوان: شظايا الطفولة تبدؤها بسؤال« ترى هل الطفولة سرخفي لا يسمع أم غبار الصمت »[4] ثم تنقل حالة التمزق التي تعيشها في« تمزيق المحجوب » تروي فيه شغفها بالكتب، قصة حب منهوك بدأت ترتسم في جزئها المعنون « تلك

(*) هناك اتجاه سائد في الأدبيات الغربية على اعتبار الأزمة المالية لعام 2008 بداية التصدع لهيمنة الو.م.أ الشاملة على العالم وترافق ذلك مع وصول الرئيس باراك أوباما إلى الحكم وتغير خطاب السياسة الخارجية الأمريكية نحو التشاركية العالمية

(6) محمد السيد سليم، مرجع سابق، ص 267.

(7) ناصيف حتي يوسف، "دور القوى الصاعدة في النظام العالمي"، في كتاب : التطورات الاستراتيجية العالمية:رؤية استشرافية،مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية،ط1، 2011، ص 72.

(8) حسن مصدق، "البريكس.. تكتل ناشئ يسعى لإعادة توزيع القوة في العالم، العرب، العدد9928، يوم 2015/05/25، ص6.

التي تجري صوب البحر » لتنهي الرواية بفصل معنون« خواتم »تتساءل فيه هل أنا أبحث؟ أين يوجد منزل أبي الصغير المظلم ؟ لا مكان لي في منزل أبي وهي تسمي روايتها الأخيرة: الكتابة الهاربة [1] كتابة الصمت.

إن الملاحظ على كتابات آسيا جبار أن خصوصية الكتابة النسائية حاضرة في أعمالها و ذلك راجع إلى اختلاف تجربتها الحياتية و تركيبتها النفسية و البيولوجية أيضا أي تركيبة الأنثى النفسية ووضعها الاجتماعي و أفقها الوجودي. و قد تنوعت مصادرها الإلهامية من تنوع مختلف تجاربها الذاتية، و بذلك نجحت في طرح عالم ثابت و متين مؤسس بشكل جلي على العلاقة التي تربط النص بالخطاب. أيضا ميل الكاتبة الشديد إلى السرد التاريخي و الاهتمام بقضايا المرأة و حرية هذه الأخيرة. ففي نصها الموسوم بـ:« نساء الجزائر في شققهم » femmes d'Alger dans leur appartement تطرقت الكاتبة إلى الواقع اليومي بمآسيه ة آلامه و إيقاع أيامه المتماثلة و الروتينية المملة، و لهذا لا وجود إلا لسبيل واحد يمكن للنساء الجزائريات من فك القيود و الأغلال و تحرير الجميع إلا الكلام الذي يمكّن المرأة من الخروج و التجول بكل طلاقة متساوية مع الرجل.

أرادت الكاتبة آسيا جبار أن تمارس الكتابة لتعكس الصوت الإبداعي الأنثوي و تواجه الموت والنسيان، و تحقق أثرا لوجودها و بمرورها على هذه الأرض الجزائرية متخذة من اللـــغة الفرنسية مساحة لتحررها مدفوعة برغبة الكتابة. فالكتابة كائن يلاصق الكاتب و المكتوب و يلازم التجارب الشخصية، تقول:« ذات يوم جميل، جلست إلى العمل، مدفوعة برغبة الكتابة، خلقت شخصيات بدون هدف محدد، ثم بدأت هذه الشخصيات في الحركة ثم سحبتني معها. » [2]

دون أن ننسى أنّ الكاتبة أحبت اللغة العربية و ارتبطت ارتباطا عاطفيا بها، و قد أفصحت عن تعلقها و إعجابها باللهجة العامية المتداولة في المناطق الحدودية الجزائرية و التونسية، فهي مثلا في رواية "القنابر الساذجة" تحدثت عن حب و شغف بعض شخصيات الرواية للغتهم الأم ما قرر«عمر » و هو لا يزال تلميذا أن يتحدث العربية فقط لأنها لغته الأم و ألاّ يتحدث اللغة الفرنسية«...في القسم عزمت على التحدث بالعربية فقط، لغة أمّي، و منعت نفسي من الحديث بالفرنسية لغة الآخرين،أتذكر أنني كررت عديد المرات (الآخرين.. الآخرين) و أقحمت أهلي في دائرة (الآخرين)علما بأن والدتي و أخواتي كنّ يجهلن اللغة الأجنبية و لا يتحدثن حرفا واحدا بها. »" [3]

ففي هذه الرواية تبحث شخصيات النص السردي عن اللغة العربية من خلال حفظ القرآن الكريم، و دراستها في المدارس القرآنية« هل يفهمون فعلا معاني هذا القرآن، فقد حفظوا سورا كاملة على ظهر قلب، فبم

---

(9) **ناصيف حتي، "دور القوى الصاعدة في النظام العالمي"، مرجع سابق، ص 73.**

(10) أحمد دياب، **البريكس تكتل القوى الصاعدة**،ملف الأهرام الاستراتيجي،مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية،مؤسسة الأهرام الدولية، القاهرة، ماي 2011/ ص 01.

(11) آفاق التعاون البراغماتي بين دول مجموعة البريكس،**صحيفة الشعب اليومية**، 28 مارس 2012،ص 01.

(12) General Leonid ,BRICS and the mission of reconfiguring the world, strategic culture foundation (Russia),15 june 2011.

سيفيدهم هذا الحفظ ؟ سيمتلكون لغة الرسول عليه الصلاة و السلام ويقرؤون روائع الأدب العربي. رددت بصوت منخفض بعض مجموعة من النساء »[1]

ومن الصيغ التي تعكس المتداول الجزائري في كتابات آسيا جبار ما يلي:

« Que dieu fleurisse ton visage, qu'il fructifie la maison qu'il colore ton sort de couleurs du bonheur , de pais »[2]

مثل شعبي يقصد منه أنه من الصعب إخفاء الحقيقة لمدة طويلة. « un tamis devant l'œil du soleil »

ومن هذا المنطلق تظهر العلاقة التي تعيشها الكاتبة آسيا جبار مع اللغتين الفرنسية والعربية. تظهر هاتان اللغتان لدى الكاتبة الجزائرية في شكلين، فالفرنسية هي لغة العدو والانفتاح على العالم الحديث واللغة العربية تمثل بدورها الجذور العائلية واللغتان بالنسبة لها أداتان أساسيتان في بناء الهوية الجزائرية وتدعيمها.

إذن ما يميز آسيا جبار في أعمالها هو الانفتاح على الثقافة الغربية واستلهام واقع المجتمع الجزائري و تراثه الممجد تراث الأسلاف. وترى الكاتبة أنها تمكنت« من إنتاج خطاب أدبي بعيد عن كل رقابة، وهو ما ينعكس على نصوصها الأدبية فبدت في صورة فسيفساء متنوعة من اللغات والأصوات واللهجات المحلية العربية، العامية والأمازيغية طبقا لرؤيتها الخاصة المتمثلة في ثراء الهوية الجزائرية وتنوعها »[3]

أما عن مضامين نصوصها فقد اهتمت الكاتبة بالمرأة التي ترى فيها حقيقتها المغيبة التي قمعتها الوصاية الاجتماعية والذكورية، وقد ساعدها في ذلك سردها باللغة الفرنسية والتي منحتها الكثير من الكنوز ومكنتها من التحرر الثقافي والاجتماعي. ففي روايتها« القلقون »تتحدث الكاتبة عن المرأة وتركز على نفسيتها المحبة التي تمنح قلبها وروحها للرجل الذي تحبه دون تفكير أو تمهل، كما تكشف عن الدسائس في عالم النساء. فدليلة المحبة لحريتها والراغبة في إكمال دراستها وتقرير مصيرها والرافضة للكذب والتزييف تحب رجلا اسمه« سليم »الذي تقدم لخطبتها من أهلها، أما هو فترغب في حبه ليلى منافستها وأرملة والدها من ناحية وحبيبته السابقة من ناحية أخرى، وبعد عودته من سفر قاده إلى باريس حيث توجهت دليلة لتلتحق به، اكتشفت هذه البطلة أنها هربت من سجن العائلة لتقع بين يدي سجان جديد هو الحبيب « سليم »الذي يقتل في الأخير مع ليلى من طرف زوجها.

اللافت للانتباه هو تركيز الكاتبة على هذه الدسائس العاطفية التي تكون عادة بين النساء في جو من

---

(13) Op Cit.

(14) محمد صلاح الدين، رائد النهضة البرازيلية لولا دا سيلفا، من سلسلة كتب مشاهير العالم، ط 01، دار الفاروق للنشر، عمان، 2012، ص 14.

(15) محمد عبد العاطي، البرازيل القوة الصاعدة من أمريكا اللاتينية، سلسلة ملفات القوى الصاعدة(3)،مركز الجزيرة للدراسات،قطر، 20010، ص 16.

التراجيديا الكلاسيكية [1]

موضوع المرأة نجده كذلك ماثلا في رواية« أبناء العالم الجديد » ، حيث تتناول الكاتبة المستوى الاجتماعي الذي تمثله المرأة.

و كذلك في رواية« القنابر الساذجة »هذه الرواية التي تعكس حياة آسيا جبار و تلامسها، فهي أشبه بسيرة ذاتية. ففي العنوان« القنابر الساذجة »نقف على المعنى القابع وراء هذه الدلالة، حينما تحاصر كل من نفيسة وليلى في الغابة يصيح أحد الجنود:

Et ! voilà ! les alouettes

هاي القنابر هنا. وهي عبارة كان الضباط الجنود يستخدمونها في حق المومس الراقصة في الجزائر

و في رواية طيف السلطانة Ombre sultane تشير الكاتبة إلى أحداث دارت بين امرأة تقليدية سجينة البيت منذ طفولتها دون أن يتغير شيء في حياتها و ضرتها الشريكة الأخرى الحرة تماما، وتتدرج الأمور فتعلم هذه المرأة دروسا من العالم الخارجي، و يتأسس بين الزوجتين حوار وهمي متجذر في الأخوة، هو عقد يجمع بينهما بعد استرجاعهما لذكريات الطفولة المشتركة، و حينما تتفقان على الزوج المشترك.

كما احتفت كتابات آسيا جبار احتفاء شديدا بالجسد الأنثوي و تظهر لغة الجسد في رواياتها و كتاباتها الأخرى بصفة عامة. فلغة الجسد عند آسيا جبار « هي لغة الكتابة، فحينما تمسك اليد باليراع لن تخط و لن ترسم إلا ترنحات و شطحات و جنون الجسد، فالاختناق، الترنح، التيه، الجنون... هي بمثابة توصيفات لجسد المكتوب برقصاته »[2]

و تظهر لغة الجسد في عدة روايات كرواية لا مكان لي في منزل والدي أين تصور لنا الجسد المتحرك، محاولة تحريره من عالم القيود التي كبلته الأعراف و التقاليد، و أضحت ملامحه شهباء تائهة، تقول الكاتبة:« قررت دون سابق إنذار، و لتذهب الأعراف المنافقة إلى الجحيم أن تنتصب بغتة بهذا الفستان الأسود ذي الأزهار الحمراء و البنفسجية كي ترتجل رقصة قديمة متفاخرة، أثقلها بعض التردد، ثم بعد تسلل الإيقاع المهتز للطبل في نفسي، رغبتُ في الالتفات حول نفسي... سأرقص أمام جميع النساء كما يحصل لي في سريري و أحيانا في أحلامي »[3]

فهي تسعى إلى إبراز جمالية الجسد، و تأبى أن تكون سجينة الجسم المغيّب الذي غيبته الأعراف و العادات، و طمسته، لأن الأنوثة الحقيقية في نظرها تكمن في معرفة معالم جسدها خارج ثقافة الأسرة و المجتمع،

---

(16) سالي موفق عبد الحميد، التكتلات الاقتصادية الدولية ودورها في الاقتصاد العالمي :بريكس أنموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة النهرين،كلية العلوم السياسية،،2017، ص 80.

(17) محمد عبد العاطي، مرجع سابق ص 18.

(18) حميد ياسر واحمد حامد خليوي، الموقع الروسي في المنظور الجيوبولتيكي الغربي، مجلة لارك للفلسفة والعلوم الاجتماعية،العدد (14)، جامعة واسط، كلية التربية،2014ص 10.

بعيدا عن الشهوة الرخيصة، وهو ما يوفر لها الشعور بالحرية ة تحرير الذات من قيود الآخر.

أيضا نعثر على لغة الجسد من خلال رواية الحب والفانتازيا، تقول الكاتبة:

« Voilez le corps de la fille nubile , rendez la invisible , transformez – la en être plus aveugle que l'aveugle , tuez en elle tout souvenir du dehors » [1]

جسد البنت المحتشمة تجعل من ذلك غير المرئي يحولها إلى بصيرة أكبر من الأعمى، و يقتل بداخلها كل ذكرياتها المتعلقة ببيئتها

و بلغة شعرية تطلعنا الكاتبة عن لغة الجسد في نص آخر تقول فيه:

« Après une querelle banale d'amoureux que je transforme en défi, que je lance en révolte dans l'espace une secrète déchirure s'étire la première... mes yeux cherchent au lion , une poussé étranger propulse mon corps , je crois tout quitter , je cours , je désire m'envoler » .

بعد رفعي لنظرة المحبين في سماء المعركة، و في سرية ممزقة لأوّل مرة عينيا تبحثان بعيدا، هي دفعة غريبة لجسدي. أعتقد أنني سأترك كل شيء إ نني أشتهي الطيران بعيدا.

في مونولوج داخلي و بضمير المتكلم تتحدث هذه الذات عن نفسها محاولة إشباع الذات الراغبة في الابتهاج و التحليق بعيدا وبكل حرية حرية الجسد و حرية المرأة بشكل عام.

و هكذا كان موضوع المرأة و الجسد الأنثوي هو الغالب في كتابات آسيا جبار، و ترى الكاتبة أن المرأة هي صاحبة هذا الفضاء و هذه اللغة و هما يسمحان لها بالاحتماء ضد المجتمع الذكوري والسلطة الأبوية المهيمنة الخانقة لصوت المرأة وروحها. و قد ساعدتها كتابتها باللغة الأجنبية على التفتح و من ثم إيصال صوتها، و مو اقفها النسوية المناهضة لكل أشكال الأبوية التي كانت تمارس على النساء الجزائريات، لتتضاعف معاناتهن بسبب السيطرة المزدوجة لثقل التقاليد و النظام الأبوي من جهة، و الاستعمار من جهة أخرى.

و أخيرا

إنّ النص السردي عند هذه الأديبة إضافة إلى أنه تنفيس عن الذات و إحقاق لهاجس الكتابة و إقرار للهوية، المتميزة للمرأة، هو أيضا كتابة أكاديمية بكل المقاييس التي يفرضها الجنس الروائي بتقاليده المتوارثة و بطروحاته المستجدة، التي تنهل من الموروث الأدبي العالمي و العربي والجزائري الأصيل إلى ثقافة جزائرية باعثة بجذورها في عمق الأصل الأمازيغي و العربي.

(19) أسامة مخيمر،" الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا"،مجلة السياسة الدولية، العدد(170)، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام،،2007ص 92.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

1- آسيا جبار بو ابة الذكريات، تر: محمد يحياتن، سيديا الجز ائر، 2014

المصادر بالفرنسية:

-1Assia djebbar , la réfugiée linguistique , armelle Datin et Isabelle colombat , nuit blanche le magazine du livre n 92 , 2003

-2 Assia Djebar , les Alouettes naïves , ed , Julliard , 1967

المراجع:

1- إدريس بودیبة، الرؤية و البنية في رو ايات الطاهر وطار منشورات منتوري، قسنطينة ط1، 2000.

2- أم الخير جبور، الرو اية الجز ائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،دراسة سوسيو نقدية،دار ميم للنشر الجز ائر، 2013

3- بوشوشة بن جمعة، الرو اية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة و النشر، تونس، ط 1.

4- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية، منشورات دار الاختلاف الجز ائر، ط1، 2009.

5- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجز ائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982

6- عبد القادر بودومة، تفكيك حجاب اللغة، مقاربة فينومينولوجية لنص آسيا جبار – الأصوات التي تأسرني – منشورات وهران 2010.

7- عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006.

8- مجموعة من الأكاديميين العرب، الفلسفة النسوية، إشراف و تحرير علي عبودي المحمداوي، منشورات الاختلاف، الجز ائر، ط1، 2013.

المراجع العربية المترجمة:

1- جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، - من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، تر فاتن البستاني مراجعة محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2008.

2- سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، تر مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، القاهرة، 1966.

الدوريات و المجلات و الرسائل :

1- أمين الزاوي، الرو اية الجز ائرية المكتوبة بالفرنسية بحث في تطور علاقة الانتاج الرو ائي بالإيديولوجيا من 1930 ألى 1982، رسالة ماجيستير، كلية الآداب جامعة دمشق،1948.

2- بولفعة خليفة، الهوية و المرأة في أدب آسيا جبار تفكيك النسق و كسر المحظور، مجلة الأثر، العدد 21، ديسمبر 2014، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل.

3- سليمة خليل، و هنية مشقوق، الأدب النسوي بين المركزية و التهميش، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

4- مفيد نجم، الكتابة النسوية، إشكالية المصطلح التأسيس المفهومي لنظرية الأدب النسوي، مجلة نزوى، العدد 42،2009.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 1jean déjeux ,la littérature féminine de langue français aux maghreb, éd karthala,1994

-2jean déjeux , situation de la littérature maghrébine de langue français

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

التصورات الإستراتيجية لتكتل "بريكس BRICS" و انعكاساتها على العلاقات الدولية

Strategic perceptions of the "BRICS" bloc and its implications for international relations

مقالة مشتركة

الدكتور: مشاور صيفي

أستاذ محاضر "أ" بجامعة أدرار – الجزائر

لخضر بوالطمين

أستاذ محاضر "ب" بجامعة سطيف

ABSTRACT: This paper studies the strategic perceptions of the BRICS and their implications for international relations; Today's world, after a series of American military, economic and political failures (wars, crises, downturns and economic stagnation), tends to search for alternatives and different tools to lead the world in a more stable and secure way, and less unique and hegemonic, especially in light of the signs of the rise of various global and regional powers that have capabilities and projects. What ensures that this is achieved, such as China, Russia, India, Japan and South Africa, in their bloc known as the BRICS bloc; And whose perceptions went beyond economic trends to strategic perceptions that establish the concept of pluralism, capable of creating new balances in international relations and eliminating the unipolarity that has prevailed since the collapse of the Soviet Union.

Keywords: BRICS, international relations, strategic perceptions, multipolarity

الملخص: تدرس هذه الورقة تصورات البريكس الإستراتيجية و انعكاساتها على العلاقات الدولية؛ فعالم اليوم، وبعد سلسلة من الإخفاقات الأمريكية العسكرية والاقتصادية والسياسية (حروب وأزمات و انكماش وركود اقتصادي)، أخذ يميل للبحث عن بدائل وأدوات مغايرة لقيادة العالم بطريقة أكثر استقراراً وأمناً، و أقل تفرّداً وهيمنة، خاصة في ظل بوادر صعود قوى عالمية و إقليمية متنوعة تمتلك من الإمكانيات والمشاريع ما يكفل تحقيق ذلك كالصين وروسيا والهند و اليابان و جنوب إفريقيا، في تكتلهم المعروف بتكتل البريكس؛ و الذي تجاوز تصوراته التوجهات الاقتصادية إلى تصورات استراتيجية تؤسس لمفهوم التعددية القطبية، كفيلة بإحداث توازنات جديدة في العلاقات الدولية وتقضي على الأحادية القطبية التي سادت منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

الكلمات المفتاحية: مجموعة البريكس، العلاقات الدولية، التصورات الاستراتيجية، التعددية القطبية

مقدمة: يشكّل تكتل دول البريكس(*) نموذجاً فريداً ومتميزاً للتكتلات والمنظمات الدولية المعروفة من قبل، فهذا الكيان لا يربطه جوار جغرافي أو تقارب إقليمي، ولا انسجام سياسي أو حضاري أو ثقافي، بل هناك تباين في

درجات النمو الاقتصادي ومستويات الإنتاج لدول هذه الكتلة. ومع ذلك استطاعت أن تجد ما تتفق عليه رغم الاختلاف الطبيعي فيما بينها سواءً العرقي أو اللغوي أو الديني، وبدأ الحديث يتصاعد عمّا يمكن أن تُحدثه دول البريكس مجتمعة من نفوذ جيو استراتيجي عالمي، وفي هذا الإطار يمكن إدراك المساعي الجادة والطموحة لهذه الدول الخمس من أجل صياغة نموذج دولي جديد في ظل التحولات الجذرية التي يعيشها العالم، بهدف الوقوف في وجه الهيمنة الأمريكية وتكريس مبدأ السيادة واستقلالية القرار الوطني.

كما تظهر أهمية البريكس كأقطاب جديدة للتنمية من خلال تحقيقها لنمو اقتصادي مستدام ساهمت فيه عدة عوامل أهمها قدرات وإمكانيات الدول المنضمة إليه سواءً الاقتصادية أو البشرية أو العسكرية...، كما أن ثراء هذه الدول بالموارد والطاقات ساعد في خلق تنوع في مصادر الثروة.

تبحث هذه الورقة في الإشكالية التالية: ما هي التصورات الاستراتيجية لتكتل البريكس تجاه إعادة صياغة العلاقات الدولية، وما هي حدود التأثير فيها؟

I. أهمية وجود أقطاب دولية في السياسة الدولية:

إنّ التحولات التي يشهدها النظام الدولي خلقت حالة جدل لتوصيف هذا التغير في هيكل النظام الدولي بين عدة رؤى:

1. انعدام القطبية: يعتقد ريتشارد هاس أن النظام الدولي بات يتسم بانعدام القطبية (Non Polarity)، ففي ظل توزيع الموارد وقدرة عدد كبير من الفواعل على التأثير في مُخرجات البيئة الدولية لم يعُد مركز القوة متجمّعاً لدى قطب واحد بل إنه يرى أن هناك ست أطراف دولية هي الأكثر فاعلية: وهي الو.م.أ والصين والهند والاتحاد الأوروبي واليابان وروسيا[1]،إذ يتجاوز الناتج الإجمالي لهم 75% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، كما يفوق إنفاقها العسكري مجتمعة80 % من الإنفاق العسكري العالمي.

2. انتقال القوة: هناك اتجاه لتوصيف تحولات القوة في النظام الدولي بحسبانها انتقالاً للقوة نحو القارة الآسيوية لاسيما تجاه الصين، حيث توقع تقرير مجلس الاستخبارات الوطنية الأمريكي عن التحولات العالمية في عام2025 أن تصبح قوة اقتصادية وعسكرية مركزية، وستكون مؤهلة لمنافسة الو.م.أ، عقب تجاوز سياستها الدفاعية لمحيطها الجغرافي، وحسم الصراعات الحدودية حول عمقها الاستراتيجي، حيث قال روبرت كابلان بأن الصين ستكون محور القرن الحادي والعشرين[2]. وهو الطرح الذي يتفق معه فريد زكريا في كتابه "عالم ما بعد أمريكا" (2008) الذي يركز على صعود القوى الآسيوية وانتقال القوة والصدارة، على الأقل، في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية لمصلحة القارة الآسيوية.

أما روبرت كاغان في كتابه "عودة التاريخ ونهاية الأحلام"، فيؤكد أن العالم سيشهد تصاعداً للصراع بين

معسكرين، أولهما ديمقراطي ليبرالي يضم الو.م.أ والدول الأوروبية واليابان والهند. أما الآخر فسيضم كل الدول السلطوية والشمولية، وتتصدرها الصين الصاعدة وروسيا المناوئة للغرب، مما يعزز التعددية الدولية و انتشار عناصر القوة في دائرة أوسع من الفاعلين، وعودة سياسات القوة والتنافس على الصدارة الاقتصادية والعسكرية، وصراعات الهيمنة بين القوى الكبرى، وهو ما تنبأ بيه جيدون راتشمان في كتابه حول المستقبل الصفري (Zero Sum Future) للنظام الدولي[3].

3. الفوضوية الدولية: تتصدر أطروحات يان بريمر هذا الاتجاه في كتابه حول "عالم المجموعة الصفرية" (G-Zero World)، حيث أشار إلى أن التحولات الراهنة للنظام الدولي تتجه لترسيخ حالة فراغ لا تتمكن في إطارها أي من الدول الكبرى، أو التحالفات الدولية، من تحمّل تكلفة وأعباء قيادة العالم، وهو ما يُطلق عليه "عصر انعدام القيادة" الذي يتسم بافتقاد الو.م.أ القدرة على فرض الأجندة الدولية، في ظل موجات إنسحابية من الشؤون العالمية[4].

ومن جهتها، فَقَدَت المنظمات الدولية والتحالفات قدرتها على وضع القواعد المُنظّمة للتفاعلات الدولية بالتوازي مع عدم قدرة أي دولة صاعدة، خاصة الصين، على أداء الدور القيادي بما يتطلبه من التزامات. ويؤدي تكامل تلك المعطيات إلى نشأة عالم "مجموعة الصفر" تعبيراً عن نظام دولي أكثر اضطراباً وفوضوية، يفتقد التعاون والتنسيق الدولي، لاسيما في ظل عجز نموذج السوق الحر، وعودة السياسات الحمائية لتسيطر على اقتصادات دول العالم. وتمهد تلك التحولات لمرحلة الفوضوية المُطلقة، حيث تنهار الدولة القومية، ويتعاظم دور الحكومات المحلية، وتسود الصراعات الأهلية مختلف بقاع العالم نتيجة تفسخ أدوار الفاعلين، وإخفاق الحكومات في أداء أدوارها التنموية[5]. إن الاتجاه الأكثر منطقية لتوصيف وضعية النظام الدولي، منذ عشر سنوات على الأقل[*]،ينبأ عن الرؤية الثانية بفعل وجود عوامل ملموسة لتحول القوة على عدة مستويات، فقيام عالم متعدد الأقطاب لا يعني أن تتعادل القوى الكبرى فيه من حيث القوة[6]،بل أن يقوم بينها نوع من التكافؤ الذي يُجبر الجميع على التصرف بطرق محددة، أو أن تُقيّد هذه الأطراف من طموحها تبادلياً بحيث لا يتصرف أحدها بحريّة متجاهلاً مصالح الأطراف الأخرى بالشكل الذي يُعرّض التوازن القائم لحالة عدم استقرار، بحيث يميل النظام الدولي متعدد الأقطاب إلى إتباع سياسة المشاركة والاتفاق بين أقطابه لتصريف شؤون السياسات الخارجية والعلاقات الدولية وتنسيقها فيما بينهم.

II. قدرات دول البريكس:

تعتبر مجموعة "بريكس" (BRICS) من التكتلات الناشئة التي تسعى إلى إعادة النظر في نمط توزيع القوة في العالم، وقد تحولت من ("بريك"BRIC" البرازيل وروسيا والهند والصين)، وأُعيد تسميتها باسم دول

"بريكس" (BRICS) بعد انضمام جنوب إفريقيا إليها في قمة ديربان نهاية ديسمبر 2010. و تعبير "بريك" يعود في الأصل إلى "جيم أونيل"، أحد كبار الاقتصاديين في مؤسسة "جولدمان ساكس"، و قد صاغه عام 2011 ليشير إلى الكتلة الدولية الصاعدة، التي تملك حوالي 15% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، و تشكل بكتلتها السكانية حوالي 40% من سكان العالم، وتملك 32% من إجمالي الأراضي الزراعية في العالم، وتحظى هذه الدول بأعلى نسب نمو في العالم[7].

جدول رقم(1): يبين قدرات و إمكانيات مجموعة بريكس للدول الناشئة

الدولة	عدد السكان	نمو إجمالي الناتج الداخلي %			إجمالي الناتج الداخلي للفرد (بالدولار الأمريكي)
		2013	2014	2015	
روسيا	144مليون	1.3	1.3	2.3	14604
الصين	1.357 مليار	7.7	7.7	7.5	6768
الهند	1.211مليار	4.4	5.4	6.4	1418
البرازيل	201مليار	1.5	1.8	2.7	11171
جنوب افريقيا	51 مليون	1.9	2.3	2.7	7810
المجموع %	41.6 % من مجموع سكان العالم	19.8% من إجمالي الناتج الداخلي العالمي			

المصدر : البنك العالمي،صندوق النقد الدولي، من المرجع: حسن مصدق، "البريكس.. تكتل ناشئ يسعى لإعادة توزيع القوة في العالم، العرب، العدد9928، يوم 2015/05/25، ص6. (الباحث بتصرف).

و تسعى دول "البريكس" للدفع بثقلها و قوتها في توجيه العلاقات الدولية في اتجاه غير الذي تريده الولايات المتحدة، و عدم الإبقاء على الهيمنة الخالصة لقوة واحدة على مجريات الساحة العالمية. وإذا كان تكتل "البريكس" تكتل اقتصادي بالأساس، فإن تحركاته وتدخلاته تبدو أنها تعدت البعد الاقتصادي البحت، فدول "البريكس" تسعى-مثلا- إلى زيادة جهودها المشتركة لمواجهة توسع حلف الناتو، و يزداد ثقل دول "البريكس" وزنا يوماً بعد يوم مما يجعل لموقف هذه الدول تأثيرا هاما في قضايا دولية تشمل الطاقة و الأمن الغذائي و الهجرة الدولية غير الشرعية و الجرائم المنظمة العابرة للحدود و الإرهاب و ضبط التسلح النووي و البيئة و التعاون الأمني و التقسيم الدولي للعمل و علاقة الشمال بالجنوب و العديد من القضايا الراهنة[8].

ويطرح صعود مثل هذه التكتلات الجديدة، ضرورة التركيز على دورها في إعادة صياغة الخارطة السياسية العالمية، وإعادة توزيع مراكز القوة في العلاقات الدولية، ويبدو واضحا في هذا الشأن أن مجموعة

"بريكس" تتحرك تحت عنوان إقامة نظام عالمي أكثر تمثيلا لهيكل توزيع القوى و أكثر ديمقراطية من حيث تعبيره عن كافة أطياف القوى والتيارات الإقليمية والدولية ومصالحها الواسعة والمتنوعة، مع التأكيد في هذا الخصوص على أهمية بلورة دبلوماسية متعددة الأطراف للتعامل مع القضايا الدولية، سواء كانت خلافات أو تحديات أو أزمات تستدعي تعاونا دوليا واسعا وشاملا و فاعلا للنجاح[9].

III. أهداف وآليات البريكس:

1.الأهداف:

انطلقت مجموعة البريكس من أهداف اقتصادية مشتركة تكون حافزا لتماسك هذه المجموعة (متخذين من الاتحاد الأوربي نموذجا في ذلك،) ذلك لأن دول المجموعة مختلفة عن بعضها في الكثير من الجوانب السياسية والثقافية، لذلك ركزت أهدافها على:

1. تشجيع التجارة والاستثمارات البينية لتحقيق تكاملا اقتصاديا خاصة في مجال النفط والغاز والبنى التحتية، وقد أشار الباحث في اقتصاد التنمية بجامعة جوهانسبيرغ (ستيفن جيلد) في هذا المضمار أن هذا لن يكون الاهتمام الوحيد،لكنه سيكون العملية الهامة في مساعدة الدول نفسها لتحقيق أغراضها الأخرى[10]. 2. ضرورة إصلاح مؤسسات التمويل الدولية من أجل زيادة دور القوى الاقتصادية الصاعدة في صناعة القرار داخل مؤسسات النقد الدولية(الصندوق والبنك الدوليين)[11].

3. محاولة تغيير نظام النقد الدولي بتقليل الاعتماد على الدولار الأمريكي في المدفوعات الدولية،حيث تبلور الدول الخمس اتفاقية تقديم قروض أو منح لبعضها البعض بعملاتها المحلية لتدويل تلك العملات وتأسيس آليات جديدة[12].

4. في القمة الرابعة للمجموعة التي عقدت في الهند عام 2012، أُضيفت أهداف جديدة تعكس متطلبات الوضع الاقتصادي العالمي وذلك لان الدول الخمسة هي أعضاء في نفس الوقت في مجموعة العشرين (20).

5. تهتم المجموعة بشكل خاص بالتعاون التكنولوجي خاصة في مجالات الطاقة المتجددة وتحسين استخدامها لاسيما وأن البرازيل تعد الدولة الرائدة في هذا المجال[13].

6. الاتفاق على هوية موحدة وتعاون مؤسسي بما يجعلهم مجموعة جيوسياسية وجيو اقتصادية لها وزنها قادرة على الثبات ودرء المخاطر مع خلق نظام للتنسيق الأمني فيما بينهم.

7. العمل على تأسيس نظام عالمي جديد بعيد عن الهيمنة الأمريكية مع العمل على إصلاح المنظمات السياسية الدولية وتحديدا الأمم المتحدة ومجلس الأمن[14].

8. السعي لسحب دول صاعدة وناجحة تشارك هذه المجموعة في تطلعاتها، إذ يمكن الانفتاح على العالم

الإسلامي لاسيما الدول الرئيسية فيه مثل إيران، تركيا، ماليزيا.

2. الآليات:

هناك عدد من المؤسسات المالية والاقتصادية في البنية المالية لتكتل البريكس، أبرزها هو بنك التنمية الجديد ويشار إليه كذلك باسم بنك تنمية البريكس مع صندوق احتياطي نقدي بقيمة (50و)100مليار تم إنشاؤهما على التوالي وذلك أثناء القمة في شنغهاي في جويلية 2014 وتأتي أهمية ترتيبات الاحتياطي الاحتمالي لتوفير الحماية ضد ضغوط السيولة العالمية، والتي تشمل قضايا العملة حيث تتأثر العملات الوطنية للأعضاء سلبا بسبب الضغوط المالية العالمية.

كما وجد أن الاقتصاديات الناشئة التي شهدت التحرير الاقتصادي السريع مرت بزيادة التقلبات الاقتصادية مما جعل البيئة الاقتصادية غير مستقرة وبحاجة إلى هذه الاحتياطيات الاحتمالية التي أصبح ينظر إليها كمنافس لصندوق النقد الدولي وينظر لبنك التنمية كمثال على زيادة التعاون بين الجنوب والجنوب. ويتكون الأساس القانوني للاحتياطي من معاهدة إنشاء ترتيب الاحتياطي في البريكس عام 2014 ودخلت حيز التنفيذ بعد مصادقة جميع الأعضاء وتم الإعلان عنها في قمة البريكس السابعة في جويلية 2015.

IV. مقومات القوة لدول تكتل البريكس:

تشترك دول البريكس كونها اقتصاديات ناشئة يزداد وزنها الاقتصادي في العالم مع مرور الوقت، إلا أنها تمتاز عن بعضها بمقومات جعلت منها الانطلاقة الأساسية إزاء توجهها نحو العالم بالرغم من التفاوت فيما بينها في مقومات القوة، ويمكن إدراج أبرزها حسب كل دولة كالأتي:

1. البرازيل: وتعد من أهم القوى الصاعدة في أمريكا الجنوبية والقوة الأولى بكافة المعايير الجغرافية والبشرية والاقتصادية والعسكرية وتفصلها فجوة كبيرة عن بقية دول القارة وتحديدا الأرجنتين وتشيلي وفنزويلا[15]. ويعتبر اقتصادها من أهم الاقتصاديات التي تم تحريرها بالتوازي مع تحرير الاقتصاد العالمي، والبرازيل عضو في منظمة التجارة العالمية، كما تمتلك شركات متعددة الجنسية في الزراعة والطاقة فضلا عن الصناعات المصنعة خاصة صناعة الطائرات، فهي تمتلك اقتصادا متطورا وطلبا محليا كبيرا من خلال اتساع حجم سوقها. كما تحتل الموارد الطبيعية لديها أهمية كبيرة جعلتها شبه مستقلة عن العالم الخارجي في مجال توريد مصادر الطاقة، فضلا عن ذلك، تمتلك البرازيل أوسع غابة استوائية في العالم وهي غابة الأمازون وتشكل أكبر مولد ومخزون للأوكسجين في الكرة الأرضية[16]. وللبرازيل نظام بنكي متحرر وشبكة اتصالات متطورة واهتمام كبير بمستوى التعليم والبحث والتطوير. وقد أكد مركز أبحاث الاقتصاد والأعمال (CEBR)أن البرازيل احتلت المرتبة السادسة في الاقتصادات العالمية بعد الولايات المتحدة (الأولى)، الصين (الثانية)، اليابان (الثالثة)،ألمانيا

(الرابعة) وفرنسا (الخامسة.) وقد جاء ذلك بفضل نسبة النمو المتحققة بدءا من عام 2010 والبالغة حوالي7,5 % كما وتحتل المرتبة الخامسة عالميا من حيث تعداد السكان الذي تجاوز حاليا (207,847,53) نسمة. فإلى جانب سكانه الأصليين فإن المهاجرين من ايطاليا واسبانيا والبرتغال واليابان والصين وكوريا جعلوا من البرازيل بلدا متعدد الأقاليم والثقافات[17].

2. روسيا الاتحادية: وتقع في الجهة الشمالية من الكرة الأرضية وتمتد عبر شرق أوروبا والذي يمثل ربع مساحتها أما الثلاثة أرباع المساحة فتقع في الجزء الأسيوي الذي تمتد فيه وتحديدا شمال آسيا [18]. ترتكز مقومات القوة الاقتصادية فيها على المقومات الزراعية والصناعية والمساحة الهائلة التي تعد الأكبر على مستوى العالم، فضلا عن الإمكانيات الهائلة والتنوع الكبير في مصادر الطاقة مثل الغاز والنفط والفحم والكهرباء والطاقة النووية، كما وتمتلك ثروة ضخمة من الطاقة الطبيعية المتجددة. إذ تُعد روسيا الدولة الأولى في العالم من حيث احتياطي الغاز الطبيعي والذي تجاوز (30%) من الاحتياطي العالمي، أي ما يزيد على ربع الاحتياطي العالمي[19]. كما وتحتوي على عدد متنوع ومختلف من التضاريس متمثلة بالجبال والأنهار والأقاليم الجغرافية. وحسب الإحصائيات الأخيرة عام 2016وصل عدد سكان روسيا نحو (144,096,81) مليون نسمة[20]. وقد ساعد ارتفاع أسعار النفط لفترات متباينة على تكديس الثروة لديها والذي جعل منها أحد مفاتيح القرار الدولي، حتى باتت الولايات المتحدة تفكر كثيرا في الموقف الروسي قبل الإقدام على التوجه نحو مجلس الأمن عند البحث في إصدار أي قرار دولي قد يكون لروسيا فيه وجهة نظر مغايرة يمكن أن تقف عائقا أمام صدوره[21]. ولقد بدأت السياسة الخارجية الروسية تتأثر بمصالحها الوطنية، فقد وضع بوتين برنامجه على أساس التحديث الداخلي والبراغماتية من خلال ربط روسيا اقتصادها باقتصاد السوق الذي يهدف إلى ضمان التنافسية والابتكار التكنولوجي، حتى أصبح ذلك سبيلا لكي تستعيد روسيا مكانتها كدولة عظمى وهو ما يتطلب التحول الاقتصادي والانفتاح الاقتصادي أمام الخارج. فضلا عن ذلك، تمتلك روسيا قوة عسكرية وترسانة نووية هائلة تعد الأهم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يوجد لديها حوالي (5000) أرس حربي نووي نشط بالرغم من تواصلها بموجب معاهدة)(SORT نحو تقليص قواها النووية الاستراتيجية باعتباره جزءا من التحول الاستراتيجي بعيدا عن وضع الردع (الفائض الكبير) إلى (الردع المتكافئ الأدنى) وفق المخطط الروسي للمدة(2015/2020)ضمن تفوق القوى التي حُددت في معاهدة (STAART2)[22].

---

(20) سالي موفق عبد الحميد، مرجع سابق، ص 92.

(21) شانون كايل وآخرون،القوى النووية في العالم،في: التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي (الكتاب السنوي)،تعريب: عمر الأيوبي وآخرون، مركز دارسات الوحدة العربية،بيروت،،2009ص 531.

(22) سالي موفق عبد الحميد، مرجع سابق، ص 85..

3. الهند: هي من الدول التي تقع في الجزء الجنوبي من قارة آسيا تحتوي على نحو (77%) من سكان جنوب آسيا إذ بلغ عددهم حسب تقديرات إحصاء 2015نحو (1,311,050,53) نسمة وهو ما يعني أن الهند ستتجاوز الصين من حيث عدد السكان في حدود عام 2025، كما وتحتوي على (72%) من المساحة ونحو (84%) من الأراضي القابلة للزراعة فضلا عن (81%) من الغابات[23]. وتمتلك الهند سوقا واسعة ونظاما ماليا متطورا وعددا كبيرا من الشركات ذات الكفاءة العالية خاصة في مجال صناعة البرمجيات. ويمثل القطاع الزراعي المركز الرئيس في الاقتصاد الهندي لكونه يستوعب حوالي (70%) من مجموع القوى العاملة ويسهم بأكثر من (40%) من مجموع الناتج المحلي الصافي والزراعة هي الحرفة الرئيسية التي تمد الملايين بالغذاء، كما أنها مصدر للعديد من المواد الأولية التي تقوم عليها الصناعات الهندية، ويشكل تحسين المستوى المعيشي للسكان تحديا كبيرا لها، على اعتبار أن غالبيتهم من سكان الأرياف، غير أن ذلك لا ينفي وجود تجمعات سكانية حضرية متطورة ومتخصصة في الصناعات والخدمات الموجهة للتصدير.

4. الصين: وتقع في الجزء الشمالي من نصف الكرة الشرقي من قارة آسيا وتتمتع بخصائص جغرافية جعلتها تتميز بعمق استراتيجي كبير والإشراف على طرق مهمة للمواصلات والتجارة مع العالم سواء البرية منها بإشرافها على طريق الحرير الذي مارس دور كبير في تفشي التجارة عبر محور الشرق الأقصى والشرق الأوسط وأوروبا مرورا بآسيا الوسطى وجنوب آسيا أو طرق المواصلات البحرية بإطلالها على المحيط الهادي وبحر الصين الجنوبي وغيرها لتحقيق تنمية اقتصادية تمكنها من تحسين مستوى سكانها البالغ حسب إحصائيات مجموعة البنك الدولي لعام 2014 نحو (1,369,811,000) نسمة أي حوالي (20 %) من سكان العالم[24]. وتُعد الصين المنافس القوي والمحتمل للولايات المتحدة على الصعيد الدولي، ففي أقل من ثلاثين عاماً أصبحت الصين القوة الاقتصادية الثانية في العالم بعدما سجلت معدلات نمو فاقت (10%)ويعود ذلك أساسا إلى ارتفاع حجم صادراتها من السلع ذات الاستهلاك الواسع فضلا عن الاستثمارات الضخمة في التعليم والبحث والتطوير والتي أدت إلى تخفيض معدلات الأمية وتحسين مستوى تكوين العمالة الصينية، وهي كذلك عضو في منظمة التجارة العالمية. ويتوقع تقرير مجلس الاستخبارات الوطنية الأمريكي المعنون بـ (الاتجاهات العالمية لعام 2025: تحول العالم)، أن تكون الصين أكبر دول العالم اقتصادا فضلا عن ذلك، فهي تفرض نفسها بمرور الوقت كقوة مالية وعسكرية وثقافية[25]،إذ أصبحت الصين واحدة من اكبر المراكز المالية في العالم فقد راكمت لديها عملات

---

(23) محمد السيد سليم، "العرب والتطورات الاستراتيجية في جنوب آسيا" في: آفاق التحولات المعاصرة"، تحرير: وليد عبد الحي، ط 01،دار الشروق،عمان، 2002ص 68.

(24) سالي موفق عبد الحميد، مرجع سابق، ص 87.

(25) Global Trends 2025:Transformed World, National Intelligence Council, November ,2008p.12.

أجنبية كثيرة تقدر بأكثر من تريليون دولار أمريكي خلال العقد الأول من القرن 21، كما وتعتبر واحدة من أكبر مراكز الصناعة في العالم وتستهلك ما يقرب من ثلث التجهيز العالمي من الحديد والفولاذ والفحم. وازداد حجم الإنفاق على الجيش الوطني بمقدار (20 %) سنويا في الأعوام الأخيرة وامتدت دبلوماسيتها لتشمل كل قارات العالم وهو ما يؤكد أن الاقتصاد العالمي بصدد تغير جذري لصالح صعود الصين[26].

5. جنوب إفريقيا: وتقع في أقصى الطرف الجنوبي لقارة إفريقيا وتحتل المركز الخامس والعشرين من حيث المساحة في العالم[27]،وتعتبر من الدول الغنية بالموارد الطبيعية والمعادن حيث تمثل وحدها أكثر من (20%) من الناتج الاقتصادي للقارة الإفريقية، ويقوم اقتصادها على ثلاثة محاور رئيسة هي الصناعة والتعدين والتجارة، ويعد القطاع الصناعي هو المولد الرئيس للنمو الاقتصادي في البلاد والذي يشهد تطورا تكنولوجيا خاصة في مجالات الطاقة والتعدين وكذلك في قطاعات خدمية تحديدا الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات. ويعد الذهب أهم صادراتها إلى الخارج فهي ثاني أكبر منتج للذهب على مستوى العالم بعد الصين[28]. وتعد الدولة الوحيدة التي تحقق فائضا غذائيا باستثناء العجز في سلعة الذرة، ويأتي ترتيبها (29) على مستوى العالم من حيث التقدم الاقتصادي وبتعداد سكاني تجاوز الخمسين (50) مليون نسمة، وعند مستوى نمو يقل أو يزيد على (3.5%) وناتج محلي يقل بحوالي (16) مرة عن نظيره في الصين، لذلك بحسب jim O'Neill ورغم هذه المقومات إلا أنه لا يشكل انضمامها لدول البريكس الا تمثيلا للقارة الإفريقية وفقا للمقومات التي تتميز بها هذه الدول قياسا بجنوب إفريقيا.

V. تصورات "البريكس" الاستراتيجية:

ظهرت طموحات دول "البريكس" السياسية منذ مؤتمرها الأول المنعقد في موسكو عام 2009، حيث تمت بلورة رؤية استراتيجية تتمحور حول إمكانية خلق رؤية منسجمة حول تجمع دولي عابر للأقطار، يسعى للدفاع عن مصالح أعضائه في مجال معالجة الأزمة الاقتصادية و إصلاح الأمم المتحدة و النظام المالي العالمي، فضلا عن التعاون في مجال الطاقة و التغير المناخي و مكافحة الإرهاب و الأمن الغذائي[29].

و استطاعت دول "البريكس" بلورة هذه الرؤية الاستراتيجية، من منطلق أن دولها الخمس تتمتع بموقع مركزي و دور محوري في أقاليمها قبل أن يكون لها و جود و نفوذ واسع و متنوع في العالم في قضايا أو مجالات

---

(26) دانييل بورشتاين، التنين الأكبر، تعريب: شوقي جلال،مطابع الوطن، الكويت،2001، ص 420.

(27) فيروز داولتلي، تجارب التنمية (...)3جنوب إفريقيا أنموذجا،"مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر: 18/5/2016على الرابط: http://pss.elbadil.com

(28) سالي موفق عبد الحميد، مرجع سابق، ص 93.

(29) حسن مصدق، مرجع سابق،ص 6.

مختلفة. فاقتصاديات دول المجموعة ستكون من الاقتصاديات العشرة الأوائل في نهاية العشرية الثانية من هذا القرن. ويبدو أن دور هذه المجموعة سيبقى أساسيا في إدارة شؤون العالم، وتحديدا في مجموعة العشرين(G20)، خاصة و أن التبادل بين دول المجموعة قد تضاعف عشر مرات بين عامي 2000 و 2008، مما يعزز اندماجها و بالتالي قوة قرارها[30].

و إذا كان هذا التكتل يضم ممثلين من جميع القارات و يقع مركز ثقله في آسيا، ورغم حداثته، إلا أنه اتخذ العديد من المواقف الهامة في عدد من القضايا الدولية، على غرار موقفه من ليبيا حين قدم نقدا سياسيا لاستعمال القوة في ليبيا، بعد امتناع ممثليه في مجلس الأمن عن التصويت على قرار التدخل العسكري لحماية المدنيين سنة 2011...[31]

يتبين للمتابع لوجهات نظر الدول المؤسسة للمجموعة و مقاربتها للأدوار التي ترى أنها الأهم و كذلك نظرتها إلى التطلعات المستقبلية لدورها في تحقيق التنمية الاقتصادية على مستوى العالم. و قد أصدر جيم أونيل رئيس "غولدمان ساكس"الذي أطلق تسمية "بريك"و فريقه بحثا بعنوان :" حلم البريك.. الطريق نحو 2050" ذكروا فيه أن "بوصلة التحكم في الاقتصاد العالمي تتجه نحو دول جديدة فالبرازيل و روسيا والهند والصين، ستسحب البساط من تحت أقدام القوى الاقتصادية التقليدية و على رأسها الو.م.أ.و الاتحاد الأوروبي". و بناء عليه فإن الناتج المحلي للبرازيل سيتجاوز إيطاليا عام 2025 و فرنسا عام 2031،و روسيا تتجاوز بريطانيا عام 2027 و ألمانيا عام 2028 و الهند ستتجاوز اليابان عام 2032، ومن المحتمل جدا أن الصين ستتجاوز الولايات المتحدة الأمريكية عام 2041، و ستصبح القوة الاقتصادية الأعظم في العالم. يعني هذا أنه في عام 2050 ستعاد هيكلة الاقتصاد العالمي و تبديل مراكز النفوذ عالميا و سيصبح ترتيب الدول العملاقة اقتصاديا هو: الصين، أمريكا،الهند، اليابان،البرازيل و روسيا[32].

إن إمكانيات مجموعة "بريكس" الهائلة تؤهلها لتبوّء وضع خاص في مسيرة العالم الاقتصادية خلال الحقب المقبلة، و سيتيح هذا الوضع المتقدم الجديد لدول نامية للعب دور مفصلي في توجيه بوصلة العالم الاقتصادية نحو عالم جديد، ولأول مرة، ستتمكن دول الجنوب من طرح أفكارها لتحقيق آمالها، لتعلن أن هيمنة الشمال لم تأت بكل ما يتطلع له العالم.. ستكون مساهمة الجنوب واضحة في الدفع لعالم متعدد الأقطاب[33].

---

[30] ناصيف حتي، "دور القوى الصاعدة في النظام العالمي"،مرجع سابق، ص 72-73.
[31] حسن مصدق، مرجع سابق،ص 6.
[32] عبد القادر و رسمه غالب،مجموعة "بريكس" و مكانتها في البنية الدولية"،**آفاق المستقبل**، العدد:26 أفريل. ماي.جوان 2015، ص ص28-30.
[33] **المرجع نفسه، ص 30.**

و إذا كانت " بريكس" بهذه الإمكانيات و القدرات التي تؤهلها للعب دور في الساحة الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، و تشكيل هياكل و أبنية مستقبل العالم و توازناته في آفاقه القريبة و المتوسطة، فإنها بلا شك ستستطيع أن تحقق أهداف مؤسسيها و خاصة روسيا و الصين، الذي ينطبق توجههما هذا مع توجه شراكتهما الاستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الواحد و العشرين. و يعتبر"بريكس" واحدة من أشكال الشراكة الاستراتيجية الناجحة الهادفة لكبح الهيمنة الأمريكية و إعطاء دور جديد و فعال لقوى " من الجنوب" حتى تقول كلمتها في المسرح الدولي.

و في إطار السعي إلى تطوير"بريكس"، أكد وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف"في مطلع عام 2015 أن روسيا ستستغل فترة رئاستها لمنظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة "بريكس" في عام 2015 لمنح نشاط هذين الإطارين نبضا جديدا. حيث قال "لافروف" في 21 /2015/01 إن روسيا عملت بنجاح في العام الماضي في مختلف المحافل متعددة الأطراف، بما في ذلك مجموعة "بريكس" ومنظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة العشرين. وشدد على أهمية الاتفاقات في المجال الاقتصادي في إطار مجموعة "بريكس"، قائلا إنها استراتيجية الشراكة الاقتصادية وخارطة الطريق للتعاون الاستثماري. و يرى الخبراء أن روسيا والصين ومجموعة "بريكس" تمارس دورا فعالا في مواجهة الهجمة الأمريكية الغربية علي مناطق نفوذ دول المجموعة، وعلى كل من روسيا والصين[34].

و في إطار الإنجازات العملية الداعمة لتوجهات "بريكس" وقع يوم 2014/07/15 - في مدينة "فورتاليزا" البرازيلية في أعمال القمة السادسة لدول مجموعة "بريكس" - قادة دول مجموعة "بريكس"، على وثيقة لإنشاء "بنك للتنمية" برأسمال 100 مليار دولار، وبناء احتياطات مالية تبلغ قيمتها أكثر من 100 مليار دولار أخرى، وذلك لمواجهة تأثير مؤسسات الإقراض الغربية، و لعدم الارتهان بشكل أكبر للدولار الأمريكي.وسيقوم البنك الجديد بتقديم التمويل لمشروعات البنية التحتية والتنمية، في دول "بريكس"، وعلى عكس صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، فإن كل دولة من دول "بريكس" لديها حصة على قدم المساواة في البنك، بغض النظر عن حجم الناتج المحلي الإجمالي. فعلى رأس أولويات الدول الأعضاء فيها -والتي تسيطر على 21% من الناتج الاقتصادي العالمي- النجاح في تغيير النظام المالي والسياسات الاقتصادية في العالم، وقد استمرت أعمال القمة لمدة يومين، تحت شعار: "تعزيز النمو الشامل والتنمية المستدامة".وقال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في المناسبة: "بنك (بريكس) سيكون واحدًا من المؤسسات المالية المتعددة الأطراف الرئيسية للتنمية في هذا العالم"، مع العلم أن كل دولة من

---

(34) أشرف الصباغ، "شنغهاي" و"بريكس" في مواجهة القطبية الأمريكية والحفاظ على الأمن الدولي، من الموقع : https://arabic.rt.com/news/787838-%D8%B4%D9%86%D8%BA%D9%87%D8%A7%D9%8A-%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%B3-%D9%82%D9%85%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D9%8A D9%84% %D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%/، بتاريخ :2016/01/30

الدول الأعضاء، ستقوم بسداد حصة متساوية، في رأس المال المبدئي بو اقع 50 مليار دولار، وذلك بهدف الوصول برأسمال البنك إلى 100 مليار دولار[35].

لكن، و برغم الأهمية الاستراتيجية و انجازات "بريكس" حاليا و مستقبلا، يواجه التكتل مجموعة من المعوقات ستؤثر على مسيرة دوله و مستويات نموها بسبب المشاكل المتعددة التي تعاني منها، بالإضافة إلى أن بعض دول "البريكس" تعاني من مشاكل أمنية داخلية ناتجة عن التعددية الإثنية و الدينية... التي تضعف داخل هذه الدول و تضعف الإنتاج القومي بسبب عدم الاستقرار[36].كما تشكو الدول الخمس المشكلة للبريكس من عدم التوازن في الهيكل الديمغرافي....كما أنها تفتقر إلى إطار مؤسسي يضمن بلورة سياسة أمنية و خارجية مشتركة إلى جانب التوجه الاقتصادي، الذي لا يكفي. وعليه يرى العديد من المر اقبين أن دول البريكس تجتمع في منتدى مرن أكثر منه منظمة استر اتيجية أو حلفا سياسيا[37].

إجمالا يمكن القول، أن مجموعة "بريكس" واحدة من أشكال الشراكة الاستراتيجية الروسية الصينية، و برغم المعوقات التي تعترض طريق الدول المشكِّلة لـ "بريكس"،يبقى تجمعا استر اتيجيا سيدفع لعالم متعدد الأقطاب يكون لدول الجنوب فيه مكانة و كلمة، رغم أن ومنطلقات "بريكس" اقتصادية بالأساس فإنها مزجت بين الاقتصادي و السياسي.

الخاتمة:تسعى دول البريكس إلى إقامة نظام عالمي متعدد الأقطاب بعيدا عن الأحادية القطبية التي يعيشها العالم منذ انتهاء الحرب الباردة، حيث تنفرد الولايات المتحدة بعناصر القوة والنفوذ نتيجة التمركز الشديد للموارد والإمكانيات المتاحة على نحو يجعل منها وحدة دولية متفوقة بكل المقاييس على بقية الوحدات الأخرى التي يتألف منها النظام الدولي، ولقد أدركت أطراف التكتل القيمة الإستراتيجية التي تحوزها وحجم الموارد التي تملكها، لذلك تركزت جهودها على بناء أسس متينة لهذا التكتل قائمة حول التعاون الاقتصادي وتركيز مشاريع التنمية داخل هذه البلدان مع الحرص على توفير موارد مالية وهياكل قاعدية من داخل البريكس حرصاً على التملص من قيود المنظومة الليبرالية وأدواتها الاقتصادية ومؤسساتها السياسية والمالية المسيطرة على قواعد اللعبة في السياسة الدولية.

---

(35) نون بوست، "بنك بريكس".. أكثر من 200 مليار دولار لمواجهة الهيمنة المالية الأمريكية، من الموقع، http://www.noonpost.net/content/3219، بتاريخ، 2015/05/25.

(36) حسن مصدق،مرجع سابق.

(37) ناصف يوسف حتي، مرجع سابق، ص 74-75.

إن أثر النجاح الذي خلقه العمل الجماعي داخل بريكس سيكون له مفعول على بقية القوى الصاعدة الأخرى في المنظومة الدولية التي تبحث عن فُرص نادرة من أجل إيجاد مكانة على سلم توزيع القوة العالمي الآخذ بالتحول في غضون أعوام قليلة قادمة.

قائمة المراجع:

1- الكتب :

- بالعربية:

1. دانييل بورشتاين، التنين الأكبر، تعريب: شوقي جلال،مطابع الوطن، الكويت،2001.
2. شانون كايل وآخرون،القوى النووية في العالم،في: التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي (الكتاب السنوي)،تعريب: عمر الأيوبي وآخرون، مركزدارسات الوحدة العربية،بيروت،،2009.
3. محمد السيد سليم، "العرب والتطورات الاستراتيجية في جنوب آسيا" في: آفاق التحولات المعاصرة، تحرير: وليد عبد الحي،ط 01،دار الشروق،عمان، 2002.
4. محمد السيد سليم، سليم محمد السيد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1999.
5. محمد صلاح الدين، رائد النهضة البرازيلية لولا دا سيلفا، من سلسلة كتب مشاهير العالم، ط 01، دار الفاروق للنشر، عمان، 2012.
6. محمد عبد العاطي، البرازيل القوة الصاعدة من أمريكا اللاتينية، سلسلة ملفات القوى الصاعدة(3)،مركز الجزيرة للدراسات،قطر، 20010.
7. ناصيف حتي يوسف، "دور القوى الصاعدة في النظام العالمي"، في كتاب : التطورات الاستراتيجية العالمية:رؤية استشرافية،مركزالإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية،ط1، 2011.
8. يان بريمر، عالم بلا قيادة: كل أمة لنفسها، الرابحون والخاسرون في عالم المجموعة الصفرية، ترجمة: فاطمة الذهبي، بيروت: دارالفارابي، 2014.

- باللغات الأجنبية:

9. Global Trends 2025:Transformed World, National Intelligence Council, November ,2008p.12 .
10. General Leonid ,BRICS and the mission of reconfiguring the world, strategic culture foundation (Russia),15 june 2011.

2-المجلات:

11. أحمد دياب، البريكس تكتل القوى الصاعدة،ملف الأهرام الاستراتيجي، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية،مؤسسة الأهرام الدولية، القاهرة، ماي 2011/ ص 01.
12. أسامة مخيمر، الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا،مجلة السياسة الدولية،، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، العدد(170).
13. آفاق التعاون البراغماتي بين دول مجموعة البريكس،صحيفة الشعب اليومية، 28 مارس 2012،ص 01.
14. حسن مصدق، "البريكس.. تكتل ناشئ يسعى لإعادة توزيع القوة في العالم"، العرب، العدد9928، يوم 2015/05/25.
15. حميد ياسر واحمد حامد خليوي، الموقع الروسي في المنظور الجيوبولتيكي الغربي، مجلة لارك للفلسفة والعلوم الاجتماعية،العدد (14)، جامعة واسط، كلية التربية، 2014.

16. عبد القادر و رسمه غالب،مجموعة "بريكس" و مكانتها في البنية الدولية"،آفاق المستقبل، العدد:26 أفريل. ماي.جوان 2015.
17. كارن أبو الخير، الخصوصية الصينية: هل تنجح قيادات بكين في إدارة تحولات مصيرية؟، السياسة الدولية، العدد 187، جانفي 2012.
18. محمد عبد الشفيع عيسى، "التكتلات الاقتصادية الدولية...تجمع بريكس نموذجا"، السياسة الدولية، العدد 200، المجلد 50، أفريل 2015.
19. محمد عبد الله يونس، "المستقبل الصفري: القوة الأمريكية في عصر القلق"، السياسة الدولية، العدد 187، جانفي 2012.
20. محمد عبد الله يونس،" كل دولة لنفسها: الرابحون والخاسرون في عالم المجموعة الصفرية"، السياسة الدولية، العدد 189، جويلية 2012، ص 160.

3-الرسائل و المذكرات:

21. سالي موفق عبد الحميد، "التكتلات الاقتصادية الدولية ودورها في الاقتصاد العالمي :بريكس أنموذجا"،**رسالة ماجستير** غير منشورة،جامعة النهرين،كلية العلوم السياسية،،2017.

4- مواقع الأنترنت:

22. أشرف الصباغ، "شنغهاي" و"بريكس" في مواجهة القطبية الأمريكية والحفاظ على الأمن الدولي، من الموقع : https://arabic.rt.com/news/787838-%D8%B4%D9%86%D8%BA%D9%87%D8%A7%D9%8A-%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%B3-%D9%82%D9%85%D8%AA%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A/، بتاريخ :2016/01/30
23. فيروز داولتلي، تجارب التنمية (...)3جنوب إفريقيا أنموذجا،"مركز البديل للتخطيط والدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر: 18/5/2016على الرابط: http://pss.elbadil.com
24. نون بوست، "بنك بريكس".. أكثر من 200 مليار دولار لمواجهة الهيمنة المالية الأمريكية، من الموقع، http://www.noonpost.net/content/3219، بتاريخ، 2015/05/25.

العولمة وسؤال الهوية الثقافية العربية

الدكتورة نوارة قريد

جامعة علي لونيسي البليدة 2 / الجزائر

Abstract: The link between identity and globalization represents a debatable issue. The latter has been discussed broadly as it is one of the most important and sophisticated issues what made it a subject of debate. This issue has such a big importance due to its intellectual and moral effects، besides to its concrete outputs. These effects and outputs effected all life domains in shade of the changes the world is witnessing. A new world is getting formed. However, technology and modern science represent its prominent and dangerous features. These shifts effected the psychological and mental aspects of the individual and his relationships with others. Consequently, a new multiple culture is formed and being produced not for its relation with life, but because it exceeded that to have a strong relation with identity and future.

Key words: Globalization, culture, identity, cultural identity, the Arabic nation.

الملخص : طرحت قضية العلاقة بين الهوية والعولمة على أكثر من صعيد ولازالت تطرح لكونها من أهم القضايا وأكثرها صعوبة وتعقيدا، و أقربها حضورا في الجدل الحاصل الآن، ذلك أن انعكاساتها الفكرية والمعنوية ونتاجاتها المادية مست جميع مجالات الحياة في ظل ما يشهده العالم من تغيرات وتحولات، إنه عالم جديد في طريق التشكل، وتمثل التقنية والعلم الحديث أبرز وأخطر مظاهره، وهذه التحولات مست البعد النفسي والفكري للإنسان وما يربطه بغيره، هذا يعني تشكل ثقافة جديدة متعددة يجري إنتاجها، ليس لمجرد أن الثقافة ذات صلة بالحياة فحسب، بل أيضا لأنها ذات صلة متينة بالهوية وبالمستقبل.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الثقافة،الهوية، الهوية الثقافية، العالم العربي.

المدخل: من أنا؟ من نحن؟ هما السؤالان الأساسيان في حديث الهوية الذين ظلا مطروحين منذ القرن الثامن عشر وزادت حدتهما في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، والإنسانية لا تزال بحاجة إلى إجابة جديدة عن هذين السؤالين خصوصا في ظل ظاهرة 'الكونية' أو 'العولمة'، التي أصبحت تجتاح العالم في مختلف النواحي إذ أنه "لم يعد إنسان من مجتمع المعلومات يعيش حالة جدية تجعله سكونيا اتجاه الهوية أو ديناميكيا يقدر ما دفعته إلى أن يكون في حالة جدلية بين التمسك بالهوية كنواة صلبة تعينه في مواجهة التغيرات المطردة وبين تحولات الهوية ذاتها بفعل بلوغ

المجتمع الإنساني حالة حداثية عليا"[1]، أصبح الإنسان المعاصر يواجه العديد من الثقافات كما أصبح يشغل باله كيف يحافظ على هويته او بالأحرى كيف يدمجها في ظل هذه التحولات الراهنة

ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما، إذ أنه ما من هوية إلا وتختزل ثقافة، كما أنه قد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة، وذلك ما يطلق عليه 'التنوع في إطار الوحدة'، قد تنتهي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، فتمتزج عناصرها وتتداخل مكوناتها فتنتج هوية واحدة، فالعلاقة بين الهوية والثقافة علاقة الذات بإنتاج الموضوع، وكما هو معلوم أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب الذات المفكرة، وتكمن إشكالية الهوية الثقافية في كونها تحوي مضاف (الهوية) ومضاف غليه (الثقافة)، وكل منهما يشكل قضية جدلية معقدة، ويزيد من تعقيدها تلبسهما بالديني والسياسي والإيديولوجي، ولوضع تصورعن الهوية الثقافية كان لابد من توضيح مفهومي الهوية الثقافة ,

1 - الهويـــة

تعرف الهوية على "أنها الشيء نفسه أو الشيء الذي هو ماهو عليه، أي أن الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر"، أو"هي مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما عينه شخصا معروفا أو متعصبا'"Identified' إذن الهوية هي تعبيرعن الماهية أو حقيقتها المعبرعنها، حين تتحد الصفة بالموصوف، في تشخيص منفرد ولا اشتراك"[2]، فالهوية وفقا لهذا التعريف هي ماهية الشيء، فهي متساوية للموضوع الذي تعبرعنه,

ويعرفها محمد عمارة "بأنها مأخوذة من 'هو، هو' بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة وثمارها، فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء... إنسانا أو ثقافة أو حضارة 'الثوابت' و'المتغيرات' فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب دون أن تخلي مكانها أو مكانتها لغيرها من البصمات"[3]، يتضح أن الهوية هي جوهر الإنسان وهي التي تميزه عن غيره، كما انها من ثوابته المتجددة، إذ تمثل بصمة الإنسان، وتجددها لا يعني أن تطمس وتختفي، إنما التجدد الذي يضمن لها ثباتها وإستمراريتها,

أما تركي الحمد يرى بأنها "مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي (...) وطالما أنها مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته التي تتميز فيه بثبات معين، بمثل ما إن الشخص الواحد يولد ويشب ويشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه أي شخصيته خلال ذلك

---

[1]– سمير مرقس: هويات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية، التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافية، التكامل العربي، تجارب، تحديات، و أفق، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص: 30.

[2]- سمير مرقس: هويات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية، ص: 26.

[3]- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، فبراير 1999، ص: 6.

ولكنه يبقى هو وليس أحدا آخر"[1]، وهذا التعريف أيضا يتفق مع التعريف السابق في مون الهوية ثابتة ومتجددة، فالأول شبهها بالبصمة، والثاني بالكائن البشري الذي يولد ويمر بمرحلة الشباب والشيخوخة فتتغير ملامحه، ولكنه مع ذلك يبقى هو الشخص عينه .

ومن خلال ما قدم يمكن أن تقول أن الهوية هي أصل الشيء وجوهره، تعبر عنه وتمثله وتعتبر من ثوابته المتجددة التي تميزه عن غيره .

2 - الثقافــة

أما الثقافة فلها العديد من التعريفات التي تنظر لها من زاويتين، فبعض هذه التعاريفات يجعلها محدودةويقصرها على فعل النخبة وبعضها الآخر يجعلها وعاءا شاملا لكل ما يحيط بالمجتمعات البشرية، ولكن ما يمكن أن تقول عن الثقافة أنها "تتنوع بتنوع الأمم والجماعات العرقية، والجماعات المصلحية، والنوادي، والشركات وسائر التجمعات الرابطة بين الأفراد وتجعلها تفكر بطريقة مختلفة قليلا أو أكثر عن بقية المجتمع"[2]، لا يتسع المجال لعرض كافة هذه التعاريفات، ولكننا سنقتصر على ذلك المفهوم الذي يجعلها وعاء لكل ما يحيط بالمجتمعات، ما إن نذكر الثقافة إلا ويتبادر إلى الذهن تعريف الأنثروبولوجي تايلور 'E.B 'Taylor الذي عرفها "بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة، الإيمان، الفن، الأخلاق، القانون، الأعراف، و أية قدرات وعادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في جماعة"[3]، فالثقافة وفقا لهذا التعريف تتميز بأنها: تشمل كل القضايا ذات البعد الإنساني، المادي، العقائدي، القيم والفن والأعراف، وهذه القضايا تمثل بناء متكامل وليست جزئيات متفرقة عن بعضها البعض، كما أن الثقافة ليست خاصية فردية و إنما اجتماعية، فالفرد يعيشها في ظل مجتمع أو امة، فهي حياة اجتماعية وو اقع فكري وسلوكي يتحرك ضمنه الإنسان، وليست مجرد معطا فلسفيا أو فكريا مجردا، والأهم من ذلك كله أنها مميزة لأهل ذلك المجتمع أو الأمة عن غيرها من المجتمعات والأمم الأخرى، وهذا ما يجعلها تلتقي مع الهوية.

"الثقافة -إذن- معايير للعقل والسلوك، تحدد معنى الحياة التي لا معنى لها دون هذه المعايير، إنها رموز تحدد غايات الحياة التي لا غاية لها دون تلك الرموز وهذا ما يجعلها إجابة لسؤال الفرد والجماعة بميسمه (الفن، الأخلاق، العرف، قواعد الادب)، العلاقة بين الفرد والجماعة، الفرد والسلطة، الجماعة والسلطة"[4].

فالثقافة هي تلك الرموز التي تسم الفرد أو الجماعة وتميزها وتحدد غاية وجود كل منهما ولهذا فمفهوم الثقافة والهوية، وإن كان الاختلاف اللغوي بينهما واضحا، فإننا قد لا نجد تعريفا اصطلاحيا جامعا يعرفهما معا، فالهوية او الثقافة وحسب الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أو أمة تشترك في

[1]- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، د ط، د.ت، ص: 17.
[2]- محمد الرميحي: الثقافة ذلك السهل الممتنع، مجلة العربي الكويتية، 482، يناير 1999، ص: 18.
[3]- المرجع السابق، ص: 15.
[4]- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، ص: 11.

الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية بأكملها وبذلك يتحقق الانسجام والتفاعل تحت ظل تلك الخصائص والمميزات ف "الأفراد في أي مجتمع إذاأرادوا صياغة نمط حياة لهم وجب عليهم ان يتفاهموا او يتفاوضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات القادرة على دعم ذلك النمط من الحياة الذي اختاروها فهناك دائما في اي مجتمع ما هو عام ومشترك وجوهري في العلاقات البشرية من المفترض على كل فرد أن يعمل به أو بطرف واف منه، وليس التفاوض هنا بمعناه المباشر ولكنه أقرب إلى التفاهم والقبول والإذعان[1]

3- الهوية الثقافية

الهوية الثقافية وفقا لما سبق هي تلك الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة والتراكم المعرفي و إنتاجات العمل والفنون والأداب والتراث والقيم والتقاليد والعادات والأخلاق والتاريخ والوجدان، ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتميز في ظلها الأمم والمجتمعات، اقترن هذا المفهوم بالتطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات وتنوع مجالات المعرفة الإنسانية، و إنتاجها والتحكم فيها من جانب الطرف الأقوى، وتوظيفها كوسيلة للسيطرة والتحكم في الطرف الأضعف خصوصا أن - والقول لعبد الله ابراهيم- "الثقافة تلعب دورا حاسما في تثبيت المعايير التفاضلية بين الشعوب، وكثيرا ما صاغت وأعادت صوغ جملة من المعطيات الخاصة بمجتمع ما لتجعله يتصور بأنه أفضل من غيره، وهي قادرة بفضل موقعها الرفيع على أن تجيز أو تهيمن وتحلل وتحرم وأن تخفض منزلة شيء ما أو ترفع من مقامه، الأمر الذي يعي قدرتها على أن تكون الوسيلة الأساسية لتثبيت التمايز في المجال الذي تعبر عنه"[2].

مادامت لهذه الثقافة قدرة جاهزة على تثبيت التصورات والرؤى والقيم، وتروج للنرجسية الثقافية، وهذا يعني أنه في ظل الثورة التكنولوجية وموجه العولمة التي تسعى لفرض النموذج الموحد، بالتالي ذوبان واختزاله ضمن ثقافة الأقوى "يدعو أصحاب هذا الخطاب بالمجتمعات إلى التخلي عن قيمها الثقافية الخصوصية وتعويضها بأخرى مستمدة من محيط غير محيطها بدعوى أتساع النموذج الناجح"[3].

هذا ما تعانيه المجتمعات العربية الإسلامية، مما جعلها أمام إحتمالين (إما ذوبان الهويات الثقافية الأصلية، إذا لم تتشبع بالخصائص الشعورية والذهنية والتاريخية المتصلة بسياقاتها الثقافية، وتكون في الوقت نفسه قادرة على تحديد نفسها، أو الإنكفاء على الذات بسبب هيمنة الثقافات الأجنبية على وجه التحديد الغربية وفي هاتين الحالتين تتعرض الثقافات لخطر الانقراض أو الاحتماء بمفاهيم الماضي والانحباس في أسوار الحقائق الكبرى والدوائر المغلقة"[4].

ما ينجم عن ذلك هو ذوبان الثقافات أو جمودها وبما أن العلاقة بين الثقافة والهوية علاقة تلاحم فكل خلخلة أو احتراق للثقافة سيؤدي بالضرورة إلى إضعاف مكونات الهوية ويوقعها في فخ الثبات والسكون

---

[1]– محمد الرميحي: الثقافة ذلك السهل الممتنع، ص: 20.

[2]- عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان ، ص: 326.

[3]- عبد الباقي الهرماسي: العولمة والهوية الوطنية، مجلة العربي الكويتية 484، يناير 1999، ص: 36.

[4]- المرجع السابق، ص: 327.

4 - موقف العالم العربي من العولمة

تسعى العولمة إلى توحيد الهوية واختزال العالم في هوية متجانسة ثقافيا و اقتصادياواجتماعيا من خلال فرض مجموعة من القيم والرؤى التي تساعد على تذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم، يؤكد عبد الله إبراهيم وهو من منتقدي العولمة على أن العولمة "ظهرت وكأنها تسقط على تاريخ المجتمعات الإنسانية شروطا جديدة لتغيير مسارها التقليدي بحيث يتمركز حول جملة من القيم والرؤى المحددة، إنها ترفع شعار توحيد القيم والتصورات والرؤى والغايات والأهداف بديلا عن التمزق والتشتت والفرقة وتقاطع الأنساق الثقافية، ولكن العولمة في دعواها هذه إنما تختزل العالم إلى مفهوم وتتخطى حقيقته باعتباره تشكيلا متنوعا من القوى والإرادات والانتماءات والثقافات والتطلعات"[1]

"إن العولمة من خلال ما تسعى إليه بفرض نموذجها التوحدي تتحول إلى منطق عولمة إقصائية، تدمج بدل أن توحد وتفويضية بدل أن تبنى، و تفريقية بدل ان توحد ، فيصبح الإنسان العربي المعاصر تحت تاثير الصدمات المتتالية التي أتت على المراجع التقليدية فنسفتها ، ويعتقد أن ما يحدث خارج محيطه هو شر لابد من اتقائه، ويجب توفير كل مستلزمات الاستعداد لمواجهته"[2].

يكون هذا الاستعداد بالسعي للإجابة عن هذا السؤال 'من نحن'"فيجيبون بالرجوع إلى كل ما هو عزيز عليهم، أجدادهم، دينهم، لغتهم، تاريخهم، قيمهم، عاداتهم، مؤسساتهم، والتحامهم في جماعات ثقافية على شكل عشيرة ، مجموعة اثنية، مجموعة دينيةو أخيرا على شكل حضارة"[3].

فينجر عن ذلك نوع من الحمائية الوهمية وفق تعبير-عبد الباقي الهرماسي- التي كثيرا ما تختفي وراءها الحركات والمو اقف الأصولية ذلك أن سيطرة نموذج ثقافي واحد كما تسعى العولمة إقامته "لا يؤدي إلى حل المشاكل الخاصة بالهوية والانتماء، إنما قد تؤدي على العكس إلى ظهور إيديولوجيات تضع مفاهيم جديدة حول بقاء الأصل وصفاء الهوية ستؤدي العولمة إلى تر اتيب جديدة، لأنها تنمي فكرة الولاء للآخر وهيمنة الفكر الإمتثالي واختزال الذات إلى عنصر مشيئ واستبعاد المكونات القابلة للتطور وتفجر الحراك الاجتماعية بطريقة فوضوية"[4]

هذا ما سيؤدي إلى صدام الحضارات الذي يعجز عنه ردود فعل دفاعية حمائية، كالغزو والهيمنة من جهة التمركز حول الذات من قبل الطرف الأضعف من جهة أخرى بدلا من التفتح عن الآخر والحوار والتفاعل معه من خلال جدلية الأخذ والعطاء والمشاركة الفعالة والإضافة المشتركة لصنع الحضارة الإنسانية

يرتبط مفهوم العولمة بمفموم التمركز بل وتعمل على تثنيته ولمواجهة عاصفة هذه الموجة العاتية/العولمة ،

---

[1]- عبد اللهإبراهيم، المركزية الإسلامية: صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2001.ص: 128.

[2]- أنظر عبد الباقي الهرماسي: العولمة والهوية الوطنية، ص: 36.

[3]- صامويل هنتفتون: العرب وصدام الحضارات، محمد سعيدي، جريدة أنوال المغربية، عدد يوليو ، 1999، ص: 10.

[4]- عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية، منشورات الاختلاف، الجز ائر، الدار العمومية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2011ص: 156.

لجأت المجتمعات العربية إلى التعبير عن ذاتها بمحاولة صياغة مشاريع مشتقة من السياق الثقافي الخاص بها، من خلال إستعادة صور الماضي كمقاومة رمزية لهذه الموجة، فقد "تطورت نزعة التمركز فطرحت مفهوما متصلا بفرضية للتمركز نفسها، وهو مفهوم الكونية أو العولمة ، وبهذا إمتد الطموح ليشمل العالم باجمعه، وبدرجة ضمن رؤية غربية مستمدة من الفرضية المذكورة، مع مراعاة شرط التراتب والتفاضل والتمايز بين ما هو غربي وما ليس كذلك"[1]

في ظل التحولات لم تستطع الثقافة العربية أن تطور ملامح خاصة بها، فظلت أسيرة مجموعة من الرهانات منها ما يتعلق بكيفيات التحديث ومنها ما يتعلق بطبيعة الصلة مع الماضي ومطابقتة ذلك أن "الرهان المشوه للتحديث بعث نسقا من التفكير المضاد يقول بالاعتصام بالذات وتشكيل هوية ثقافية خاصة وثابتة تسعى إلى نموذج مستعار من الماضي بإلحاح إننا بذلك النموذج نحقق الصفاء الكامل ونبعث الخصوصية وندرأ حالة الذوبان في الآخر"[2] هذه الرؤية المنغلقة عن نفسها أصدرت أحكاما ثابتة وتصورات خاصة منطلقة من مسلمة أن العودة إلى الماضي تجعلها تجد فيه كل إجابات حاضرها، ما يضمن لها الحفاظ على الهوية، وهذه الرؤية النرجسية سببها التجربة الاستعمارية الحاملة لنزعة السيطرة فإن كانت هذه الأخيرة قد لجأت إلى القوة العسكرية عن طريق الحروب وبسط نفوذها وإخضاع العالم بالقوة، فإن العولمة تجاوزت هذا الأسلوب النقليدي، بصياغة جملة من القوانين والضوابط الملزمة التي يصبح الأخذ بها واجبا، ووظفت الاتصالات الحديثة لأجل إشاعة هذه القيم وفرضها على العالم وما تروجه وسائل الإتصال والإعلام وتسعى إليه هو صوغ وعي الشعوب بحيث يتقبل نسق القيم الغربية، فالعولمة لا تقر بالتنوع إنما تقر بتوحيد بفرضه النموذج الغربي، وبالضرورة فإن "كل توحيد لا يقر بالتنوع سيؤدي إلى إحياء الخصوصيات الضيقة التي تتغذى من مرجعيات عرقية ودينية مغلقة وذلك يقود إلى الارتماء في سجن الهويات الثابتة"[3]

يرى الناقد عبد الله إبراهيم أن "إدعاء العولمة بتشكيل عالم يتوحد فيه المفاهيم والقيم والأهداف تتضمن مغالطة لأنه في إطار فرضية التقارب التي تقول بها العولمة تكمن سلسلة من ضروب التنافر وعدم الانسجام، التي تفوض تلك الفرضية، فالحث على استيراد نماذج غريبة من قبل المجتمعات التقليدية يفضح عدم إتساق تلك النماذج مع نسق القيم الأصلية في تلك المجتمعات هذا من جانب ومن جانب آخر فإن تحريض تلك المجتمعات على التكيف مع القيم الغربية يجدد الأمال لردود فعل خطيرة وغير محسوبة إلى ذلك فإن التعجيل بتوحيد العالم حسب دعوى العولمة يقود إلى ظهور نزعات التفرد والتأكيد على وجود نظام واحد جديد يكون مسؤولا عن السلطة، يعني فتح الأفق على مزيد من المنازعة وتفاقم الصراع"[4] فالنموذج الذي تريد العولمة فرضه هو نسق من القيم يحمل خصوصيات غريبة لا تو افق والنموذج الأخر بالإضافة إلى أن فرض هذه القيم يفتح بؤرة الصراع ويغذي النزاعات، ونزعات التعصب والنرجسية وحب

---

[1]- عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية ، الصفحة نفسها .

[2]- عبد الله إبراهيم: حوار الثقافة والقيم، المجتمعات التقليدية ، ثقافتنا للدراسات والبحوث ، المجلد05 العدد 17 2008ص: 122.

[3]- عبد لله ابراهيم: المحاورات السردية، ص: 155.

[4]- عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية ، ص: 158.

الذات، والحماية الوهمية

لقد ظلت الثقافة العربية تابعة في ظل الثنائيات الضدية التي ميزت الخطاب العربي المعاصر/الحداثي، فعمل المفكرون العرب على ترسيخها في إطار مرجعي لما ينتجه العقل في زمن العولمة ولعل ثنائية الهوية/العولمة تؤكد هذا المنحى مثل ما يؤكد علي حرب بقوله "إن ثنائية الهوية والعولمة قد غذت بؤرة السؤال ومدار السجال في الأوساط الفكرية أو في الدو ائر السياسية في العالم العربي وخارجه على ما هو حاصل في العالم الغربي، يشهد على ذلك سبل المؤلفات التي تتناول العولمة من زاوية تأثيرها على الهوية والثقافة بهذا المعنى فإن ثنائية الهوية والعولمة تتجاوز بقدر ما تستبطن المتعارضات التي كانت متداولة حتى الآن كثنائية التراث والحداثة والأصالة والمعاصرة، أو الخصوصية والعالمية فلكل عصر قضياه كما له فتوحاته واختراعاته"[1]

نتيجة لهذه الثنائيات الوهمية التي سيطرت على العقل العربي قوبلت العولمة في البيئة العربية بموقفين متباينين: موقف يقول بانغلاق الذات والاعتصام بماضيها وهدفها من ذلك هوية صافية ونقية تتمثل عناصرها من الماضي الذي هو المعرفة الحقيقة واليقين المطلق وموقف ثان يدعو إلى الانفتاح اللامشروط و الانبهار بثقافة الغرب/الآخر و انغماسه فيه بحيث يصبح جزءا منه ويرى الأشياء بمنظور الآخر

هذا وقد حذر النقاد ومن بينهم الناقد العراقي عبد الله إبراهيم من رسوخ هذه الثنائيات الضدية كيف لا وهو يؤسس لفكر الاختلاف الذي انبثق من صلب هذه الثنائيات وجاء ليقدم البديل الأمثل لتجاوزها إن لم نقل القضاء عليها، ذلك الاختلاف الذي يؤسس للحوار والتفاعل مع الآخر والوقوف معه في مصاف المشاركة والفعالة في بناء الحاضر

العقل العربي -إذن- يعيش حالة من التمزق و التشرذم الذي جعلته أسير تصورات خاصة وبالأحرى سيطرت عليه أوهام المطابقة المرضية التي نفت وألغت وجوده في الحاضر وجعلته متوقفا عن الإبداع، يقبع في جمود فكري وتصلب ذهني عاجز عن طرح الأسئلة و اقتراح البدائل تجاه ما يستجد من قضايا فكرية وتحولات معرفية، إنها حالة عدم التوازن التي أودت بتفكير الإنسان العربي إلى حالة تساوت فيها أمامه الحقيقة مع الوهم لذا لابد من أن "نجعل سؤال الاختلاف مشروعا، إذ يكيفنا تطابقا نبخس فيه كل ما له صلة بنا، فالولع بإرجاع كل شيء إلى الماضي أو على الآخر جعل و اقعا ممزقا، ولابد من حل هذا التعارض بإعادة ترتيب مع الو اقع وصلاته مع المؤثرات الخارجة في الزمان والمكان"[2]

رسوخ فكرة المطابقة في الثقافة العربية وفي الهوية الثقافية خصوصا حتما سيفضي إلى اندثارها وتلاشيها ولإنقاذها لابد من بروز فكرة الاختلاف وهذا السبيل الوحيد للخروج من بوتقة الهويات المغلقة على الذات، فنحن الآن أمام ظاهرة كونية تسهم فيها جماعات ذات هويات خاصة، والقول بأننا سنقيم حضارتنا على أساس وعد مقدم لنا كعرب هذا ما يجب ان نرفضه ولا نومن به، ولا نقيم له أيه مشروعية، والحاصل أننا في منطقة تتفاعل فيها شعوب وهويات

[1] - علي حرب: حديث النهايات،فتوحات العولمة ومأزق الهوية ، المركز الثقافي العربي، االدار البيضاء ، المغرب، بيروت ، لبنان، ط2، 2014 ص ص: 09-10.
[1] - عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، ص: 09.
[2]-عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، ص : 82.

و أيديولوجيا الأفضل ان تتوفر فيها شروط الشراكة وإطلاق حرية العمل الفكري وكفالة الحريات الشخصية والعامة وفسح المجال أمام التفكير المدني العقلاني خصوصا و القول لعبد الله إبراهيم أن أنماطا جديدة من التفكير قد بدأت تحل محل الأنماط البالية[1] هذا القول إن دل على شيء إنما يدل على النظرة الإستشراقية التفاؤلية للناقد للمستقبل الأمة العربية التي يجب أن تتخذ من الاختلاف بديلا لتضمن بقاءها واستمرارها ولكن السؤال المطروح هل حقا جسدت فكرة الاختلاف؟

* نتائـــــج

ما يمكن أن نصل إليه هو أن الهوية الثقافية ليست ثابتة وساكنة إنما هي منفتحة ومتغيرة، في إنفتاحه لابد أن يكون في إطار واع "فلا يوجد هوية ثابتة وساكنة، فالهوية تتشكل وتستوعب وتهضم وتتطور، وبقدر ما تكون الهوية منفتحة فإنها تتجدد وتكون مبدعة وبقدر ما تكون مغلقة ومستغنية تلجأ إلى العنف والتدمير لأنها لا تتحمل أن ترى سواها، بهذا لابد من إدراك أن الهوية حرية لا يقيد من ينتمون إليها بأوهام الانغلاق والتفرد والأحادية"[2] ولكن هذا الانفتاح والتجدد لابد أن يكون بوعي وإدراك حق لا يضيع فما علينا هو الحفاظ على الجوهر ودون المساس به.

إن التوجس والخوف تجاه العولمة مبالغ فيه، صحيح أنها تحمل جانبا إيجابيا وآخر سلبيا ولكن هذا يتطلب الوعي بمعنى العولمة وجوهرها وذلك كون العولمة "عملية تاريخية جارية أي أنها حتم معاش وبالتالي فالقضية ليست اختيار أيديولوجي أو سياسي أن تتقبلها اولا تتقبلها بقدر ما هي قضية سؤال حول كيفية التعامل معها واستيعابها فالرافضون للعولمة رفضا مطلقا باسم حماية الخصوصية الثقافية والهوية مصيرهم الاندثار والتاركون أنفسهم للموج يأخذهم كيفما شاء مصيرهم الاندثار أيضا، والحل يكمن في الوعي بمعنى العولمة وجوهرها والاندماج فيها بمثل هذا الوعي دون الغرق في جدل حول فرضيات سلوكية لا تمس بالجوهر"[3]

العولمة ليست إرثا غربيا 'أوروبا' و'أمريكيا' إنما حركة تاريخية حتمتها ظروف العصر إنها وليدة سياقات وظروف خاصة، ولكن هذا لا يمنع من التعامل معها ولكن بشرط أن يكون هذا التعامل والتفاعل واعيا، فالتفاعل الواعي مع العولمة يضمن للذات إستمراريتها ويحول دون الانغماس التام أو العزلة المطلقة، ذلك أن "العولمة والهوية لا يجب أن تحتضنهما دائرة الصراع بل قدرهما التكامل فاختلاف الهويات هو أساس العولمة، وبقدر ما تكون هويات الشعوب مدعمة ومرتبطة بمرجعياتها الثقافية، تكون العولمة أكثر خصوبة ونفعا، فالإثراء المشترك من منطق الخصوصية من شأنه أن يعطي لمفهوم العولمة بعده الإنساني العميق"[4].

يجب إخضاع خطاب الهوية للنقد من أجل التحرر من العوائق التي تشل حركة التقدم، ذلك أن هذه "الهوية

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 82.

[2] - احمد سراج: الهوية المغربية بين روما والإسلام، التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافية ، مرجع سابق، ص: 55.

[3] - تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، ص ص: 122-123.

[4] - عبد الباقي الهرماسي: العولمة والهوية الوطنية، ص: 37.

التي كنا نتصورها محصنة تجاه أي تغيرات لم تستطيع أن تقاوم ما حل بالمنطقة من رياح تغيير عارمة كذلك الهوية التي فهمنا انها تمتلك إجابة نهائية تاريخية تمكنها من أن تعتريها اختبارت التاريخ بما تحمل من وقائع جدية وجادة لم تستطيع ن تجيب عن أي من الأسئلة التي حملتها الوقائع الجديدة ذات الطبيعة المركبة، أما أسطورة الهوية الساكنة غير القابلة للمراجعة ذات المرجعية الخاصة والقدرة على ضبط إرادات الأفراد وتسييرها أصيبت بالعطب فلم تستطيع إدراك المستجدات ومن ثمة مرجعيتها باتت من غير سياق، وعليه أصبح هناك ضرورة قصوى لتجديد الهوية العربية"[1]

إن القول بانغلاق الهوية وثباتها لم يجعلها تصمد أمام التطورات الحاصلة هذا ما جعلها تعاني التأزم والانقسام لذلك بات لزاما مراجعتها ونقدها نقدا بناء وموضوعيا فلا توجد هوية مقدسة 'Sacred Identity' أو محصنة فكل هوية خاضعة لإعادة النظر والمراجعة

تقف المجتمعات العربية الآن موقف الحارس والمدافع عن الهوية، هذا الانغلاق أدخلها في حالة من الضياع، فقد تعاملت والقول لعلي حرب "الهوية بمنطق الحراسة والمدافعة فنزداد ضعفا، ونخسر ما نريد المحافظة عليه بقدر ما نفقد هويتنا الفكرية وطاقاتنا على المبادرة الفعالة والعمل الخلاق، فحراسة الأفكار هي مقتلها و انغلاق الهويات علامة على ضعفها، أما الهوية القوية والمزدهرة هي القادرة على التوسع والانتشار عبر عمل نقدي فعال يطال المسلمات والثوابت بقدر ما يحدد القيم والمعايير أو يولد الجديد من المفاهيم الخارقة و الأفكار الحية"[2]

فما نحتاجه تغيير نمط التعامل مع هويتنا الثقافية علينا أن نسعى لنقد الأصول والثوابت، الذي يخلق التغيير عبر خلق وقائع و إنتاج حقائق، فنحن لا نحتاج إلى الدفاع عن هويتنا بقدر ما نحتاج إلى منتج تتجدد به بقدر ما تزداد تجذرا[3].

هذا ما يعني عجز الثقافة العربية على فتح المجال وخلق الأفكار والقدرة على الابتكار للوقوف في مواجهة تحديات العولمة ما تحتاجه هو تغيير طريقة التعالم مع هويتها التي أدخلتها في بوتقة الانغلاق فأصبحت عاجزة عن المحافظة على أصالتها وفي الوقت نفسه غير قادرة على حماية نفسها من موجات المد الغربي "إن مشكلة هويتنا الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة على ما نظن ونتوهم بل في عجز أهلها على إعادة ابتكارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات، أو في ظل الفتوحات التقنية والتحولات التاريخية أي عجزهم عن عولمة هويتهم وأعلمة اجتماعهم و حوسبة اقتصادهم و عقلنة سياساتهم وكوننة فكرهم ومعارفهم تلك هي المشكلة الحقيقة التي نهرب من مواجهتها"[4].

هذا لا يعني الانحراف التام نحو العولمة، وليست دعوة لتبنيها كما هي بل يجب أن تتلقها بوعي و انفتاح مشروط، وإعادة تشكيلها و إبتكارها بحيث تحافظ على أصالتها و ثوابتها و في الوقت نفسه تواكب التطورات الحاصلة.

إن تلك الدعوة اللاهوتية التي رفعت شعارها العولمة وعممتها حول توحيد المفاهيم والتصورات والرؤى والقيم

---

[1] - سمير مرقش: هويات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية، ص: 36.

[2] - علي حرب: حديث النهايات فتوحات العولمة ومازق الهوية ،ص: 24.

[3] - انظر المرجع نفسه، ص: 24.

[4] المرجع نفسه، ص: 25.

لتكون سبيلا للبشر كافة، فيها الكثير من المغالطة ذلك أن فرض نموذج موحد عن العالم يتعارض مع التنوع الذي هو ميزة كل البشر، فالجماعات البشرية متنوعة عرقيا ودينيا وثقافيا ويتعذر إعادة إنتاجها بمعيارواحد "فمهما بلغت العولمة من شمولية ثقافية فإنها لن تلغي الخصوصيات الثقافية تمام الإلغاء، فكما أنه لم يكن هناك ثقافة أصلية نقية تمام النقاء (خصوصية صرفة) في أي مجتمع او جماعة عبر التاريخ، فإنه لن يكون هناك ثقافة عالمية ملغية تمام الإلغاء للخصوصيات المحلية بل إن العملية سوف تكون على مسارين للتفاعل والتداخل، وذلك بشرط عدم اللجوء إلى آليات الدفاع الانعزالية أو التقوقع الثقافي المفرط الذي يؤدي إلى دمار الثقافة الذاتية والخصوصية الذاتية جملة وتفصيلا"[1],

ليس الانفلاق هو الحل فهو يؤدي إلى ضياع الهوية وخصوصيتها المميزة لها، ولا الانفتاحاللامشروط الذي يساعد على اندثارالهوية نهائيا بل الموقف الحواري والتفاعلي والنقد البناء والاختلاف هي ما يجب أن يميز الهوية الثقافية.وغيابها,

قائمة المصادر والمراجع

1- احمد سراج: الهوية المغربية بين روما والإسلام ،التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافية تجارب، تحديات، و أفق، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان ط1، 2015 .

[2]- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، د ط، د.ت.

[3]- سمير مرقس: هويات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية، التقرير العدار ربي الثامن للتنمية الثقافية، التكامل العربي، تجارب، تحديات، و أفق، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص: 30.

4- صامويل هنتفتون: العرب وصدام الحضارات، محمد سعيدي، جريدة أنوال المغربية، عدد يوليو 1999 .

[5]- عبد الباقي الهرماسي: العولمة والهوية الوطنية، مجلة العربي الكويتية 484، يناير 1999 .

[6]- عبد الله إبراهيم: حوار الثقافة والقيم، المجتمعات التقليدية، ثقافتنا للدراسات والبحوث المجد، 05، العدد 17، 2008 .

7- عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العمومية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2011، .

[8] - عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1 ، 2004.

[9]- عبد الله إبراهيم، المركزية الإسلامية: صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2001 .

[10] - علي حرب: أزمة الحداثة الفائقة، المركز الثقافي العربي، االدار البيضاء ، المغرب، بيروت ، لبنان، ط1، 2015 .

11- علي حرب: حديث النهايات،فتوحات العولمة ومازق الهوية ، المركز الثقافي العربي، االدار البيضاء ، المغرب، بيروت ، لبنان، ط2، 2014 .

[12] محمد الرميحي: الثقافة ذلك السهل الممتنع، مجلة العربي الكويتية، 482، يناير 1999.

13محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، فبراير، 1999

[1]- تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، ص: 22.

منهج المحدثين في التعامل مع مرويات السيرة النبوية.

د. بن عراج عبد الرحمن
جامعة أحمد دراية-أدرار.

Abstract: **This article addresses a topic of great importance, which is the approach of the modernists towards the narratives of the Prophet's biography. It aims to clarify the approach of the forerunners (companions and first generations of scholars) by contrast with that of the later ones among the considered scholars, as well as with the approach of historians. Indeed, there is lack of rigor with regards to this topic among many of those who are dedicated to art of Hadith in this era, which resulted in the discreditation of many narrations and events in the biography of the Prophet that were largely accepted among the early ones. This happens especially when the chain of transmission (Sanad) is interrupted, or eventually concerning some narrations from Al-Waqidi or Ibn Ishaq, as both are among the criticized hadith narrators whose narrations are subject of controversy. This article aims at clarifying the fair position towards these controversial narrations and exposing the modernist approach towards the narratives of the Prophet's biography; for Allah is the only guide to the truth**

key words: **Curriculum-narrations-Method-almuhdithin.**

ملخص المقال: يهدف هذا المقال إلى التطرق لموضوع ذا أهمية كبيرة، وهي منهج المحدثين اتجاه مرويات السيرة النبوية وتوضيح منهج المتقدمين و إبراز الفرق بين منهجهم ومنهج المتأخرين ممن يقتدى بهم ومنهج المؤرخين، وبسبب عدم انضباط هذا الباب عند كثير من المشتغلين بفن الحديث في هذا العصر وما انجرَّ عنه من توهين روايات وأحداث في السيرة النبوية كانت عند الأوائل من المتواتر لا سيما إذا كان في إسنادها انقطاع أو من رواية الواقدي أو ابن اسحاق إذا عنعن لأنهما من المتكلم فيهم وردت لأجلهم كثير من الروايات واختلف أنظار المشتغلين بفن السيرة فيها بين القبول والرد، فجاء هذا المقال لتوضيح الحق فيها وبيان المنهج المحدثين اتجاه روايات السيرة النبوية والله الموفق للصواب .

الكلمات المفتاحية: السيرة-مرويات-منهج–المحدثين.

إن مسألة تنقية مرويات السيرة من الضعيف والمردود من أجل المقاصد و أنبل المطالب ولكنها دعوى عريضة محفوفة بالمخاطر إذا حادت عن منهج الصواب لما فيها من إهدار لِكَمٍ هائل من المرويات التي يظن من أول

وهلة أنها ضعيفة ومردودة وفق معياروومنهج المحدثين ويندفع هذا الظن عند إظهارمنهج المحدثين وتساهلهم في مرويات السيرة وغض الطرف عن قضية اتصال السند التي هي من قطب رحى حديث الصحيح عند المحدثين في أحاديث الأحكام والعقائد، كما أن للاختصاص دوربارزومهم في قبول الرو اية وردها.

علاقة الحديث بالسيرة النبوية:

إن علم المغازي يتنازعه علم التاريخ من حيث أنه يؤرخ لحياة النبي ﷺ، وعلم الحديث من حيث أن إثبات أخباره يكون بالأحاديث والآثار المسندة والمرسلة وهي مدارعلم الحديث، كما إن كل ما صدرعنه ﷺ هو من السنة والحديث النبوي كمصدرمن مصادر التشريع.

لذلك جعله الإمام الحاكم فرعا من فروع علم الحديث فقال (النوع الثامن والأربعون: معرفة مغازي رسول الله ﷺ وسر اياه وبعوثه وكتبه) [1].

منهج أهل الحديث في التعامل بين الرو ايات السيرة:

لقد فرق أهل الحديث من القديم في التعامل بين الرو ايات في الحلال والحرام ورو ايات المغازي والسيروجاء ذلك صريحا عنهم ونصوا عليه أيضاً في تراجم أئمة المغازي وكذلك في صنيعهم التطبيقي، وهذه نقول توضح تعامل علماء الحديث مع مرويات السيرةمن خلال الأوجه الثلاثة:

الوجه الأول: تنصيص علماء الحديث على التساهل والمرونة في مرويات السيرة وغيرها والتشديد في أحكام الحلال والحرام:

سئل أحمد بن حنبل فقيل له يا أبا عبد الله ما تقول في موسى بن عبيدة ومحمد بن إسحاق فقال أما موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس ولكن حدث بأحاديث مناكيرعن عبد الله بن دينارواما محمد بن إسحاق فرجل تكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها فأما إذا جاء الحلال والحرام أردنا قوما هكذا وقبض أصابع يديه الأربع [2].

وهذا كلام من إمام هذا الفن صريح في التفصيل بين رو ايات المغازي وبين رو ايات الحلال والحرام.

وعن الشعبي" أَنَّهُ كان إذا حدث الناس انبسط في الحديث فإذا جاء الحلال والحرام خاصة توقى غير الذي كان"[3].

---

(1) أبو عبد الله الحاكم معرفة علوم الحديث 320/1. ت: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م. باختصار.

(2) بدر الدين الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح 381. ت: زين العابدين بن محمد بلا فريج الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء:3.

(3) أبو بكر الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (9/2)،ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وعن عبد الرحمن بن مهدي، أنه كان يقول: «إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال، تساهلنا في الأسانيد والرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الرجال»[1]

فهذه نصوص صريحة منهم في التشديد إذا جاء الحلال والحرام، ويفهم منه التساهل في غيره.

قال ابن الصلاح: "يجوز عند أهل الحديث وغيرِهم، التساهلُ في الأسانيد، ورواية ما سِوَى الموضوعِ من أنواع الأحاديث الضعيفةِ من غيرِ اهتمام ببيان ضعفها، فيما سِوَى صفاتِ الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلالِ والحرام وغيرهما وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائلِ الأعمال وسائرِ فنون الترغيب والترهيبِ وسائر ما لا تعلقَ له بالأحكام والعقائد. وممن روينا عنه التنصيص على التساهل في نحوِ ذلك؛ عبدُالرحمن بن مهدي، وأحمدُ بن حَنبل ﷺ"[2].

وكذلك ما ذكره الحافظ البيهقي عند حديثه عن حكم المراسيل: حيث قال "والآخر أن يكون الذي أرسله من متأخري التابعين الذين يعرفون بالأخذ عن كل أحد وظهر لأهل العلم بالحديث ضعف مخارج ما أرسلوه فهذا النوع من المراسيل لا يقبل في الأحكام ويقبل فيما لا يتعلق به حكم من الدعوات وفضائل الأعمال والمغازي وما أشبهها"[3]

أقول: كلامه يدلّ على أنّ المراسيل التي لا يحتجّ بها في الفقه والعقائد تنفع للاحتجاج بها في المغازي.

وما ذكره ابن عبد البر في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم في الديات حيث قال: "وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد لأنه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة"[4].

فكلامه يفيد أنّ مشهورات كتب السير مستغنية عن الإسناد لأنّها تشبه التواتر

وقال ابن تيمية: "ومثل هذا مما يشتهر عند هؤلاء مثل الزهري، وابن عقبة، وابن إسحاق والواقدي، والأموي[5] وغيرهم وأكثرهم ما فيه أنه مرسل والمرسل إذا روي من جهات مختلفة ولا سيما ممّن له عناية بهذا الأمر ويتبع له وكان كالمسند بل بعض ما يشتهر عند أهل المغازي ويستفيض أقوى مما يروى بالإسناد الواحد"[6]

---

(1) الخطيب البغدادي، المصدر السابق (91/2).

(2) عثمان ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث (ص: 286)،ت: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(3) أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة 40/1. ت: عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(4) ا أبو عمر يوسف، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد(339/17)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.

(5) سعيد بن يحيي بن سعيد الأموي (ت 249 هـ) محدث ثقة صنف المغازي. سير الأعلام 139/9.

(6) أحمد ابن تيمية، الصارم المسلول لابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول(147/1)
ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

قلت: كلام ابن تيمية صريح في قبول ما تناقله علماء السيرة والمغازي وإن لم ينقل بسند متصل صحيح على مباني المحدّثين.

الوجه الثاني: تراجم علماء الجرح والتعديل لأئمة السيروالمغازي.

إنَّ شروط قبول مرويات السيرة بالنسبة للراوي ليست نفسها بالنسبة للحلال والحرام وأخبارالأسماء والصفات والعقائد، وهذا يتّضح جليّا من كتب التراجم التي اعتنت بترجمة رواة الحديث وهذه أمثلة على ذلك:

قال الإمام ابن القيم الجوزية:" وثناء الأئمة على ابن إسحاق وشهادتهم له بالإمامة، والحفظ، والصدق أضعاف أضعاف القدح فيه"[1].

وقال شعبة : محمد بن إسحاق أمير المحدثين بحفظه[2]،قال علي بن المديني: (نظرت في كتب ابن إسحاق، فما وجدت عليه إلا في حديثين، ويمكن أن يكونا صحيحين) وقال عبدالله بن أحمد :(كان أبي يتّبع حديث ابن إسحاق، فيكتبه بالعلووالنزول، ويخرجه في المسند، وما رأيته أبقى حديثه قط) [3].

وقال الحافظ ابن حجر في محمد بن إسحاق: "إمام أهل المغازي، حجة في المغازي"[4]

وقال أيضاً: "إمام في المغازي، وأما في غيرها فمختلف فيه، وحديثه مع ذلك لا ينزل عن درجة الحسن بشرط السلامة من التدليس"[5].

وقال الذهبي في ترجمة محمد بن إسحاق: "والذي تقرَّرعليه العمل أنّ ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذّ بأشياء، و أنّه ليس بحجة في الحلال والحرام، نعم ولا بالواهي، بل يستشهد به"[6]

فكلام الذهبي صريح في أنّه قد يستشهد بالراوي في التاريخ والمغازي والسيرولا يستشهد به في الحلال والحرام

وقال الحافظ ابن كثيرالدمشقي في محمد بن عمر الواقدي: "والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرَّر غالباً، فإنّه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه مكثاركما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا

---

(1) ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة (2/ 674)،ت: يوسف بن أحمد - شاكر بن توفيق، الناشر: رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧، عدد الأجزاء: ٣.

(2) البخاري، التاريخ الكبير40/1 ، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

(3) شمس الدين الذهبي، سيرالأعلام 41/7، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشارعواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (آخر٢ فهارس).

(4) أحمد بن علي ابن حجر، مقدمة الفتح الباري (371).

(5) أحمد بن علي ابن حجر، موافقة الخبر الخبر (115/2 -116)، ت: حمدي عبد المجيد الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

(6) شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ (173/1)، الناشر: دارالكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.

الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ولله الحمد والمنّة"[1]

قال الخليلي في ترجمة ابن إسحاق (عالم كبير... و إنما لم يخرجه البخاري في الصحيح من أجل رو ايته للمطولات والمغازي، ويستشهد به، وأكثرعنه فيما يحكي في أيام النبي ﷺ، وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع العلم ثقة)[2]

فهذه النقولات تنص على أن أئمة المغازي والسير حجة فيما رووه لأنه مناختصاصهم

الوجه الثالث: المنهج التطبيقي في تعامل الأئمة مع مرويات أهل السيروالمغازي:

لايزال أهل العلم يحتجون بمرويات أهل المغازي لاسيما إذا كانت محل اتفاق بينهم وهذه نماذج منها:

سئل مالك بن أنس عن المرأة التي سمت النبي ﷺ بخيبر، ما فُعل بها؟ فقال: ليس عندي بها علم، وسأسأل أهل العلم.

قَالَ: فلقي الو اقدي، فقال: يا أبا عبد الله، ما فعل النبي ﷺ بالمرأة التي سمته بخيبر؟، فقال: الذي عندنا أنه قتلها.

فقال مالك: قد سألت أهل العلم فأخبروني أنه قتلها[3]

قَالَ إبراهيم الحربي[4]: سمعتُ المُسَيَّبِي[5]، يَقُولُ: رَأَيْنَا الو اقدي يومًا جالسًا إلى أسطو انة في مسجد المدينة وهو يُدَرِّسُ، فَقُلْنَا له: أي شيءٍ تُدَرِّسُ؟ فَقَالَ: جزء من " المغازي"[6]

قلت: تدريسه للمغازي في المدينة في ذلك العهد والأئمة متو افرون فيه إشارة إلى إقرارهم وأهليته في هذا الفن.

قال الشافعي: "ورأيت متظاهرا عند عامة من لقيت من أهل العلم بالمغازي أن رسول الله ﷺ قال في خطبته عام الفتح «لا وصية لوارث»، ولم أربين الناس في ذلك اختلافا"[7]

وقال: في قوله تعالى:﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾. (البقرة: 196)ولم يذكر قضاء، والذي أعقل

---

(1) إسماعيل بن كثير البداية والنهاية (288/3)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء:٢١ (٢٠ ومجلد فهارس).

(2) أبو يعلى الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث 288/1، ت: محمد سعيد، الناشر: مكتبة الرشد-الرياض، لطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٣.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (13/4)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

(4) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، الفقيه أبو إسحاق الحربي أحد الأئمة الأعلام؛ ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل. تاريخ بغداد (6/ 27).

(5) إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب ابن أبي السائب المخزومي أبو محمد صدوق فيه لين ورمي بالقدرمات سنة ست ومائتين. تقريب التهذيب (ص: 103)

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (10/4).

(7) الشافعي الأم (114/4)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

في أخبار أهل المغازي شبيه بما ذكرت من ظاهر الآية وذلك أنا علمنا في متواطئ أحاديثهم أن قد كان مع النبي ﷺ عام الحديبية رجال معروفون بأسمائهم ثم اعتمر رسول الله عمرة القضية وتخلف بعضهم بالمدينة من غير ضرورة ولو لزمهم قضاء لأمرهم رسول الله ﷺ بأن لا يتخلفوا عنه[1].

وقال الشافعي أيضا في تقسيم الغنيمة في دار الحرب حيث أجازها الأوزاعي ومنعها أبو يوسف: "ما قال الأوزاعي وما احتج به عن رسول الله ﷺ معروف عند أهل المغازي لا يختلفون في أن رسول الله ﷺ قسم غير مغنم في بلاد الحرب"[2]

وهذه النقولات عن الإمام الشافعي تبين حجية مرويات أهل المغازي عند أهل العلم بل قد أخذ منها أحكاما ورجَّح بها مذهبه.

وقال ابن عبد البر في حديث أسماء بنت عميس الذي في الموطأ أنها قالت أوصت فاطمة أن نغسلها أنا وعلي فغسلتها أنا وعلي وذكر عبد الرزاق هذا الخبر فلم يقم إسناده وهو خبر مشهور عند أهل السير[3]

وقال ابن قيم الجوزيه عند تعرضه لقصة أم حبيبة: "... فإن قيل بل يتعين أن يكون نكاحها بعد الفتح لأن الحديث الذي رواه مسلم صحيح وإسناده ثقات حفاظ وحديث نكاحها وهي بأرض الحبشة من رواية محمد بن إسحاق مرسلا والناس مختلفون في الاحتجاج بمسانيد ابن إسحاق فكيف بمراسيله فكيف بها إذا خالفت المسانيد الثابتة وهذه طريقة لبعض المتأخرين في تصحيح حديث ابن عباس هذا؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنّ ما ذكره هذا القائل إنمّا يمكن عند تساوي النقلين فيرجح بما ذكره وأمّا مع تحقيق بطلان أحد النقلين وتيقّنه فلا يلتفت إليه فإنّه لا يعلم نزاع بين اثنين من أهل العلم بالسير والمغازي وأحوال رسول الله أن نكاح أم حبيبة لم يتأخر إلى بعد الفتح ولم يقله أحد منهم قط ولو قاله قائل لعلموا بطلان قوله ولم يشكوا فيه.

الثاني: أنّ قوله إنّ مراسيل ابن إسحاق لا تقاوم الصحيح المسند ولا تعارضه فجوابه أنّ الاعتماد في هذا ليس على رواية ابن إسحاق وحده لا متّصله ولا مرسله بل على النقل المتواتر عند أهل المغازي والسير وذكرها أهل العلم"[4].

فكلام ابن القيم واضح في تقديم أهل المغازي إذا لم يعلم بينهم خلاف على الحديث الصحيح المسند.

---

(1) شمس الدين الذهبي، المهذب في اختصار السنن الكبير (1976/4). ت: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٠ (الأخيران فهارس).

(2) الشافعي، الأم (335/7).

(3) بو عمر بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (381/1). ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: 24.

(4) ابن القيم، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام 244/1، ت: شعيب الأرناؤوط -عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، عدد الصفحات: ٤٨٢.

قال الحافظ ابن حجر في قصة مدعم في غلول الشملة: ".. وفيه نظر لأن إمام أهل المغازي محمد بن إسحاق رواه عن ثور بن يزيد بهذا الإسناد ولفظه انصرف رسول الله ﷺ إلى وادي القرى عشية فنزل غلام يحط رحله فذكر الحديث فدل على أن الوهم فيه ممن دون ثور أو من ثور لما حدث به عن محمد بن إسحاق وحديث ابن إسحاق هذا قد أخرجه أبو عوانة في صحيحه و أبو عبد الله بن منده في كتاب الإيمان له على شرط الصحة وهو حجة في المغازي وروايته هنا راجحة على رواية غيره والله أعلم"[1].

وقال أيضاً في قصة أخرى "وإن كان في إسنادهما الواقدي لكن يستشهد به في مثل هذا فانتفى"[2]

وهذا الكلام من الحافظ ابن حجر صريح في تقديم رواية ابن إسحاق على الرواية الصحيحة المسندة؛ لأنه حجة في المغازي.

وأما صنيع أصحاب الكتب الستة فسأكتفي بصحيح البخاري؛ إذ هو أعلاها وأصحها فما قيل فيه ففي غيره من باب أولى.

قد قامت الباحثة نهاد العوامرة في أطروحتها الدكتوراه بدراسة استقرائية في حصر الرواة المتكلم فيهم الذين أخرج لهم البخاري في المغازي فكان عددهم (26) ستة وعشرين راوياً[3]

وجاء كتاب المغازي عند البخاري في الدرجة الثانية بعد كتاب التفسير من حيث عدد الرواة المتكلم فيهم ومن هنا قيل إن البخاري تساهل في تحقيق شرطه في الرواة وكان ذلك في بعض كتب الجامع، منها المغازي والتفسير والرقاق وغيرها[4]

وذكرت أنَّ عدد المرويات المنتقدة في كتاب المغازي عند البخاري إحدى عشر رواية وهي نسبة كبيرة لعموم ما انتقد على البخاري[5].

كما أنّه أكثر من إيراد الموقوفات والمعلقات في كتاب المغازي وبنسبة كبيرة[6].

فنلاحظ أنَّ البخاري تعامل مع مرويات المغازي بمرونة وبما يتناسب مع طبعها.

إذا تعارضت مرويات أهل الحديث مع مرويات أهل المغازي:

تقدم أن ما رواه أئمة المغازي فيما هو من اختصاصهم ومن شأنهم و اتفقوا عليه فهو حجة عند العلماء بلا

---

(1) ابن حجر فتح الباري (371/1).

(2) المصدر نفسه (147/3).

(3) منهج البخاري في مرويات كتاب المغازي في صحيحه إعداد نهاد محمد حسين العوامرة ص132 الجامعة الأردنية آب 2012م.

(4) المصدر السابق ص (69-243)

(5) المصدر السابق ص 244

(6) المصدر السابق ص244.

نزاع، ولكن عند وجود التعارض بين رو ايات أهل المغازي ورو ايات أهل الحديث، أوعند التعارض بين أئمة المغازي فيما بينهم فهل يقدم ما في كتب الحديث مطلقاً -لحرصهم على عدالة الرواة و اتصال السند-

سئل الإمام الدارقطني عن حديث المطلب بن أبي وداعة، أن النبي ﷺ سجد في سورة النجم. فقال: يرويه معمر، واختلف عنه.

فرواه محمد بن ثور، وعبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن عكرمة بن خالد، عن المطلب.

وخالفهما رباح بن زيد، ومحمد بن عمر الو اقدي، فروياه عن معمر، عن ابن طاووس، عن عكرمة بن خالد، عن جعفر بن المطلب، عن أبيه، وهو الصحيح[1]

فترى أن الإمام الدارقطني قدم ما رواه رباح والو اقدي على ما رواه محمد بن ثوروعبد الرزاق. وهما من الثقات.

وجاء في صحيح البخاري عن عائشة ﷺ : أن بعض أزواج النبي ﷺ، قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: «أطولكن يدا»، فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة

قال بن بطال هذا الحديث سقط منه ذكرزينب لاتفاق أهل السيرعلى أن زينب أول من مات من أزواج النبي ﷺ يعني أن الصواب وكانت زينب أسرعنا...

وقال الكرماني يحتمل أن يقال إن في الحديث اختصارا أو اكتفاء بشهرة القصة لزينب ويؤول الكلام بأن الضميررجع إلى المرأة التي علم رسول الله ﷺ أنها أول من يلحق به وكانت كثيرة الصدقة قلت الأول هو المعتمد وكأن هذا هو السرفي كون البخاري حذف لفظ سودة من سياق الحديث لما أخرجه في الصحيح لعلمه بالوهم فيه و أنه لما ساقه في التاريخ بإثبات ذكرها ذكر ما يرد عليه[2].

فنرى توجيه الأئمة لرو اية البخاري لمخالفتها اتفاق أهل السير.

وجاء عن البخاريأيضا حدثنا موسى، حدثنا أبوعو انة، حدثنا طارق، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه "أنه كان ممن بايع تحت الشجرة، فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا"[3]قال الدارقطني: وأخرجا حديث طارق عن ابن المسيب عن أبيه.

وعنه شبابة عن شعبة عن قتادة عن سعيد شهدنا الشجرة وأصحاب المغازي ينكرون ذلك، وحديث شبابة

---

(1) الدارقطني العلل الواردة في الأحاديث النبوية، (42/14)، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.

(2) ابن حجر، فتح الباري (286/3-288).

(3) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (4164/5: 416)، ت: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

لم يتابع عليه[1].

فنرى هنا أن الإمام الدارقطنياعتمد في انتقاده حديث الصحيحين على كلام أصحاب المغازي.

وقال حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: كنا يوم بدرنتعاقب ثلاثة على بعير، فكان علي و أبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ. فكان إذا حانت عُقْبة رسول الله ﷺ يقولان له: اركب حتى نمشي فيقول: "إني لست بأغنى عن الأجر منكما، ولا أنتما بأقوى على المشي مني"[2].

قال الذهبي: "المشهورعند أهل المغازي: مرثد بن أبي مرثد الغنوي بدل أبي لبابة، فإن أبا لبابة رده النبي ﷺ واستخلفه على المدينة"[3]

وقال ابن سعد في شأن يوم بدرحيث ذهب عامة أئمة المغازي إلى أنه يوم الجمعة وأخرج رو اية متصلة على شرط الشيخين عن عامربن ربيعة أنه يوم الاثنين ومع ذلك قال (وهذا الثبت أنه يوم الجمعة وحديث يوم الاثنين شاذ)[4]

وتقدم قول ابن قيم الجوزية عند تعرضه لقصة أم حبيبة حيث قدّم قول أهل السيروالمغازي رغم أنّها غير مسندة ولم ترد بطرق صحيحة على حديث صحيح رواه مسلم.

وقال الحافظ ابن كثير: "عقبة بن عمرو أبو مسعود البدري وقع في صحيح البخاري أنه شهد بدرا وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي ولهذا لم يذكروه"[5]

وقال في قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودي: "وكان من بني طيئ ثم أحد بني نبهان ولكن أمه من بني النضير. هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضيروذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضيروالصحيح ما ذكره ابن إسحاق"[6]

من خلال هذه النقول عن الأئمة الفحول ومن غيراستقصاء إذ الاستقصاء يطول، نستطيع نستنبط منهجهم في التعامل مع رو ايات المغازي إذا تعارضت مع الرو ايات الصحيحة عند أهل الحديث.

وهو معاملة كل رو اية على حدة والسعي للجمع بينهما لأن الجمع أولى من الترجيح، فإن تعسر الجمع يرجح بالقر ائن الخارجية كاتفاق أهل المغازي تو اتر الخبرعنهم إن وجدت وإلا يقدم ما في الصحيحين على غيرهما عند

(1) الدارقطني، الإلزامات والتتبع ت: مقبل بن هادي ، الناشر: دارالكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب المغازي 3/ 20، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء (353/1).
(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى (21/2)، ت: محمد عبد القادرعطا، الناشر: دارالكتب العلمية –بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٨.
(5) إسماعيل بن كثير البداية والنهاية (322/3)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
(6) المصدر السابق (5/4)

فقد أي مرجح خارجي. وهذا هو المنهج الوسط الذي سار عليه الأئمة والحفاظ في توجيه الرواية الصحيحة لمخالفتها مرويات أهل السير، خلافاً للحافظ الديمياطي فإنه يقدم ما في السير مطلقا عند التعارض.

الخاتمة:

- منهج أهل الحديث هو التساهل مع مرويات المغازي
- أئمة المغازي حجة في فنهم عند أهل الحديث
- هذا لا يعني قبول كل ما قالوه من غير تمحيص وتدقيق.
- مناهج العلماء تختلف اتجاه التعارض في الروايات فبعضهم يقدم ما في الصحيح مطلقاً وبعضهم يقدم ما في مغازي وبعضهم توسط كابن كثير و ابن حجر.

فهرس المراجع والمصادر:

القرآن الكريم .

1- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، المؤلف: أبو يعلى الخليلي، (ت ٤٤٦هـ)،المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩،عدد الأجزاء: ٣.

2- الإلزامات والتتبع للدارقطني، (ت ٣٨٥هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

3- الأم، الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت،الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

4- التاريخ الكبير/محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان عدد الأجزاء: ٨.

5- البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء:٢١ (٢٠ ومجلد فهارس).

6- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

7- -تذكرة الحفاظ، المؤلف: الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: 4.

8- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، عدد الأجزاء: 24.

9- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، عدد الأجزاء: ٢

10- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٧ .

11- سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (آخر ٢ فهارس).

12- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد،الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

13- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، المؤلف: الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)،تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة – الرياض،الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

14- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه و أبو ابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز/ عدد الأجزاء: ١٣ .

15- منهج البخاري في مرويات كتاب المغازي في صحيحه إعداد نهاد محمد حسين العوامرة ص132 الجامعة الأردنية آب 2012م.

الحافظ ابن حجر العسقلاني شاعرا

محمد عرفان دار
الباحث في مرحلة الدكوراه
جامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري
Irf3709@gmail.com

Abstract: This study deals with the poetry of Al-Hafiz Ibn Hajar Al-Asqalani, who enriched the literary library with many of his contributions and made an outstanding contribution in enriching the literary movement in the Mamluk era, which is considered the era of literary stagnation in which the Islamic community faced tremendous problems and which reached the point where the tongues were silent from saying any poems and the pens stopped writing in other literary arts. It was Ibn Hajar Al-Asqalani who in those critical circumstances contributed tremendously by many of his poetry collections and other literary and linguistic works.

The study aims to highlight the poetics of Ibn Hajar Al-Asqalaniand the technical characteristics and features in his poetry. The research paper is comprised of an introduction, conclusion and two sections, the introduction gives a brief glimpse of the importance of this research and some of the opinions of scholars on the poetry of Ibn Hajar Al-Asqalani. The first section of this research paper deals with the personality of Ibn Hajar and enlightens some of his poetry collections, while the second section describes the prominent features and characteristics of his poetry.

In this study I relied on Diwan Ibn Hajar Al-Asqalani and descriptive analytical method was followed to carry out this research, and finally some of the most important results which are mentioned in the conclusion of this research paper.

الملخص : تتناول هذه الدراسة شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي أثرى المكتبة الأدبية بعديد من إسهاماته وقام بإسهام بارزفي إغناء الحركة الأدبية في العصر المملوكي الذي يعتبرعصر الجمود الأدبي والذي واجه فيه المجتمع الإسلامي ما واجه من المشاكل وبلغت تلك المشاكل إلى حد أنه قد سكتت الألسن عن نطقها بالشعروتوقفت الأقلام عن كتابتها في الفنون الأدبية الأخرى ففي تلك الأحوال ساهم بجهود جبارة من خلال إصداره دواوين شعرية عديدة ومؤلفات أدبية ولغوية أخرى.

وقد تهدف الدراسة إلى إبرازشاعرية الحافظ ابن حجر العسقلاني وما في شعره من الخصائص والميزات الفنية. وقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة في مقدمة وخاتمة ومبحثين أما المقدمة فهي مشتملة على أهمية الدراسة وبعض آراء العلماء في شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني أما

المبحث الأول فقد تناولت فيه شخصية الحافظ ابن حجر العسقلاني لأبرز جوانب حياته المهمة كما ألقيت فيه الضوء على دواوينه شعره المختلفة. وجاء المبحث الثاني في إبراز ميزات شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني وخصائصه التي امتاز به.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على ديوانه الشعري و اتبعت المنهج الوصفي التحليلي وأخيرا توصلت إلى بعض أهم النتائج التي ذكرتها في خاتمة هذه الدراسة.

المقدمة: الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، الصلاة والسلام على نبيه الهادي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وأعوانه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

لقد اشتهر الحافظ ابن حجر العسقلاني كإمام من أئمة الحديث ولأجل ذلك تم تلقيبه بأمير المؤمنين في الحديث وشيخ الإسلام وعلى الرغم من شهرته العظيمة في الدراسات الإسلامية كانت له أعمال أدبية كثيرة من الشعر والنثر والنقد التي اشتهر بها، فهناك ألوف من الأبيات الرائعة التي تتمتع بها عواطفه الغالية وأذواقه الأدبية.

تعددت أقوال العلماء التي دلت على أنه من أهل اللغة والأدب فهذا تلميذه السخاوي يمدحه قائلا: "ونظر في فنون الأدب من أثناء سنة اثنتين وتسعين، ففاق فيها حتى لا يسمع شعرا، إلا ويستحضر من أين أخذه الناظم، وتولع بذلك، وما زال يتبعه خاطره حتى فاق فيها وساد وطارح الأدباء وقال الشعر الرائق والنثر الفائق"(السخاوي، ١٤١٩هـ: ٩٧/٧)

يقع ديوان الحافظ ابن حجر الشعري على قصائد كثيرة ويبلغ عدد أبياته الشعرية إلى أكثر من ألف وخمسمائة بيت متعلقة بمواضيع مختلفة وفي هذه الدراسة نتناول ديوانه الشعري ونكشف عن بعض ميزاته الشعرية من خلال المباحث القادمة:

المبحث الأول: ابن حجر العسقلاني وشعره:

يحتوي هذا البحث على مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة الحاظ ابن حجر العسقلاني:

1. اسمه ونسبه

هو شهاب الدين[1] أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد[2] بن حجر الكناني،

[1] لحظ الألحاظ ص ٢٧٢
[2] الجواهر والدرر ص ١٠١

العسقلاني الأصل نسبة إلى عسقلان[1] وقد كناه أبوه بأبي الفضل[2] وتشير المصادر إلى كنيات أخرى منها أبو العباس[3] و أبو جعفر[4] ولكنه قد اشتهر بكنتيته التي كناه بها أبوه.

2. مولده ونشأته ووفاته

ولد ابن حجر العسقلاني عام ثلاث وسبعين وسبعمائة[5] وعليه اتفاق المصادر المترجمة له، أما يوم ولادته فقد اختلف فيه فقيل إنه اليوم الثاني من شعبان[6] وقيل هو اليوم الثاني عشر[7] وقيل أيضا أنه ولد في اليوم الثالث عشر[8] وقيل إنه اليوم الثاني والعشرين[9] والذي ترجح عنده فهو اليوم الثالث عشر لأنه قد ذكر عنه أنه كتب الحافظ ابن حجر ذلك بخطه[10]

نشأ ابن حجر العسقلاني يتيما فتوفي والده ولم يكن عمره أكثر من أربع سنين عند وفاته[11] وكانت أمه قد توفيت قبل ذلك، ولكنه مع يتمه نشأ في غاية العفة والصيانة. بقي الحافظ ابن حجر في وصاية الزكي الخروبي بعد وفات والده وكان والده قد وصاه بابن حجر فلم يقصر في رعايته وتعليمه[12] وظل كذلك تحت كنفه حتى توفي عنه عام سبع وثمانمائة وسبع مائة[13] فلازم بعد وصيه الثاني يحيى بن قطان وتلقى عنه دروسه في الفقه وأصوله والعربية والحساب.[14]

لما بلغ ابن حجر العسقلاني من عمره خمسا وعشرين سنة تزوج من أولى زوجاته أنس بنت القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ناظر الجيش[15] بقيت معه حتى وفاته وقد رزق منها

---

[1] هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحرين غزة وبيت جبري ويقال لها عروس الشام. انظر معجم البلدان ١٢٢/٤

[2] إنباء الغمر ١١٧/١

[3] انظر: الجواهر والدرر ١٠٢/١

[4] أيضا

[5] كما ثبت عن صاحب الترجمة نفسه في رجز

شعبان عام ثلاثة من بعد سبع مائة وسبعين اتفاق المولد. انظر: عنوان الزمان ٣٦/١

[6] البدر الطالع ٨٨/١

[7] انظر: عنوان الزمان ٣٥/١، نظم العقيان ص ٤٥

[8] انظر: لحظ الألحاظ ص ٢١١

[9] انظر: الجواهر والدرر ١٠٤/١

[10] القلائد الجوهرية قسم ٢ ص 454

[11] إنباء الغمر ١١٧/١

[12] الجواهر والدرر ١٢٧/١

[13] انظر: إنباء الغمر ٩٦/٣

[14] أيضا: ٣٣١/٣

[15] أيضا: ٥١٣/١

خمس بنات[1] وكانت كلما حملت ذكرا ولدت قبل أو انه ورغب ابن حجر في الأولاد الذكور كثيرا ودفعته هذه الرغبة إلى أن يتزوج من زوجاته أخرى حيث تزوج من أرملة الزين الأمشاطي سنة أربع وثلاثين وثماني مائة وولدت له بنتا ولم تعش معه طويلا بل ماتت بعد سنة.[2] تزوج ابن حجر بعدها من ليلى بنت محمود بن طوعان الحلبية عندما رحل إلى حلب وقال ابن حجر فيها: "نعم المرأة عقلا، وحسن خلق وخلق"[3] اختار ابن حجر العسقلاني التسري بإحدى جارية زوجتها الأولى وكانت ططرية فرزقه الله منها ابنه الوحيد فسماه محمدا وكان مولده سنة خمس عشرة وثماني مائة[4]

ابتدأ المرض بالحافظ -رحمه الله- في ذي القعدة سنة: 852هـ[5] واستمر في درسه مع مرضه الذي حرص على إخفائه إلى أن اشتد به المرض جداً وصار يحس شيئاً ثقيلاً على معدته[6]، ثم حصل له إسهال إسهال مع رمي دم[7]، فتخلف عن صلاة عيد الأضحى وهو الذي لم يكن يترك جمعة ولا جماعة، وتزايد المرض عليه واشتد به، وتردد الأطباء إليه، وعجز في آخر أيامه عن التوضؤ وصار يصلي الفرض وهو جالس، وترك قيام الليل، و انتابه الصرع، وتكرر ذلك منه، وهرع الناس لعيادته أفواجاً من الأمراء والقضاة والعلماء والطلبة[8].

وقد اختلف مترجمو ابن حجر في تحديد تاريخ يوم وفاته، مع اتفاقهم على أن وفاته كانت ليلة السبت من ذي الحجة، إلا أنهم اختلفوا أي سبت هو فاختلفوا إلى ثلاثة أقوال:

الأول: أن وفاته كانت يوم السبت في الثامن عشر من ذي الحجة وذهب إليه ابن طولون والسيوطي.[9]

الثاني: أن وفاته كانت يوم السبت في التاسع عشر من ذي الحجة وذهب إليه ابن إياس[10]

الثالث: أن وفاته كانت يوم السبت في الثامن والعشرين من ذي الحجة وقد ذهب إليه ابن فهد المكي[11]، و ابن تغري البردي[12]، والسخاوي[13]، و ابن العماد[1].

---

[1] الجواهر والدرر ص ٢٨٢
[2] أيضا ١٢٢٥/٣
[3] الجواهر والدرر ١٧١/١
[4] أيضا: ١٢١٨/٣-١٢١٩
[5] انظر: لحظ الألحاظ ص ٣٣٧
[6] انظر: ابن حجر العسقلاني مؤرخاً ص ١٠٦، الحافظ ابن حجر العسقلاني ص ٦١٥
[7] انظر: لحظ الألحاظ ص ٣٣٧-٣٣٨
[8] انظر: ابن حجر العسقلاني مؤرخاً ص ١٠٦-١٠٧
[9] انظر: القلائد الجوهرية ٤٥٦/٢، نظم العقيان ص ٥١
[10] انظر: بدائع الزهور ٢٦٧/٢-٢٦٩
[11] انظر: لحظ الألحاظ ص ٢١٥
[12] انظر: المنهل الصافي ٢٢/٢
[13] انظر: الجواهر والدرر ١١٩٣/٣

وأرجح هذه الأقوال فيما نزعم هو ما ذهب إليه السخاوي لأنه كان أبلغ الاهتمام بالحافظ ابن حجر العسقلاني وترجمته للحافظ هو أشمل التراجم وأوفاها.

صلي عليه من الغد قبيل صلاة الظهر بمصلى سبيل المؤمنين خارج القاهرة، وصلى عليه الخليفة وحمل نعشه وحضر الصلاة عليه السلطان فمن دونه، وكان له مشهد عظيم لم ير مثله في كثرة من حضر من الشيوخ فضلاً عمن دونهم، وقد ربعض الأذكياء من حضر جنازته بأكثر من خمسين ألف إنسان، وكان دفنه بالقرافة، وحصل من البكاء والانتحاب أسفاً على فقده الشيء الكثير، وصُلِي عليه صلاة الغائب في مكة وبيت المقدس والخليل وحلب ودمشق وغيرها[2] وتبارى الشعراء في رثائه وذكر مآثره وفضائله[3]، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة.

المطلب الثاني: شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني

على الرغم من تعدد جوانب ثقافة الحافظ ابن حجر، فإنه كان شاعرا مطبوعا وكان شعره كثيرا وأورد منه جماعة من الأدباء المصنفين أشياء حسنة جدا كابن حجة في شرح البيعية وغيره وهم معترفون بعلو درجته في ذلك[4]

بدأ الحافظ نظم الشعر منذ سنة ٧٩٢هـ وشغل عنه بعد سنة ٨٢٠هـ ونظم بعد ذلك أيضا ولكنه كان قليلا جدا حيث كان ترد إليه الأسئلة أحيانا في النظم فكان يجيب عنها شعرا[5] أما دواوين ابن حجر الشعرية فيبدو من كلام ابن خليل الدمشقي أنه له دواوين ثلاثة: فمنها ديوانه الكبير وهناك ديوان آخر مختصر من الأول، أو لحد ما مستقل عنه واسمه ضوء الشهاب وهو الصغير[6] وهناك ديوان آخر وهو السبع السيارة النيرات وهو الذي سماه السخاوي بالمسبعات[7] وسماه حاجي خليفة بمنظوم الدرر.[8]

وفي بحثنا هذا ستناول ديوانه الكبير من دواوينه الثلاثة المشارة إليها آنفا وديوانه الكبير هو بتحقيق الباحثة: فردوس نور علي حسين وقد قام بنشره دار الفضيلة بالقاهرة وقد يحتوي هذا

---

[1] انظر: شذرات الذهب ٣٩٩/٩

[2] انظر: الجواهر والدرر ص 250- 252، التبر المسبوك ص 233، الذيل على رفع الإصر ص 88

[3] انظر: الذيل على رفع الإصر ص 88، المنهل الصافي ص 22/2، لحظ الألحاظ ص 339

[4] البدر الطالع ص ٩١

[5] انظر: الجواهر والدرر

[6] قال ابن حجر العسقلاني عندما ترجم للشرف ابن المقرئ في المجمع المؤسس:" وسمع مني كتابي ضوء الشهاب المنتخب من نظمي" وهو الديوان الصغير. انظر: دراسة مصنفات ابن حجر ٣٦٧/١ حاشية رقم ١

[7] انظر: الجواهر والدرر ٦٩٤/٢

[8] انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٢٧/١٩٤٣/٨

الديوان على الأقسام السبعة الآتية:

الأول: النبويات: وقد يحتوي هذا القسم على سبع قصائد لطيفة في مدح النبي ﷺ.

الثاني: الملوكيات: وقد سار في هذه القصائد النهج الذي ساره في الأول ويحتوي أيضا على سبع قصائد مدح فيها الملوك في ذلك العصر.

الثالث: يشتمل هذا القسم أيضا على سبع قصائد مدح فيها الأمراء.

الرابع: الغزليات: وهي أيضا سبع قصائد

الخامس: يحتوي القسم الخامس من ديوانه على القصائد في الأغراض المختلفة فمنها قصيدة في إجابة الشيخ إبراهيم الجحافي عن قصيدة أرسلها إليه مهنئا له بالسلامة وقصائد أخرى مثل هذا النوع.

السادس: وهذا القسم يحتوي على موشحاته وموضوعها عنده الغزل غالبا في هذا القسم.

السابع: يحتوي هذا القسم على مقاطع شعرية وهي عبارة عن البيتين أو أكثر في موضوع ما.

المبحث الثاني: ميزات شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني:

امتاز شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني بكثير من الميزات ومنها:

أولا: أنه اختار اللغة السهلة البسيطة في شعره حتى تكون المعاني قريبة للذهن، واجتنب كثيرا من التعقيد اللفظي و إيغاله وبعد كل البعد عن الألفاظ الصعبة وقد أعلن الحافظ بفنسه عن هذه الميزة بصراحة حيث قال:[1]

أتجنب التعقيد والـ ... إيغال واللفظ المعمى

فيقول من أصغى له ... صدق المحدث واستتما

ثانيا: أنه اختار اللغة المختلفة المناسبة لكل غرض من الشعر فمثلا في القصائد المدحية نجده يستخدم الألفاظ ذات الجزالة والقوة، يحشد فيها الألفاظ الدالة على الصفات والأخلاق الكريمة من قوة وشجاعة وجود وكرم، بينما يستخدم في الغزل ألفاظا تدل على الرقة والسهولة واللطافة مما يناسب لتحقيق هذا الغرض، وفي الرثاء يستخدم ألفاظا تعبر عن الحزن والبكاء والألم الشديد وتترجم عن الدموع التي تسيل من عينيه لموت أحبته: فمثلا يقول في وصف الكرم:[2]

---

[1] الديوان ص ١٦٤

[2] المصدر نفسه ص ١٣٥

ملـــك الملـــوك حقيقـــة قـــد كملـــت أوصـــافه وســـواه لـــيس بأكمـــل

يـــروي أحاديـــث النـــوال صـــحيحة بمـــدبج مـــن جـــوده ومسلســـل

ويقول في البأس والقوة واستتباب الأمن:[1]

بـــأس يلـــين لـــه الجمـــاد يخفـــه حلـــم تـــزل لـــه رواســـي الأجبـــل

والنـــاس أجمـــع مـــن رعايـــاك ارتـــووا مـــن فـــيض فضـــلك بالغمـــام المســـبل

أما في الغزل فنجد الرقة واللطافة على أغلب كلمات استخدمها الشاعر فمثلا يقول:[2]

عـــاد المتـــيم شـــوق كـــان قـــد ذهبـــا وزاد فـــي قلبـــه طـــول النـــوى لهبـــا

ويقول في موضع آخر:[3]

حبيبـــي لا تحتفـــل بالعـــذول وصـــل مغرمـــا بالفنـــا قـــد وصـــل

وحقـــك إن العـــذول الأقـــل و أنـــت الحيـــاة و أنـــت الأمـــل

ويقول في قصيدة يرثي فيها بنته وقد استخدم فيها الألفاظ الدالة على الحزن والبكاء والألم والدموع:[4]

يـــا عـــين جـــودي لفقـــد البحـــر بـــالمطر أذري الـــدموع ولا تبقـــي ولا تـــذري

ثالثا: كان لحافظ ابن حجر العسقلاني إلمام شديد بالنصوص الشرعية الإسلامية ولذلك نجد أن شعره قد تأثر بدرجة عظيمة بالقرآن والحديث النبوي الشريف ولذلك نجد التناص الديني قد غلب على شعره وقد يوجد في شعره التناص الديني المباشر حيث يأخذ نص القرآن والحديث مباشرة بدون أي تغيير فمثلا، يقول:[5]

---

[1] الديوان ص ١٣٥-١٣٦

[2] المصدر نفسه ص ١٩٣

[3] المصدر نفسه ص ٢٥٤

[4] المصدر نفسه ص ٢١٤

[5] المصدر نفسه ص ١٠١

لقـــاب قوســـين أو أدنـــى علـــى ودنـــا وقلـــب حاســـده المضـــنى غـــدا هـــدفا

يوجد فيه التناص المباشر مع قول الله عزوجل: "فكان قاب قوسين أو أدنى"[1]

وقال في موضع آخر:[2]

تبـــوءوا الـــداروالإيمـــان قبـــل وقـــد آووا وفـــوا نصـــروا فـــازوا رقـــوا شـــرفا

يوجد فيه التناص المباشر مع قول الله عزوجل: "والذين تبوؤوا الداروالإيمان من قبلهم" [3]

وقال موضع آخر:[4]

وغصـــن تثنـــى وهـــو ثـــاني عطفـــه علـــى أنـــه لمـــا تثنـــى تفـــردا

يوجد فيه التناص المباشر مع قول الله عزوجل: " ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله" [5]

وقال في موضع آخر:[6]

النـــارذات وقـــود فـــي جو انحـــه شـــوقا وفـــي خـــده للـــدمع أخـــدود

وفيه التناص مع قول الله عزوجل: "النارذات الوقود" [7]

ونجـد أحيانـا التنـاص غيرالمباشـرفي شـعره حيـث يأخـذ الفكـرة مـن آيـة القـرآن أو الحـديث ولكنـه لا يأخذ النص مباشرة بل يأخذ المعنى ويستخدم كلماته في التعبيرعنه فمثلا يقول:[8]

الله أيـــده فلـــيس عـــن الهـــوى فـــي أمـــره أونهيـــه يـــتكلم

فليحـــذرالمـــرء المخـــالف أمـــره مـــن فتنـــة أومـــن عـــذاب يـــؤلم

---

[1]سورة النجم، الآية

[2]الديوان ص ١١٢

[3]سورة الحشر، الآية ٩

[4]الديوان ص ١٢٤

[5]سورة الحج الآية: ٩

[6]الديوان س ١٢٨

[7]سورة البروج، الآية: ٥

[8]ديوان الحافظ ابن حجر ص ١٠٠

وقد أخذ ابن حجر العسقلاني هذه الفكرة من القرآن فقد ورد فيه: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"[1] وفي موضع آخر قال الله عزوجل:" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم"[2]

ويقول في موضع آخر:[3]

ذو المعجزات الباهرات فسل بها	نطق الحصى وبهائما قد كلموا
حفظت لمولده السماء وبشرت	فالماردون بشهبها قد رجمت
إيوان كسرى انشق ثم تساقطت	شرفاته ب كاد رعبا يهدم
والماء غاض ونار فارس	أخمدت من بعد ما كانت تسب[4]

تكلم الحافظ ابن حجر العسقلاني في هذه الأبيات عن بعض معجزات النبي ومنها تكلم الحصاة وإلقاءه السلام على النبي وهذا قد ورد عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: إني لأعرف حجرا بمكة، كان يسلم على قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن"[5] وأشار إلى حفظ الله السماء من الشياطين بالشهاب وهذه الفكرة أيضا مستنبطة من القرآن كما يقول الله عزوجل: " و أنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. و أنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا"[6] وتكلم أيضا عن بعض الأمور التي وقعت عند مولده وذلك كله وارد في الأحاديث المختلفة كما ورد في السيرة النبوية: " لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة سارة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام"[7]

---

[1] سورة النجم، الآية: ٣- ٤

[2] سورة النور، الآية ٦٣

[3] ديوان الحافظ ابن حجر ص ١٠٠

[4] المصدر نفسه ص ١٠١

[5] مسلم، رقم الحديث:٢٢٧٧

[6] سورة الجن، الآية ٨-٩

[7] السيرة النبوية للذهبي ص ١١

ويقول في موضع آخر:[1]

من بعض ما أوتيت خمس خصائص لم تعطها الرسل الذين تقدموا
جعلت لك الأرض البسيطة مسجدا طهرا فصلى الناس أو تيمموا
ونصرت بالرعب المروع قلب من عاداك من شهر فأصبح يهزم
وأعيدت الأنفال حلا بعد أن كانت محرمة فطاب المغنم

هذه الأبيات وما تتضمنها من الأفكار مستنبطة من حديث الرسول ﷺ: " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من متي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت شفاعة وبعثت إلى الناس عامة"[2]

ويقول في موضع آخر:[3]

أسرى بجمسك للسماء فبشر أملاكها وحبتك بالترحيب
وخصصت فضلا بالشفاعة في غد ومقامك المحمود والمحبوب

تكلم الحافظ ابن حجر في هذه الأبيات عن ثلاثة أشياء وهي الإسراء والمقام المحمود والشفاعة من قبل الرسول ﷺ يوم القيامة وهذه الأفكار كلها ورد في القرآن والأحاديث فالإسراء أخبرنا به الله قائلا: " ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى"[4] وقد ورد ذلك في حديث عند مسلم:" لما أسري برسول الله ﷺ، انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة...الخ[5]

وأما المقام المحمود فقد أشار إليه الله عزوجل قائلا: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"[1]

رابعا: يمتاز شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني أيضا بكثرة استخدامه فن التوجيه[2] في شعره

---

[1] ديوان الحافظ ابن حجر ص ١٠٢
[2] صحيح البخاري رقم الحديث: ٤٣٨
[3] ديوان الحافظ ابن حجر ص ١٠٧
[4] سورة النجم، الآية: ١٣-١٨
[5] صحيح المسلم، رقم الحديث: ١٧٣

شعره وكان هذا الفن مع الفنون البديعية الأخرى رائجة في ذلك العصر حيث تولع به كثير من الشعراء والأدباء في العصر المملوكي.

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني فقد تعرفنا على أنه كان لغويا فقيها مفسرا وشارحا للحديث وجعله نبوغه في هذه الفنون المختلفة يتولع بهذا الفن حتى ينضح من شعره هذا النبوغ والإبرازوعلو مكانته في العلوم ويوجد شواهد التوجيه في ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني على صورعديدة فمنها:

أ_ استخدام أسماء الأعلام:

كان للحافظ ابن حجر العسقلاني إلمام بارزبعلم الجرح والتعديل وعلم الرجال ولذلك نجد أنه استخدم أسماء بعض الأعلام في شعره فمثلا يقول في موشحته:[3]

إن دام ذا إنني سعيد عطاء روحي له شعاري

يا سعد قد فزت بالنجاح إن سماح الهوى رباح

ففي هذا البيت وجه كلامه ببعض أعلام الفقه كسعيد، وهو سعيد ابن المسيب: فقيه شهير من فقهاء المدينة السبعة من التابعين وراو مشهور من رواة الحديث، وكذلك وجه بعطاء بن أبي رباح الذي هو أيضا تابعي وفقيه وعالم بالحديث.

ب_ استخدام بعض أسماء سور القرآن:

وجه الحافظ في كثير من الأماكن ببعض أسماء سور القرآن فمثلا يقول:[4]

يا معشر التجار أموالكم أدوا زكاتها ولا تكابروا

من قبل أن تصيبكم قارعة لأنكم ألهاكم التكاثر

---

[1]سورة الإسراء، الآية: ٧٩

[2]التوجيه لغة مقابلة وجه بوجه ومنه وجه النجم: وهو ما بدا لنا منه ومنه: وجه الكلام: وهو السبيل الذي نقصده به. وقد عرفه جماعة من أهل البديع فقالوا: التوجيه هو أن يوجه المتكلم بعض كلامه إلى أسماء ملائمة، كأسماء أعلام، أو قواعد علوم، أو غير ذلك، مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية. انظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ص ١٢٢.

[3]الديوان ص ٢٢٨

[4]المصدر نفسه ص ٢٤٣

ويلاحظ أن الحافظ ابن حجر العسقلاني وجه في هتين البيتين بسورة القارعة وسورة التكاثر التين هما سورتان مكيتان من القرآن.

ج_ استخدام المصطلحات اللغوية والعروضية:

وجه الحافظ ابن حجر العسقلاني بعض المصطلحات النحوية والبلاغية والصرفية والعروضية في كثير من المواضع فمثلا يقول:[1]

وقد رفعوا أيدي الدعاء بانكسارها وجزم الرجا حتى أتى الفتح حالها

وما استكثروا من أدمع مستهلة نهارا استقالوا الرحيل همالا

ويقول في موضع آخر:[2]

نصب الكرى لي من غص نا كدت أذويه ضما

فشرعت في وردي شري عة ريقه نسكا وحلما

ويقول في موضع آخر:[3]

ملك الفؤاد وساقه لهلاكه فرأيت منا سائقا وشهيدا

لا عطف لي منه ولا أبغي به بدلا وأكدت الهوى تأكيدا

ويقول في موضع آخر:[4]

سقمت من بعدكم فعودوا فما على محسن جناح

عشقت بدرا بلا سرار أفلحت في حبه فلاح

بدر أنا في الهوى شهيده لما بسيف الجفون صال

وطرفه والجفا وجيده ماض ومستقبل وحال

ويقول في موضع آخر:[1]

---

[1] المصدر نفسه ص ١٤٣

[2] ديوان ابن حجر العسقلاني ص ١٥٨

[3] المصدر نفسه ص ١١٤، ١١٥

[4] المصدر نفسه ٢٢٧، ٢٢٨

والله مـــا هـــو إلا مـــال ذي رهـــب مـــن ربـــه ولـــه فـــي جـــوده رغـــب
عاملتـــه ببســـيط الغـــدر منســـرحا فخزنـــه و افـــر والصـــبر مقتضـــب

ويقول أيضا:[2]

هـــل عامـــد والأمـــاني لـــم تـــزل عرضـــا للقلـــب مـــن جـــوهر الأفـــراح مـــا ذهبـــا
يـــا كامـــل الحســـن حزنـــي و افـــر وأرى وجـــدي مديـــدا وصـــبري عنـــك مقتضـــبا

ففي الأبيات السابقة نجد أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قد وجه بعديد من المصطلحات اللغوية والعروضية فوجه بالرفع والجزم والفتح والنصب والضم والحال والعطف والبدل والتوكيد، وماض ومضارع ومستقبل وهي مصطلحات نحوية وكذلك وجه بكلمات أخرى كبسيط، وو افر، ومقتضب، وكامل ومديد فهذه كلا مصطلحات عروضية.

د_ استخدام المصطلحات الفقهية والحديثية:

وجه الحافظ ابن حجر العسقلاني بكثير من المصطلحات الفقهية والحديثية فمثلا يقول:[3]

ملـــك الملـــوك حقيقـــة قـــد كلمـــت أوصـــافه وســـواه لـــيس بأكمـــل
يـــروي أحاديـــث النـــوال صـــحيحة بمـــديح مـــن جـــوده مسلســـل

ويقول في موضع آخر:[4]

تسلســـلت الروايـــة عـــن جفـــوني علـــى ضـــعف بهـــا مـــن فـــرط دانـــي

ويقول أيضا: [5]

وحـــديث وجـــدي فـــي هـــواك مسلســـل بالأوليـــة مـــن دمـــوع تســـجم

ففي الأبيات السابقة وجه الحافظ ابن حجر العسقلاني بكلمة يروي، وأحاديث، وصحيحة، ومسلسل، وضعف، وحديث وهذه الكلمات كلها مصطلحات تستخدم في علم الحديث.

---

[1] المصدر نفسه ص ٢٠٩
[2] الديوان ص ١٩٤
[3] المصدر نفسه ١٣٥
[4] الديوان ١٢١
[5] المصدر نفسه ١٨٠

خاتمة:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج ومن أهمها:

أولا: إن شخصية الشاعر ابن حجر العسقلاني كان لها تأثير بالغ على شعره، فنرى شخصيته الدينية كعام ومحدث وفقيه لها الأثر العظيم في ألفاظ ومعاني الشعر.

ثانيا: كان ابن حجر العسقلاني يمتلك قوة سليقة وثروة عظيمة من المفردات مما جعله يستخدم الكلمات حسب الموقف أو الحالة النفسية من الفرح والسروروالحزن والألم.

ثالثا: سار ابن حجر العسقلاني على نهج الشعراء القدامى في بنية القصيدة فنرى أنه مثلهم يبدأ بالغزل كل قصيدة مهما كان غرضها الفني من المدح والرثاء.

رابعا: تنوع شعر الحافظ ابن حجر العسقلاني من حيث أغراضه الفنية ويتراوح شعره بين المدائح النبوية ومدح الأمراء والملوك والرثاء والغزل كما أنه يقول شعر في فن الألغاز أيضا.

خامسا: لم يبلغنا جميع ما قاله ابن حجر العسقلاني من الشعر فنرى أنه كانت له دواوين أخرى ولكنها لم تحظ بالتبييض والطباعة ولكن اندثرت مع مرور الزمن.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم بن حسن البقاعي. عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران. المترجمون تحقيق د. حسن حبشي. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠١.
- أبراهيم مصطفى. المعجم الوسيط . دار الدعوة ، بلا تاريخ.
- ابن إياس الحنفي. بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى. قاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- ابن تغري بردي. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا تاريخ.
- ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمربأبناء العمر. المترجمون تحقيق د. حسن حبشي. مصر: لجنة إحياء التراث، ١٩٦٩.
- ـــ. رفع الأصر عن قضاة مصر. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨.
- ـــ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. المترجمون تعليق عبد العزيز ابن باز. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩.
- ابن حجر العسقلاني مؤرخا. الطبعة الأولى. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧.
- ابن منظور. لسان العرب. الثالث. بيروت: دار صادر، ١٤١٤.
- أبو حامد الغزالي. التبر المسبوك في نصيحة الملوك. المترجمون تحقيق أحمد شمس الدين. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.
- تقي الدين بن فهد المكي. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.

- جلال الدين السيوطي. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. الطبعة الأولى. الرياض: دار طيبة، ١٤٢٧.
- ـــــ. نظم العقيان في أعيان الأعيان. المترجمون تحقيق د. فيليب حتي. الطبعة الأولى. بيروت: المكتبة العلمية، 1927.
- حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. الطبعة الأولى. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٤١.
- شعيب، محمد عبد الرحمن. المتنبي بين ناقديه. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤.
- عبد الرحمن السخاوي. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام بن حجر. الأول. بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩.
- ـــــ. الذيل على رفع الإصر. المترجمون تحقيق جوده هلال. بلا تاريخ.
- عبد الرحمن بن محمد السخاوي. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. الطبعة الأولى. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٠٠.
- عبد الستار الشيخ. الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث. الطبعة الأولى. دمشق: دار العلم، ١٩٩٢.
- عبد القادر أبو شريفة. مدخل إلى تحليل النص الأدبي. الأول. عمان: دار الفكر، ٢٠٠٨.
- مجد الدين الفيروزآبادي. القاموس المحيط. الطبعة الثامنة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥.
- محمد بن طولون. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. الطبعة الثانية. دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠.
- محمد بن عبد الرحمن السخاوي. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. الطبعة الأولى. بيروت: دار بن حزم، 1999.
- محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع. الطبعة الأولى. بيروت: دار المعرفة، بلا تاريخ.
- محمد عمارة. النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود التاريخية. الأول. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨.
- مرتضى الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. الثاني. الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥.
- ياقوت بن عبد الله الحموي. معجم البلدان. الطبعة الثانية. بيروت: دار صادر، ١٩٩٥.

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

العلامة بديع الزمان سعيد النورسى و إسهاماته فى مجال التفسير

الدكتور الشيخ محمد روح الأمين

الأستاذ المساعد بكلية محى طاؤس نندى، هوغلى، الهند

والمحاضر الضيف فى قسم اللغة العربية والفارسية بجامعة كولكاتا، الهند

Abstract :- Allamah Badiu**zaman Saeed Al - Noorse was a great orator and forceful writer. He possessed special talents for writing Islamic theological books, took keen interest in modern science like Camistry, physics, Zoology and Philosophy etc,and even at the cost of his religious education. He wrote a large number of the theological books in Arabic defending some branches of the Science .**

I proposed to throw light in the limited scope as far as practicable on Allamah Badiuj zaman as he was a talented reformer and great Scholar.

المدخل: يمكن لنا القول إن دولة تركيا خلال الماضية عملت بالجدية للنهوض والتكأتف مع بقية دول العالم المتحضرة المثقفة وبجانب تأليف التفسير نشأت مدارس وجامعات ومعاهد مع إنشاء مدارس الألسن و الإستمرار فى عملية التفسير بكل جدية۔

اليوم توجد فى هذه الدولة وخارجها خصوصا فى الدول العربية معاهد تختص فى تعليم التفسير على إختلاف أنواعها۔ وليس فى هذا المجال فحسب بل أيضًا فى الأدب نثرًا و شعرًا وربما يتبادر إلى الذهن فيزول التوهم حين يطلَع أحد على ما تركه النورسى من علم غزير فى شتى العلوم فهو يجيد كمًا واسعًا من العلوم الحديثة مثل الريا ضيات و الفلك والكيمياء والفيزيا والجيولوجيا و الفلسفة بالإضافة إلى تبحره فى علوم الشريعة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وماعدا ذلک۔ وقد إقتصرت بحثى عن حياة النورسى مؤجزًا مع النقاط الهامة وهو إسهاماته فى التفسير۔

لمحة من حياته

أبصر النور فى قرية "نورس" من قضاء 'خيزان" التابع لولاية "بتليس" شرق "الأناضول"(١) سنة ١٢٩٣هـ ، من أسرة كردية صالحة تقية تعمل بالفلاحة و الزراعة "فقد كان أبوه "الصوفى ميرزاء" رجلا و رعًا عابدًا وأمه "نورية" إمرأة صالحة و أخوه الكبير "الملا عبد الله" عالما يقوم بمهمة التدريس لطلاب العلم۔

كان سعيد النورسى زكيا حادا وذاكرًا قويا منذ الصغر. بداء فى وقت مبكر من طفولته بطلب العلم لما كان يتمتع به من ذكاء خارق وتباهة فائقة فأخذ يتعلم فى كتاتيب قرية 'طاغ' على يد أستاذه "محمد أفندى" وعمره تسع

سنوات. وتلقى دروسا على يد أخيه الكبير" الملا عبد الله" ثم واصل الدراسة فى قرية "بيرمس" إلى أن بلغ أشده بدأ ينتقل فى القرى والمدن بين العلماء و الفقهاء يتلقى على أيديهم علوم العربية والإسلامية والشرعية.

وللدراسة العليا الحقه بمدرسة الشيخ "أمين أفندى" ومنها إلى مكس حيت مدرسة "أمير حسن ولى" ثم تعلم بمدرسة فى واسطان "كواش" ثم إلى مدرسة فى فضاء "بايزيد" و علاوة على هذه هناك مدارس أخرى تخرج فيها مستفيدًا فى العلوم الشرعية فعلى حسب مناهج الدراسة راى "الملا سعيد" منه العجب فى قوة علمه وذكائه وسرعة حفظه وبديهته وقراء سعيد عليه جمع الجوامع للسبكى فى أصول الفقه وكذلك حفظ القاموس المحيط لفيروزآبادى.

ولما بلغ من عمره يتراوح آنذاك بين تسع عشرة سنة بداء يلقى الدروس ويجيب عن أسئلة السائلين ففى سنة هذه شد الرحال الى "مردين" وزاول نشاطه العلمى فى جامع المدينة حتى أخرج من المدينة بفعل و شاية إلى "نادربک" وإلى المدينة وأرجع إلى بتليس وكان واليها آنذاک "عمر باشا" الذى تعرف على الملا سعيد الشاب فأحبه وأصر على أن يقيم معه فى منزله فخصص له غرفةً سكنها سعيد بعد الحاح شديد من الوالى . فوجدها فرصة لمطالعة الكتب وحافظها فراجع كثيرًا من كتب التفسيروالحديث، وعلم الكلام والمنطق مما جعله يحفظ عن ظهر قلب أكثر من ثمانين كتابا من أمهات هذه العلوم.

وفى سنة إحدى وعشرين من عمره توجه سعيد النورسى إلى مدينة "وان" بدعوة من واليها "حسن باشا" فانكب فيها بعمق على دراسة علوم الحديثة كالرياضيات و الفلک والكيمياء والفيزياء والفلسفة الحديثة و التاريخ والجغرافية وهلم جرا حتى وصل إلى درجة يفحم بها الأساتذة المتخصصين فلقب لأول مرة" بديع الزمان" وهو لقب اشتهربه بعد أن أطلق عليه إعترافا بفضله وعلمه خصوصا لظهور ذكاته ونبوغه.

ومن المؤكد لما بلغ النورسى من الثالثه و العشرين عن عمره سافر إلى إستانبول ليقيم مشروعًا لإنشاء جامعة إسلامية حديثة فى مدينة وان بإسم "مدرسة الزهراء" على غرار الأزهر الشريف تقوم على نشر حقائق الإسلام. وذلک على أثر ما سمعه من وزير المستعمرات. وبهذا الصدد هو يقول بقلمه ." حتى إننى وضعت حجرها الأساس بنفسى" ولكن ما أن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى شكلت من طلابى و المتطوعين (فرق الأنصار) وتوليت قيادتهم' فخضنا معارک ضارية فى جبهة القفقاس مع الروس المعتدين فى بتليس ووقعت أسيرًا بيدهم، إلا أن العناية الربانية انجتنى من الأسر. و أتيت إستانبول، وعينت فيها عضوًا فى دار الحكمة الإسلامية . وبادرت إلى مجاهدة الغزاة المحتلين استانبول فى تلک الظروف الحرجة وبكل ما وَهَبنى الله من طاقة إلى أن إنتهت حروب الإستقلال وتشكلت الحكومة الوطنية فى أنقرة"(٢)

ومتحدثا فى الموضوع أو ضحت هناک نقاط أخرى تستحق الإ لتفات بأن أرسل مصطفى كمال رسالتين

بالشفره إلى صديقه تحسين بک الذى كان آنذاک واليّا على مدينة "وان" يستدعيه إلى أنقرة، لكى يكافيه على قيامه بنشر رسالة الخطوات الست . فذهبوا إليها، فعرض على تعينيه فى وظيفة الواعظ العام فى الولايات الشرقية بر اتب قدره ثلاثمائة ليرة فى محل الشيخ السنوسى وذلک لعدم معرفة الشيخ اللغة الكردية، وكذلک تعينه نائبا فى مجلس المبعوثان، وفى رئاسة الشؤون الدينية مع عضوية فى دار الحكمة الإسلامية، وكان يريد بذلک إرضائه وتعويضه عن وظيفته السابقة. وكذلک السلطان رشاد قدكان خصص تسعة ألاف ليرة ذهبية لإنشاء مدرسة الزهراء التى كان وضع أسسها، فى مدينة و ان، فقرر مجلس المبعوثان زيادة هذا المبلغ إلى مائة وخمسين ألف ليرة ورقية، ولكنه عندما لاحظ أن قسما مما جاء من الأخبار فى المتن الأصلى لرسالة (الشعاع الخامس) ينطبق على شخص شاهده هناک، فقد إضطر إلى ترک تلک الوظائف المهمة . إذ إقتنع بأن من المستحيل التفاهم مع هذا الشخص أو التعامل معه، أو الوقوف أمامه، فنبذ أمور الدنيا أمور السياسة والحياة الإجتماعية و حصر وقته فى سبيل إنقاذ الإيمان فقط .(٣)

إلى هنا كانت حياته طافحة بخدمة البلاد وفق ماكان يحمله من فكرة خدمة الدين عن طريق السياسة . ولكن بعد هذهِ الفترة ولّى وجهه كليا عن الدنيا وأصبح سعيدًا بعيش كليا للآخرة وفى هذهِ الأثناء تولد من صميم قلبه معانى جليلة، نابعة من فيوضات القرآن الكريم . فصرف كل همه ووقته إلى تدبر القرآن الكريم.

بدأ النورسى فى أو اخر أيامه بسلسلة سفرات إلى أنقرة وغيرها وكانه يودع طلابه و إتباعه حتى أبلغته الحكومة أن يستقر فى "اميرداغ" ثم توجه إليها بينها وبين "اسبارطه" ثم قرر السفر إلى "أورفة" مع الطلاب . ونزلوا فى أحد فنادقها وصدر امر من وزير الداخلية بعودته إلى "اسبارطه" ولكن شدة المرض منعه من ذلک حتى ارتحل إلى الرفيق الأعلى فى الفندق نفسه يوم الأربعاء ٢٥ من شهر رمضان عام ١٣٧٩ هـ ، ودفن رفاتُه إلى جهة غير معلومة حقدًا على النورسى المجاهد وأخفى النظام العسكرى قبره.

وإسهاماته فى التفسير

ولا ريب فى أن التفسير لعب ولا يزال يلعب و سيلعب إلى أبد الأبدين دورًاهاما . وفى الوقت الحالى يتطلع إلى التفسيرکل العوالم حتى يستفيد منه فى شتى المجالات . وإن هناک رأيا أخر فى طبيعة التفسير بأن النورسى له كتب قيمة فى التفاسير مثل "إشارات الإعجاز" و "محاكمات عقلية فى التفسير و البلاغة والعقيدة" وكذلک أهمها فى التفسير "رسائل النور"

يوجد هناک دلائل و مؤشرات و مناقشات طويلة حول هذا التفسير رسائل النور قد عرفتها بشكل واسع من التفسير ولكن المؤلف أوضح أحيانا بأنها كتاب علم الكلام و البعض يقولون إن رسائل النور لها علاقة بالتصوف

وكذلک أدعى البعض بأنها المجارى السياسية أحيانا وتارة(۴) ولكن الضرورى جدًا ذكربعض هذه الرسالة ان كان عدد تلک الرسائل يربو عن المائة و الثلاثين أوأكثرلا تبحثُ بحثا مقصودًا عن أمورالدنيا والسياسية فقط و إنما تخص كليا أمورالأخرة والإيمان ومن المؤكد إذا تناولنا رسائل النورجميعا فإنه من الصعب حقا وضع رسائل النور ضمن نظام واحد۔ وإذا كنا ستناول رسائل النورکتفسيرالقرآن فإنها ماعدا الإعجازله ميزات خاصة به من ناحية المنهج و التأليف والأسلوب والمحتوى وما إلى ذالک ولكن الرسائل هذه لا تجدها فى اى تفسيرآخرلدى تفسيرالأية . والمواضيع التى يتم يتنا ولها خلال هذه . فهى على الأكثرداخل علم الكلام . لكن هذا ليس على وفق بتصنيف علم الكلام . و إنما بأطوارخاص برسائل النور، وربما يكون ذكررسائل النوربأنها تحمل خواص التفسيروعلم الكلام معا . والجديرأن روح الإيمان ليبث بنورالرسائل من جديد و لينورالعالم بأشعة كلماته ورشحاته داعيا إلى الإخوة وبناء الذات وهى جددت فى صياغة الإنسان بالإيمان من خلال القرآن وفى هذا الصدد يقول العلامة بديع الزمان۔ "ان رسائل النور برهان القرآن و تفسيرقيم له وهى لمعة بر اقة من لمعات إعجازه المعنوى، ورشحة من رشحات ذلک البحر، وشعاع من ذلک الشمس و حقيقة ملهمة من كنزالعلم، وترجمة معنوية نابعة من فيو ضاته .(۵(

وجد يربالذكر بأن كثرت المصنفات حول القرآن الكريم وتعددت مجالات بحثها وأساليب مؤلفيها .وكذلک ا لعلماء الباحثون فى القرآن بديع الزمان سعيد النورسى الذى أفرغ من جهده و وقته الكثير. وهو يتأمل فى أيات كتاب الله تعالٰى . ويتدبر فى معانيها . ويقلب النظر فى وجوه إعجاز القرآن الكريم . ويستنبط من لطيف المعانى وعظيم الإرشادات ويصوغ مايظهر له من كنوز بقلمه السيال، وعباراته العميقة الدقيقة وأسلوبه السهل، الممتنع، فمن الضرورى جدًا ذكر بعض هذه التعاريف ـ يبين بديع الزمان النورسى إن رسائل النور بنيت على أسس عديدة منها العجزوالفقروالشفقه والتفكروهلم جرا.فأما العجزو الفقرهما يعنيان حالة معرفة الإنسان لعجزه و حاجته المطلقة تجاه خالق الكائنات وكذلک اللذان بحثا من مختلفة النواحى فى البحوث المتعلقة بالتفكر الأنفسى فى رسائل النور.لذا لن يكون من الخطأ إرجاع هذين الأساسين أيضًا للتفكر، وأما الشفقة فقد وضحت حقيقتها فى الرسائل وجعل إيصال ثمار التفكر فى رسائل النورغاية للحياة . وبعد تعيين وضع الأسس هذه يظهر أمامنا أهم أساس لرسائل النور. وهو الأسس التفكر المتبقى . وهذا الأساس هو بنفس الوقت أهم خاصية تشكل حياة بديع الزمان، فقد بدأ تفكررسائل النوربالانتعاش فى عقل مؤلفها منذ شبابه . ونضج فى أوسط عمره، ومن المؤكد أن هذا التفكر يشكل جميع حياة بديع الزمان بجميع صفحاتها ويتطوروبتسع من الزمن ويقوم بدعوة رسائل النوربكليات رسائل النور۔ (۶) ثم إن هناک رأيا آخرفى طبيعة التفسيرأن الحديث عن التفسيرفى مؤلفات النورسى طويل لأن علم التفسيرنفسه علم واسع، نما وتطورکغيره من العلوم، فأصبح يتضمن ألوانا شتى من التفاسير. و كذلک ان النورسى لم يؤلف تفسيرًا كاملا مترابطا يسيروفق منهج محدد، لأنه يعتقد أن إنجاز هذا

العمل على الوجه الذى يستجيب لمتطلبات العصر مهمة يعجز عنها المفسر الواحد. ويقول الموصوف " لما كان القرآن جامعا لأشتات العلوم' وخطبة لعامة الطبقات فى كل الأعصار، لا يتحصل له تفسير لائق من فهم الفرد الذى قلما يخلص من التعصب لمسلكه ومشربه، إذ فهمه يخصه، ليس له دعوة الغير إليه إلا أن يعديه. يجيزه. قبول الجمهور"(٧)

وسيتبين بامعان النطر فيه ان نظرة النورسى إلى التفسير نظرة شمولية تلائم خصائص القرآن الكريم الذى طرح قضايا شاملة و خاطب الناس كافة فى كل عصر من العصور، لذا فهو يرى أن الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لحاجات العصر، هو فى إجتماع لجنة من كبار العلماء المتخصصين، كل فى مجال تخصصه. ويقوم كل عالم بدراسات مستفيضة من جانب من جوانب القرآن الكريم ، فيحصل من مجموع تلك الدراسات تفسير جامع القرآن الكريم ، مستجيب لمستجدات العصر.

ثم إن هناك نقاط أخرى تستحق الإلتفات بأن النورسى شرع تفسير القرآن الكريم أثناء الحرب العالمية مبتدئا ببيان إعجاز القرآن البلاغى(٨) إلا أن ظروف الحرب والأسر لم تيسرله إتمام كتابه "إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز" كما أن اشتداد موجة العداء للدين ومحاولة تحطيم أسسه، جعلت بديع الزمان بغير منهجه فى الدعوة إلى الإسلام، فمن خلال رسائل النور أصبح يدافع عن العقيدة و يرسخ أركانها، وقد لجأ كثيرًا إلى تفسير آيات قُرآنية فى رسائله حتى عدها كلها تفسيرًا لمعانى القرآن.

لكن هذا التفسير رسائل النور لم يسر على نمط واحد. ولم يتبع منهجا محددًا، فالقارئ له يكتشف فى بداية قرائته أو نهايتها أن النورسى اتجه إلى الأيات القرآنيه إتجاها روحيا. وتعامل معها تعاملاً ذوقيا ، وهو ما يجعل القارئ يصنف هذا التفسير ضمن التفسير الإشارى الخاضع للقواعد والشروط التى وضعها العلماء لقبولها، بل إن النورسى نفسه يصرح بذلك حين يقول "فنحن لانقول فى تلك الرسالة إن المعنى الصريح للآية الكريمة هو هذا ليقول العلماء: فيه نظر، ولم نقل فيها إن كلية المعنى الإشارى هى هذه، بل نقول إن تحت المعنى الصريح للأية الكريمة طبقات متعددة من المعانى إحدى هذه الطبقات هى المعنى الإشارى أو الرمزى،(٩) فهذا المعنى الإشارى أيضا هو كلي ، له جزئيات فى كل عصر، فرسائل النور فرد فى هذا العصر من أفراد كلية طبقة المعنى الإشارى ذاك (١٠).

ومن نافلة القول إن إشارية النورسى فى تفسير لم تنحرف به عن القواعد والضوابط التى إصطلح عليها العلماء لن يكون التفسير مقبولاً، بل إننا نجد النورسى يؤكد فى أكثر من موضع أن شرط مقبولية أى وجه أو معنى يذهب إليه المفسر، يمكن فى مراعاة قواعد اللغة ومقاصد الشرع، فما دامت هذه الوجوه والمعانى محكومة بأصول التفسير، فهى إذن. مقبولة ان جميع الوجوه والمعانى التى هى صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق

أصول الدين، ومقبولة فى فن المعانى، ولائقة فى علم البيان، ومستحسنة فى علم البلاغة، هى من معانى القرآن الكريم بإجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه۔ (١١)

و كان النورسى أكد التفسير بالمأثور وإن كان سلك فى تفسيراته مسلكا إشاريا (١٢) وكذلك إنه أبعد عن التفسير بالمأ ثوركل شبهة لأنه نصوص قاطعة وأسسٌ وأركان لابد من الإيمان بها. وفى أكثر من موضع يقدم نماذج قيمة تجمع بين التفسير الظاهر والإشارى الآية مثال ذلك ما يقدمه فى حديثه عن أقوال العلماء فى قولهٖ تعالٰى: "رب العالمين" والتى مفادها وجود ثمانية عشر ألف عالم ، فقبل الشروع فى تحديد المعنى من قولهٖ تعالٰى يمهد ببعض الأصول المتبعة فى التفسير، ويذكر بأن أيات القرآن الكريم لا تنحصر فى معنى واحدٍ بل تتضمن معانى متعددة. كما يقدم النورسى مثالاً لها تطبيقيا علٰى قولهٖ تعالٰى " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان" فيبين المعانى الجزئية للأية إبتدائً ا من بحر الربوبية فى دائرة الوجوب وبحر العبودية فى دائرة الإمكان، و إنتهاء إلى بحرى الدنيا والآخرة، وإلى بحرى عالم الشهادة وعالم الغيب، و إلى البحار المحيطة فى الشرق والغرب، وفى الشمال و الجنوب. وإلى غيرها من أنواع البحار الموجودة. ومن هذا المثال يخلص إلى القاعدة التى تحدث عنها، فيؤكد أن جميع هذهٖ الجزئيات هى من معانى الأية، كذلك كلمة "رب العالمين" فيفهم من الأية الكريمة: "إن فى السمٰوٰت ألوفامن العوالم" ويمكن أن يكون كل نجم عالمًا بذاته وفى الأرض أيضًا ، كل جنس من المخلوقات عالم بذاته، حتى إن كل إنسان عالم بذاته. فقولهٗ تعالى "رب العالمين" تعنى أن كل عالم يدار و تدبر شؤونه بربوبيته سبحانه وتعالٰى مباشرةً۔ وكذلك النورسى فى كثير من المواضع سلك مسلك فيضيا فى التفسير. و إنه لم يجنح إلى الغلو فى تفسيراته كما فعل بعض الذين سلكوا هذا المنهج. وقد عقل النورسى حاضر فى الرسائل من خلال التحليلات الدقيقة والمناقشات المستفيضة لما هو معروض فيها. أضف إلى ذلك أن الأيات القرآنية ذاتها التى تناولها ببيان معانيها الخفية وإشاراتها البليغة، كان أغلبها ذا علاقة وثيقة بو اقع الأمة الإسلامية. وما تتعرض له من هجوم يستهدف تحطيم عقيدتها. وتفكيك نظمها التشريعية والأخلاقية۔ (١٣) ان هذهٖ الو اقعية فى طرح القضايا من خلال رسائل النور هى التى جعلتهٗ يتصدى للماديين ينا قشهم ويبطل حججهم. وهى التى دفعته إلى مجادلة أهل الكتاب لبيان إنحر افهم و ضلالهم وحملته على تصحيح التصور العقيدى لدى المسلمين كل ذلك من أجل تجديد الدين۔ وكذلك النورسى لم ينحصر فى القرآن المتلو وحده. و إنما يتسع ليشتمل القرآن الكريم الذى هو الكون كله بأراضيه، وسماو اته، بنجومه وكواكبه وهلم جرا. ومن هنا أستطيع القول إن النورسى وكان يرى من وراء تفسيرهٖ إلى خدمة قضايا الإسلام والدفاع عنها۔

وقد اقتصرنا الكلام فى هذا الصدد وجمعنا عديدًا من الأراء والتعاريف فى التفسير هذا. فاكتسب هذا شهرة كبيرة ونال قبولاً عامًا فى الأوسط العامة ويراه الناس نظرًا إلى جلالة شأنه وفخامة أمره. ولولا المساعى المخلصة

والجادة منه لما بقيت لنا عظيمة فى هذا المجال. وفى النهاية أريد أن اقول بأن العلماء أحسوا بالضرورة الملحة لتفسير المواد العلمية المتوفرة فى هذه الأيام حتى تقدر على التمشى مع بقية العالم فى مضمار التقدم.

المراجع و المصادر

(1)مقتبس من كتاب بديع الزمان ألنورسى "الرائد الاسلامى الكبير" تأليف الدكتور محسن عبد الحليم. وشئ قليل من غير هذا الكتاب.

(2) الشعاعات. ص، ٥٤٢

(3) الشعاعات. ص، ٥٢٠

(4)وللتفصيل راجع " أصول التفكر فى رسائل النور" لأميد شمشك ص،١(١٩٩٥م(

(5) الكلمات لسعيد النورسى: ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر، إستنبول ط: ١ ص،٨٣٢ (١٤١٢هـ)

(6) الملاحق فى فقه دعوة النور: ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر أستنبول ط.١ص،٢ (١٤١٥ هـ)

(7) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز لسعيد النورسى تحقيق إحسان قاسمى (الطبعة التركية) ص،٢٠

(8) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز لسعيد النورسى تحقيق إحسان قاسمى (الطبعة التركية) ص،٢١

(9) ومن أراد التفصيل فليرجع " التفسير و المفسرون" لمحمد حسن الذهبى. ج ٢، ص،٣٨١.٣٨٨ (١٩٦١م)

(10) الملاحق فى فقه دعوة النور: ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر أستنبول ط.١ص،١٧٩ ..١٨٠ (١٤١٥ هـ)

(11) الكلمات لسعيد النورسى: ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر، إستنبول ط: ١ ص،٤٥٦ (١٤١٢هـ)

(12) "يقبل التفسير الإشارى إذا، ما اجتمع فيه شروط ثلاثة أولاً: أن لا يتنافى ما يظهر من معنى النظم القرآن الكريم فلا يكون تاؤيلا بعيدًا. ثانيا: أن لا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر. ثالثا: أن يكون له مشاهد من الشرع يؤيده فلا يتعارض مع الشرع ولا مع العقل، فإن فقد فيه الشروط السابقة تاما أو بعضا فلا يقبلها." "التطور والتجديد فى دراسة تفسير القرآن الكريم". ص،١٥ .أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة .الباحث الشيخ محمد روح الامين ،جامعة كولكاتا، الهند، (٢٠٠٧) أو" مذكرة علوم القرآن" ص،١٠٦.الأزهر ١٩٥٥م

(13) وكلها فى اللمعات. ص،٢١١

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

تصوير البحار في روايات حنا مينا "الشراع والعاصفة" أنموذجا

محمد أزهر سي.أتش
استاذ مساعد,بكلية أنوار الإسلام العربية,
بكونيل جامعة كالكوت الهند

Abstract: This study aimstodiscuss the narrative structureof "Hanna Mina" especially his novels which depicted about ocean and people's life on there.The study focusses on his epic novel "sail and storm".This article is divided under three subtitles. The first one is about author and his struggles in a descriptive way. The second topic deals the style of writing, the techniques used by the author and how he depicts the various contents in his novels. The last one includes the illustration about oceans and marine life in a symbolical way.

Keywords: Narrative techniques and depiction of oceans in "Hanna Mina" novels

نبذة عن حياته:

حنا مينا روائي سوري من مواليد اللاذقية[1]، وهو من أبرز الروائيين العرب.اهتمت رواياته بالواقعية الاجتماعية وبالصراع الطبقي،وكان لجزء من تجاربه الخاصة أثر مميز في كتاباته عن معاناة الناس اليومية. تناول في العديد من رواياته البحر وحياة البحارة في مدينة اللاذقية، وما يحيطها من أخطار معتبرا البحر مصدر إلهامه.ترعرع مينا في أسرة فقيرة في حي كان يدعى "المستنقع" وتوقف عن الدراسة بعد انتهائه من المرحلة الإبتدائية بسبب الفقر الشديد الذي كانت عليه أسرته لم يكن لوالده عمل ثابت، فتارة كان يعمل حمالا في المرفأ، وتارة بائعا للحلوى وأخرى مزارعا أوعاطلا عن العمل. وكانت الكنيسة تقدم لأسرته المساعدات في ذلك الوقت، مما اضطر إلى العمل منذ نعومة أظافره للتخفيف من العبأ على والده. رواه عن عمله في مرحلة الصبا في أحد الكنائس "كنت أقوم بالخدمة في الكنيسة طوال أربع سنوات، أطفئ الشموع، أحمل الأيقونات، وأنام واقفا أحيانا".عمل في بداية حياته موزعا لجريدة "صوت الشعب" وناضل مع رفاقه ضد الإحتلال الفرنسي. بدأ كتابة المراسلات والعرائض للحكومة فسافر إلى أوروبا، لكنه في النهاية عد إلى سوريا. ساهم مع عدد من الكتاب السوريين في تأسيس رابطة الكتاب السوريين عام ١٩٥٠م وحصل على جائزة الكاتب العربي عام ٢٠٠٥,في عام

[1] مدينة سواحلية سورية

١٩٧٦م نشرت القصة القصيرة بعنوان "على الأكياس" التي تتناول سيرة حياته.

وصف نفسه ب "كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين، فالكفاح له فرحه، له سعادته، له لذته القصوى، عندما تعرف أنك تمنح حياتك فداء لحياة الآخرين، الذين قد لا تعرف لبعضهموجها، لكنك تؤمن في أعماقك، أن إنقاذهم من الخوف والمرض والجوع والذل، جدير بأن يضحي في سبيلهم". وعن البحر قال "إن البحر كان دائما مصدر إلهامي، حتى إن معظم أعمالي مبللة بمياه موجه الصاخب[1]". يعد الروائي حنا مينة كاتبا متميزا في مجال الرواية. وفي معظم رواياته كان البحر دائما مصدر إلهامه وتتميزروايات حنا مينة بتنوعها الشديد و اتساع آفاقها وموضوعاتها ورحابة دلالاتها. في روايات البطولة والصراع والنضال ضد الاستعماروضد الظلم بأشكاله كافة وهي روايات للدفاع عن الفقراءوالمسحوقين, وجسد مينة البحر في رواياته, وصور أبطاله والبحارة وصور صمودهم وتحديهم للبحر و أنوائه وعواصفه وجبروته, صور كيف كان البحر ينتصر عليهم مرة ويهزمونه مرات ووصف حالة الفقر التي عاشها في طفولته ويقول "كنت أعاني البطالة والغربة والفقر والجوع وأحسد الكلب لأن له مأوى" كما يقول عن مهنته الأخيرة" "مهنة الكاتب ليست سوارا من ذهب، بل هي أقصر طريق إلى التعاسة الكاملة, لا تفهموني خطأ، الحياة أعطتني، وبسخاء، يقال إنني أوسع الكتاب العرب انتشارا، مع نجيب محفوظ بعد نوبلومع نزارقباني وغزلياته التي أعطته أن يكون عمر بن أبي ربيعة القرن العشرينيطالبوني، في الوقت الحاضر، بمحاولاتي الأدبية الأولى، التي تنفع الباحثين والنقاد والدارسين.من أبرزأعماله التي تجاوزتالعديد منها إلى أعمال درامية وسينمائية، ومنها رواية المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، حكاية بحار، نهاية رجل شجاع، الثلج يأتي من النافذة، الشمس في يوم غائم، بقايا صور، الربيع والخريف، حمامة زرقاء في السحب، المغامرة الأخيرة، المرأة ذات الثوب الأسود وغيرها. توفي حنا مينه ٢٠١٨ م حيث أوصى:

"أنا حنا بن سليم حنا مينه، والدتي ميريانا ميخائيل زكور، من مواليد اللاذقية العام ١٩٢٦، أكتب وصيتي و أنا بكامل قواي العقلية، وقد عمرت طويلا حتى صرت أخشى ألا أموت، بعد أن شبعت من الدنيا، مع يقيني أنه "لكل أجل كتاب". لقد كنت سعيدا جدا في حياتي، فمنذ أن أبصرت عيناي النور، و أنا منذورللشقاء، وفي قلب الشقاء حارب الشقاء و انتصرت عليه، وهذه نعمة الله، ومكافأة السماء، و إني لمن الشاكرين. عندما ألفظ أنفاسي الأخيرة، آمل، وأشدد على هذه الكلمة، ألا يذاع خبر موتي في أية وسيلة إعلامية، مقروءة أو مسموعة أومرئية؛ فقد كنت بسيطا في حياتي، وأرغب أن أكون بسيطا في مماتي، وليس لي أهل، لأن أهلي جميعا لم يعرفوا من أنا في حياتي، وهذا أفضل، لذلك ليس من الإنصاف في شيء، أن يتحسروا علي عندما يعرفونني بعد مغادرة هذه الفانية. كل ما فعلته في حياتي معروف، وهو أداء واجبي تجاه وطني وشعبي، وقد كرست كل كلماتي لأجل هدف

[1] حنا مينا يروي نفسا سيرة حياته

واحد. "نصرة الفقراء والبؤساء والمعذبين في الأرض" وبعد أن ناضلت بجسدي في سبيل هذا الهدف، وبدأت الكتابة في الأربعين، شرعت قلمي لأجل الهدف ذاته، ولما أزال لا عتب ولا عتاب، ولست ذاكرهما هنا إلا للضرورة، فقد اعتمدت عمري كله لا على الحظ، بل على الساعد، ، و إني الأشكر هذه اليد، ففي الشكر تدوم النعم. أعتذر للجميع، أقرباء، أصدقاء، رفقاء، قراء، إذا طلبت منهم أن يدعوا نعشي محمولا من بيتي إلى عربة الموت، على أكتاف أربعة أشخاص مأجورين من دائرة دفن الموتى، وبعد إهالة التراب علي، في أي قبر، ينفض الجميع أيديهم، ويعودون إلى بيوتهم؛ فقد انتهى الحفل، وأغلقت الدائرة. لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا للتعزيات، بأي شكل، ومن أي نوع في البيت وخارجه، ثم، وهذا الأهم، وأشدد لا حفلة تأبين، فالذي سيقال بعد موتي سمعته في حياتي، وهذه التأبين، وكما جرت العادات، منكرة، منفرة، مسيئة إلي، أستغيث بكم جميعا أن تريحوا عظامي منها. كل ما أملك في دمشق واللاذقية، يتصرف به من يدعون أنهم أهلي ، ولهم الحرية في توزيع بعضه على الفقراء الأحباء الذين كنت منهم وكانوا مني، وكنا على نسب هو الأغلى، الأثمن، الأكرم عندي و انتهى إلى القول زوجتي العزيزة مريم دميان سمعان، وصيتي عند من يصلون لراحة نفسي، لها الحق، لو كانت لديها إمكانية دعي هذا الحق، أن تتصرف بكل إرثي، أما بيتي في اللاذقية، وكل ما فيه، فهو لها ومطوب باسمها، فلا يباع إلا بعد عودتها إلى العدم الذي خرجت هي، وخرجت أنا، منه، ثم عدنا إليه".[1]

الكتابة الروائية عند حنا مينا:

حنا مينه كاتبا متميزا في مجال الرواية، وروا ياته متنوعة، فقد صدر له حتى الآن ما يقارب ستة والأربعين رواية، بروايته الأولى"المصابيح الزرق" إلى الشراع والعاصفة"، وتتميز روايات حنا مينا بتنوعها الشديد و اتساع أفاقها وموضوعاتها ورحابة دلالتها. وهي روايات البطولة والصراع والنضال ضد الاستعمار والبورجوازية وضد الظلم بأشكاله كافة. وهي روايات عن الفقراء والمسحوقين ومهضومي الحقوق.

جسد حنامنا في روايته المرأة المظلومة كان معها قلبا وقالبا,وكان معها في روحه وكان ينصرها ويبرئها من كل التهم الموجهة إليها,هذه المرأة التي لم تستكن للإضتهاد وتخطت شروطها القاسية كلها,كماجسدت الشخصيات الروائية و أبطالها في روايات حنا مينا الرجولة والقيم الكبيرة،وتمسكت بأشرعتهاالكبيرة وهيالصدق والكرامة والشجاعة والمحبة والدفاع والتضحية في سبيل الآخرين، وكرهت الكذب، والنفاق، والخيانة. إضافة إلى ذلك صور حنا مينه في رواياته الفقروالبؤس والحرمان تصويرا دقيقا. ربط بين الواقع والحلم ليخرج من الظلمة إلى الضوء ومن الحزن إلى الفرح الإنساني العميق بما يرسمه من خط المواجهة والتصدي ورفض الواقع، لقد غطى حنا مينه في رواياته شطرا مهما من تاريخ سورية القريب،رسم شخصيات رواياته الواقعية كيف تمرد الفلاحون

[1] جريدة الأهرام القاهرة مارس,٢٠١٨

على بعض الإقطاعيين كما استعرض بروا اياته سلخ اللواء من قبل تركيا، واستعرض مرحلة الاحتلال الفرنسي لسورية. اهتم حنا مينا بالأبطال الرئيسيين والثانويين، جعله البطل أسطوريا في كل روا اياته تقريبار أبطاله يستمدون من الضعف إلى القوة، يتعلقون بالحياة، يصارعون من أجل البقاء.

تتميز أدب حنا مينا بالو اقعية من جهة، والتزام قضايا الطبقات الفقيرة المستغلة والبائسة, وضمن هذه الرؤية صور كل الصراعات والتغيرات الاجتماعية واستخدم أساليب الرمزية وسعى إلى التجديد، تجديدا و اقعيته، بحيث لا يفترق عن هذه الو اقعية عند استخدام حنا للبطل كشخصية رئيسة يجعلها بسيطة وسهلة وواضحة لا تعقد القارئ، بل يتعرف عليها ببساطة، ثم يستخدم الرمزوالأسطورة والتكثيف لينتقل من اللا و اقعي إلى الو اقعي.من هنا استطاع حنا مينه من خلال المذهب الو اقعي أن يرسم نهجه الخاص في الرو اية ويمتلك أسلوبا جذابا ورشيقا ومتميزا، ويبنى عالما رو ائيا متماسكا يمجد فيه الإنسان وبطولته وصراعه وكفاحه من أجل الحرية والحياة.قدمت رو اياته بطلا لا يزال يعيش إشكاليته الاجتماعية ولا يجد التصالح النهائي ومجتمعا زاخرا بالتناقضات الاجتماعية من خلال التفاعل القائم بين الإبداع والو اقع.

البطل[1] الرو ائي عند حنا مينا يحمل نموذجين البطلالإيجابي والبطل الإشكالي,البطل الإيجابي عنده ضرورة تاريخية، اجتماعية رو ائية، وهو بطل مرحلة، يسعى لتحقيق طموحات شعب يقاوم خطرا أجنبيا تركيا أو فرنسيا أو إسر ائيليا,هذا البطل يخرج حاملا وعيا اجتماعيا كبيرا،هذا الوعي اكتسبه من خلال كفاحه ونضاله وصراعه ضد الاستعمار، ومن خلال التحامه بأبناء طبقته ووقوفه معها ضد الإقطاع . لكنه أخيرا وفي لحظة تاريخية معينة عند خروج الاستعمار أي الخطر الخارجي وغيابه، يجد نفسه يعيش تناقضا داخليا كبيرا، وصراعا أخر مع السلطة التي لا تمثل سوى المستعمر والتي تكون أداته، والتي لم تحقق شيئا على الصعيد الاجتماعي للطبقة الفقيرة, وهذا البطل لا يملك إلا القيمة الأخلاقية التي تميزه، وتصل المغامرة عنده إلى حدود التهور والتضحية بنفسه في سبيل الآخرين، وإن أفعالهم البطولية والبطولة عندهم ليست فعلا مجانيا، بل يرتقي إلى دلالة اجتماعية ويصبح فعل التزام البطل هو رجل شعبي يحمل وعي الضعفاء والمظلومين, البطل يحب الحياة حتى آخر لحظة.والبطل الإشكالي دائما يجد نفسه وحيدا في مواجهة عالمه وهناك فرق بين البطل الإيجابي والبطل الإشكالي في رو ايات حنا مينه، وهو أن البطل الإيجابي يتجاوزكل المصاعب والتحديات،ويسعى للانسجام مع محيطه الاجتماعي، ويقف إلى جانب الطبقة الشعبية، بينما يجد البطل الإشكالي نفسه غير قادر على تجاوز المصاعب رغم أنه يسعى لتجاوزها.

رو اياته غزيرة الدلالات والمضامين، بشخصياتها، و أبطالها، بنسائها، أمارو اية "الشمس في يوم غائم" فقد

---

[1] محمد كامل الخطيب، عبد الرازق عيد، عالم حنا مينه الروائي

جسدت الطرح الاجتماعي لصراع بين جيل يمثله الأب وجيل متقدم يمثله الابن، الرمز الأكبر في الرواية أي الثورة وقد تجسدت قيمتها الفنية في بناء الحلم والرمز والأسطورة وروعة التحليل النفسي. ورواية "حمامة زرقاء في السحب" تناولت موضوع الأبوة المفجوعة بفقدان ابنته، وهي رواية شديدة الغني بالعواطف الإنسانية، نابضة باللوعة والفجيعة.

البحر في روايات حنا مينا" الشراع والعاصفة" أنموذجا:

إن حنا مينه رائد البحر في الأدب العربي البحر كمكان مفتوح يجسد أحلام أبطاله ويجسد همومهم وطموحاتهم وقد دخل البحر كمكان في تولدات التغيير والتحول الاجتماعي مصدرا أساسيا من مصادر عمل الروائي حين يتم الانسجام والتفاعل الجميل بين الإنسان والمكان فإن هذا الانسجام يؤسس وجدانا وشعورا ويشعل فتيلا من الحب والتعاضد. ألحق به توصيف "رائد أدب البحر"عربيا، وهو توصيف اختزالي على الرغم من أنه ينطبق إلى حد ما على أدبه، وربما كان تكريس هذا العنوان كاشفا المناخ التقبل الأدبي في العالم. يمكن أن نشيرهنا إلى أن مصطلح "أدب البحر" كجنس فرعي في الرواية، وفيها يعني الأعمال التي يكون البحر إطارها وفاعلا فيها،غالبا فوق سفينة، ويكون المكان المحوري إما الميناء أو المقاهي والفضاءاتالمحيطة به، ومنه ينفتح صاحب الرواية على عوالم أخرى ويذهب بالسرد في مسالك نفسية واجتماعية وذهنية شتى,البعض اعتبر البحر كلمة السرفي أدب حنا مينا كما الحارة المصرية في أدب نجيب محفوظ، كل منهما ينهل من حارته الخاصة. لم يكن البحر أرضا بكرا في الثقافة الأدبية العربية، بل عرفه الشعراء في العصر الجاهلي وورد ذكره في قصائدهم، كما ورد ذكره في كتاب العربية الأول القرآن الكريم و اتسعت دلالات البحر في السرد العربي القديم حيث "الليالي العربية وألف ليلة وليلة" فكان أرضا للميثولوجيا ومغامرات السندباد، ليصبح البحر مكانا مخيفا يحتوي وحوشا ويتحرك ويتحول لعدو أيضا، و أيضا حكايات عبد الله البيري وعبدالله البحري.

روايات حنا مينا غزيرة الدلالاتوالمضامين بشخصياتها و أبطالها بنسائها وأطفالها. فرواية "الشراع والعاصفة "من حيث تعد البحر والبحارة بامتياز، هي قصة رجال البحر الذين يعملون لينتصروعلى عواصف الطبيعة القاسية، وهي قصة مدينة سورية ساحلية أثناء الحرب العالمية الثانية. لقد صور حنا مينه أثر هذه الحرب وما تركته من عواصف في بلاد يحتلها الفرنسيون، ولكنها أولا قصة رجال البحر، قصة الانتصار على عوامل الطبيعة القاسية،وقصة الإرادة البشرية والمغامرة.هي قصة رجال البحر المردة، في صراعهم اليومي المرير مع الموت المتمثل في البحر الهائج، والعواصف الغادرة، يقابلونها بأشرعتهم الممزقة، وقواربهم العتيقة، وعزمهم المستمد من صخور الشطان, إن فيها لروحا أسطوريا حنونا،. "البحر ملك" تلك هي صيحة الاحترام العميقة التي يطلقها كل بحار. الطروسي بطل القصة يؤمن بسلطنة البحر كما يؤمن بسلطنة المرأة، يقول الطروسي :"أنا لم

أمت في تلك العاصفة أيها البحر ضاجعت الموت على فراشك.... صارعت الأمواج روحا متوحشة تعرف أنه لأخيار المقاومة وطالت المقاومة وطال العذاب, لم أيأس من النجاة الغضب ألهب نفسي صيرها كتلة عناد بين غضب البحر وغضب الإنسان انتصر غضبي"

عندما ننظر في نصوص حنا مينة, نجد أن الكاتب زاوج بين الصورة المرجعية في الو اقع المادي والصورة الذهنية وأعطى البحر تلك العلاقة والمكان الذي يلجأ إليه الإنسان حين يفقد الأمل في الحياة أو لعدم قدرته على مواجهة و اقعه الذي لا يرتضيه. إن البحر فضاء واسع خالد بسحره وجاذبيته والبحر هو الحياة وهو الحرية والبحر يتطلب الشجاعة, ومن يخوض في غماره لا يخشى شيئا. يقول البحر هو المغامرة الكبرى من ينزل البحر عليه أن يكون للبحر, فكان[1] "الشراع والعاصفة" وذلك من متلازمات البحر ليضفي حالة من الصراع ومحاولات الصمود في وجه غدر البحروتقلباته،وينتهي الرو اية بجواب الطروسي البطل " في البدء لم أقصد شيئا، لحمي سمك البحر، دمي ماؤه المالح، صراعي مع القروش كان صراع حياة، أما العواصف فقد نقشت وشما على جلدي، إذا نادوا يا بحر أجبت أنا! البحر أنا، فيه ولدت، وفيه أرغب أن أموت.. تعرفون معنى أن يكون المرء بحارا؟. استعرض حنا مينا حياة البحر واستعرض موجودات البحر,استخدم الأسطورة ليذكرنا بالعالم الأسطوري للبحر وما يتضمنه من حكايات عن عر ائس البحر وكشف لنا بجلاء ووضوح وصور الشخصية الإنسانية وتفردها بالبطولة والمغامرة والحرية. فالحياة الخطرة فوق بحر هائج مضطربالعواصف والأمواج التي يجعل رجل البحر سيد مصيره, إن صراع البحارة مع البحر هو صراع من أجل الحرية والانطلاق من قيود الروح والجسد. أما رو اية "نهاية رجل شجاع" فقد صورت شخصية بطلها" مفيد الوحش"، كبطل فردي، يناضل من أجل الحياة والحرية،وهو بطل موجود في حياتنا بقوة، بطل محبوب من مجتمعه، بطل شعبي، محبوب من قبل شعبه، يتعلق به ويحمل أوجاعه وأحماله، ويذهب معه بملء الحرية واللهفة في مغامر اته، ما هو محسوب منها وما هو غير محسوب... إلخ.

كما قلنا سابقا إن دلالات رو اياته غزيرة ورو اياته متعددة ومتنوعة، ونكتفي بالأمثلة التي ذكرناها على بعض رو اياته بصورةمبسطة، التي تبين إبداعات الرو ائي حنا مينا وتصور اته تجاه الأدب والفن والحياة. ومن المؤكد أن يستفيد حنا مينة من كل ذلك التراث القديم لينطلق منه فيصبح البحر بمعانيه التقليدية كامتداد رهيب وكبير يوحي بالمغامرة، أو صديق يؤنس الوحدة، ولقد أغرت عوالم البحر الرو ائيين العرب، وعلى رأسهم حنا مينا الذي أثر البحر حتى في عنو اين أعماله. حنا مينا هذا الكاتب العظيم الذي يعد من رواد البحر في الأدب العربي جعل من

[1] الشراع والعاصفة,دمشق,الطبعة الثانية,١٩٧٧

البحر هوية له واستعرض حياة البحر والبحارة ورسم صورللأمواج والعواصف وكان و اقعيا إلى أبعد الحدود يصورحركة الو اقع في ثورتها الدائمة بكل ما فيها من تفصيلات دقيقة.

المصادر والمراجع:

- مينا حنا,الشراع والعاصفة,دمشق,الطبعة الثانية,١٩٧٧
" مينا حنا, الثّلج يأتي من النافذة, دمشق وزارة الثقافة, ١٩٦٩,
- محمد هادي مرادي ,دراسة تحليلية لرو اية "الثلج يأتي من النافذة" لحنا مينة, ,(مقالة بحثية) جامعة العلامة الطباطبايي، طهران، إيران.كانون الأول ٢٠١٢
- يزيدغوبال,السيرة الذاتية في الرواية العربية ثلاثية- حنا مينا- أنموذجا,جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي,(مقالة بحثية)الجز ائر,٢٠١٣
- سمير ذياب سلمان البديري,المغامرة السيرية في رو ايات حنا مينه,(مقالة بحثية) جامعة واسط/ كلية الآداب٢٠٢١
- محمد كامل الخطيب، عبد الرازق عيد، عالم حنا مينه الرو ائي, دارالآداب، بيروت، لبنان،١٩٧٩
- https://www.bbc.com/
- https://www.sayidaty.net/

المرأة الكويتية ودورها في تأسيس المشروع الثقافي والأدبي

محمد علي أعظم مدا
باحث بقسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة العالية،كولكاتا،الهند.
azam.rs.arb@aliah.ac.in

Abstract:This research deals with Kuwaiti women and their role in the literary and cultural project. In which I will look for the inception of women consciousness, crystallization of women's project in Kuwait and their de facto demand for rights. Thus, it tracks the evolution of women's questions and awareness of their issues in various literary works from one generation to another.This is concerned with the founding role in the cultural activities of the first generation of women who represented in the Kuwaiti women's associations, as equally concerned with the developing activities in literarycontribution made by Dr Souad al-Saba, Laila Uthman.At the same time, they engaged in activities in the cultural field of publishing houses and creative awards. To the extent that the evolution of the women's cultural project is important, the final part of this research will present the current generation of women, author Buthaina Al-Isa's novel, "KaburtuWanasitu an Ansa," as well as Hadeel Al-Hasawi in her project "MakhtabarAssardAlkuwaitu", and their important role in the culture of Kuwait and the Arab Gulf.

المدخل: يتناول هذا البحث "المرأة ألكويتية ودورها في المشروع الأدبي والثقافي" والذيسأقومفيهبالبحث عن بدايات الوعي النسوي وتبلور المشروع النسائي في الكويت ومطالبة المرأة الفعلية بحقوقها ومن ثم يتعقب هذا البحث تطور سؤال المرأة ووعيها بقضايا المرأة في أعمال أدبية إبداعية متعددة من جيل نسائي إلى جيل نسائي آخر. وهو إن كان يهتم بالدور التأسيسي في الأنشطة الثقافية للجيل الأول من النساء الذي تمثل في الجمعيات النسائية الكويتية فإنه يهتم على قدر مساوٍ بتطور النشاط المتمثل في إسهامات كل من د. سعاد الصباح والأديبة ليلى العثمان سواء على مستوى النص الإبداعي الذي يفجر أسئلة أنثوية هامة ويقوم بعرض السياقات الثقافية والاجتماعية والنفسية لمعاناة المرأة في المجتمعات الأبوية، وبالوقت نفسه يهتم بأنشطة كل منهما في الحقل الثقافي متمثلة بدور النشر والجوائز الإبداعية. بقدر ما يكون تطور المشروع الثقافي النسوي مهماً، فإن الجيل الحالي من النساء سوف يشغل الجزء الأخير من هذا البحث رواية الكاتبة بثينة العيسى "كبرت ونسيت أن أنسى" ومشروعها الثقافي "تكوين" وكذلك هديل الحساوي في مشروعها "مختبر السرد الكويتي" دورهما الهام في ثقافة الكويت والخليج العربيونهاية سيطرح هذا البحث بعض الأسئلة الهامة المتعلقة بندرة وجود النصوص النسائية التي تكتب بوعي نسائي عميق يستند على مفاهيم نقدية نسائية حديثة وأن يتطرق لبعض مفاهيم النظرية النقدية النسائية من مثل: الصمت، والأدائية، والثقافة الأبوية.

الكلمات المفتاحية: الحركة النسائية، حقوق المرأة، الوعي النسوي، الخطاب الذكوري، المشروع الثقافي، المشروع الأدبي.

المقدمة: من المستغرب جدا أن ندرس ثيمة الصمت في موضوعات الرجل إلا إذا كان ينتمي إلى الفئات المهمشة في المجتمع، ولكنه أمر عادي جدا عندما نقف عنده طويلا في تحليل قضايا المرأة. فيصبح حديث المرأة وكلامهما المؤسس له هو الحدث الهام والاستثنائي في هذه الحقبة الزمنية الهامة في توثيق قضايا الأقليات والمهمشين وتأسيس شرعيتها لاكتساب حقوقها، إذ نتوقع في هذه الفترة استمرارية الانطلاق كلام وبوح يعيش حالة صراع مع الصمت المفروض على المرأة منذ قرون، وليس وليد هذه اللحظة التاريخية بأبعادها السوسيولوجية والسياسية والاقتصادية. وهو ما يجعل من الناشطين في حقوق الإنسان وقضايا المرأة يواجهون تحديات صعبة مع عدة قوى رجعية في المجتمع، لأن ما يريدون تغييره هو ثقافة قمعية قارة منذ آلاف السنين متوارثة بحضارات عديدة لها رواسخ مزيفة ولكنها ثابتة في العقلية العالمية الذكورية بامتياز. من هنا، فإن دراسات المرأة لديها تحديات كثيرة في التنظير والتطبيق العملي لما يتم الاتفاق عليه نظريا خصوصا في ظل بطء عجلة التنمية الفكرية والحضارية في الدول النامية. الحديث عن قضايا المرأة يتطلب أدوات معرفية تؤسس لوجود هذا الكيان الإنساني الذي يريد أن يحظى باعتراف ويؤسس لثقافة جديدة، وهو الأمر الذي تحدث عنه مطولا منظري دراسات المرأة ونظرية ما بعد الاستعمار كما يقول هومي بابا:

"الحد الفاصل لعمل الثقافة يطالب مواجهة مع الجديد، الذي ليس هو جزء من تواصل الماضي والحاضر. إنه يخلق فهما للجديد كأنه فعل متمرد للترجمة الثقافية. مثل الفن لا يستطيع أن يستدعي الفن بكل بساطة كسبب اجتماعي أو سابقة جمالية، إنه يجدد الماضي، يعيد تصوره على أنه فضاء بيني ممكن، الذي يجدد ويقاطع أداء الحاضر، الحاضر يصبح جزءا من الضرورة للحياة وليس الحنين لها".[1]

وبعد تتبع مسيرة المرأة الكويتية وتاريخ نضالها، نستطيع تقسيم البحث إلى عدة مراحل انتقلت فيها المرأة من المطالبة بالحقوق إلى مرحلة مراجعة ما تحصلت عليه بالفعل. وفي هذه الدراسة المصغرة نقسم جهود في سبيل متابعة الدور التطويري للمرأة في الحقل الثقافي، فإننا بين أجيال متعاقبة من النساء، المرحلة الأولى تكمن في أوائل النساء في حقل التعليم وفي المجال الصحافي من مثل هداية السالم، أما المرحلة الثانية وهي تتألف من جيل الناشطات السياسيات والحقوقيات اللاتي ترأسن الجمعيات النسائية ومن بينهن: نورية السداني، وكوثر الجوعان، ولولوة القطامي. أما المرحلة الحالية: نذكر نموذجين فقط منهن، وهما: بثينة العيسى في مشروعها الثقافي "تكوين"، وهديل الحساوي في مشروعها "مختبر السرديات الكويتي". نستطيع تقسيم أنشطة المرأة الثقافية إلى المراحل التالية:

المرحلة الأولى:

الحركة النسائيةالكويتية:

تطرق تأسيس دور المرأة بتعليمالفتاة الكويتية وكان ذلك في عام ١٩٣٧ وهو أول طريق للوعي بحقوقها السياسية والاجتماعية والإنسانية. وقبل التعليم النظامي كان هناك نظام الكتاتيب وهو النظام الموجود في بقية

[1] Homi Bhabha, *The Location of Culture*, Routeldge: London and New York, 1994, p. 7.

بلدان الوطن العربي وفي الكويت يسمى أيضا الملا أو المطوعة. وكانت مواد التعليم هي حفظ القرآن الكريم وتعليم بعض مبادئ الحساب واللغة العربية، لمدة ثلاث سنو اتوكانأول ملا هو الشيخ محمد بن فيروز المتوفي سنة 1723م، بينما كانت أول مطوعة هي حبيبة عبداللهالذاودي (1810-1884).

وبما أن التعليم هو طريق الوعي والإدراك والتفكير النقدي بالأوضاع الاجتماعية، لذا فأنه مع ظهور أول جيل من المعلمات والمتعلمات نجد دور المرأة الكاتبة والمثقفة والناشطة الاجتماعية والثقافية من ثم السياسية بدأ يتبلور مما يعني أنه ما إن تتاح الفرصة للمرأة أو أي إنسان مهمش في الاطلاع على منابع المعرفة يجعلها قادرة على ممارسة دورها الثقافي والإنساني.

ولو تأملنا إلىالمسيرة التعليمية للمرأة نجد أن هناك نساء باحثات في فترة زمنية مبكرة أخذن شهادة الماجستير وكانت عندهن النو ايا في إكمال الدراسة والحصول على درجة الدكتوراه،ففي نهاية الستينيات بدأت تظهر المرأة التي تسافر للقاهرة وبيروت من أجل استكمال دراستها. على سبيل المثال، نجد بدرية مساعد الصالح تشيد بدور والدها: "في البداية يرجع الفضل لوالدي حيث كان ولا يزال من المشجعين على العلم وهو أول من فكر أن العلم ضروري للبنت كما هو للولد".1

فعاليات ثقافية للمرأة:

وبالإضافة إلى التعليم تظهر رغبة الكتابة الإبداعية القصة والشعر، والكتابة الصحفية عند المرأة. حيث نتفحص تلك الفترة عدد كبير من الكاتبات الصحفيات، لما لهن دور هام في التنوير والتثقيف ونقل وجهات النظر المختلفة إلى عامة القرّاء وبالتالي تثقيف القارئ العادي وتطوير أفكارهولو التفتنا إلى طبيعة الموضوعات المطروحة في تلك الفترة المبكرة نجد أنها تعالج مواضيعا إنسانية متنوعة. على سبيل المثال نجد شخصية فضة القطامي وهي تنتمي إلى المرحلة الأولى تدعو الفتيات إلى القراءة والكتابة كمصدرقوة للمرأة، فتقول:

"فهيا يا فتيات الكويت إلى الكتابة ونشرها في مجلة البعثة التي فسحت صدرها لنا معشر الفتيات وخصصت لنا عدة صفحات هي "ركن المرأة" فاكتبن ولا تتأخرن لأن الكتابة تقويكن وتنير عقولكن".2 وهو يرتبط بما تقوله المفكرة المصرية نوال سعداوي، عندما كتبت "الأنثى هي الأصل" إذ تقول: "إن القلق لا يحدث للإنسان إلا إذا أصبح واعيا بوجوده".3

رغم بساطة البدايات،أنه لا يستهان بأي جهد للمرأة الكويتية في المرحلة الأولى من مسيرتها التعلمية، ألا أنه لابد من التوقف عند أسماء هامة كان لها دورا فعالا في المشاركة في تأسيس مراكز ثقافية هامة كالصحف والمجلات بالإضافة إلى الكتابة عن موضوعات هامة. مثلا هداية سلطان السالم، هي واحدة الأسماء الهامة في تأسيس دور المرأة المثقفة وقد درّست مبكرة في عمرها عشرة سنوات وتعتبر من الأوائل المدرسات والرائدات في الكويت. كتبت هداية في انطلاقة الصحافة في الكويت عام ١٩٦١م عن قضايا المرأة الكويتية بعد التحولات

[1] ليلى محمد الصالح، "أدب المرأة الكويتية"، الكويت: منشورات ذات السلاسل، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 29.
[2] السابق، ص: 83.
[3] نوال سعداوي، "الأنثى هي الأصل"، القاهرة: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1974م، ص: 3.

السوسيو ثقافية بعد اكتشاف النفط. حيث تقول عن تجربتها النضالية في الكتابة والتي كانت مشغولة بالهم النسوي: "كتبت عدة مواضيع اجتماعية حساسة كتعدد الزوجات والزواج بالأجنبيات وغلاء المهور، و انتقدت إقدام الحكومة على تحديد مجالات عمل المرأة في الحقوق والواجبات لذلك لم أسلم من النقد والهجوم لكني جابهته بجرأة وشجاعة.. وزادني هجوم الأقلام إقداما على كثير من المشاريع".[1]

ومن جانب آخر يعرض شجاعة المرأة على قول الحقيقة. فيما يخص الإصدارات، أصدرت السالم مجلة أسبوعية تهتم بالمجال السياسي (المجالس) وهي من المجلات الهامة في الكويت. ولها من المؤلفات: "أوراق من دفتر مسافرة في الخليج العربي" و "خريف بلا مطر" وهي مجموعة قصصية لنساء شهدن التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بين المجتمع الكويتي البسيط ومجتمع ما بعد النفط. ومن الملاحظ أن هداية السالم هي شخصية نسائية لها اهتمامات متعددة تصب في الهم النسائي.[2]

وبالالتفات إلى الأدب الكويتي، وبقراءة فاحصة، ومتأملة فإنمابدايات كتابة المرأة، لا يزيد عن عشرة سنين، وكانت البداية مع رواية: "آلام صديق"، لفرحان راشد الفرحان في عام 1948م أورواية "مدرسة من المرقاب" لعبد الله خلف عام 1962م، ومن النساء صبيحة المشاري بـ"قسوة الأقدار" عام 1960م، ورواية "الحرمان" للكاتبة والمخرجة التلفزيونية، نورية السداني عام 1967م.[3]

المرحلة الثانية:

حقوق المرأة:

نجد في المرحلة الثانية التي تبدأ بظهور الجمعيات النسائيات والناشطات في مجال دعم قضايا المرأة. وهنا تبرز عندنا جمعيتان نسائيتان لهما أثر كبير في تحقيق حقوق المرأة السياسية، مع الالتفات إلى قضايا الأسرة الكويتية بشكل عام.

أولا: جمعية النهضة الأسرية عام ١٩٦٢م والتي تهدف إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- خدمة كافة شرائح المجتمع.
2- خدمة المرأة من خلال مناقشة الأمراض الاجتماعية التي تقف عائقا أمام طريق المرأة.
3- مساعدة المرأة الكويتية من خلال التوعية الثقافية والعلمية وأهمية المطالبة بحقوقها.
4- إبراز أنشطتها المتعددة، ومقارنة أوضاعها بأوضاع المرأة العربية.

من أهم ناشطات هذه الجمعية نذكر الأستاذة نورية السداني وهي أسست وترأست هذه الجمعية بين عامي (1962-1979م) وهي ذات سيرة حافلة في تأسيس مجالات عدة، يسجل لها تاريخ حركات نضال المرأة الكويتية أنها كتبت أول عريضة مقدمة إلى مجلس الأمة الكويتي مطالبة بالحقوق السياسية للمرأة الكويتية وفيها مساهمة هامةمن مثل كتابها: "تاريخ المرأة الكويتية" وكتاب "المرأة الكويتية في القرن الحادي

[1] ليلى محمد الصالح، "أدب المرأة الكويتية"، الكويت: منشورات ذات السلاسل، الطبعة الأولى، 1987م، ص: 44.
[2] السابق:ص:44.
[3] سعاد العنزي، "رواية المرأة الكويتية في الألفية الثالثة"، الدمام: دارأثر، 2013م، ص: 11.

والعشرين" الذي تتبنى فيه الكاتبة رؤية مستقبلية للمرأة الكويتية في القرن الحادي والعشرين، يؤكد في مقدمته الخاصة بكتاب السدانيعبدالله الشيتي مدير تحرير "مجلة النهضة"، إن حدوثها كان نتيجة حتمية للتطور الذي شهدته قضايا المرأة في العالم وجهود المرأة الكويتية.، إذ يقول:

"ولا يستطيع أحد أن ينكر لك جهدا أو يجحد لك فضلا، بحيث ضحيت حتى بشبابك وبطموحاتك وحقك في الحياة كأنثى، من أجل أن تحيا في أهابك الإنسانة المعطاء، تخلص لوطنها وتخدم مجتمعها وترصد جهدها ووقتها وإمكاناتها في محاولة جادة مع الر ائدات المخلصات في هذا المجال، للنهوض بالمرأة الكويتية إلى المستوى الأفضل والأجمل مع ما يعترض ذلك من سلبيات ومعوقات وإحباطات".1

ثانيا: الجمعية النسائية الثانية فهي الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية:

لقد تأسست على يد كل من لؤلؤة القطامي وكوثر الجوعان وبنفس العام الذي تأسست فيه جمعية النهضة الأسرية وهي مشاريع تهدف لخدمة المجتمع الكويتي بشكل عام مع التركيز على قضية المرأة من مثل محو الأمية في منطقة الجهراء حيث أنها من المدن التي تأخرت في إدماج البنات في التعليم النظامي. من إنجازات الجمعية المتعددة، أنها عقدت الجمعية المؤتمر الإقليمي الأول للمرأة في الخليج العربي حيث دعت كافة الاتحادات النسائية العربية والأجنبية ومنظمة الأمم المتحدة للمشاركة في هذا المؤتمر عام ١٩٧٥م. فقد كانت ممن يطالبن بحقوق المرأة السياسة مع نخبة من الناشطات النسائيات، ولقد حصلت المرأة الكويتية عام ٢٠٠٥م. وكان من بين المطالبات بحقوق المرأة فيما قبل حصولها على حقوقها: نورية السداني، كوثر الجوعان، سعاد الصباح ونخبة كبيرة من الناشطات الكويتيات.

المشروع الثقافي:

في هذه المرحلة بذلتجهود المرأة الثقافيةحيث يبرز إسمان للأديبات الكويتيات من جيل الشباب بجانب مجموعة من أسماء الأكاديميات، من مثل مشروع "تكوين" لبثينة العيسى، و "مختبر السرديات الكويتي" لهديل الحساوي. ولا بد من الذكر أن أيا من هذين المشروعين، هما ليسا مشروعين ثقافيين نسائيين بحتين بمعنى أنهما لما يتأسسا بجهود نسائية بحتة ولا يتطرقا إلى قضايا المرأة بشكل خاص ومركز. وهذه الأخيرة هي سمة من سمات الجهود النسائية في المشاريع الثقافية لكل من ليلى العثمان، سعاد الصباح، بثينة العيسى وهديل الحساوي.

"تكوين" هو مشروع إبداعي ظهر في عام 2016م، وطرحته الكاتبة الكويتية بثينة العيسى ومجموعة من الشباب المبدعين من مثل الشاعر فيصل الرحيل، وفيصل الحبيني، كانت بداية انطلاقته عبر موقع الكتروني يحمل نفس الاسم يقوم بترجمة مقالات تخص الكتابة الإبداعية، وتطرح كتب يجمعها بعدا واحدا، من مثل: "لماذا نكتب؟"، وغيرها من القضايا التي تحيط أو تمس العملية الإبداعية. بعد ذلك تم فتح مكتبة تخص المشروع وطرح محاضرات هامة تتعلق بالأدب ونقد الأدب.

أما فيما يخص الكاتبة هديل الحساوي، وهي روائية بإصداراتها حيث لها روايتان فقط "المرآة مسيرة الشمس" و"تجريد"، ولكنها متابعة جيدة للنشاط الثقافي الخليجي والعربي، فقد قامت هي والناقد فهد الهندال،

[1] نورية السداني، "المرأة الكويتية في القرن الحادي والعشرين"، 1980م، ص:12.

والأديبة استبرق أحمد، ود. سارة العتيقي بإنشاء مختبرا للسرديات عام 2016م وهو على غرار مختبر السرديات العماني، ومختبرات السرديات في بلاد المغرب العربي. يهتم المختبر بالسرد تحديدا، وقام بعدد من المحاضرات الهامة، التي تعالج قضايا مختلفة للسرد، من مثل:

1- "السرد والهوية" لد. نادركاظم، و د. سعاد العنزي.
2- "سرد تحت الاحتلال" بمشاركة كل من ليلى العثمان، سليمان الشطي، حمد الحمد.
3- "السرد والهوية السردية" لد. أيمن بكر.
4- ورشة نقدية تدريبية لقراءة الأعمال الأديبة.

المشروع الأدبي:

حقيقة المناخ الثقافي العام في الكويت، كان أحد التحديات التي مرت بها كل من الأديبة الكويتية سعاد الصباح، وليلى العثمان، وبثينة العيسى بأن يكون الجسد الأنثوي قادرا على الكتابة والانتشار، في مجتمع يؤمن بأن صوت المرأة عورة، وحضورها وحركتها وفعالياتها كسر لأعراف المجتمع، فما بالنا بها وهي كاتبة تتجرأ وتنقد سلوكيات المجتمع التقليدي بأفكاره الرجعية وحماته من رجال ونساء يحافظون على استمرارية الخط الرأسي لقمع المرأة. لذا نجدهن يعانين من رجال ونساء المجتمع، تبدأ معاناتهن مع رجل لا يريد أن يقلص من صلاحياته المكتسبة عبر الوراثة من أسلافه، ولا تنتهي مع امرأة ليست على قدر من الشجاعة الكافية للخروج من القمقم أو حتى فرصة التفكير خارجه كيف يمكن أن تعيش حرة ومستقلة ككيان كامل الإرادة والوعي وقادر على اتخاذ قرارته. من هذه الدهاليز الاجتماعية المظلمة تخرج لنا الأديبات الثلاثد.سعاد الصباح وليلى العثمان وبثينة العيسى بالسرد والشعر ليضئن شموعا في هذا الدرب الحالك. فهن نساء قررن كسر الصمت والانطلاق بحديثهن النسوي الخاص الذي يتقاطع مع حياة مجاميع نسائية تعيش بالظل ولا تستطيع أن تمارس حق الكلام والتعبير عن ذاتها.

د.سعاد الصباح، الشاعرة تطرح في قصيدتها "أسئلة ديموقراطية في زمن غير ديموقراطي"، مجموعة من الأسئلة الإشكالية التي تمس الثقافة الأبوية في المجتمعات البطريركية، التي تحجب حق المرأة في القراءة والكتابة وإعلان الاحتجاج، منطلقة من تجارب اجتماعية متعددة تعبر عن و اقع المرأة بشكل عام. فنقطة البدء عندها هي التعبير عن هم موضوعي، وحزن موضوعي، يمس كل امرأة عربية، مثقلة الخطى بأعباء القبيلة والعيب والعار، فلا تقطع شوطا في طريق الحصول على حقوقها. حتى تعود أشواطا قهقرية إلى الوراء. بسبب الرواسب الاجتماعية المسيطرة على تفكير المجتمع البادية عبر ثقافة الإلغاء والثأر.

تبدأ الحكاية المؤلمة للمرأة العربية منذ بدايات التاريخ العربي، تقف عند قافلة القبيلة، وأهل البادية الأعراب، حيث الهودج الذي يجره الرجل، مع كامل الإلغاء لإرادتها، فكم رحلت امرأة وخلفت قلبها وروحها في المكان المرتحل عنه، لأنها باختصار لا تستطيع أن تنطق اسمها، أو اسم والدها، أو اسم من علمها الفكر والثقافة، لأنها راسخة تحت وطأة الإرهاب الفكري والروحي، فتعيش وتموت في قارورة الإرهاب. فكيف لها أن تتحرك وأن تُسائل التاريخ. مادام نطق اسمها هو تذكرة عبور نحو التلاشي والعدم.

وهذه الفكرة التي بدأت بها الشاعرة نصها حول إمكانية نطق اسم المرأة، لها إرث تاريخي عند العرب عبر قرون

و بأحد أطراف المعاناة والحرمان من تابو نطق الاسم، تستمر القصيدة في الغوص في عالم التساؤلات المضنية في وضعية موشومة بسمات ملتصقة بها دائما ومطلقة إلى الأبد، فالمرأة تقطن في مدن الزواج في المتعة، والغرام بالأنياب، وكلمة الأنياب مقترنة بالوحوش والحيوانات المفترسة، التي تتعامل مع هذا الكيان كتفاحة حمراء شهية، يتقاسمها الوحوش، في مائدة الذباب... وهذه دلالة إيحائية على تحقير وضعية وتعفن الموجودات وفسادهن... فالذباب لا يبحث إلا عن القبح والعفن...

فتقول:

هل تستطيع امرأة

في مدن الزواج بالمتعة، والطلاق بالأربع،

والغرام بالأنياب

ألا يكون لحمها تفاحة

حمراء... في مائدة الذباب؟[1]

جدلية الصمت والكلام:

ثاني مشهد من مشاهد ولوحات القصيدة، وثاني حزمة من الأسئلة تقفز بها الشاعرة من زمن الأعراب إلى الزمن الحالي الذي يؤكد ان الوضع لم يتغير بعد ألف عام، فالحال قاروثابت، والعقلية الاستبدادية هي ذاتها التي تسير الأمور.

فتتساءل الشاعرة عن قضية الكتابة أم الصمت، وهل تستطيع امرأة أن تدعي الكتابة في زمن سيطرت عليه صيغة المذكر، فكل شيء وسم بالذكورة، السيف، والشعر والأدب والقمر، والحب، والظلم منذ البداية مذكر، فكيف لها أن تسكب فناجين قهرها وألمها في الورق، مادام كل شيء مذكرا حولها... فهل لها أن تعلن أنوثتها `,تسجل أناتها على الورق، وكل ما هو أنثوي رقيق، يقابله ضد قوي مستبد مذكر، وهذه ثنائية ضدية أخرى تقابل بنية التضاد في العنوان.

فتقول:

وكل شيء حولها مذكر

السيف في قاموسنا مذكر

والفكر في تاريخنا مذكر

والشعر في آدابنا مذكر.[2]

وهذا الصمت الذي استبد بالمرأة دهورا ودهورا، لا يقترن بالمرأة العربية وحسب، بل هو صمت جدلي لصيق بمسيرة المرأة في العالم كله، لعدة قرون، وجدير بالذكر أن هذا ما أكدته فرجينا وولف التي نظرت في النقد النسائي، وبحثت في القضايا الأزلية التي علقت في المرأة، لم الصمت للمرأة والكلام للرجل، وما هي حكاية النساء

[1] سعاد الصباح، "والورود تعرف الغضب"،دارسعاد الصباح للنشر،الطبعةالأولى، 2005م،ص: 219.
[2] السابق:ص:219.

والكتابة في عدة دراسات تنظيرية نقدية، من مثل: "الغرفة", و"ثلاث جنيهات", و"النساء والكتابة،

وهذا ما تسلط الضوء عليه الشاعرة في اللوحة الرابعة، عند تساؤلها عن إمكانية تحقيق الذات في عالم المستحيل والأقفال المصفدة, فهل بقدرة امرأة في المجتمعات الأبوية تجاوز الأبواب المطروقة والمغلقة لتعيش إلى مظاهر الحياة المتعددة من دون أن تقيدها حجب العادات والتقاليد والرجعية والتخلف, فتؤكد الفكرة السابقة فكرة الكتابة, في إطار استمرارية الرجل وملكيته للكتابة:

هل تستطيع امرأة

أن تضرم النيران في ثياب المتلون الدجال؟

وتكتب التاريخ

فالتاريخ عادة يكتبه الرجال1

وهذا بالطبع يخالف ما يذهب إليه عبدالله الغذامي في كتابه "المرأة واللغة"2, الذي وضع فيه نظرة ثابتة في أن فعل الكتابة حكر على الرجل، وهنا هو يصف الحال أكثر منه يؤيد ما هو عليه الوضع الثقافي للمرأة الذي تنازل بدوره للمرأة بفعل الحكي الشفوي, لأن شهرزاد قد أتت بقصص رائعة من روائع القصص العالمي منذ ما يزيد على ألف عام. والكلام الذي يذكره الغذامي عن قضية فن القول الشفاهي لدى شهرزاد يتناص مع نص سعاد الصباح في تناص تحويلي تعديلي عبر مساءلة شهرزاد من وحي واقع مغاير, ومفارقة في رمزية شهرزاد المرأة التي حررت نفسها من قتل السياف الذي يصادر عالم الأنوثة عبر العلم والمعرفة, رافضة هذا الدور الذي وصمت به المرأة دهورا طويلة, وقد آن وقت التحرر من الأغلال والعبودية, ومن السياف الذي يلاحق المرأة متى ما نظرت بعين المتلهف إلى حقوقها, في أن تحلم, وتسافر وتختار المرفأ الذي تريده, فهي تتساءل:

تسلية السلطان حتى مطلع الفجر..

كشهرزاد؟.

هل تستطيع امرأة مقيمة في مدن الغبار

أن تتحدى مرة واحدة سلطة شهريار3

شهرزاد هنا في النص ليس لها دور فاعل وإيجابي، بل هي امرأة تعلن تبعيتها للرجل، وإنها مجرد جارية، تسلي الرجل بالحكايات.

مرورا بليالي ألف ليلة وليلة، وحتى في زمن الحاضر زمن الإقطاع، والتغني بأمجاد الإنسان صانع الحضارة، نشهد القيود تحاصر المرأة، والدليل على ذلك هو صيغة السؤال التي تحمل بين ثناياها، الإجابة بالامتناع والرفض منذ بداية النص حتى النهاية، فيلاحظ القارئ بعض المتلازمات الضدية مثل:

(هل تستطيع امرأة تعيش في قارورة الإرهاب # أن تطلق النار

---

[1] رضا الظاهر: "غرفة فيرجينا وولف" دراسة في كتابة النساء، بيروت: دار المدى، الطبعة الأولى 2001مص: 222.
[2] عبدالله الغذامي، "المرأة واللغة"، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى، 1996م..
[3] سعاد الصباح، "والورود تعرف الغضب"، دار سعاد الصباح للنشر، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 222-223.

هل تستطيع امرأة في زمن الإحباط والكآبة # أن تدعي الكتابة)

بثينة العيسى: اتضحت الروائية الأسئلة النسوية بشكل كبير في رواية "كبرت ونسيت أن أنسى" فهذه الرواية تتناولفكرةالثورية المتمردة العميقة في رسم صور قهر النساء المتعددة. ولكن العيسى عبرت عن نوع من القهر موجه للمرأة في الثقافة الأبوية الخليجية مشابه لما طرحته أسلافها من المبدعات.

تبدأمعاناةبطلةالرواية عندموت والديها بحادث مروري فيكون هذا الحدث المفاجئ هو الحدث المفصلي في حياة الساردة الذي يغير خريطة مستقبلها بشكل كبير، إذ أنها تنتقل إلى وصاية أخيها صقر المتشدد دينيا، فمنذ دخولها للمنزل تصدم بواقعها الجديد، تتحول إلى السرداب فتصبح كائنا ثانويا وهامشيا في حياة الأسرة الجديدة، يقطن السرداب. للسرداب هنا دلالة مهمة وهي وفق تأويلي الخاص أنها تبدأ بكتابة حفريات القهر الأنثوي، مثلما هي حفريات فوكو التي تغوص في الحقب الزمنية المتعددة، بحثا عن تحول المفاهيم، تصور الساردة معاناتها منذ البداية، بداية الألم ونهايته عبر تجربة طويلة من التفاصيل المؤلمة، وهنا نعود للسرداب مرة أخرى لنراه الجزء الخفي من المنزل، وهو الجزء الخفي من شخصية أخيها صقر، محاولة تعريته من خلال ما عايشته من تفاصيل قاسية جدا معه.

صقر رمز الثقافة الأبوية الدينية المتشددة يمارس سلطته على البطلة يحاول بوصفه المؤسسة العقابية والرقابية المسؤولة عن حماية الأسرة أن يقوم اعوجاج الشخصية التي تحلم بأحلام بسيطة أن تعيش حياة خالية من التعقيدات: تشاهد التلفاز وتقرأ كتب الأدب، والشعر، وتذهب للسينما وغيرها من التفاصيل العادية التي أصبحت مستحيلة عليها. إذ تقول:

" يفتش حقائبي بحجة البحث عن علكة، يتفحص هاتفي بحجة البحث عن رقم هارديز، وليراجع تاريخ تصفحي في الكمبيوتر ليتحقق من أنني لا أحيد عن صراط الفضيلة ولا أتحاور مع رجال في الفضاء السيبيري وهو يقوم على حراسة شرفي كالكلب تماما باستثناء أن الكلب أكثر محبة".[1]

عبرت بثينة عن هوية مغايرة مختلفة ورغبات تتصارع مع رغبات الأخ بوصفه حارسا للعادات والتقاليد. بلغة شاعرية تحلل البطلة لغة وموقف الأخ العنيفة ضد الساردة، وبالتناوب تحلل أثر الكلمات الجارحة على شخصيتها، فالخطاب اللغوي عندها هنا خطاب المشاعر والأحاسيس والأثر النفسي للعنف اللغوي والمادي: "لم يكن مسموح لي أن أكون أنا وكانت مواعظ صقر تصب في مشروع تفتيتي، وفي طمس اختلافاتي التي تزعجه".[2]

معاناة الكاتبة مع صقر متعددة الجوانب وكثيفة الطبقات فلا تستطيع أن تقرأ ما تريد من كتب ثقافية، ولا تستطيع إعلان أنها تكتب الشعر، محاولة منها للتعبير عن ذاتها والرد على غياب فرض عليها منذ سنين.

وهنا الساردة بهذا البعد تكشف عن المناطق المسكوت عنها للإبداع الأنثوي، ولدهور من الصمت والغضب، طال بها، وقد تحدثت عنه فرجينا وولف في "الغرفة"، واصفة إياه "بالصمت غير الطبيعي" الناجم عن ولادة المرء في طبقة أو عرق أو جنس غير ملائم ، أو الحرمان من التعليم، أو فقدانه الإحساس في ظروف اجتماعية شاذة ، أو

[1] بثينة العيسى، رواية "كبرت ونسيت أن أنسى"، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م، ص: 83.
[2] الرواية، ص: 57.

كتمان الصوت بسبب الرقابة ، أوالإعاقة بسبب متطلبات التربية، السكوتبسببالضغط والإرهاب السياسي".[1]

أما الأديبةليلى العثمان، فببراعتها السردية المعهودة تنطلق من ثيمة الصمت لتجعله ثيمة هامة في الرواية، مشكلا جزءا هاما من قراءة الرواية، فمنذ بداية الرواية"صمت الفراشات" تطالعنا فكرة الصمت المرضي الذي هو نتيجة لممارسة طويلة من المريضة للصمت، فالصمت ناتج عن القهروبالتالي ممارسات حياتية هروبا من القمع للإضرار بصحتها، فيتحول الصمت من مظاهره الكلامية إلى صمت مرضي يفتك بها. تحلل الساردة في الفصل المعنون ب" صمت جديد": " كان صمتي يعذبني، أنا التي اعتدت الشرح للطالبات، أجدني أخضع لهذا الصمت الشوكي فأكتشف أن لا شيء أصعب من الكلام سوى الصمت".2.

بعد أن تتفاجأ نادية، التي نتعرف على اسمها لاحقا، بواقع زواجها المفروض عليها من قبل والديها، تتعرض لحالة صمت قسري مفروض عليها من زوجها، فتأخذ من فعل الأمر الصادر من الزوج بالصمت، حدثا يقودها إلى استرجاع الذكريات حول الصمت في حياتها الشخصية، لترثي نفسها وتخبر القارئ بقصة صمتها وقهرها الناتج عن ممارسة اجتماعية.

فمن الصمت عن الأسرار الحاصلة في منزل الزوجية، تتعلم صمتا جديدا يجعلها تخفي الحدث المشكل للفاجعة الشخصية لها مع زوجها وعطية، العبد الذي قام بدورزوجها الشيخ في فض بكارتها، إذ يقول لها زوجها: "سر الليلة لن يعرفه أحد. تعلمي الصمت واعتاديه".3.

فتتساءل باستنكار: "هل للصمت لغة لأتعلمها ولون لأعتاده".4.

ويعيد زوجها نفس الأمرفي موضع آخر: "اسمعي، من الآن عليك أن تعتادي الصمت. أسرار القصر لا يجوزأن تتسرب ولو من خرم إبرة".5.

هذا الصمت الخارجي يتفجر إلى بركان غضب داخلي وحالة مستمرة من تمني القوة في اطلاق صرخة واحدة: "وددت لو أفلت صوتي، أطلق ولو صرخة واحدة تدك القصرفأواجه الفضاء حتى وإن تهت فيه، لكن حنجرتي لم تسعفني. وتاه لساني حتى حسبت أنه قطعة قبل أن يغادر الغرفة، ظلت كلماته تطن في أذني " عليك أن تعتادي الصمت".6.

فمن معاناة البطلة في الرواية مع زوجها ومما حدث لها تسترجع الساردة تفاصيل زواجها فيكون الزواج ليس ناتجا عن حريتها ورغبتها الشخصية بل بقرار من أمها: "أشياء ما فكرت يوما أنها ستلامس جسدي. لكنها كانت بعض أحلام أمي. كان حلمي ينحصرفي دبلة متواضعة، وبيت صغير، وقلب أوسع من كل القصور".7.

عندما تتزوج المرأة لإرضاء أمها، وتحقيق مطالبها، فأنها بالتأكيد تلغي شخصيتها وهويتها الذاتية لتعيش ما

---

[1] رضا الظاهر، "غرفة فيرجيـــناوولف" دراسة في كـــتابة النساء،بيروت: دارالمدى،الطبعةالأولى 2001م، ص:8.
[2] ليلى العثمان, رواية "صمت الفراشات"، دار الآداب:، الطبعة الثالثة، 2011م، ص: 178.
[3] الرواية، ص: 15.
[4] الرواية، ص: 15.
[5] الرواية، ص: 13.
[6] الرواية، ص: 16.
[7] الرواية، ص: 14.

يريده الآخرون لها ولتكتسي بهوية الآخرين، وفيه إشارة هامة لفكرة ارتباط الفرد القسري بالمجتمع، وصعوبة إمكانية تحقيق الذات في مجتمع أبوي تقليدي محافظ، إلغائي يعيش بصوت واحد، ولا يقبل الاختلاف، ولا ينطلق من فكرة تعددية الأصوات والآمال والطموحات، فالأم تريد أن تسير ابنتها وفق ما أرادته له أمها، من دون افساح المجال للاستماع إلى الصوت الجديد متمثلا بالأبناء. فرغبة الجديد تضيع حتما في هينمة القديم. إذ تقول: "كانت هزة الخوف والأسى تسورلحمة لساني الذي نبض ثقيلا: أمرك".[1]

يرتبط صمتها أمام زوجها بصمتها أمام المجتمع، بدءا من الأب والأم والأخ وحتى المعلمة، لتوضح لنا الساردة أنها أمام سلسلة كبيرة ومشدودة بإحكام حول الفرد منا تعلمه وتفرض عليه الصمت، من خلال السلطة الرمزية التي يمتلكها كل فرد منهم:

"كلهم كان يأمرني بالصمت. كانت أمي حين تختلف معي على شأن حتى وإن كان يخصني، تضغط سبابتها على شفتيها وتقول "اصمتي واسمعيني".[2]

تؤكد الساردة على فكرة الأدائية وتوارث تركة الذل والصمت من خلال تاريخ أمها الشخصي فهي امرأة ممسوخة الإرادة أمام زوجها تطيعه ولا تخالف إرادته مما يؤكد فكرة مسخ شخصية المرأة، فتقول عن أمها:

"كانت أمي، رغم الحب الذي بينها وبين أبي، تخاف منه، ألحظها دائما تساير مزاجه وتو افق آرائه حتى دون تفكير".[3] ولهذه الحالة تفسير مرتبط بنظرية الأمريكية جوديثباتلر حول أدائية المرأة، فالمرأة ترث ضعفها من خلال ممارسة الأجيال المتعاقبة لها فتتصرف كما ترى أمها وبقية بنات جلدتها، وليس لأنها ضعيفة في الأساس، فمن خلال تكرارفعل الطاعة والعبودية والصمت تعتاد المرأة على هذه السلوكيات وتمارسها فتصبح كأنها سمة أصيلة لها.[4]

تهالك الخطاب الذكوري:

في الرواية عرض لخطاب ذكوري متهالك وقديم يعيد تكرار ذاته رغم قدمه وهشاشته، من مثل وصف الساردة لزوجها الشيخ، واختيار الروائية لهذا العمرلعب دورا في كشف ظلم المجتمع الأبوي التقليدي، إذ تمثلت المفارقة في ربط الجديد بالقديم والمتهالك المتحقق في زواج شابة من رجل مسن، كما أنها تبين أن هذا الرجل ذو الأسنان الاصطناعية متجاوزلزمنه و آيل للسقوط، لاسيما أن ذراعيه شبه أعضبين كما تصفه نادية: "استلقيت على السرير ذبيحة جاهزة لأسنان مركبة وذراعين شبه أعضبين".[5] مما يحيل إلى صعوبة حياة القديم بشكل طبيعي واعتيادي، وهذا فيه إحالة إلى تهالك الفكر الأبوي التقليدي، الذي لا يستطيع أن يعيش بعد الآن إلا بعناصر مساعدة، ومياه شبابية جديدة. وهذا التوظيف لصورة الرجل المتهالكة يندرج وفق فلسفة النظرية النقدية النسوية التي تحلل الفكر الأبوي التقليدي ونظرته المتهالكة لموضوع المرأة وفي موته دلالة على تنبؤ الكاتبة

---

[1] الرواية، ص: 15-16.
[2] الرواية، ص: 16-17.
[3] الرواية، ص: 48.
[4] Judith Butler, *Gender Trouble*, Routeldge: London and New York, 1990 .
[5] الرواية، ص: 19.

بقرب موت هذه الأنظمة الديكتاتورية ولكن مع ضرورة وجود المقاومة.

"ابتلعت صوتي، مري، دمعي، وحسرتي، وهو يقتات كلما شاء من حريري، كما تقتات الدودة من جسد ميت. كنت أشعر أنني أتعفن، اكتظظت بالأوجاع، تخمرت رئتاي بر ائحة القصر الذي لا تتنفس فيه الجدران إلا عللها، وتتثاءب فيه أفواه التماثيل الجامدة تزصدأ عصورها المنصرمة"[1].

حديث نادية عن القهر، وإشارتها لتاريخ قمع النساء يقترن برأي باتلر:

"لهذا، هذه العلامة ليست قهرا موجود مسبقا، النوع مأخوذ كأنه معطى فوري، أو معطى محسوس، أو خصائص فيزيائية، ينتمي إلى نظام طبيعي. ولكن ما نؤمن به على أنه ادراك فيزيائي ومباشر هو فقط بناء اسطوري و متمرس، بناء خيالي". 2

والدليل على ذلك هو الوصف التالي الذي يتحدث عن الموت المعنوي الذي عاشته الساردة في بيت الشيخ حيث كل ما فيه دعوة للموت والفناء والتعفن، وقد برعت الكاتبة في التعبير عن حالة الساردة في أكثر من موضع في الرواية، في التعبير عن إيحاءات القديم والتهالك على حياتها الشخصية، وتفاصيل يومياتها، مما ينتج عنه فشل ارتباط القديم بالحديث عبر طريقة الفرض القسري، فمن الطبيعي أن تقترن الشخصية بمن هو في سنها لكي ينسجم الطرفان، وأن يكون القديم أب أو جد، وليس زوج، فمن هنا ينتج أن اقتران القديم بالحديث بهذه الصورة القسرية مشروع يقود إلى الفشل والموت، الموت الروحي للجديد، وموت القديم من خلال مقاومة نادية له، ومواجهته، مما يثبت أن القديم لا يحتاج مجهودا كبيرا في إسقاط ادعاءاته، بقدر ما هو محتاج إلى القليل من الشجاعة والإرادة الكافية لممارسة الكلام و انطلاق الصوت ليمارس حديثه الخاص وليعبر عن رغباته الخاصة به ويؤسس خطابه الخاص. مثلما حدث مع نادية في النصف الثاني من الرواية بعد موت الزوج، و انطلاق نادية للبحث عن هوية جديدة لها.

الخاتمة: بعد عرض مجموعة من التفاصيل الخاصة ببدايات المرأة في الحقل الثقافي، بداية من التعليم، مرورا بالأنشطة الحقوقية والثقافية التي قامت بها المرأة، وصولا إلى مرحلة الكتابة الإبداعية المتقدمة على كتابة مرحلة البدايات، يتعين علينا الآن طرح بعض الاستنتاجات الخاصة بحركة المرأة في الثقافة الكويت، وهي مايلي:

من الواضح أن بمتابعة أنشطة المرأة الثقافية والاجتماعية والسياسية، نجد أن الجمعيات النسائية لم تكتف بتبني قضايا المرأة والدفاع عنها فقط، بل تعدت أنشطتها التطوعية إلى عدة أنشطة تخص المجتمع بشكل عام مما يحيل إلى اتجاه المرأة الكويتية الإنساني تجاه جميع أطراف المجتمع.

إن تمثيل المرأة لقضايا اجتماعية متنوعة في أعمالها من دون التركيز على قضايا المرأة بشكل خاص ما عدا أسماء قليلة من مثل: سعاد الصباح، ليلى العثمان، وبثينة العيسى. فهن كاتبات نساء يتجاوزن تمثيل قضايا المرأة بشكل عميق والاكتفاء بقضايا سطحية وعرضية عابرة.

إن أجواء الكويت الأدبية بحاجة إلى كاتبات نسويات يعمقن إحساس القارئ والقارئة بضرورة الالتفات إلى

---

[1] الرواية، ص: 23.

[2] Butler,*Gender Trouble*, an electronic source..

و اقع المرأة وطرح قضايا وجودها الإشكالي في مجتمع لم تستطع غالبية نساؤه تحقيق دورها الثقافي.

تطورت المرأة الكويتية وحققت الكثيرمن النساء انجازات هامة، ولكن علينا ألا نكتفي بالنسبة القليلة من النساء اللاتي استطعن أن يحققن ذاتها، وننسى مجموعة كبيرة تعيش تحت مظلة الممارسات الاجتماعية الجائرة.

وهنا لا بد أن محاولة المرأة الكاتبة في تمثيل مشاكل المرأة الكويتية، تعود إلى اقتناع بأن المرأة الكويتية على مسار تحقيق مكتسباتها وأنها تريد مواجهة التيارات التقليدية في المجتمع حتى تدخل في دائرة المساءلة الاجتماعية وكسر التابوهات.

تؤكد الدراسة على أهمية التفات الكاتبة الكويتية إلى ضرورة الوعي بوجودها ووجود المرأة الإشكالي في المجتمع الكويتي، وضرورة إلمامها بطروحات النظريات النقدية النسائية الكلاسيكية والحداثية وما بعد الحداثية، لكي تمتلك مفاهيما نقدية تؤسسها لكتابة خطاب معرفي إنساني أكثرفهما لو اقع المرأة المعاصر.

المراجع:

- أحمد دوغان، "الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر"، مجلة أدبية ثقافية، الجزائر، 1982م.
- بثينة العيسى، "كبرت ونسيت أن أنسى"، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013م.
- خليفة الوقيان، "الثقافة في الكويت"، الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، الطبعة الثانية
- عبداللهالغذامي، "المرأة واللغة"، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1996م.
- رشيدة بنمسعود، "المرأة والكتابة"، أفريقيا للشرق، الطبعة الأولى 1994م.

، "والورود تعرف الغضب"، دارسعاد الصباح للنشر، الطبعة الأولى 2005م.

- سعاد العنزي، "رواية المرأة الكويتية في الألفية الثالثة"، الدمام: دار أثر، 2013م.
- ليلى محمد صالح، "أدب المرأة في الكويت"، الكويت: منشورات ذات السلاسل، الطبعة الأولى، 1987م.
- نوال سعداوي، "الأنثى هي الأصل"، القاهرة: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1974م.
- نورية السداني، " المرأة الكويتية في القرن الحادي والعشرين؟"، الكويت: الطبعة الأولى، 1980م.
- English References:
- **Homi Bhabha, The Location of Culture, Routledge: London and New York 1994.**

Judith Butler, Gender Trouble, Routeldge: London and New York, 1990 -

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

الأثر الاجتماعي لعلماء المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي

(648-923هـ/1250-1517م)

فوزي رمضاني

جامعة عمار ثليجي- الاغواط (الجزائر)

Abstract: This article sheds light on the social impact of the Maliki scholars in Egypt and the Levant during the Mamluk era, through the official works they assumed and had a direct relationship to society such as judiciary, calculation, documentation and others, or through other influential works, which are the result of their religious formation, such as charitable and helping others, and working to spread Virtuous morals in the various available channels and available means, and this, of course, reflects positively the presence of the Malikis in Egypt and the Levant and its penetration and rooting in its people, in light of the sectarian openness resulting from the policy of the Mamluk state in consolidating Sunni sects and rejecting everything else.

We also explained that the Maliki scholars in Egypt and the Levant during the period specified above, were not limited to the works that are at the core of their specialization, such as learning and spreading knowledge, and leading people in prayers and others, but rather exceeded them, as they interacted with the issues of the nation, so the history books preserved honorable positions for them, and their names were recorded. with gold water.

Keywords: social impact; Levant; Mamluk era; Maliki; Egypt.

الملخص: يُسلط هذا المقال الضوء على الأثر الاجتماعي لعلماء المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي، من خلال الأعمال الرسمية التي تقلّدوها ولها علاقة مباشرة بالمجتمع كالقضاء والحسبة والتوثيق وغيرها، أو من خلال أعمال أخرى مؤثِّرة، هي نتيجة تكوينهم الديني، كالبر ومساعدة الغير، والعمل على نشر الأخلاق الفاضلة بشتى القنوات المتاحة والوسائل المتوفرة، وهذا بطبيعة الحال يعكس إيجابا الحضور المالكي في مصر والشام وتغلغله في أهلها، وتجذُّره فيها، في ظل انفتاح مذهبي ناتج عن سياسة الدولة المملوكية في ترسيخ المذاهب السنية ونبذ ما سواها.

كما يُبيّن أن علماء المالكية في مصر والشام خلال الحقبة المحددة أعلاه، لم يقتصر على الأعمال التي هي من صميم اختصاصهم كتعلم العلم ونشره، وإمامة الناس في الصلوات وغيرها، بل تجاوزوها، حيث تفاعلوا مع قضايا الأمة، فحفظت لهم كتب التاريخ مو اقف مشرِّفة، وسجلت أسماءهم بماء الذهب.

الكلمات المفتاحية: الأثر الاجتماعي؛ الشام؛ العصر المملوكي؛ المالكية؛ مِصر.

1- مقدمة : إنّ المتأمل في الدراسات التاريخية الأكاديمية يجد أنّ تاريخ مصر والشام خلال العصر المملوكي حظي

بنصيب و افر من الدراسات والأبحاث، غير أن أغلبها ركّز على فئة الحكام والأمراء وإنجازاتهم السياسية والعسكرية والإدارية، وأغفلت فئات أخرى من المجتمع كان لها دور مهم في صنع تاريخ وحضارة تلك البلاد خلال الفترة المذكورة، ومنهم العلماء على اختلاف انتماءاتهم العرقية وتوجهاتهم المذهبية، ولا ريب أن لهم –أي للعلماء- الدور والأثر الكبير في أي مجتمع، إذْ هُم النُّخبة فيه والشُّعلة التي تنير له الطريق، ومن هؤلاء نذكر علماء المالكية الذين كان لهم الأثر البالغ والمشاركة الفعالة على جميع الأصعدة في مصر والشام، في ظل الدولة المملوكية التي لقوا فيها من الدفع والتشجيع ما بوّأهم مكانة خاصة لدى الحكام من جهة، والمجتمع المصري والشامي من جهة أخرى.

وأشير هنا إلى أنني قد قمت سابقا في مرحلة الدكتوراه بدراسة الإسهامات العلمية للمالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي، فكانت تصادفني مادة علمية معتبرَة للأثر الاجتماعي لهؤلاء العلماء على غرار نشاطهم العلمي، ومنها جاءتني فكرة البحث في هذه الجزئية الخاصة بهم من خلال هذا المقال، فاخترت لها عنوان: الأثر الاجتماعي لعلماء المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)، أردت من خلاله تتبع مظاهر التفاعل بين المالكية ومجتمعهم، و إبراز آثاره خلال الحِقبة المُحددة أعلاه.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعالج ويكشف الدور الاجتماعي للمالكية في مصر والشام خلال فترة المماليك الشافعيين الذين ساهموا في نشر المذهب السُّنِّي على تعدّد مذاهبه، وبيان أثرهم وتأثيرهم في المجتمع في تلك الفترة بقدر ما تجود به المصادر.

أما بالنسبة لإشكالية البحث، فإنها تتمثل في السؤال التالي: هل كان للمالكية فاعلية على المستوى الاجتماعي في مصر والشام خلال العصر المملوكي؟، ويندرج تحت هذا السؤال تساؤلات فرعية هي:

- ما هي مظاهر تلك الفاعلية إن وُجدت؟ .
- ما هي آثارها و انعكاساتها على المجتمع المصري والشامي آنذاك؟.

ولمعالجة الإشكالية المطروحة والإجابة على فروعها تتبعت منهجا يقوم على الاسترداد الذي يغلب عليه الوصف، وتقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها، كما اعتمدت على المنهج الإحصائي لإحصاء علماء المالكية والوقوف على أعمالهم ونشاطاتهم الاجتماعية، بحكم أن الدراسة تقوم على هذه الفئة، إضافة إلى ذلك وظّفنا المنهج النقدي التحليلي الذي يعتمد على جمع المادة ونقدها وتمحيصها، فهو مناسب لتحليل المعطيات والوصول إلى النتائج الصحيحة، واعتمدت أيضا على المنهج المقارن، لأنه بعد جمع المعلومات حول المالكية المعنيين بدراستنا نحتاج إلى مقارنتها مع ما ورد في مصادر أخرى، ثم القيام بتحليلها وتركيبها.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه، رأيت تتبع خطة عمل مكونة من ستة عناوين رئيسية

هي، أولا: العمل في الجهاز القضائي، ثانيا: الإفتاء، ثالثا: محاربة الفساد وإصلاح المجتمع، رابعا: التفاعل مع المجتمع من خلال قضايا العصر، خامسا : السعي في قضاء حوائج الناس وطلبة العلم، سادسا: ترسيخ القيم الاجتماعية النبيلة في المجتمع، وأخيرا خاتمة ضمّنتها أهم النتائج المتوصل إليها من هذا المقال.

وأشير ابتداءً قبل الخوض في ذِكر تفاصيل البحث، أنني عثرت على كلام رائع لأحد المؤرخين العلماء، وهو أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت360هـ/970م) يصف فيه فئة العلماء مبيّنا مكانتها قائلا: "الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه، حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل، وعن رأيهم يصدر، وما ورد على أمراء المسلمين من حُكمٍ لا عِلم لهم به فَبِقَولهم يعملون، وعن رأيهم يصدرون، وما أشكل على قضاة المسلمين من حُكم، فَبِقول العلماء يحكمون، وعليه يعوّلون، فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا" (الآجري، 16،1978-17)، وقد أحببت إيراده –على طوله- كما هو، لما له من انعكاس واضح على ما سأذكره في مقالي، حيث اشتمل على جميع المحاور والمعاني التي سأضرب عليها أمثلة كانت منثورة ومبثوثة في بطون المصادر التاريخية، فقمت باستلالها من مظانها، وتجميعها وترتيبها وإخراجها بالوجه الذي يليق بهذا البحث دون الإخلال بمقاصده والانتقاص من أهدافه.

فالعلماء لهم مكانة مرموقة في المجتمع، ويمثِّلون لبِنة أساسية في تركيبته، كيف لا ؟ وقد بيّن النبي ﷺ فضلهم فقال:"فضْلُ العالِم على العابد كَفَضْلي على أدناكم" (الدارمي، 1987، 100/01).

ونأتي الآن إلى بيان تفصيل ما ذكرناه في خطة المقال المذكورة آنفا، ويكون ذلك كالتالي:

2-العمل في الجهاز القضائي:

لا شك أن للقضاء دور مهم في الحياة الاجتماعية لما له من اتصال مباشر بجمهور الناس وكذلك من خلال الأعمال التي تتعلق به كالتوثيق والشهادة والحِسبة، لذلك ارتأينا أن نتحدث عنه في الأثر الاجتماعي، وسنفصِّل فيه كالآتي:

2-1- قُضاة المالكية:

بعد التنقيب في كتب التراجم والطبقات أحصينا من قضاة مالكية مصر والشام خلال الفترة المعنية بدراستنا الكثير، نذكر منهم كأمثلة: القاضي الفقيه ناصر الدين ابن الأبياري (ت680هـ/1281م)، كان من مدرّسي المالكية، مارَس القضاء بالإسكندرية، وكان ذا دين متين وورع وزهد(الذهبي، 1987، 384/50)، والقاضي جمال الدين عبد الله بن مقداد الأفقهسي (ت823هـ/1420م)، تقَدَّم في المذهب حتى انتهت إليه رئاسته في الديار المصرية،

وباشر القضاء مباشرة حسنة، وكان متوددا قليل الأذى (التنبكتي، 2000، 229).

كما نذكر أيضا قاضي القضاة الشيخ شهاب الدين أبي العباس المشهور بابن عوجان (ت838هـ/1434م)، كان من أهل العلم والدين، عارفا بمذهبه وبصناعة القضاء، تولى منصب قاضي قضاة المالكية بالقدس، وطالت مدته وحسنت سيرته في ولايته، وكانت أحكامه مرضية وأموره مسددة على حد قول المؤرخين (ابن مخلوف، 2003م، 17)، والقاضي محمد بن محمد المعروف بابن المخلطة (ت858هـ/1454م)، اشتغل بالفقه على علماء عصره، تصدّر للقضاء ورَاجَ أمرُه فيه لمعرفته بالأحكام واستحضاره لفروع مذهبه (التنبكتي، 2000، 535).

والقاضي حسام الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن حريز المغربي الأصل المنفلوطي المصري (ت873هـ/1468م)، لازم العِلم واشتغل فيه كثيرا حتى ارتقى لقضاء المالكية بالديار المصرية، فباشره بعفة ونزاهة وشهامة (السخاوي، د.ت، 192/7)، كما تولى أخوه عمر بن أبي بكر (ت892هـ/1487م) هذا المنصب، وكان متصلِّبا في أمر دينه، محمود السيرة (السخاوي، د.ت، 77/6).

زد على هؤلاء أيضا نذكر الشيخ علي بن محمد التنسي (ت875هـ/1470م)، ففضلا عن تدريسه الفقه المالكي بمدارس ومساجد مختلفة في مِصر فإنّه تولى منصب قضاء المالكية بالشام، وتحسّر الناس على فقدِه من الديار المصرية وتألّمُوا لذلك (التنبكتي، 2000، 337)، وقاضي القضاة بمِصر الشيخ عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن قاسم (ت بعد 920هـ/1514م)، ذُكِر أنه طُلِب للقضاء فامتنع، فلما أصرَّ عليه السلطان الغوري المملوكي (حكَم بين 906-922هـ/1501-1516م) شرَط عليه ابن قاسم إذا طلب أحدا من كبار الأمراء ألا يتحامى عليه، فأجابه السلطان إلى ذلك، وقال له بأنه سيكون رسولا له إلى من يطلبه للحُكم، و أُثِر عنه الأمانة والتعفف والنزاهة(التنبكتي، 2000، 262).

من خلال النماذج التي أوردناها عن قضاة المالكية بمصر والشام خلال العصر المملوكي نلتمس مدى تصلُّبهم في أمور دينهم، وعفتهم ونزاهتهم أثناء مباشرتهم لمهامهم، فلا يخضعون لسلطان أو غيره، بل تورد المصادر أخبارا عن هؤلاء ممن تفاعل مع الضعفاء من أبناء مجتمعهم، فانتصروا لهم في كثير من المو اقف ضد من تُسَوِّل له نفسه المساس بحقوق الغير ولو كان من عليَّة القوم، وممن وقف ناصحا ومرشدا إلى الحق في وجه الحكام خلال الفترة المعنية بدراستنا نذكر الشيخ شرف الدين أبي الروح عيسى بن شمس الدين محمد (ت854هـ/1450م)، كان قاضي قضاة المالكية ببيت المقدس، وهو مثال للقاضي العادل إذ سعى دوما بكل صلابة ورباطة جأش إلى استقلالية القضاء والنّأي به عن إرادة وأهواء الحكام، فكانت له هيبة في قلوب الناس بل والحكام أيضا، حدثت له و اقعة معروفة مبثوثة في المصادر التاريخية مع نائب بيت المقدس مبارك شاه، الذي قبض على مجموعة من الفلاحين اتهمهم باللصوصية، وأراد قتلهم دون محاكمة، فوقف في وجهه الشيخ عيسى ومنعه، بل وأغلظ له في القول قائلا:

"والله لو قتلتهم بحضوري لكُنت أقتلك بيَدي وأُعَلِّقك إلى جانبهم كما أنت بخلعة السلطان، فلم يقْدِر النَّائب على مراجعته لهيبته، ودخل إلى المدينة ولم يستطع قتلهم" (العليمي، 1999، 248/02)، فنلمس من خلال موقفه هذا حرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية و انتصاره للضعيف ولا يخاف في ذلك لومة لائم، وهذا هو الأصل في علماء الأمَّة.

ونشير هنا إلى أننا لم نعثر على معلومات كافية حول القضاة المالكية، وعن الأمور التي تمت معالجتها، وكذا عن طبيعة القضايا التي طُرحت أمامهم ومجالسهم القضائية، مما يصعب إعطاء صورة واضحة ودقيقة عنهم، غير أنه من المؤكد تغلغل المالكية في المجتمع المصري والشامي، وتأثيرهم فيه بصفة مباشرة نظرا لممارستهم خطة القضاء التي لها علاقة وطيدة ومباشِرة بأفراد المجتمع، إذْ به يعم الأمن ويسُود العدل وتطبَّق الشريعة وتُحَلُّ النزاعات وينتشر السلام والأمان بين الناس، ولاشك أنّ هذا من سمات المجتمعات الر اقية.

2-2- تولي التوثيق والشهادة:

يُعتبر التوثيق والشهادة من الفنون الفقهية، اشتهر بحذقه والتأليف فيه كثير من العلماء، فضبطوا أحكام العقود وما يراعى في كتابتها (السبكي، 1993، ص63) حتى تكون المرجع في بيان الالتزامات وتحديد الحقوق، والوثائق التي يدوّنها الشهود أو العدول تحسم كثيرا من الخلاف والنزاع بين المتعاملين، وقد جعلها ابن خلدون –أي الشهادة- "وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصرفه، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم أو عليهم، تحملا عن الإشهاد وأداء عن التنازع، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم" (ابن خلدون، 2004، 406/01).

وقد فرض نظام القضاء على الشاهد شروطا منها: أن يكون بالغا، عاقلا، حرا، مسلما، موصوفا بالعدل، متمكنا في عمله ذا معرفة وعلم كامل بما يشهد به، بعيدا عن السهو والغفلة لحفظ حقوق الناس (السمناني، 1984، 200/1).

وكان للشهود دور كبير في مساعدة القاضي و تزويده بالمعلومات التي تساعده أثناء الحكم، لأن الشاهد يجب عليه أن يكون مُلما بما يجري في المدينة، وذا علم ومعرفة بسلوك أهلها، وبالمقابل على القاضي أن يكون عارفا بسلوك العدول (عبد الرقيب، 2001م، 101/02)، ومن هنا ارتأينا أن ندرجها ضمن هذا البحث.

وقد باشر هذه المهمة الكثير من المالكية نذكر منهم خمسة، الأول: جمال الدّين بن عَطِيَّة بن إِسْمَاعِيل اللَّخمِي الإسكندراني(ت714هـ/1314م)، كان من العدول الكبار بالإسكندرية(الصفدي، 2000، 56/20)، والثاني: محمد بن أحمد فتح الدين النعاس (ت837هـ/1433م)، فضلا عن ممارسته الخطابة فإنه اشتغل في التوثيق لمعرفته به، وكان حسن الخط (السخاوي، د.ت، 127/7)، والثالث: شمس الدين حسن بن علي الأنصاري الخزرجي

الدميري(ت858هـ/1454م)، جلس للتكسُّب بالشهادة والتوثيق، وكان حسَن الخط مما جعل الناس تقصده لأجل ذلك (السخاوي، د.ت، 114/3)، والرابع: أحمد بن محمد السكندري الأصل، القاهري، المعروف بابن التنسي(ت897هـ/1492م)، مارَس الشهادة عند أبيه بمسجد الفجل بالقاهرة، وأتعب نفسه في ذلك(السخاوي، د.ت، 89/2)، والخامس: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى السخاوي ثم القاهري (ت895هـ/1490م)، اشتغل بالشهادة وتكسَّب بها، كما مارَس توثيق العقود وغيرها(السخاوي، د.ت، 111/7).

ونشير هنا إلى أن العدول الذين عينهم القُضاة لأداء الشهادة في مجلس الحكم كانوا أصحاب ثقافة عالية خاصة في الأحكام الشرعية والفقه، وهذا مطلوب فِيهم بحكم ارتباط عملهم بالقضاء.

2-3- تولِّي الحِسبة:

الحِسبة في اللغة: اسم من الاحتساب، يقال فلان حسن الحسبة في الأمر، أي حسن التدبير والنظر فيه (ابن منظور، 1997، 310/01-317)، وفي الشرع هي أمر بالمعروف إذا أُظهر تركه، وهي عن المنكر إذا أُظهر فِعله (الماوردي، 1989، 240)، قال تعالى:[وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ] (سورة آل عمران، الآية 104)، وقال ﷺ:"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(مسلم، د.ت، 69/01).

ووضع الفقهاء شروطا عدة للمحتسب منها: الحرية والعدالة، وأن يكون ذا رأي وصرامة، وذا علم بالمنكرات الظاهرة (الماوردي، 1989، 316)، وأن يكون عارفا بأحكام الشريعة ليعلَم ما يأمر به وما ينهى عنه (الشيزري، 1946م، 07).

وحسب الباحثة سهام مصطفى أبو زيد، فإن المحتسب في مصر خلال العصر المملوكي كان يتمتع بسلطات كبيرة، كما كان موضع احترام وتبجيل من الحكام والولاة، غير أنها لم تورد ولا محتسبا واحدا خلال حقبة الدراسة، حيث أنها اطلعت على كتب الحسبة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي حسبما ذكَرت ولكنها لم تجد ضالتها (سهام، 1986، 84)، في حين عثرنا على عدد مُعتبَر من المحتسبين المالكية فضلا عن المذاهب الأخرى، أولهم: أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح السبكي(ت669هـ/1270م)، تولّى الحسبة مدة بالقاهرة (الذهبي، 1987، 292/49)، والثاني: أبو الحسن جمال الدين يوسف بن خالد بن نعيم الطائي البساطي (ت829هـ/1426م)، ولِيَ الحسبة في سنة 823هـ/1420م، ثم صُرف عنها ولزم منزله حتى مات(التنبكتي، 2000، 629)، والثالث: نور الدين علي بن أحمد السويقي ثم القاهري (المولود سنة 786هـ/1384م)، باشَر الحسبة بالديار المصرية، وكان مُقَرّبا من السلطان الأَشرف برسباي في حُدُود 820هـ/1417م (السخاوي، د.ت، 176/5)، والرابع: شمس الدين محمد بن احمد الدميري ثم القاهري (ت813هـ/1410م)، فضلا عن تولّيه نظر البيمارستان ونظر الأحباس، فإنه ولِيَ الحسبة مرارا

(السخاوي،د.ت، 313/6)، كما تولّى ابنه محمد (ت846هـ/1442م)، وكان مشكور السِّيرَة، كثير الحياء والتودد للنَّاس (السخاوي، د.ت، 195/9).

غير أننا لم نعثر على تفاصيل دقيقة حول نشاطات هؤلاء المحتسبين، سوى ما ورد من إشارات عامة حول المهام التي كُلِّف بها المحتسب، فمن ذلك الإشراف على أهل الذمة، وضرورة أخذهم بالقيود التي تتضح من العهد الذي كتبه القاضي الفاضل لأحَدِ وُلاة الحسبة وقد جاء فيه:"وخذ النصارى واليهود والمخالفين بلباس الغيار، وشد الزنار، ففي ذلك إظهار لما في الإسلام من عزة وفي المخالفة من الصغار و إبانة الشكر للتأهب للسير إلى النار، وتفريق بين المؤمنين والكفار" (القلقشندي، 1987، 468/10).

وقد اتخذ المحتسبون خلال حقبة الدراسة أعوانا يساعدونهم وأشار الشيزري(الشيزري، 1946، 12) إلى ذلك بقوله: "ولما لم تدخل الإحاطة بأحوال السوقة تحت وُسْع المحتسب، جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفا من صالح أهلها، خبيرا بصناعتهم بصيرا بغشوشهم وتدليساتهم، مشهورا بالثقة والأمانة، يكون مشرفا على أحوالهم ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع وما تستقر عليه الأسعار وغير ذلك من الأسباب التي يلزم المحتسب معرفتها".

كما أصبح من اختصاصات المحتسب في تلك الفترة الاهتمام بالمساجد ومنع القضاة من الجلوس فيها للفصل في قضايا الناس حتى لا تتعرض لنجاسات المتقاضين (الشيزري، 1946، 113).

3- الإفـــتـــاء:

تُعَدُّ الفُتيا أهم عناصر ورو افد التشريع الإسلامي وميدانا لبلورة تعاليم الشريعة، كما لها دور هام في ضبط الحياة الاجتماعية وتنظيمها إلى جانب إثرائها للحياة الفكرية والعلمية.

والذين يتصدون للإفتاء لا شك أنهم تحمّلوا مسؤوليات جِسام في المجتمع، ساعدهم على أداء هذه المهمة سعة معارفهم، واجتهادهم، كما تُعتبر الفتيا من جهة أخرى نافذة على الأوضاع الاجتماعية في طبقاتها وفئاتها.

ولقد أطلعتنا المصادر التاريخية بأسماء كثير من علماء المالكية مارَسوا هذا العمل في مصر والشام خلال حقبة الدراسة نذكر منهم الشيخ الفقيه أبي إسحاق يحيى بن موسى التجيبي (ت663هـ/1264م)، كان عالما بارعا صالحا، صنّف في شرح الخِلاف كتابا نفيسا في عدة مجلدات، ودرّس و أفتى و أقرأ، و انتفع به الطلبة، ولم يزل على ذلك حتى وفاته (ابن تغري، 1985، 186/1).

والشيخ الإمام، مفتي المالكية، محمد بن الحسين بن عتيق، الملقّب بِعَلَم الدين (ت680هـ/1282م)، كان من سادات المشايخ، جمع بين العلم والعمل والورع والتقوى (ابن فرحون، د.ت، 322/02-323).

أضِف إلى هؤلاء أيضا الشيخ ناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن منصور الاسكندري (ت683هـ/1284م)، كان بارعا في الفقه، راسخا في أصوله، تفقّه بجماعة من العلماء منهم جمال الدين بن الحاجب(ت646هـ/1248م) الذي أجازه بالتدريس والإفتاء (مخلوف، 2003، 269/01)، ولا شك أن الحصول على إجازة بالتدريس والإفتاء تحتاج إلى جهد علمي كبير، وهذا ما لمسناه في تراجم علماء المالكية الذين بلغوا هذه المرتبة، فلم يكن ذلك سهلا عليهم، بل كدّوا وجَدُّوا واجتهدوا، ولازموا المشايخ حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وقد وُصف أخوه زين الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت695هـ/1295م) بالشيخ الجليل الفاضل، والفقيه العالم، والرئيس الأوحد، وشرَفِ الفقهاء والمُفْتِين (التنبكتي، 2000، 324).

وممن أفتى من علماء المالكية كذلك، الشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن أبي العطاء، المعروف بتقي الدين بن دقيق العيد (ت702هـ/1302م)، ارتحل إلى عدة أقاليم في سبيل طلب العلم، واستكثر من الشيوخ فسمع بالحجاز، و دمشق، و مصر، و غيرها، وحدّث، وكان يفتي في المذهبين المالكي والشافعي (ابن فرحون، د.ت، 318/02).

وغير هؤلاء كثير، أوردنا منهم تلك الأمثلة لمعرفة الأثر الذي تركه علماء المالكية في المجتمع المصري والشامي، ولا شك أن الفتيا على المذهب المالكي تكون خصبة، نظرا لوجوده ضمن محيط فقهي يتكون من مجموعة من المذاهب السُّنِّية، ولكل مذهب خصوصياته.

ونشير هنا إلى أن مالكية مصر والشام خلال العصر المملوكي، مع ممارستهم الإفتاء إلا أنهم كانوا يتورعون في ذلك، فلا يخضعون لأي جهة تملي عليهم ما يقومون به، ومثال ذلك الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد (ت702هـ/1302م) (ابن فرحون، د.ت، 318/02-319)، حيث أبَى أن يصدِر فتوى تجوِّز أخذ أموال الرعية لاستخدامها في الحرب، على الرغم من محاولات نواب السلطة المملوكية القيام باستصدار فتواه لكن لم يفلحوا (المقريزي، 1997، 32/02).

4- محاربة الفساد وإصلاح المجتمع:

يذكر المؤرخون في هذه النقطة تفشي بعض الآفات الاجتماعية التي تصدّى لها العلماء على اختلاف مذاهبهم، فأنكروها وعملوا على إزالتها وتطهير المجتمع المصري والشامي منها، نذكر على سبيل المثال التصوف الذي أخرَجه بعضهم من معناه الحقيقي المتمثل في الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا إلى الغناء والرقص، ما جعل علماء المالكية يتلَقّونه بالنكير، وأعلنوا عليه النفير، فيذكر ابن الحاج العبدري المالكي (ت737هـ/1336م) أنه لم يثبت عن الإمام مالك ولا من تبعه من أئمة المذهب مَن استحسن هذه الظاهرة، بل تبرؤوا منها وعدّوها بدعة واستهجنوها واستقبحوها (ابن الحاج، د.ت، 93/03).

كما ظهر خلال العصر المملوكي بمِصر والشام من ادّعى الحلول ووحدة الوجود في وقت ظهَر فيه كبار الاتحاديين، وصار لهم أتباع كمحي الدين ابن عربي(ت638هـ/1240م)، وعمر ابن الفارض الذي عاش بمصر (ت632هـ/1234م)، وهو أشهر شعراء الاتحاد ووحدة الوجود، فانبرى بعض المالكية للإنكار عليهما وتكفيرهما، وأدركوا خطر هذه العقيدة على الإسلام فتصدّوا لها بالنقد والتحذير منها، فهذا الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البساطي قاضي مصر (ت842هـ/1438م)، أنكر اتحاد الله عز وجل بشيء، ووصف الفكرة بالمقالة السخيفة والضلالة المستحيلة في العقول التي انتشرت بين جماعة من المسلمين، وصنَّف ابن عربي في دائرة ضُلّال المسلمين (البقاعي، د.ت، 170/01-172)، فالبساطي لم يكفِّره، لأجل ذلك قام عليه عالم مالكي هو الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الدفري الأصل القاهري (ت828هـ/1424م)، وكان من خصوم معتقِدي فكر ابن عربي ولام في ذلك البساطي الذي لم يكتب بتكفير ابن عربي (السخاوي، د.ت، 313/06).

وكذلك الشيخ شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي (ت743هـ/1342م)، انتهت إليه رياسة المذهب المالكي بمصر والشام، قال عن مصنَّف ابن عربي"فصوص الحكم" بأنه هذيان، وكفر وبهتان، وأنّ مَن صدّق بذلك أو اعتقد صحته كان كافرا ملحدا يُقتل متى ظهر عليه، ولا تُقبل توبته إن تاب (البقاعي، د.ت، 157/01-158).

زد على هؤلاء من المنكرين على دعاة الحلول والاتحاد من مالكية مصر والشام خلال العصر المملوكي الشيخ ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، فحين يتكلم عن أصناف التصوف يذكر هذه الطائفة ضمن المبتدعة، وأن أصحابها لهم مصنفات مشحونة بكفر بواح، ثم يبيّن رأي الشرع في تلك الكتب مثل"الفصوص" و"الفتوحات المكية" لابن عربي، وقصيدة ابن الفارض وغيرها من المصنفات التي تدخل في نفس السياق أن حكمها الحرق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثرها نهائيا لما في ذلك من جلب للمصلحة العامة في الدين ودرء للمفسدة (الشوكاني، 1990، 67-68).

نستنتج أن المالكية ندَبوا أنفسهم لمحاربة التصوف المنحرف والإنكار عليه والتحذير منه، وتبيين فساده وانحراف معتقِدِه، والإفتاء بضلاله وكُفرِه.

5- التفاعل مع المجتمع من خلال قضايا العصر:

وهذا دَيْدَن العلماء الرّبّانيين الذين كانوا يتفاعلون مع قضايا الأمة قديما وحديثا، مرجعهم في ذلك تكوينهم الديني الذي يحث على ذلك، فقد أُثِر عن النبي ﷺ قوله:"مَنْ لَمْ يَهْتَمْ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ"(الطبراني، 1994، 270/07).

ومن القضايا التي ثبت عن مالكية مصر والشام حضورهم فيها والوقوف إلى جانب أمتهم جنبا إلى جنب، قضية الغزو الصليبي والتتري آنذاك، حيث أتحفتنا المصادر التاريخية بأسماء بعض العلماء المالكية، الذين ثبت انتسابهم للجيش وخوض غمار الجهاد في سبيل الله خلال العصر المملوكي ضد الوجود الصليبي والتتري في مصر

والشام، كالشيخ نور الدّين علي بن يوسف بن مكّي بن عبد الله الدّميري ثم المصري (ت803هـ/1400م)، أصله من حلب، كان جل اهتمامه بالفقه على المذهب المالكي، ونال منصب القضاء وِفقه، ثبت عنه اهتمامه بالجهاد، حيث عقد العزم على محاربة اللنك، فانتسب إلى الجيش، وسافر مع العسكر من أجل ذلك، ولكن سيف المنِيَّة عَاجَله قبل وُصولِه (ابن العماد، 1985، 52/09).

وكذلك الشيخ عَلَم الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن محمد، قاضي دمشق (ت805هـ/1403م)، كان أبوه جنديا وسَلَك ابنه هذا المسلك أيضا، فيُذكر أنه شهد وقعة للمغول، أصيب فيها بآلة، وأُسرت ابنته، فلما انزاح التتر عن البلاد رجع إلى حلب ثم دمشق، وتولى قضاءها وفق المذهب المالكي (ابن حجر، 1986، 252/02).

ونشير في هذا الجانب إلى نقطة هامة، وهي شحذ هِمم المسلمين وحضِّهم على التجند والجهاد في سبيل الله، حيث كانت هذه المهمة منوطة بالعلماء باعتباره-أي الجهاد- من أفضل الأعمال، وجاءت في أفضاله الآيات الكثيرة والأحاديث النبوية العديدة، وممن قام بهذه المهمة من المالكية المعنيين بدراستنا الشيخ ناصر الدين بن المنير (ت683هـ/1284م)، فقد حفظت لنا المصادر خطبته -البليغة والرائعة على حد قول أصحاب الاختصاص في الأدب- حين وقع الشام أسيرا في أيدي المغول سنة 658هـ/1260م، فقال:"الحمد لله الذي يرحم العيون إذا دمعت، والقلوب إذا خشعت، والنفوس إذا اتضعت، والعزائم إذا اجتمعت..." (اليونيني، 1992، 04/208-209).

ولا ننسى أن نذكر في هذا الجانب صورة أخرى مِن صُوَر تفاعل المالكية مع مجتمعهم المصري والشامي ضد الصليبيين، وهي التأليف، حيث ألّف المؤرخ المالكي محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني (ت775هـ/1373م) كتابا وَسَمه بـ"الإلمام فيما جَرَت به الأحكام والأمور المقضية في الواقعة الإسكندرانية وعَودها إلى حالتها المرضية"، في ثلاث مجلدات (السخاوي، د.ت، 396)، أرّخ فيه للحملة الصليبية التي قام بها القبارصة، واستهدفوا من خلالها مدينة الإسكندرية سنة 767هـ/1365م، فدمّروا ونهبوا المدينة في مدة أيام قليلة (شهبة، 1994، 03/270-271).

وإنّ المُطّلِع على الأسباب التي دفعته إلى تأليفه، يستشف بوضوح تام مدَى غِيرَته على بلاده، وتفاعله مع مجتمعه، فيقول عن ذلك:"...فجذبتني الغيرة بأسبابها، ودعتني الحمِيَّة لأربابها إلى تأليف هذا الكتاب بها، لِيَقف عليه من يأتي من المسلمين بعد عصرنا هذا ليعْلموا به ما اتفق بها فيما مضى من الزمان، ولتجتهد ملوك مصر الآتية بعد ملوك عصرنا في حِفظها من الفرنج بتكثير القياد بها والتركيز فيها لحراستها" (النويري، 1970، 02/222).

وقد اعتمد عليه المؤرخ ابن قاضي شهبة في كتابه التاريخي المعروف به، وذكر في حوادث سنة 767هـ/1365م بأنه نقل منه جملة صالحة، كما أشار إلى أن النويري بسَط أحداث تلك الواقعة بعد تقصِّيه لأخبارها، واستطرد فيها استطرادا عجيبا (شهبة، 1970، 03/270-271).

ونشير في نهاية هذه النقطة الخاصة بالجهاد في سبيل الله ضد التتار والصليبيين إلى أن هؤلاء العلماء تركوا

بصمات واضحة، و آثار راسخة بتلك المو اقف المشرِّفة التي كانت في وقتٍ بَلَغَت فيه القلوب الحناجر، وبلغ الخوف والخور بالناس مبلغا عظيما، فكان وقوفهم إلى جانب أمتهم بل وقيادتها بالخطب البليغة، والانضواء تحت راية الجيش الإسلامي بردا وسلاما على الناس إلى غاية أن انكشف البأس.

6- السعي في قضاء حو ائج الناس وطلبة العلم:

كان لمالكية مصر والشام مو اقف خيرية تجاه طلبة العلم والفقراء والغرباء، وربما يرجع هذا إلى تكوينهم الديني، حيث أن الإسلام يحث على قضاء حو ائج الناس ويُرغِّب في ذلك، فمن المالكية الذين كانت لهم أعمال بر تجاه الناس، نذكر منهم الإمام أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع (ت667هـ/1268م)، كان معروفا بالصلاح والدين، معظما عند الخاصة والعامة، مطَّرِحا للتكلُّف، كثير السعي في قضاء حو ائج الناس على سمت السلف الصالح (الذهبي، 1987، 244/49).

كما نذكر في هذا الجانب الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الصمد الجلاوي (ت782هـ/1380م)، شارك الفقراء خشن العيش، وبلغ في السخاء وحُسن الخلق رتبة عظيمة، وأوقاته مصروفة كلها في فعل الخير على غرار التدريس(التنبكتي، 2000، 328).

وبلغ من تفاعل المالكية مع مجتمعهم والسعي في قضاء حو ائج غيرهم أن تألَّم الناس وطلبة العلم لفقدهم مثل ما حدث مع الشيخ علي بن محمد التنسي (ت875هـ/1470م)، مارَس الإفتاء والتدريس بمِصر، فلما نُدِب لقضاء الشام تألَّم أكثر الناس لفقده من الديار المصرية حسب قول المؤرخين (التنبكتي، 2000، 337).

زد على هؤلاء الشيخ (ت بعد 920هـ/1514م)، كان كثير الصَّدقة، لا يرُدُّ سائلا أو محتاجا ولو بالنَّزر اليسير(التنبكي، 2000، 262)،

إلى جانب ذلك، كانت المدارس التي أنشأها المالكية (فوزي، 2017م، 77) مراكز سكن للعلماء والمتعلمين، فقد وجد الطلبة والغرباء والفقراء راحتهم وأمنهم واستقرارهم، مما ساعدهم على العبادة وطلب العلم، حيث كانت هناك بيوت خاصة بالطلبة ملحقة بالمدرسة، وكانت هذه المدارس مركزا للرعاية الصحية والطبية لساكنيها، إلى جانب كونها نزلا للمسافرين القادمين من بلدان أخرى طلبا للعلم، فوجدوا فيها العلم ومختلف الخدمات الاجتماعية، ويؤكد هذا الرحالة ابن جبير عندما زار الإسكندرية، فقال:"ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه: المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد، يفدون من الأقطار النائية فيلقَى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومُدرسا يُعلمه الفن الذي يريد تَعلُّمه، وإجراءا يقوم به في جميع أحواله " (ابن جبير، د.ت، 15) .

7- ترسيخ القيم الاجتماعية النبيلة في المجتمع:

وهذا من الأهداف الاجتماعية التي يرنو إليها علماء المالكية بحيث كانوا يستهدفون تربية الأفراد على القيم الاجتماعية النبيلة وتهذيب الأخلاق، وذم ونبذ الصفات الرذيلة كالكِبر، والخُيلاء، والمباهاة وغيرها .

وقد أوردت كتب الطبقات التراجم المتخصصة في سِير العلماء والأعيان، عددا كبيرا من مالكية ذلك العصر، اتصفوا بصفات حميدة، أساسها التواضع، وخفض الجناح، كيف لا؟ وذلك هدي القرآن الكريم، وهدي السنة النبوية المطهرة، فالمالكية وَعَوا القرآن الكريم حفظا وعملا وسلوكا، واستندوا في هذا الباب إلى قوله تعالى:"وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينْ" (سورة الحجر، الآية 88)، قوله أيضا:"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (سورة القلم، الآية 04)، كما روى المالكية الكثير من أحاديث النبي ﷺ، التي تحمل معنى التخلق بالأخلاق الفاضلة ونبذ ما سواها، منها قوله ﷺ:"إن الله يُحب مكارم الأخلاق، ويكره دقيقها وسَفسَافَها" (ابن وهب، 1995، 592).

ومِن مالكية مصر والشام الذين تربّوا على القيم المُثْلَى والأخلاق الفاضلة نذكر الشيخ ابن دقيق العيد (ت702هـ/1302م)، وصفه صاحب "الطالع السعيد" بأنه:"كثير المكارم النفسانية، والمحاسن الإنسانية" (الأدفوي، د.ت، 594)، ولا غرو في ذلك، فقد ربّاه والده المالكي أيضا تربية سليمة صحيحة هادفة، وورّثه الأخلاق الحسنة، حيث نجد الشيخ أبي الحسن علي بن وهب مطيع (ت667هـ/1268م) والد ابن دقيق العيد قد وُصف بالتواضع، ولين الجانب، قال عنه الحسيني:" كان أحد العلماء المشهورين، والأئمة المذكورين، جامعا لفنون من العلم، معروفا بالصلاح والدين، معظّما عند الخاصة والعامة، مطّرحا للتكلّف،كثير السعي في قضاء حو ائج الناس" (الحسيني، 2005، 434)، وهذا التوريث الر ائع للأخلاق والفضائل نجد له أصلا في أحاديث النبي ﷺ، حيث قال:" ما ورّث والد ولدا خيرا من أدب حسن" (الطبر اني، 1994، 77/04)، فهذه النتيجة هي من أهداف المالكية الرّامية إلى تكوين وتربية النشء على قيم اجتماعية نافعة للفرد والأمة .

إضافة لما ذكرنا، فإننا نجد أن المالكية كانوا حريصين أيضا على تطبيق الشريعة الإسلامية من قِبل ولاة الأمر، فكانوا يتفاعلون مع القرارات التي تصدر عن السلاطين والأمراء، ويكون فيها صلاح المجتمع، مثال ذلك ما ذكره المؤرخون عن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (حكم بين 658-676هـ/1260-1277م)، حيث قام بالعديد من الأعمال التي تحسَب له في تحسين أوضاع المجتمع، وتهذيب أخلاقه، من بينها سنّه لعدة تشريعات، أهمها الأمر الذي أصدره عام 665هـ/1266م، والذي منع بموجبه بيع الخمور، وأغلق الحانات في مصر والشام، ونفى كثيرا من المفسدين (المقريزي، 1998، 305/01).

ونشير هنا إلى أن من علماء المالكية من كان يتابع الأحداث ويتحرّق شوقا إلى منع الفساد، فنزلت عليه أخبار إر اقة الخمور ومنع الفساد نزول الغيث على الأرض العطشى، فجادت قريحته بأبيات رسّختها المصادر بمداد لا يمحى، هذا العلَم هو أبو العباس ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي (ت683هـ/1284م)، حيث قال:

ليس لإبليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه

حرفته الخمر والحشيش معا ... حرّمتا ماؤه ومرعاه (المقريزي، 1998، 305/01).

7-خاتمة: وختاما لهذا البحث، نخلص إلى أن علماء المالكية في مصر والشام خلال العصر المملوكي كان لهم تأثير كبير على مجتمعهم من خلال ما قاموا به من أعمال رسمية أو غيرها، فكان لهم الاحتكاك المباشر بالمجتمع المصري والشامي عن طريق عدة قنوات كالقضاء، وممارسة التوثيق والشهادة، والحسبة، بل وحتى السعي في قضاء حوائج الناس مثل مساعدة الطلبة في دراساتهم وغيرها من الأعمال التي تنعكس بالإيجاب على المذهب من حيث ترسيخه في مصر والشام والمحافظة على استمراريته .

كما يتجلى لنا أن للمالكية أثرٌ واضحٌ في شتّى مناحي الحياة الاجتماعية، فلم يقتصروا على الأعمال التي هي من صميم اختصاصهم كتعلّم العلم ونشره، وإمامة الناس في الصلوات وإلقاء الخطب في الجُمع والأعياد والمناسبات، بل تجاوزوها وتفاعلوا مع قضايا الأمة وكانوا طرفا فعالا فيها، فحفظت لهم كتب التاريخ تلك المواقف المشرِّفة، وسجلت أسماءهم بماء الذهب، فصاروا هم القدوة لمن بعدهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1-الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (1946). نهاية الرتبة في طلب الحسبة. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

2-النويري، محمد بن قاسم الاسكندراني (1970). الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في الواقعة الإسكندرانية وعَودها إلى حالتها المرضية. الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.

3-الآجري، محمد بن الحسين (1978). أخلاق العلماء. السعودية: نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

4-السمناني، علي بن محمد الرحبي (1984). روضة القضاة وطريق النجاة. بيروت وعمان: مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان.

5-ابن تغري بردي، جمال الدين الأتابكي (1985). المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

6-ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الدمشقي الحنبلي (1985). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دمشق: دار بن كثير.

7-ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (1986). إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية.

8-سهام، مصطفى أبو زيد (1986). الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

9-الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن التميمي (1987). سنن الدارمي. بيروت: دار الكتاب العربي.

10-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز (1987). تاريخ الإسلام. بيروت: دار الكتاب العربي.

11-القلقشندي، أحمد بن علي (1987). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دمشق: دار الفكر.

12-الماوردي، علي بن محمد (1989). الأحكام السلطانية والولايات الدينية. الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة.

13-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1990). الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد. اليمن: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع.

14-اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (1992). ذيل مرآة الزمان. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

15-السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (1993). معيد النعم ومبيد النقم. القاهرة: مكتبة الخانجي.

16-ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر الأسدي (1994). تاريخ ابن قاضي شهبة. دمشق وقبرص: طباعة مشتركة بين المعهد الفرنسي للدراسات العربية والجفان والجابي للطباعة والنشر.

17-الطبراني، سليمان بن أحمد (1994). المعجم الأوسط. القاهرة: دار الحرمين.

18-عبد الله، ابن وهب المصري المالكي (1995). الجامع في الحديث لابن وهب. السعودية: دار ابن الجوزي.

19-ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (1997). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

20-المقريزي، أبو العباس تقي الدين (1997). السلوك لمعرفة دول الملوك. بيروت: دار الكتب العلمية.

21-المقريزي، أبو العباس تقي الدين (1998). المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار. القاهرة: مكتبة مدبولي.

22-العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد (1999). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. الأردن: مكتبة دنديس.

23-التنبكتي، أحمد بابا بن احمد (2000). نيل الابتهاج بتطريز الديباج. ليبيا: دار الكاتب.

24-الصفدي، خليل بن أيبك (2000). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث.

25-عبد الرقيب، يوسف (2001). الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى. العراق: دار ئاراس للطباعة والنشر.

26-مخلوف، محمد بن محمد التونسي المالكي (2003). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. لبنان: دار الكتب العلمية.

27-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (2004). المقدمة. دمشق: دار البلخي.

28-الحسيني، عز الدين أحمد بن محمد (2005). صلة التكملة لوفيات النقلة. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع..

29-فوزي، رمضاني (2016-2017). *إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)*. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة الجزائر 02: الجزائر.

30-ابن جبير، محمد بن احمد الأندلسي (د.ت). رحلة ابن جبير. بيروت: دار صادر.

31-ابن الحاج، محمد العبدري الفاسي المالكي (د.ت). المدخل. القاهرة: مكتبة دار التراث.

32-ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري المالكي (د.ت). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.

33-الأدفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي (د.ت). الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

34-البقاعي، إبراهيم بن حسن (د.ت). مصرع التصوف. مكة المكرمة: الناشر عباس أحمد الباز.

35-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (د.ت). الضوء اللامع. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري (د.ت). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

العاطفة الشعرية لدى الشاعر أبه جده أبوبكر عبدالله

(دراسة تحليلية)

جده حسن محمد

كلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

ميدغري نيجيريا

Abstract: This article is an analytical study entitled the poetic passion of Abba Jidda Abubakar Abdullah, It is a study of the poet's emotion in a chosen poem of his, because emotion is the psychological affection that drives a poet to write or say a poem, as a poet is most sincere in what he is saying if his feeling raises him to write or say a poem, and when a writer or a poet is sincere in what he say, his effect is stronger in the soul and calls for admiration. The two researchers began with a brief introduction about the poet, then presented the definition of emotion and talked about emotion in the poet's selected poem, then the conclusion, which is a summary of the article.

الملخص: هذه المقالة المعنونة بالعاطفة الشعرية لدى الشاعر أبه جده أبوبكر عبدالله دراسة تحليلية عبارة عن دراسة عاطفة الشاعر في قصيدته المختارة، لأن العاطفة هيالميول النفسية التي تدفع الشاعر للقول إذ الإنسان أخلص ما يكون إذا رفعه شعوره إلى القول، ومتى أخلص الكاتب والشاعر فيما يقول كان أثره أقوى في النفس وأدعى إلى الإعجاب. وقد استهل الباحثان بنبذة وجيزة عن الشاعر، ثم تعرضا إلى التعريف بالعاطفة وتناولا الحديث عن العاطفة في قصيدة الشاعر المختارة، ثم الخاتمة التي هي عبارة عن ملخص المقالة.

التعريف بالشاعر أبه جده أبوبكر عبد الله

ولادته ونشأته:

هو العالم أبه جده أبوبكر عبد الله الملقلب بأبه النوح، كان أبوه وجده ممن ذاع صيتهما في الإقراء والتجويد والبراعة في قراءة القرآن الكريم، وكانت أسرته على عمومها تتصف بالأخلاق الفاضلة وحب العلم والتدين. ولد الشاعر بمدينة غمبارو إنْغَالَا، بحارة الزاوية عام 1984م، وهي قلعة نضال ومنارة علمية شهيرة، منذ فترة الستينيات.[1]

نشأ الشاعر في حجر والده المقرئ الغوني أبوبكر أبه النوح، وكان ممن اشتهر بالقراءة والإقراء، في منطقة

[1] – مقابلة مع السيد الغوني أبوبكر عبد الله بمنزله بمدينة غمبارو وذلك بتاريخ 12-01-2011م .

إنْغَالَا، ونشأ نشأة طيبة تحت رعاية والده، منذ صغره حيث رباه تربية إسلامية دينية علمية، فقد حفظ القرآن الكريم في صباه حفظا متقنا، ولم يتجازو العشرين من عمره، واستفاد من خبرة والده وورعه وتواضعه وتقواه، فشب على الورع والأخلاق الحميدة الجميلة الفاضلة، وحب القراءة والاطلاع، فلازم الكتاتيب يقضي جميع أوقاته فيه ويلازم دروس والده في المساء.[1]

حياته العلمية :

بدأ الشاعر حياته الأولية بمسقط رأسه بمدينة غمبارو إنْغَالَا، أمام أبويه وترعرع فيها، وبدأ تعاليمه بالقرآن الكريم في المدارس القرانية على يد والده المقرئ الغوني أبوبكر عبد الله أبه النوح، واستمر في قراءة الكتب الأولية الصغيرة، كعادة السكان في البلد، فتناول العلوم حيث كانوا يبدؤون بالكتب الصغيرة، فبدأ بكتاب الأخضري والعشماوي والمقدمة والعزية في الفقه، والأربعين النووية في الحديث، والتحفة والجزرية في التجويد والياقوتة الفريدة في التصوف، وفي السنوات الأخيرة شرع في قراءة الكتب المطولة في شتى العلوم والفنون، وتحول في بلدان كثيرة من أجل تحقيق مأربه حيث ارتحل إلى مدينة ميدغري و أنجمينا وغيرها.[2]

شيوخه:

تلقى الشاعر من والده القرآن الكريم إذ أن والده مشهورة بإقرائه في البلد، وأخذ علومه الأولية من فقه وحديث ونحو وتصوف على شيخه العالم المقرئ المجود والصوفي المتجرد الغوني الشيخ الساكن،[3] وفي السنوات الأخيرة انتفع كثيرا بدروس المشائخ في البلاد داخل مدينة غمبارو إنْغَالَا وخارجها، أمثال مولانا الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، والشيخ عثمان عبد الله يحي والشيخ عثمان البشير والشيخ عبد الكريم يحي، والشيخ عبد الرحمن حسن أحمد وغيرهم.[4]

رحلاته العلمية و أثرها في تكوين شخصيته

لا شك أن لكل شيء سبب فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سببا، فسبب حصول الإنسان على العلم هو الحرص على طلبه والجد فيه في كل مكان وزمان، وصدق الشاعر حيث قال:

ألا لا تنال العلم إلا بستة ** سأنبيك عن مجموعها بـبيان

---

[1] المقابلة السابقة نفس التاريخ.

[2] – أبه جده أبوبكر، مذكرة مختصرة عن حياته، مخطوط. بمكتبة الباحث بميدغري .

[3] – الغوني الشيخ الساكن هأحد علماء منطقة ميدغري ومن الذين تفقهوا في الفقه وأصوله والحديث وعلومه، وكان من خيرة تلاميذ مولانا الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، وله حلقات علمية متنوعة يدرس فيها مختلف العلوم والفنون، في حي رون زافي بميدغري.

[4] – المرجع السابق.

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة **وإرشاد أستاذ وطول زمان[1]

ويقول الحافظ ابن نعيم في الحلية أن سفيان الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ: اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَيْحَكُمْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخْرُجَ مِنْكُمْ فَيَصِيرَ فِي غَيْرِكُمْ، اطْلُبُوهُ وَيْحَكُمْ فَإِنَّهُ عِزٌّ وَشَرَفٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.2 وقد بذل الشاعر كل جهده في طلب العلم من خلال رحلاته التي قام بها مع مجموعة من العلماء في مختلف المناطق.

رحلاته مع الشيخ الغالي خليل إلى جمهورية تشاد مرورا بجمهورية الكمرون، وكان يقوم بدروس في كل منطقة حل بها، يقوم بدروس علمية قيمة جدا بهذه الطريقة حتى وصلوا إلى منطقة أم حجر في عمق جمهورية تشاد.[3]

رحلاته في الكمرون، قام بجولة دعوية لوحده في جمهورية الكمرون، وحل ببلاد كسري ومكري ومروه، وغروا، وغيرها، واستفاد بعلوم جمعة ممن التقى بهم من مشائخ في هذه الرحلة.

رحلاته داخل نيجيريا، فقد قام برحلات عديدة داخل بلاد نيجيريا حيث حل بمدينة ميدغري والتقى بمشائخها واستفاد من علومهم وخبراتهم الدعوية ومعاملاتهم الاجتماعية والثقافية العلمية خاصة في تربية المريدين وتقويم السالكين، مما جعله ملتصقا بالشعراء والمداح في هذه الرحلات الأمر الذي كون شاعريته، ومكنه في ارتياد المجال الأدبي الشعري.[4]

أثاره العلمية :

لقد تمكن الشاعر بعون الله وتوفيقه من كتابة القصائد الشعرية العديدة منها:

- قصيدة انشراح الصدر في المصطفى البدر مخطوط بمكتبة المؤلف في غمبارو.
- تحفة الإخوان في مدح سيد الأكوان، مخطوط بمكتبة المؤلف.
- روضة الأكياس في مدح مولانا الشيخ إبراهيم انياس مخطوط بمكتبة المؤلف.
- المجد التالد في مدح شيخنا الوالد مخطوط بمكتبة المؤلف.
- الروض الظريف في مدح مولانا الشيخ الشريف ، مخطوط بمكتبة المؤلف.
- كتاب الكوكب الدري في نظم مختصر الأخضري مخطوط بمكتبة المؤلف.

---

[1]– خالد بن حامد الحازمي، الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنور، العدد (121) السنة (35) 1424هـ ج1، ص 485. 485.

[2]– أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة ،بجوار محافظة مصر، 1394هـ ،1974م، دار الكتب العلمية،بيروت (طبعة 1409هـ، ج6، ص 361

[3]– أبه جده أبوبكر، نبذة مختصرة عن حياته، مرجع سابق

[4]– المرجع السابق.

- قصيدة رفع الشكوى إلى عالم السروالنجوى مخطوط بمكتبة المؤلف.[1]

عرض القصيدة وتحليلها

مناسبتها:القصيدة بعنوان: المجد التالد في مدح الشيخ الوالد، قالها الشاعر في مدح الشيخ أحمد علي أبي الفتح اليرواوي، أظهر الشاعر محبته فيه وإظهاراً لأوصافه ومحامده وخدمته للمجتمع.

نص القصيدة:

مـــولاي أحمـد باب الفتـــوحات لبيـــك لبيـك شيخـي ألف مرات
واللـــه إني لفيكم هائـــم أبـــداً أرجـــو وصالكم فـي كل لحظاتـي
لكنه حجبتنـــي عنكـــم حجـب وقـــد أتيتك ياشيخـي بأبيـــات
إن كنت منفصـــلاً فالحب متصـــل يضحي ويمسي معي في كل حالات
نار المحبة بيـن الأضلع[2] اشتعلت وفي الفـؤاد غرام شت في الذات
إني محب وفان فيك ذو شغف أرجو بجاهـــك تحقيـــق المرادات
إنا نلـــوذ بكـــم فـي كل نازلـة[3] أنتم غياث الـــورى عند الملمات[4]
لا زلت تـرقى إلى أعلى العلا أبداً وطـاب مثـواك في روضات جنات
شمس المعـارف مفتاح الوصـول ونبـ راس الحقـائق إكسيـر السعادات[1]

افتتح الشاعر قصيدته بمناداة ممدوحه والاعتراف له ، وإعلان المحبة إليه ، ورجاء الاتصال به دائماً و أبداً ، ويود الشاعر أن يعتذر لشيخه من الانقطاع الذي بينهما بسبب بعض الموانع ، وذلك بهذه القصيدة التي بين أيدينا ، ويطمئنه ويقول له : لو كنت بعيداً عنكم سكناً فقلبي مليء بحبكم في جميع الأوقات، لم أنسكم في أي وقت من الأوقات، فنار محبتكم مشتعلة دائماً بين أضلعي، وفؤادي مليء بغرامكم وهكذاً جميع أعضائي لا يسكن فيها سواكم، فأنا محب وفان فيكم ومشغوف بكم عسى الله أن يحقق لي بجاهكم جميع مراداي.

ثم بدأ الشاعر يتوسل بممدوحه ويمدحه قائلاً ، نرجوا بكم تحقيق المراد ونلوذ بكم ونحتمي بحماكم في جميع النوازل ، لأنكم غياث الورى عند النوائب، ولا زلت تترقى في الكمال دائماً و أبداً ، وطاب مقامك في جنة الرضوان.

ثم يصف الشاعر ممدوحه بأنه في المعارف كالشمس ، وهو مفتاح لمن أراد الوصول إلى حضرة الله تبارك

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – الأضلع : جمع ضلع وهو عظم من عظام قفص الصدر وضلع خالط القلب : هي عظام الصدر من الجهة المشتملة على القلب .

[3] – نازلة : مصيبة .

[4] – الملمات : النوازل .

وتعالى ، وهو نور الحقائق ، وسر جميع أنواع السعادة ثم قال:

يا صاحب الكرم الفياض بحر ندى أبو الفتوحات مرقاة الكمالات
خليفة المصطفى مفتح حضرته سيادة شمخت فوق السيادات
أنت الولي الذي طارتولايته في كل أفق على كل الولايات
حاوي المفاخر يا شيخي بنظرتكم أخو البدايات يرقى للنهايات
من أم[2] ساحتكم يرجو إغاثتكم يلقى كرامتكم فوق الكرامات
دنياً وأخرى رجونا منكم مدداً سر الخليفة ميزاب[6] الفيوضات
عليك يا صاحب المجد المؤثل[3] من حليف ودكم أزكى التحيات
لا زال يذكر نزراً[4] من شمائلكم والباعث الرمز من تلك الإشارات
يممت بابك بالبحر البسيط[5] فجد بالبسط كالبحر لي في كل أوقات
أرجوكم الوصل في سر وفي علن بسركم نرقى للمقامات

استمر الشاعر يصف ممدوحه بصاحب الكرم الفياض ، وبحر الندى ، و أبو الفتوحات ، ومرقاة الكمالات، وخليفة المصطفى ، ومفتاح حضرته ، ويصفه بأنه سيادة شمخت وارتفعت فوق كل السيادات .

ويعترف بأن شيخه هو الولي الذي شاعت ولايته في جميع الأفق دون سائر الأولياء ، وحوى جميع المفاخر ، ونظرته ترفع صاحب البدايات إلى منتهى النهايات ، ومن قصده يرجو إغاثته يجد جوده وإكرامه فوق جميع الكرماء وأصحاب الجود .

ويرجو الشاعر من شيخه المدد في الدنيا والآخرة ، إذ شيخه هو سر الخلافة المحمدية وميزاب الرحمة والفيوضات والإمدادات ، ويمدحه كذلك بأنه صاحب المجد المؤثل ويلقى إليه التحية مشيراً إلى أنه حليف وداده لا زال مادحاً له وذاكراً يسيراً من شمائله ببركة إمدادات شيخه ، ثم يخاطبه قائلاً : قصدت بابك بهذه القصيدة من البحر البسيط راجياً أن تبسط لي الخيرات من بحرك الفياض ، وراجياً أيضاً منكم الوصل دائماً و أبداً في السر

---

[1] – إكسير السعادات : سرها .
[2] – أم : قصد .
[3] – المؤثل : عريق الأصل وشريفها .
[4] – نزرا : قليلاً ويسيراً .
[5] – البحر البسيط : إحدى البحور الخليلية .
[6] – ميزاب : قناة عمودية يجري فيها الماء ويقصدانه منبع الفيوضات .

والإعلان ، وأرقى ببركتكم المقامات العالية في الولاية ، ثم قال :

بحر النوال ومستشفى لذي مرض ... من جاءكم لم يبل بالصيد[2]ليات
والجود منك لعمري عز واصفه ... عممت زيداً وعمراً بالعطيات
أنت الضياء لأهل الله قاطبة ... يا جامع الخير مشكاة الهدايات
لاحت لناظركم أنوار رفعتكم ... يا سيد العلماء ياذا الكشوفات[3]
فكم لكم من كشوفات بدتوخفت ... بين الخلائق في الماضي وفي الآتي
تاج الطريقة سر السالكين بها ... جبر الكسير[4] وقاموس العبارات
حلو الشمائل بالإحسان متصف ... يا بهجة النفس يا مبدي البشارات
رفعت قدماً منار الدين وانتشرت ضاءت ... بك الطريقة يا حاوي الرسالات
بنوركم برنو[1] وخارجها ... يا باني المسجد الأعلى المنارات

ويستمر الشاعر في وصف شيخه ويصفه بأنه : بحر النوال ، ومستشفى لذوي الأمراض الظاهرة والباطنة ، ولا يستطيع واصف أن يصف جوده وكرمه لاحتواء جوده لجميع الناس ، ويصفه بأنه هو الضياء لأهل الله جميعهم ، وجامع للخير، و أنواراً للهداية ، و أنوار العلماء وصاحب الكشوفات ، فكم له من كشوفات ظاهرة وباطنة وقعت بين الخلائق في السابق واللاحق ، فهو تاج الطريقة ، وسر السالكين بها ، وجابر كسرهم وقاموس العبارات والإشارات ، وحلو الشمائل ، ومتصف بالإحسان ، وبهجة النفس ، ومبدي البشارات .

بعد ذكر تلك الأوصاف الطيبة الكثيرة ، مدحه بأنه رفع منذ القديم منار الدين وانتشرت به الطريقة التجانية بين الأنام ، وبأنه جامع الرسائل ويقصد بذلك أن الشيخ الوالد هو الذي قام بجمع جواهر الرسائل للشيخ إبراهيم نياس الكولخي .

ويصفه بالنوروالضياء الذي منه استضاءت بلاد برنو وخارجها ، وبأنه باني المسجد الأعلى المنارات، ثم قال :

يا شيخ إني لأرجوكم مشافهة ... فقد مددت إلى جدواكراحاتيوأن
الله نسأل أن يحي ضمائرنا ... يسلمنا من كل آفات

---

[1] – برنو : ولاية نيجيرية .
[2] – الصيدليات : جمع صيدلية ، وهي مكان يباشر فيه الصيدلي عمله ويحفظ ما يمتلك من عقاقير وأدوية ونحوها .
[3] – الكشوفات : مصطلح صوفي جمع كشف ، والكشف العلم والاطلاع ومشاهدة الأسرار .
[4] – جبر الكسير : مصلح وكافي المنكسر .

لا علم لا حال بل لا مال يسعفني سوى المحبة من أقوى الدلالات
لله دركم[1] شيخي أبا فتح أرجوكم نظرة لوفي المنامات
هذي القصيدة قدحلت رحابكم وترتجي بكم كل المسرات
عدو صو يحبها من فضلكم كرماً من المحبين هاتيكم لباناتي محمد
نعم وأختم نظمي بالصلاة على المصطفى خير البريات
هذا السلام يليها دائماً أبداً والآل والصحب أرباب العنايات

وهنا يتوسل بشيخه ويرجو مشافهته ويمد إلى جدواه وعطائه أياديه سائلاً الله عز وجل أن يحي ضميره وأن يسلمه من جميع الآفات هو وإخوانه، ويتمسكن إليه بأنه لا علم له ولا حال له بل ولا مال يقضي به حوائجه، بل ليس له سوى محبته في شيخه وهي من أقوى الدلالات و أبرز معاني الصفاء والولاء ، ويدعو له ويرجو منه نظرة يسعد بها ولو كانت هذه النظرة في المنامات ، ويتقرب ويتودد إليه بهذه القصيدة التي قدمها بين يديه يرتجي بها كل المسرات والخيرات والبركات، وأن يعتبر صاحبها من جملة الأحباب وذلك هو غاية المنى .

وختاماً يصلي ويسلم على سيدنا محمد خير البرية وآله وصحبه وأرباب العنايات صلاة وسلاماً دائمين أبداً .

مفهوم العاطفة:

العاطفة في اللغة منعَطَفَ يَعْطِفُ، وعطف بالعين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على الثناء، يقال عطفت الشيء إذا أملته. والوِسادَةَ: ثَناها كعَطَّفَهَا. ومصدره العطوف. وتعطف: بالرحمة[2]تقول: عطفت عليه أي أشفقت عليه، ومنه قول الشاعر:

العاطفون تحين مامن عاطف والمطعمون زمان مامن مطعم[3]

وتأتي الكلمة بمعنى مالَ، تقول مال عليه أي أشْفَقَ كتَعَطَّفَ، كما تأتي بمعنى: حَمَلَ وكَرَّ عليه. وتأتي أيضا بمعنى: الانصراف والحماية، تقول رجل عَطُوف، وعَطَّاف:"يحمي المنهزمين. والعاطفة: الرحم، كما تأتي بمعنى حسن الخلق، تقول رجل عطوف بمعنى حسن الخلق، ومنه قول مزاحم العقيلي، أنشده ابن الأعرابي:

وَجْدي بها وَجْدُ المضِلّ قَلَوصَه بنَخْلَة لم تَعْطِفْ عليه العَوَاطِفُ.[1]

من هنا يدرك أن العاطفة تأتي لمعان عدة منها: الميل والثِّناء، والرحمة والشفقة، والمنحني من الوادي،

[1] – لله درك : يقال هذا لمن يمدح ويتعجب .
[2] إبن فارس مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص: 784
[3] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط/4، دار العلم للملايين، بيروت لبنا، 1990م، ص: 784

والارتداء، وحسن الخلق، والتبختر في المشيء، والحماية والرحم.

أما عند أهل الفن فقد عرفوها بتعريفات كثيرة منها ماقاله الدكتور شوقي ضيف بأنها: "حالة وجدانية يشترك الناس فيها جميعاً فيما يسمونه حزنا أو فرحاً أو خجلاً وما إلى ذلك".[2]

إلا أن الأدب يعبّر عن شعور الأديب بما يحيطه من ظروف الحياةعلى اختلاف أنواعها، في الصور والأساليب التي تؤدي وظيفة اشتراك المستمعين معه، والعاطفة هي اللبنة الأولى للأعمال الأدبية القيمة، ويرى الدكتور أحمد أحمد بدوي أنها:"قواعد الشعر والأسس والينابيع التي ينفجر منها الشعر"[3]وهي عند الأدباء:"الميول النفسية التي تدفع الشاعر للقول إذ الإنسان أخلص ما يكون إذا رفعه شعوره إلى القول، ومتى أخلص الكاتب والشاعر فيما يقول كان أثره أقوى في النفس وأدعى إلى الإعجاب وكان جمال القول أظهر و أبين"،[4] ومعنى ذلك هي تلك الانفعالات التي تبعث النص الأدبي في روح صاحبه. وعرفها الدكتور أحمد الشائب فقال:"إنها تعنى دراسة وبيان المقاييس النقدية".[5]

ومن هذا المذهب يرجّح الباحث أن ما قاله الشاعر في قصيدته إنما قاله لدافع وهو المحبة على شيخه، لذا تتسم القصيدةبصدق عاطفة تنبعث من صميم قلبه خاصة في القصدة التي أختارها الباحث، ذلك بأن الشاعر دائما يمدح الشيوخ العلماء، لأن علاقتهم بالشاعر علاقة دينية علميه اعتقادية، وقد صح أن "العلماء ورثت الأنبياء"[6] والعاطفة التي دفعت الشاعر أبه جده أبوبكر لهذه القصدة هي اظهار ما في نفسه من محبته الصادرة في أعماق قلبه لأن الأدب أداة قوية لنشر القيم الإنسانية العليا على المنهج الإسلامي، إذ "يخاطب العقل والفكرة، ويهذّب العاطفة والقلب، وينمي الشعوروالوجدان."[7]

والعاطفة التي دفعت الشاعر لهذه القصيدة هي الطرب والرغبة، وهي من بواعث المديح والشوق كما يرى ابن رشيق اذ يقول مفصلا القول في العاطفة الشعرية:"...فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون ملاعتزار، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب....." هذاالعاطفة هي ما حرك وجدان الشاعر فاستهل القصيدة قائلا:

مـــولاي أحمـد باب الفتـــوحات لبيـــك لبيـك شيخـي ألف مرات

---

[1] الجوهري، إسماعيل بن حماد،المرجع السابق، ص: 169

[2] شوقي ضيف،الأدب والنقد،مرجع سابق: ص: 12.

[3] - أحمد أحمد بدوي، (دكتور)،أسس النقد العربي عند العرب، مرجع سابق: ص: 504

[4] - أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، الطبعة الأولى، 1391هـ – 1967م، ص: 156

[5] – أحمد الشائب، أصول النقد، مكتبة النهضة المصرية، مرجع سابق، ص: 233.

[6] –البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، بحاشية السندي، الجزء الرابع، دار إحياء الكتب العربية.ص:212

[7] – أغاك، عبدالباقي شعيب، (أ. د.)، الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، ط/4، مكتبة وهبة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2016م – 1437هـ، ص: 74

واللـــه إني لفيكم هائـــم أبـــداً أرجـــو وصالكم فـي كل لحظاتـي

إن كنت منفصـــلاً فالحب متصـــل يضحي ويمسي معي في كل حالات

إن الألفاظ التي استخدمها الشاعر في الابيات تكفي لتدل على انهياج عاطفة قوية من سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع،وذلك في قوله "إن كنت منفلاً فالحب متصل" يقول الشاعر لو كنت بعيداً عنكم سكناء فقلبي مليء بحبكم في جميع الأوقات، لم أنسكم في أي وقت من الأوقات، فنار محبتكم مشتعلة دائماً بين أضلعي، وفؤادي مليء بغرامكم وهكذاً جميع أعضائي لا يسكن فيها سواكم.فكل هذه الالفاظ التي استخدمها الشاعر تكفي لتدل على انهياج عاطفة الشاعر وحبه تجاه ممدوحه،وكل من بلغ هذه الحال من الحب لا بد من انكساركن صبره فتدفعه عاطفة قوية من شعور صادق ليقول مثل ذلك.تصور كيف كانت حال هذا الشاعر في هذ اللحظة؟ أليس هذا كافيا ليشعر الشاعر هذا الشعور ويقول هذا؟.

ومما يؤكد صدق الشاعر الفني ما تجلى في القصيدة من وصف الممدوح بصفات تعرف أنها مما اعتقده الشاعر و اقعيا سواء ذكرها ام لم يذكر،كقوله مثلا عندما يسرد ذكر مز ايا ممدوحه:

شمس المعـارف مفتـاح الوصـول ونبـ راس الحقـائق إكسيـر السعـادات

يا صاحـب الكرم الفيـاض بحرندى أبـو الفتـوحات مرقاة الكمـالات

خليفة المصطفـى مفتح حضـــرته سيـادة شمخت فـوق السيادات

شرع الشاعر يسرد ذكر مز ايا ممدوحهوشيخه في العلم والمعرفة وينادي بأن شيخه شمس في العلم والمعرفة، وهو صاحب كرم وجود فياض، ثم التفت يخاطب شيخه ويقول له: يا صاحب الكرم الفياض بحرندى، تحي كل ما اندرس من العلوم والمعارف وفاقت بفضلك سجاياك حتى علت نجوم الفرقد، فخديمك بين يديك.

فالمتأمل في هذه الابيات يدرك تماما ان الشاعر قد انهمك في امر محبة شيخه انهماكا تاما وخالصا، إستمع إليه يقوله:"سيـادة شمخت فـوق السيادات"،وهذا يعني الخضوع التام والتسليم المطلق لشيخه.

فهذه الابيات تظهر فيها حرارة العاطفة وصدقها عند الشاعر الذي اظهر فيها انه وصلت به المحبة الى حد الفناء في ذات شيخه،وصاحب الذوق السليم يدرك ما لهذه المعاني من قيمة وجمال وتاثير في النفس.

الخاتمة:يتضح مما سبق عرضه أن الباحث تناول في المقالة عرضا سريعا عن العاطفة الشعرية لدى الشاعر أبه جده أبوبكر عبدالله وقام بعرض وتحليل لبعض من قصائده التي مدح بها شيخه الشيخ أحمد أبي الفتح. وقد استحل الباحث بعد المقدمة بالتعريف عن حياة الشاعر و انتاجاته، وقد تجلى في البحث مفهوم العاطفة لغة واصطلاحا مع التلميح الى دورها في الشعر من تصديق وتكذيب،كما تبين أن الشاعر من الشعراء الذين اتسمت قصائدهم بعاطفة صادقة خاصة قصائدهم المادحة، فلا تجرهم عاطفة الحب الى زعم أمور لا يعتقدونها ولا يؤمنون بها، أو لم تصدر من أعماق قلوبهم، لأنها كانت في شخصيات علاقاته بهم علاقات دينية اعتقادية ويعتبر ذلك جزءاً من نشاطاته الدينية يطلب أجورها من الله تعالى. وأخيرا تناول الباحث الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث مادته.

قائمة المصادر والمراجع

1- أبوبكر محمد عثمان (الدكتور)، نخبة من العلماء العرب في غمبورو إنغالا و آثارهم العلمية ما بين 1960- 1991م، (د.ت) ، ص:67.
2- محمد جده محمد 2007 بحث بعنوان: الشيخ عثمان كولومي وإنتاجاته الشعرية، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري لنيل شهادة الليسانس، في اللغة العربية، 2002، ص: 45
3- جده حسن محمد، الشعر الصوفي لشعراء مدينة غمبورو انقالا، بحث تكميلي مقدم لقسم الدين والفلسفة بجامعة جوس، للحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية،2017م، ص: 123
4- ابن ماجه،محمد بن يزيد ابو عبدالله، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر بيروت بدون تاريخ، ج:2، ص: 121
5- شوقي ضيف، الدكتور، في الادب والنقد، طبعة دار المعارف،1999 م
6- شيخو أحمد سعيد غلادنث، "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية / 2 1414هـ 1992، ص: 98
7- نور عتيق بلازي،صور من الخطابة لدى الشيخ إبراهيم الكولخي دراسة أدبية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بقسم اللغة العربية جامعة عثمان الفودي صكتو، 144هـ، 32
8- الجوهري، إسماعيل بن حماد،الصحاح تابع اللغة وصحاح العربية، ط/4، دار العلم للملايين، بيروت لبنا، 1990م، ص: 684.
9- شوقي ضيف،الأدب والنقد، ط/9، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية بدون تاريخ، ص: 122
10- عبدالله عمر زور،فن الرثاء لدى الشيخ جنيد محمد زاريا: دراسة أدبية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، 1440هـ، 212
11- أحمد أحمد بدوي، (دكتور)،أسس النقد العربي عند العرب، ص:123
12- أحمد الشائب، أصول النقد، مكتبة النهضة المصرية، 1994م، ص: 222
13- أبوبكر كبير أمين،عاطفة الصدق والكذب في شعر المدح للمحامي آدم عثمان، نسخة إلكترونية، صدرها: search.com/abu.edu.ngwww.goole،تاريخ دخول الرابط:22-12-2019م.
14- سويد على نائبي، (البروسوفير)، كيف نتذوق الأدب العربي، دار العربية بيروت، 1416هـ-1986م، ص: 87
15- ناصر أحمد صكتو الدكتور، ونور عتيق بلازي،العاطفة الشعرية لدى الشيخ محمد بلازي دراسة ليائية في مدح الشيخ إبراهيم كولخي، مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ميدغري، المجلد الرابع. العدد: الثالث، ديسمبر، 2014م، ص: 12
16- ناصر أحمد صكتو الدكتور، ونور عتيق بلازي، المرجع السابق، ص: 13
17- عبد الكافي عثمان البشير، الكوكب المنير في تاريخ نشات زاوية الشيخ محمد البشير،(د.ت)،مخطوط، ص: 54
18- خالد بن حامد الحازمي، الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنور، العدد (121) السنة (35) 1424هـ ج1، ص 485، 43
19- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة ،بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م، دار الكتب العلمية،بيروت (طبعة 1409هـ، ج6، ص 361
20- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط/4، دار العلم للملايين، بيروت لبنا، 1990م، ص: 784
21- أبو الفرج، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، الطبعة الأولى، 1391هـ – 1967م، ص: 156
22- أحمد الشائب، أصول النقد، مكتبة النهضة المصرية، مرجع سابق، ص: 233.

الإقبال على تعلم اللغة العربية

فرحانة كنجيبي بي بي
الأستاذة المساعدة
كلية روضة العلوم العربية

Abstract : The Arabic language is the language that extends in time for centuries, the longest living language, the book of the miracle of revelation, the language of the Prophet s statement, the intellectual brilliance of knowledge and the Arab-Islamic civilization. The Arabic language is the most ancient and noble language that has appeared in human history and Arabic has the most beautiful writing. It is one of the few ancient languages that have survived, and the Arabic language is the most spoken Semitic language and one of the most widespread languages in the world, and it occupies the fourth or fifth place in terms of the most widespread languages in the world and occupies the third place depending on the number of countries that recognize it as an official language, and the fourth language in terms of the number of users on the Internet. The Arabic language has gained a noticeable increasing acceptance and special attention in India, even in the world such as America, China, Sri Lanka and other countries, due to the understanding of Islam and the Arabs, and in addition to that, providing a high functional opportunity in the commercial field beyond in religious field, even in our time in the field of translation. Many students learned Arabic and Persian not for religious reasons but to use language skills in the growing job market in Arab countries.

الملخص:إن اللغة العربية هي اللغة التي تمتد في الزمان قرونا أطول اللغات الحية عمرا، كتاب معجز التنزيل ولغة البيان النبوي وواء الفكري والمعرفة والحضارة العربية الإسلامية، تعد اللغة العربية أسمى اللغات و أقدمها التي ظهرت في تاريخ البشرية بل هي أسماها على الإطلاق، والعربية أروع لغة خطا وكتابة وعدد جذور[1] ومصطلحات، وحتى أنها من اللغات القديمة القليلة التي بقيت، واللغة العربية هي أكثر اللغات السامية تحدثا وإحدى أكثر اللغات انتشارا في العالم، وتحتل المركز الرابع أو الخامس من حيث اللغات الأكثر انتشارا في العالم وتحتل المركز الثالث تبعا لعدد الدول التي تعترف بها كلغة رسمية[2]، واللغة الرابعة من حيث عدد المستخدمين على الانترنت. ونالت اللغة العربية قبولا حسنا ملحوظا متزايدا واهتماما خاصا في الهند حتى في صعيد العالم أيضا مثل الأمريكا والصين وسريلنكا وغيرها، بسبب فهم الإسلام وعن العرب وإضافة إلى ذلك تزويد الفرصة الوظائفية[3] العالية سواء كانت في المجال التجاري أو المجال الديني حتى في عصرنا في مجال الترجمة، إن كثير من الطلبة تعلموا اللغة العربية والفارسية لا لأسباب دينية بل لاستخدام مهارات اللغة[4] في سوق العمل المتنامية في الدول العربية.

كلمة الافتتاحية: الإقبال – تعلم – اللغة – العربية – الهند – الصين – الامريكا

المدخل :اللغة العربية هي لغة سامية[5] مشتقة عن السوريانية و الآرامية والعبرية والأكادية، وهي لغة العرب سكان شبه الجزيرة العربية ما بين الخليج وبين البحر الأحمر[6]، ومن أكثر لغات العالم تداولا إذ أن عدد متكلميها يربو على ٢٥٠ مليون نسمة. ولها مكانة لدى بقية مسلمي العالم من منتصف القرن العشرين لعبت عدد من الدول العربية دورا هاما في العلاقات الدولية. ونتيجة لذلك أصبحت العربية لغة رئيسية في قطاع الأعمال والسياسة. اعتمدت العربية كإحدى لغات منظمة الأمم المتحدة[7] الرسمية. إن اللغة العربية هي أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق. ولقد خص الله تعالى اللغة العربية من بين لغات العالم بميزات نظرا ببلاغتها وروعتها وجمالها. و أنزل فيها كتابه الذي يعد معجزة أدبية على ظهر الأرض. إن القوة السحرية الهائلة إلى تملكها هذه اللغة جعلها من أغنى لغات العالم، اللغة العربية من أرقى لغات العالم الحية ولها خصائص دينية وعلمية وفنية، لا تنكر منصب اللغة العربية في الحياة المعاصرة ومكانتها المرموقة بين اللغات الشقيقات الحية وقد أنجبت آلافا من الشعراء والحكماء والأدباء والعلماء والمفكرين وأصحاب النهضة منذ قديم الزمان . إمتازت العربية بخصائص وميزات فصلتها على غيرها وخلدتها خلود الزمن ونزل بها القرآن الكريم[8]، معجزة الإسلام الكبرى. اللغة العربية تمتاز بخصائص ومزايا كثيرة دون غيرها من اللغات. هنا نتحدث عن بعض الخصائص، ومن أبرزها:

قدم العربية

من أهم مميزات اللغة العربية اليوم قدمها. فهي تكاد تكون أقدم لغة الحية[9] مستعملة اليوم لأن نصوصها المكسوبة تعود إلى أكثر من 15 قرنا خلت بينها لا تزيد غير الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على سبعة أو ثمانية قرون.

الاشتقاق

الاشتقاق[10] من أغرب كلام العرب . ومن أبرز سمات وخصائص هذه اللغة وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدوا عن رسول الله صلعم كما جاء في مسند الإمام أحمد قول الله "أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي"[11] فالاشتقاق من أبرز مزايا اللغة العربية في طريقة إتسعت لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب كما أنه أتاح لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة .

مزية المترادفات

ومن المترادفات ألفاظ تبدو فيها خصوصية لغوية رائعة هي إظهار ألوان المعاني وطلالها وهي ميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية وتعد من خصائصها التي تتجلي في ألفاظها مترادفة وتظهر تلك الميزة في كثير من الألفاظ الدالة على الشيء منظورا إليه في مختلف درجاته وأحواله ومتفاوت صورة وألوانه.

المعاني الكثيرة للفظ واحد[12]

ومن خصائص العربية أيضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة. ومن ألفاظها نيف ومئتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان ونيف مائة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ومثلها التى تدل على خمس معان.

سهولة القراءة والكتابة

ومن خصائص العربية أيضا أنها لغة سهلة كتابة وقراءة فهي تقرأ كما تكتب وتكتب كما تملى إلا بعض القواعد القليلة التي لا تحتفل بها عند المقارنة بخلاف اللغات الأخرى كالإنجيلزية والفرنسية والألمانية

اللغة العربية لغة خالدة[13]

تكتفي العربية خلودها وبقائها إلى قيام الساعة و ذلك لكونها لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه وتخليده "إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون"[14]. أمير الشعراء أحمد شوقي يتحدث عن اختيار الله سبحانه وتعالى" اللغة العربية وعاء لوحيه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"

حكاية الأصوات[15]

ومن خصائص اللغة العربية أن لألفاظها وقعا على الأذن له تأثير موسيقي يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيرا خاصا سواء كان نظما أو نثرا.

أهمية تعلم اللغة العربية

كل فرد يولد في مجتمع له لغته وفنونه وتراثه، والإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي يسعى دائما للتواصل مع أبناء قومه ومجتمعه، واللغة[16] أهم وسيلة للتواصل بين أفراد المجتمع، والله - سبحانه وتعالى - أودع في الإنسان القدر على تعلم اللغة لأنها من أهم عوامل مقومات حياته في مجتمعه؛ لأنه بحاجة دائمة إلى أفراد ذلك المجتمع لمساعدته والتعايش والتفاعل معهم، فاللغة تفرض عليه فرضا. وتكمن أهميتها في النواحي التالية:

الناحية الدينية

نزل القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة، قال تعالى: "آلر تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآنا عربيا، لعلكم تعقلون"[17]

فأصبحت هذه اللغة عاملا رئيسا في استمرار قراءة آيات هذا الكتاب المجيد، وفهم نصوصه. وهي لغة الحديث الشريف الذي يتضمن نصوصا من أقوال الرسول - ﷺ – ويشتمل على آثار من كلام أصحابه رضوان الله عليهم.

وبهذه اللغة صنفت كتب التفسير التي تشرح آيات الذكر الحكيم، وتبين مظاهر المعجزة البيانية القرآنية، وبها أيضا ألفت كتب الفقه التي فصلت جوانب الشريعة الإسلامية، وبينت أحكامها الدينية والدنيوية.

الناحية اللغوية

العربية هي إحدى اللغات الإنسانية القديمة التي مازالت حية - بفضل الله تعالى - وهذا مكسب عظيم للثقافة الإنسانية والتاريخ البشري بشكل عام، ولحقل الساميات بشكل خاص، لأنها ساعدت على إجراء الدراسات والقيام بالمقارنات اللغوية التي استثمرت في قراءات نقوش اللغات السامية ونصوصها القديمة وفك رموزها وشرح معانيها ووضع معاجمها، كما استفاد منها علماء التاريخ والحضارة.

الناحية الأدبية والثقافية

العربية هي اللغة الرسمية والأدبية المستعملة في المحافل العامة وحلقات الدرس ووسائل الإعلام التي مكنت متكلميها من قراءة نصوص قديمة قد يعود بعضها إلى القرن السادس الميلادي، وهذا الامتداد التاريخي حفظ لنا تراثا ثقافيا ضخما يتمثل في قصائد الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، بجانب رصيد من المأثورات النثرية المتمثلة في خطب وأمثال وحكم وقصص ومقامات وروائع أدبية ترجمت من الهندية والفارسية مثل كليلة ودمنة[18] ولما تتمتع به العربية من رصيد ثقافي ضخم ومكانة علمية في العالم العربي، بجانب مكانتها الثقافية والدينية في العالمي العربي والإسلامي، اعتمدت واحدة من اللغات الست العالمية[19] المستعملة رسميا في هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة الوحدة الأفريقية. كما نجد مئات الجامعات العالمية المعروفة في أمريكا وأوروبا تنشئ أقساما متخصصة تعنى بتدريسها والتعريف بأدابها وتراثها.

الناحية القومية

العربية هي أقوى الروابط القومية بين الشعوب العربية إنها أقوى من روابط الدم، وأوثق متانة من العلاقات الاقتصادية، والتاريخية، بها تتوطد العلاقات الثقافية والإعلامية، وتتقوى الروابط القومية. فالمحيط العربي الثقافي الواسع الممتد من المحيط إلى الخليج شاملا يسكنها ما يقارب (٣٠٠) مليون نسمة، وبه مئات الصحف والإذاعات والتلفازات والجامعات التي تستخدم كلها لغة واحدة.

يقول حافظ إبراهيم[20] في هذه اللغة الغنية بألفاظها المجيدة بتاريخها :

أنا البحر في أحشائه الدركامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي[21]

فرص الوظائف لطلاب اللغة العربية الآن

- ❖ فرص تدريس اللغة من المدارس الابتدائية إلى التعليم الجامعي وسوف يبقى اتجاه تدريس القرآن في كل عصر ومصر.

- فرص البحث والتحقيق. توجد في الهند حوالي مائة وخمسين ألف مخطوطة بما فيها أربعون بالمئة باللغة العربية يرجع بعضها إلى القرن الأول الهجري، وفي بعض الهيئات العلمية يوجد ما بين ثمانية آلآف إلى حوالى اثني عشر ألف مخطوط عربي نحتاج إلى مساعدة لإنقاذها وفهرستها وتصويرها.
- فرص العمل في مجالس الترجمة. قد سمعت بعض المثقفين يقولون أن الترجمة قليلة الأهمية لدى الاكاديميين. ربما لا يعرف هؤلاء المثقفين أن الترجمة لها أهمية قصوى في التبادل الثقافي. يعتقد أنه ممكن إحداث ثورة علمية وفكرية عن طريق الترجمة كما حصل في الماضي، ويشهده تاريخ بيت الحكمة. الآن مرة أخرى يحتاج العالم العربي إلى ترجمة الكتب المؤلفة في جميع فروع العلم والمعرفة والثقافة. إن دور الترجمة يتوقف على المترجم نفسه. هل هو يترجم وثائق عادية مثل شهادة الميلاد والوفاة وشهادة عقد الزواج ام يترجم أي كتاب مملوء بإبداع فكري أو فلسفة أو معرفة جديدة ذات اهمية قصوى للبشرية.
- فرص العمل في السفارات[22] بصفة مترجم أو محلل أو سكرتير.
- السياسة الطبية. قد برزت الهند الآن كبلد مناسل للعلاج للأجانب، وذلك بسبب كونها أرخص. فهناك فرق كبير جدا بين تكاليف العلاج في البلدان الأوربية و أمريكا وبين الهند. فيعمل الآن أكثر من ٢٠٠ طالب متخرج من الجامعة الملية الاسلامية مترجمين في معظم المستشفيات الكبيرة الو اقعة في دلهي .
- يعمل العديد من الشبان في قسم المر اقبة المركزي التابع لوزارة الداخلية مترجمين الأنباء من القنوات العربية إلى الإنكليزية.
- بعض الشبان يعملون في القسم العربي بإذاعة عموم الهند الخارجية في نيو دلهي.
- يعمل كثير من الشبان في العديد من مراكز المكالمات الهاتفية الخاصة بأعمال الهاتفي بالزبائن[23] أو المترجم الاستمارات من الانواع المختلفة.
- يعمل عدد ملحوظ من الطلبة في مكاتب ترجمة التأشيرات، والوثائق الأخرى بما فيها كشوفات الدرجات و إفادات التخرج أو شهادات الخبرة ووثائق الشركات
- والاعلانات وشهادات عقد القرن والطلاق وشهادات الميلاد الوفاة وحصر الإرث والتوكيل الشرعي والإقرار باليمين والتقارير الطبية.

أغراض دراسة اللغة العربية

وفي عالم يتعرض لتغيرات ثورية في جميع المجالات كل يوم بل لحظة لم تعد الأهداف القديمة وراء تدفق الطلاب إلى الطلاب إلى مجال دراسات اللغات وعلى المعلمين والباحثين ومصممين المناهج الدراسية أن يدركوا

الاتجاهات الحديثة والرغبات الجديدة عند طلاب اللغات الأجنبية . لأن الأهتياجات أو الأهداف وراء دراسة لغة خاصة هي العنصر الأساسي في اختيار. الطرق والوسائل التي تتم بواسطتها دراسة تلك اللغة وتدريسها . على سبيل المثال أهداف طالب إنجليزي يدرس اللغة العربية تختلف تماما عن أهداف عربي يدرس اللغة الإنجليزية، كما تختلف عن أهداف طالب هندي يدرس اللغة العربية في مدرسة إسلامية ، إن أهداف الطلاب في دراسة اللغة هي التي تعين طرق تدريسها وهي التي تضبط المنطلقات التي يكون التركيز عليها في عمليات التدريس. من الدو افع مهم إلى دراسة لغة ثانية أو أجنبية الأعراض الدينية والثقافية والاقتصادية والمحلية والاتصالية والتربوية. وفيما يلي تحليل لهذه الدو افع والأهداف المهمة وراء دراسة اللغات الأجنبية مع ملاحظات خاصة بالنسبة إلى دراسة اللغة العربية كاللغة الأجنبية .

1. المفتاح إلى الثقافة والآداب
2. الدو افع الدينية
3. الأهداف الاتصالية
4. كوسيلة إلى العلوم الأخرى
5. الأهداف المهنية

تمكنت اللغة الإنجليزية من فرض نفسها على العديد من البلدان حول العالم، وهذا سبب رئيسي لقبول الناس للوظائف لأن جزءًا كبيرًا من المعاملات يتم باللغة الإنجليزية، ومع ذلك، لا تزال اللغة العربية تحتل مكانة عالية في الأمور الدلالة.

تواصل مع ملايين الأشخاص حول العالم

اللغة العربية هي واحدة من أكثر اللغات انتشارًا، والتي قد لا يعرفها بعض العرب. هناك العديد من المواطنين في الدول الأوروبية يرغبون في تعلم اللغة العربية، وحتى الآن أكثر من 422 مليون شخص يتحدثونها. الدول، لذلك فهي لغة عالمية لا تقتصر على العالم العربي. نظرًا لأهميتها، تعد اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة - وفقًا لموقع الأمم المتحدة على الإنترنت. الحصول على وظيفة مربحة اللغة العربية هي لغة مفيدة في سوق العمل ويزداد الطلب عليها عبر الإنترنت حيث يطلب الكثير من الناس دراسة اللغة العربية بكافة قواعدها، وهي مصدر ربح جيد ومناسب. يجب على كل من يمتلك لغة عربية جيدة من حيث الكتابة والنطق أن يقوم بتدريس الدروس للطلاب عبر الإنترنت.

هناك أيضًا جامعات في الدول الغربية تحاول تدريس اللغة العربية أكثر من أي وقت مضى، والدليل الأكبر هو أن عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية في المدارس الفرنسية والصينية والأمريكية ارتفع إلى 9000 طالب ،

ولا يزال عددهم في تزايد.[24]

تعلم الإسلام

اللغة العربية هي لغة الإسلام ولغة القرآن ، لذلك يتعلمها المسلمون حول العالم حتى خارج الدول العربية، وتزايدت الحاجة إليها بعد انتشار جرائم الكراهية في بعض الدول الأوروبية. نتأكد من أن الإسلام لا يحرض المسلمين على ارتكاب الجرائم، بل يأمرهم بنشر المحبة و ابتسامه.

يزيد الثقافة العربية

غني اللغة العربية بالأدب والشعر الكلاسيكي ومجالات الأدبية، وهناك الكثير من الأجانب الذين يسعون لتعلم اللغة العربية من أجل تعزيز ثقافتهم وعاداتهم بواسطة حيلتهم كما كانت الأدب سجل حياتهم

. الاستمتاع بالسفروتكوين صداقات

من أكثر الوجهات السياحية جاذبية في الوطن العربي، وخاصة الأهرامات، تشجع السائحين على تعلم بضع كلمات من اللغة العربية لرغبتهم في التواصل مع المصريين أثناء الإجازات، فضلاً عن السماح للغة العربية بالتنقل بينهم. قم بالتسويق بشكل مستقل والتحدث إلى البائعين بسلاسة، مما يتيح لهم الاستمتاع بمزيد من الوقت.

إقبال متزايد على تعلم اللغة العربية في الهند

تحظى دروس اللغة العربية بإقبال كبير من حاسب مواطني الهند، الذين يحرصون على تعلمها لأسباب مهنية ودينية، متخلين عن شغفهم بتعلم اللغات الأخرى كالفرنسية

والألمانية.

يقول سيد إظهار الدين، الذي يعمل في تجارة الملابس في منطقة الشرق الأوسط "المعرفة باللغة العربية تساعدني في التعامل بفاعلية مع شركاء التجارة والفوز بعقود مربحة" وقال "على الرغم من أنني مسلم متدين، فإنني أعرف القرآن الكريم باللغة الهندية فقط.. وعندما وصلت للعمل في دول الخليج شعرت بحرج شديد للغاية لأنني مسلم والجميع هناك كانوا يعتقدون أنني أجيد قراءة آيات القرآن الكريم باللغة العربية، وأحسست بخجل لكوني جاهلا بها.. لذلك تعهدت أن أتعلم اللغة العربية. والتحقت بالدروس المسائية في كلية ذاكر حسين في دلهي، والآن أستطيع أن أقول بفخر إنني أستطيع قراءة اللغة العربية والحديث بها؛ رغم كوني أتحدث بلهجة هندية."

ورغم الاعتقاد الشائع بأن تعليم باللغة العربية في الهند حكر على المدارس الدينية، فإن اللغة العربية يتم تدريسها لأسباب دينية، وعدد قليل جدا من المدارس الدينية هي التي تخرج علماء في اللغة. ويقول الدكتور شافي الشيخ،[25] "تقوم المدارس الدينية في الأغلب على تعليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم. والجامعات

العلمانية (غير المتخصصة في العلوم الدينية) هي التي تخرج باحثين في اللغة العربية". ويتم تدريس اللغة العربية وآدابها في العشرات من الجامعات الحديثة ومئات الكليات الحكومية والخاصة في جميع أنحاء الهند. وتحتل جامعات مثل الجامعة الملية الإسلامية وجامعة باناراس هندو وعليكرة مسلم والجامعة العثمانية وجامعة مدراس الصدارة كأكثر المراكز نشاطا وموثوقية في تعليم اللغة العربية الحديثة في الهند, وتقدم جامعة انديرا غاندي المفتوحة دورات في تعليم اللغة العربية فضلا عن ذلك تأتي جامعة دلهي وجامعة بركة الله ضمن الجامعات التي تقدم شهادات جامعية وبعد جامعية في العربية.

وتقوم وزارة الدفاع الهندية أيضا بتعليم اللغة العربية في مدرستها الخاصة باللغات الأجنبية. وتقول الدكتورة فرحاسة صديقي، التي تدرس اللغة العربية في مدرسة وزارة الدفاع، إن "اللغة العربية إحدى أكثر المواد إقبالا بين العسكريين". كما تجذب دروس اللغة العربية الكثير من غير المسلمين أيضا.

إن الكثير من الطلبة في السنوات الأخيرة تعلموا اللغات العربية والفارسية لا لأسباب دينية بل لاستخدام مهارات اللغة في سوق العمل المتنامية في الدول العربية من ناحية أخرى، أسهم انتشار السياحة العلاجية في نشأة صناعة كاملة هي شركات الخدمات، حيث تقوم بعض المستشفيات بتقديم مجموعة كاملة من الخدمات بذاتها، في حين تتعاقد أخرى مع وكالات السفر والمترجمين الفوريين.

وتقول بريا غويال، منسقة طبية بمجموعة مستشفيات فرونتير لايف لاين أحيانا ما يطلب المرضى القادمون من الدول الأفريقية أو الشرق الأوسط خدمات الترجمة وقد استعان المستشفى بشركات خدمات متخصصة لهذه المناطق، قادرة على التعامل مع كل المراسلات باللغة التي يفضلها المريض. كما قام أيضا باستخدام طهاة متخصصين لهذه المناطق حتى يتمكن المرضي من التمائل للشفاء متناولين أطباقهم المعتادة.

الإقبال على تعلم اللغة العربية في أمريكا

ان الولايات المتحدة الأمريكية تشتمل على خمسين ولاية و منطقة الفيدرالية العاصمة الإتحادية أو المنطقة الفيدرالة. و كما نعرف أن اللغة الوطنية يرجع فضلها إلى اللغة الإنجليزية بحكم و اقع. برغم ليس هناك لغة رسمية على مستوى الاتحادي تطلب بعض القوانين مثل متطلبات التجنيس و يتحدث حوالى ١٢ منهم إسبانية كما يستخدم قليل منهم لغتي الفرنسية و هاواي. و من العجب أن وزارة التربية الأمريكية لا تزال تعتني بتدريس اللغة العربية في مدارسها برغم أن لهذه اللغة ليست مكانة معروفة لدى أهاليها. و انها لغة رسمية في احدى ولاياتها. ولم تكن هذه اللغة جزءا في المقررات الدراسية و المناهج التدريسية بل بم أصبحت الوزارة التربية في مسيس الأمريكا (Naturalization Requirements) على اتقان اللغة الإنجليزية. و يتكلم حوالى ٨٠% من سكانها اللغة الإنجليزية. الحاجة، واهتمت الوزارة بتدريسها في مدارس الولاية المتحدة ؟ تعجبنا الخبر التي وردت في

جريدة "الحياة" المؤرخة 10 فبر اير ٢٠١١. هذا كما يلي:

"وزارة التربية تعتبر العربية لغة المستقبل و يلزم مدرسة بتدريسها" أعرب آباء و أمهات و طالبات ثانوية من مانسفيلد في ولاية أوهايو عن قلقهم حيال قرار المدرسة لإلزام أبنائهم وبناتهم دراسة اللغة العربية ثقافية العربية في الفترة المقبلة، باعتبار ذلك جزءا من محة مؤلتها الحكومة الإتحادية الامريكية التي ترى أن العربية هي إحدى لغات المستقبل.

وكانت وزارة التربية الفيدرالية أعطت محة إلى ثانوية مانسفيلد في الصيف الماضي تبلغ قيمها ١٠٣ مليون دولاريتم إنفاقها على مدى خمس سنوات. و تكون بموجبها دروس اللغلة العربية إجبارية في مرحلتي الإبتداعية والمتوسطة فيما تصبح اختيارية بالنسبة إلى طلبة المرحلة الثانوية. و يقول الآباء و الأمهات الر افضون إنهم أبلغوا بالقرار متأخرا و قال بعضهم إنهم يخشون أن يتضمن منهج اللغة العربية دروسا في الإسلام بيد أن إدارة المدرسة شددت على أن المنهج يقتصر على اللغة العربية و ثقافتها. وهو أشبه بمنهج تعليم اللغة الاسبانية الذي تعتمده مدارس المنطقة. و قال الأباء و أمهات يحدرون من جذور عربية إنهم سعداء لأن أولادهم سيتعلمون لغة أجدادهم. و أضافوا أنهم يأملون بأن تؤدي هذه المنحة إلى محو الانماط التي رسمها المجتمع والاعلام الأمريكان لشخصية الإنسان العربي.

وقد خصصت وزارة التعليم الأمريكا ٥٢ مليون دولارا هذا العام لتدريس اللغات الأجنبية الهامة, و على رأسها اللغة العربية كما اعتمدت الوزارة ٢٩ مليون دولارا للبده برامج شراكة مع المناطق التعليمية و الجامعات لتصميم برامج تعليم اللغات الهامة. و منها العربية وتوفير ما لا يقل عن ألف معلم قادرين على تعلم اللغات فى المدارس الأمريكية.

وزاد عدد الطلاب الأمريكين الذين سافروا لدراسة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة, هذا العام على خمس مائة طالب. و كذلك تير الخارجية الأمريكية استفاضة معلمين من الدول العربية لمدة عام دراسي كامل لتدريس اللغة العربية لطلاب الأمريكيين.

ارتفاع نسبة الدارسين للغة العربية في امريكا 93% أشارت دراسة لجمعية دراسة اللغات المعاصرة في الولاية المتحدة إلى أن نسبة الدارسين للغة العربية بلغت ٩٣%. و يعد هذا أعلى ارتفاع يشهده تدريس لغة أجنبية في الولاية المتحدة وذكر راديوا "سوا من موقعه الانترنت أن الدراسة اوضحت دو افع ولاية التعلم العربية في المتحدة. بأنها تتباين ما بين تأمين الحصول على وظيفة جيدة في الجيش أو الوزارة الخارجية إلى مجرد رغبة في دراسة القرآن و الثقافة العربية .

في الصين

يرجع تاريخ التبادل والاتصال بين الأمة الصينية والأمة العربية إلى زمن بعيد، وقد دخلت اللغة العربية إلى الصين مع دخول العرب إليها. إن هذه اللغة اول لغة تعلم في تاريخ الصين في البداية منذ زمن طويل في البداية كان

تعليم اللغة العربية في المساجد فقط ولكن في عام 1946 بعد عودة الأستاذ محمد مكين من جامعة الأزهر فأنشيء قسم اللغة العربية في الجامعات الصينية وهي جامعة "بكين"[26]، فأصبح تعليم العربية منهجا وطنيا تعليميا في الصين، أما الآن فأكثر من 40 جامعة تدرس فيها اللغة العربية كل سنة نقبل أكثر من 2000 طالب يدرسوا في الجامعات ليست الجامعة الوسيلة الوحيدة لتعليم العربية ما زال هناك المهاهد الخاصة منتشرة في أنحاء الصين هم يريدون معرفة هذه الأرض، الأرض العربية دولة ساخرة بالنسبة إلى الشباب الصينيين ، أما الآن وخاصة بعد طرح مبادرة الحزام والطريق، كان الرئيس شيء جين بيينغ طلب منا أن نفهم ونغزز العلاقات، السبب الكثير من الشباب والكثير من الجامعات تدرس فيها اللغة العربية .

الحث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام على طلب العلم ولو في الصين. نجد الصين حكومةً وشعباً أقرب ما يكون الى المسلمين والعرب (الشرق الاوسط و افريقيا) من حيث العادات والتقاليد إضافةً إلى ذلك نجد الصينيون شعب مسالم ليس به نزعة عنصرية ولا يبطن ولا يحقد على بقية الشعوب، إذ نحن في السودان أصحاب تجربة واسعة وعريقة وعتيقة مع الصينين وهم شعب عمل وكد دوؤبين ويعمل للمستقبل العبيد. اصبح الاقتصاد الصيني قوي عالميا و اقليميا ويتصف بسرعة النمو والأرباح والعائدات العالية لذا يجب على الشرق أوسطيين التوجه إلى الاقتصاد الصيني وتعلم اللغة الصينة لفقة معاملات الاقتصاد والتجارة العالمية ونأمن شرهم ومكرهم أن وجد.

إن إقبال الصينيون على تغلم اللغة العربية شيء مفيد ورائع للصنيين فهي سوف تفيدهم في تعاملاتهم التجارية مع الدول العربية وستعود على الصنيين بعائد إقتصادي ممتازولاسيما أذا أستخدمة المصانع الصنيية اللغة العربية على منتجاتها التي تصدرها الى الدول العربية ويحبذا لوكتبت على منتجاتها مكونات السلع التجارية التي تصدر الى البلدان العربية في اللغة العربية فهذا سيشجع المواطنيين العرب على شراء السلع الصينية.وشهدت الصين والدول العربية زيادة متصاعدة في الحجم التجاري الثنائي وتوسيع نطاق التعاون بدلا من التبادلات التجارية في مجال البترول والغازوحده في السنوات الأخيرة، تشهد الجامعات والمعاهد الصينية التي تدرس اللغة العربية اقبالا ملحوظا ومتزايدا واهتماما خاصا من الصينيين خاصة الشباب منهم لتعلم اللغة العربية وآدابها واجادة الحديث بهاوقال اكاديميون وطلبة التقتهم وكالة الانباء الاردنية (بترا) في بكين، أن هناك تزايدا ملحوظا لدى الطلبة الصينيين لتعلم اللغة العربية، إضافة الى تراايد عدد الجامعات والمعاهد التي تدرس هذه اللغة، وعزوا الاقبال على تعلم العربية لعدة أسباب منها أنها توفر فرص عمل خاصة مع وجود جالية اسلامية كبيرة في الصين ترغب بتعلم لغة القرآن الكريم والعمل بها . وأشار عميد كلية اللغة العربية في جامعة الدراسات الاجنبية في بكين شي شونغ وو، الي وجود أكثر من 45 جامعة في الصين تدرس اللغة العربية

، اضافة الى وجود عدد كبير من الطلبة يتعلمون اللغة العربية خارج اسوار الجامعات في مدارس تابعة للمساجد او في مراكز تابعة للجامعات ، لافتا الى ان اعداد هؤلاء الطلبة الذي يتعلمون العربية خارج اسوار الجامعات أكثر بكثير من الطلبة الذين يدرسون في الجامعات . فقد نشرت مؤخرا في المجلات العربية أن المسلمين في الصين يجدون شواعر الوظائف بتعلمهم اللغة العربية . وان اصحاب الشركات وعملاء التجارة في الصين يحتاجو إلى الأشخاص الذين يعرفون اللغة العربية لكي يقون دور الترجمة التعريب في مجال التجارة والصناعة وبزيادة فرص الوظائف اللغة العربية في شتي نواحي العالم، نرى ان كثير من غير المسلمين يقبلون لتعلم هذه اللغة، وما من دولة في العالم وتقدم بعض الطلاب من غير المسلمين لتعلم العربية مستهدفين الوظائف بتعلمها، سواء أكانو من الطلاب المدارس والكليات أو الجامعات فضلا كما تمنع غير الاسلامية التسهيلات في معاهد الحكومية لتعليم اللغة العربية في حسابها لكي تجير المشكلات في المراسلة والاتصالات في العلاقات الدبلوماسية وتهتم الحكومة الصينية بتطوير علاقاتها مع الدول العربية وخاصة بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949م. فقد أنشأت الحكومة تخصص اللغة العربية في بعض الجامعات الصينية على التوالي مما جعل تعليم اللغة العربية في الصين نظاميا وقياسيا أكثر

1. تعليم اللغة العربية في المساجد.

مع انتشار الإسلام وزيادة عدد المسلمين في الصين ،بدأ من التعلم اللغة العربية في زمن جينيغ لاسرة مينغ على يد السيد خو دنغ العالم والمعلم المسلم من قومية هوي ب ، تم تدريس اللغة العربية في المساجد. بعد أن رحب بالطلاب في منزله وقام بتدريس العلوم العربية والإسلامية مجانًا ، ثم انتقل إلى المسجد.وكان التعليم في المساجد بازدهارة يشمل النظم الإبتدائية والعالية ،حيث المساجد في الدول العربيةتقوم بدور المدارس .

2. تعليم اللغة العربية في المدارس.

عرف المسلمون الصينيون تدريجيا الجوانب السلبية للتعليم في المساجد، وبدءوا بإنشاء مدارس حديثة، وهي المدارس التي تدرس فيها اللغتان الصينية والعربية وهي تقبل أولاد المسلمين رئيسيا وتدرس المواد الثقافية الصينية والعربية في وقت واحد.

3. تعليم اللغة العربية في الجامعات.

وتعتبر جامعة بكين أول جامعة صينية أنشئ فيها تخصص اللغة العربية. وترمي المقررات في تخصص اللغة العربية في الجامعات والمعاهد العالية بالصين إلى تدريب الطلبة لاستيعاب المهارات الأساسية الخمس: الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة والترجمة، وإعطائهم المعارف العربية والإسلامية

الضرورية، منها موجز تاريخ الأدب العربي ومختارات أعمال الأدب العربي، وقواعد اللغة العربية، وعلم اللغة العربية، وعلم المفردات العربية، والبلاغة العربية، وتاريخ العرب، ومقتطفات من "القرآن الكريم" و"الحديث الشريف"، وموجز أحوال الدول العربية، والسياسة والدبلوماسية العربية، والاقتصاد والتجارة في العالم العربي، والثقافة والحضارة العربية الإسلامية.

وأخرجت هذه المدارس عددا من رواد اللغة العربية في الصين، أمثال عبدالرحمن ناجون ومحمد مكين اللذين سافرا إلى جامعة الأزهر لمواصلة دراستهما بعد تخرجهما في المدارس الثانوية الإسلامية، ثم عادا إلى الصين لنشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في جامعاتها.

تعلم اللغة العربية يشهد إقبالا متزايدا في الصين مع توسيع التبادلات التجارية الصينية_ العربية،وقال ما شاو وو رئيس معهد القوميات بلينشيا وهو مدرسة اخرى لتدريب المهني في اللغة العربية بالولاية"يتيح لنا تعمق التبادلات التجارية الصينية العربية فرصة ساحنة لتطوير التدريب في مجال اللغة العربيك ،ونعتقد أن المستقبل المشرق لتوظيف الاكفاء المتخصصين يلوح في الأفق"

وبالجمل تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات الأجنبية التي تم تدريسها في الصين ولعبت دورا محوريا في تعزيز التبادلات بين الصين والدول العربية في مختلف مجالات سياسيا و إقتصاديا وإجتماعيا، وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، حق تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية تطورا باهرا في ظل التوجيه التعليمي المستير، ونجح في اعداد دفعات من أكفاء متميزمن ساهموا ويساهمون في تطوير العلاقات بين المدن والبلدان العربية

إن تعليم اللغة العربية في الصين شأنه شأن تطور العلاقات العربية الصينية الممتدة، حيث يتحلى بتاريخه الطويل، وتجاربه الثمينة ونشاطاته العملية الثرية، ويستحق منا الدراسة والتلخيص الجادين. إن تعليم اللغة العربية في الصين هو رابط مهم للتواصل الوادي من الشعب الصيني والعربي ، ويمثل جزءا مهما من العلاقات الصينية العربية ،ويبرهن مسار تطوره على انه مكون مهم من مكونات تعليم اللغات الأجنبية في الصين الذي يشهد تطورا مستداما. ويرتبط ارتباطا وثيقا بتقدم وإزدهار البلاد.

في السريلنكا

تلعب البرامج التعلم في المدارس والجامعات السريلانكية دورًا مهمًا في التطوير التعليمي للطلاب والمجتمع بناءً على استخدام الأساليب التعليمية والتكنولوجية الحديثة في عملية التدريس. وفي سريلنكا يتم تدريس اللغة العربية في 15 من جامعات الحكومية و 250 مدرسة الدينية مثل جامعة كولومبو وجامعة فارادانيا وجامعة الشرق وجامعة جنوب الشرق. إن اللغة العربية لم تتطور إلى أن تصدر مجلة ما أو جريدة ما أو أقل على مدى الأربعين عامًا الماضية في تاريخ الجامعات والمدارس الدينية السريلانكية ، لأن و اقع تدريس اللغة العربية في هذه

الجامعات والمدارس ، مازال يعتمد على المحاضرة والتلقين والشرح النظري والأسئلة الشفهية وبعض العروض العلمية ، من حيث نسميها الطريقة التقليدية ، بينما اللغات الأخرى تدرس باستخدام وسائل التعليمية الحديثة والتقنيات ، عن طريق مناهج التدريسية المختلفة ، وأما الطريقة التقليدية كما أشار إليها التربويون فأنها لا تساعد الطلاب على حصولهم على تنمية التحصيل الدراسي والاتجاه نحو مادة اللغة العربية استطاع التجار العرب نشر الإسلام بشكل عام في آسيا و أفريقيا لم تكن مهنتهم الأساسية هي الدين أو تعليم اللغة العربية. لأنهم كانوا أهدافا للتجار العرب تجاري بشكل أساسي ، ومع ذلك كان لديهم أخلاق جيدة وصفقات جيدة ، مما أدى إلى الاهتمام سكان البلاد التي ذهبوا إليها بأخلاقهم ودينهم ولغتهم ومر اقبة نجاحهم. التجار الأجانب ، وبالتالي شعوب البلدان ربطوا نجاح التجارة بالأخلاق والدين الذي تبناه. هؤلاء هم كبار التجار العرب. بمساعدة هؤلاء التجار العرب، بدأت شعوب الدول في بناء معاقل خلاوي ومدارس لتعليم اللغة العربية الإسلامية للأطفال ويخلقون يتم تدريس اللغة العربية الآن في الجامعات السريلانكية والمدارس العربية المؤسسات الإسلامية والعربية التي تطالب بأن تمر اللغة العربية بعدة مراحل من التعليم حتى نصل إلى مرحلة النضج التي نلمسها في عصرنا الحاضر. لم يجد الباحث أي دليل إنه قوي ، لكن من المؤكد أن علماء سريلانكيين سابقين حاولوا ذلك والتطلعات العظيمة والنبيلة لنشر هذه اللغة في جميع أنحاء الجزيرة منذ دخول الإسلام إلى يومنا هذا، تشارك جزيرة سريلانكا أيضًا تاريخ انتشار اللغة العربية في بلدان أخرى حول العالم وفيه يلخص الطالب مراحل انتشار اللغة العربية في سريلانكا والتي يعتبر الإسلام بموجبها طريق السلام.

كما يلي:

- ❖ المرحلة الأولى: هي مرحلة تعليم اللغة العربية عن طريق تعليم الألفاظ العربية المستخدمة في العبادات والأذكار. والهدف من تعليم اللغة في هذه المرحلة فهم التعاليم الدينية حيث يستطيع المسلم أن يقرأ النصوص الدينية من القرآن والحديث والأذكار في الصلوات وغيرها مع الفهم.
- ❖ المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي يتم فيها تدريس اللغة العربية من خلال شرح النصوص العربية لقد قمت بترجمتها شفهياً من فقيه في دو ائر دراسية في المساجد والكنائس والمصليات.
- ❖ المرحلة الثالثة: هي مرحلة نهضة تعليم اللغة العربية كمادة اختصاصية في المعاهد العربية، والمدارس الحكومية، والمدارس العربية الإسلامية، والجامعات السريلانكية.

روسيا تعتمد على تعليم اللغة العربية

يوجد حاليا اللغة العربية في روسيا إقبالا كبيرا على دراساتها إما نتيجة حب الطلاب لمعرفة الثقافة العربية الإسلامية أو رغبتهم في الدبلوماسية او فضولهم وطموحهم لفهم ما يدور من أحداث وسياسية والاقتصادية في

العالم العربي، يوجد حاليا أقسام لدراسة اللغة العربية في عدد من الجامعات الروسية الرائدة بما في ذلك، معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية ومعهد بلدان آسيا و أفريقيا، التابع لجامعة موسكو، والجامعة الروسية، للصداقة بين الشعوب وغيرها من المعاهد والجامعات في موسكو والمدن الروسية، أكثر من 30 جامعة روسية تعتمد اللغة العربية في مناهجها التعليمية. وهناك عدد كبير جدا من الطلاب المتخرجين في المدارس دراسة العربية لأسباب مختلفة يعني بعض الناس خصوصا مسلمين الروس يجب دراسة العربية بأسباب مختلفة،والكثير من الطلبة الروس اخترو حول تجربة التعلم العربية رغم ادراك سلفا أنها أصحاب اللغات السامية ، وهنا إقبال كبير من الطلاب الروس لتعلم اللغة العربية لإطلاع على الثقافة العربية ودراسة القرآن،وروسيا تعتمد تعليم اللغة العربية للتواصل مع العالم العربي في المجاملات كافة،ومنهم من يرى في اللغة العربية احدى في سوق العمل ومنهم من يري خز انا كبيرا للثقافات وحضارات عريقة تميزت فيها شعب العربية

الخاتمة:

أهدف بهذه المقالة أن اقدم الى القارئ فكرة شاملة عن تعلم العربية أيها الإخوة إنني أقول لكم هذه الأمور لكي أبين أمامكم أن اللغة العربية قد خرجت من دائرتها الدينية وصارت في قائمة اللغات العالمية الشهيرة. وأن شاعر النيل حافظ بك إبراهيم قد بين في أبياته عن الحالة المحزنة للغة العربية وأما الآن صارت العربية عزيزة محترمة في العالم. اللهم الا أن ليس أمامنا شعراء عبقريين لتعبير مكانة هذه اللغة بين سائر اللغات في العصر الحديث.

أتمنى أيضا أن يقتدي بها محبو اللغة العربية في جميع أنحاء البلاد بشكل عام لأجل ترقية العربية وإستيراد ما فاتنا في تاريخنا القديم

المصادروالمراجع

1) أبو الحسن علي الندوي المسلمون في الهند, ملع.
2) احمد كوتي، إي. كي اللغة العربية في كيرلا.
3) حنا الفاخوري. تاريخ الأدب العربي
4) خورشيد اشرف إقبال الندوي اللغة العربية في الهند عبر العصور.
5) زيدان، جورجي. تاريخ الآداب اللغة العربية
6) عبد الحليم الندوي. مراكز المسلمين التعليمية و الثقافة الدينية في الهند.
7) عبد العزيزبن عثمان التويجري، اللغة العربية والعولمة
8) عبده محمد بدوب أهمية التعليم اللغة العربية
9) محمد فهمي حجازي. علم اللغة العربية.
10) مناهج تدريس العربية في عصر التكنولجيا الحديثة.
11) التضامن العدد ٢٢.١٢.٢٠١٢م.

12) مجلة التربية العدد11. ١٩٩٣م.
13) مجلة العاصمة
14) مجلة المعرفة.
15) مجلة المنهل
16) مريديان. المنعقدة ١٨،١٩- يوليو ٢٠١٢م. قسم العربية كلية ام إي.اس كدنغلور.

الهوامش

1) تبلغ جذور اللغة العربية أكثر من 16000 جذرا
2) اللغة الرسمية هي لغة تعطي اعتبارا قانونيا خاصا في دولة معينة
3) وظائف ط_فرص عمل_تصفح احداث الوظائف وفرص العمل المحلية وفي الخارج
4) مهارات اللغة عادة تتكون من مزيج من القراءة والكتابة والاستماع والتحدث
5) هي أحد فروع اللغات الأفروآسيوية
6) البحر الأحمر او بحر القلزم اوبحر الحبشة
7) United Nations
8) أنزل الله القرآن باللغة العربية لأنها وسيلة التفاهم مع من أرسل إليه الرسول أولا
9) هناك 7097 لغة حية في العالم حتى اليوم
10) اشتق الكلمة من الكلمة هو أخذ كلمة أو أكثر من كلمة أخرى
11) حديث قدسي ينوه الله بشأن الرحم بأن اسمها مشتق من إسمه الرحمن الدال علي صفة الرحمة
12) يطلق كل منها على طريق الحقيقية لا المجاز
13) اللغة العربية لغة ستظل خالدة ولن تموت أبدا
14) سورة الحجر الآية 09
15) Onomatopoeia
16) اللغة هي عبارة عن نسق من الرموزوالإشارات ،اللغة إحدى أهم وسائل الاحتكاك والتفاهم
17) سورة يوسف رقم الآية 1،2
18) تأليف عبد الله بن المقفع باللغة السنسكرتيية ثم ترجمت إلى عدة اللغات.
19) الإسبانية والإنجليزية والروسية والصينية والعربيةوالفرنسية
20) الشاعر المصري لقب بشاعر النيل
21) من قصيدة الر ائعة حالة اللغة العربية
22) الوظائف المتاحة بالسفارة
23) customers
24) موقع نيويورك تايمز
25) رئيس سابق لقسم اللغة العربية في جامعة مومباي
26) Research Institution in Beijing china

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

إستراتيجية الخطاب عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

(بحث في سُلْطتيْ التَّكرار والتقابل من خلال رسالته الموجهة إلى الشباب)

العيد أحمد علاويّ
أستاذ محاضر "أ"، قسم الآداب واللغات
المركز الجامعي نور البشير البيض – الجزائر-

Abstract: **Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi is one of the distinguished prominent Algerian writers, and one of the loyal reformers. He carried the concerns of his country and nation, and sacrified his life and exploited his pen and thought to serve and defend them.**
Undoubtedly, the followers of his texts are on the reformist pulse and the spirit of change that drives souls and determination.
The message of Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi addressed to the youth, which is a field for critical practice, is one of the unique models that fascinate the reader and the listener, and make him vacillate between its glamorous authority and majeure.
The present study aims for standing on the authority of repetition and contrast, as two of the mechanisms by which the Sheikh saddled his speech; thus, he had fascinated and subjected, exceeded and earned .

Keywords: Strategy; The Discourse ; Authority, Bashir Brahimi; Repetition ; Contrast.

الملخص: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واحد من الأدباء الجزائريين البارزين المُبرّزين، وأحد المصلحين المخلصين، حمل همّ وطنه وأمته، ووهب حياته وسخّر قلمه وفكره لخدمتهما والدفاع عنهما. وما من شك أن المتتبع لنصوصه يقف على النبض الإصلاحي والروح التغييرية التي تحرّك النفوس والهمم.وتعد رسالة الشيخ البشير الإبراهيمي الموجهة إلى لشباب، المتخذة مجالا للممارسة النقدية من النماذج الفريدة التي تأسر القارئ والسامع، وتجعله يتأرجح بين سلطتها الباهرة القاهرة.تأتي هذه الدراسة لتقف على سلطتي التكرار والتقابل، باعتبارهما آليتين من الآليات التي سرّج الشيخ بها خطابه فبهر وقهر، وجاز وحاز.

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية؛ الخطاب؛ السلطة، البشير الإبراهيمي؛ التكرار؛ التقابل.

1-توطئة: شهدت الجزائر في العصر الحديث استدمارا[1] فرنسيا خبيثا، استهدف الإنسان واللّسان، والدّين

[1] - ذهب الشيخ الإبراهيمي إلى أن كلمة "الاستعمار" كلمة عربية جليلة ترجموا بها لمعنى خسيس، فصارت من الكلمات المظلومة" فمن مشتقاتها التعمير، والعمران، فمعناها القرآني أطيب وأطيب، أما إخراجها إلى المعنى الغربي الخبيث ظلم لها، ينظر،البشيرالإبراهيمي، آثارالإمام محمد البشيرالإبراهيمي، ج3، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دت، ص506-507.

والمقوّمات الإسلامية، بل استهدف الأرض ومن عليها؛ فجلد الأجساد، وقطّع الرقاب، وهتك الأعراض، وسعى بكل ما أوتي من قوة إلى طمس الدين الإسلامي واللسان العربي، وبذل جهده في القضاء على العلم وأسبابه، فأغلق المدارس، وحوّل المساجد إلى كنائس، وهيّأ الأسباب المواتية للتبشير والإلحاد والتنصير، معلنا بلسان الحال والمقال أن حربه تلك حرب صليبية، ففرنسا كانت تعتقد أنها«بنت روما البكر، وأن الجزائر كانت مستعمرة لروما، وجاء العرب فاحتلوها، وغزوها معتدين، وجاء الأتراك بعدهم فاحتلوها كذلك، وغزوها، واستعمروها. وجئنا نحن أبناء فرنسا، لنعيد الأشياء إلى مواضعها، وهو استئناف إرث روما جدتنا، فنحن في وضع طبيعي»[1] ومن هذا القبيل، قول أحد الحكام الفرنسيس في الجزائر غداة احتفال فرنسا بالعيد المئوي لاحتلال الجزائر«إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرأون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم».[2]

ولقد انبرى لفيف من العلماء والمصلحين لمواجهة الاستدمار الفرنسي وفضح مكائده ودسائسه، والإسهام في نهضة المجتمع الجزائري وتطوير وعيه، وتطوير أساليب المقاومة والتصدي لديه. ومن هؤلاء: الشيخ عبد الحميد بن باديس،[3] والبشير الإبراهيمي،[4] والطيب العقبي،[5] ومبارك الميلي،[6] والعربي التبسي[7]، فكان أن تكللت الجهود العلمية الإصلاحية لهؤلاء بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م. والتي جعلت قصدها، منذ أن كانت فكرة إلى أن برزت حقيقة واقعة، جمعَ القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم لتتعاون على خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية والنهوض بالأمة الجزائرية من طريقهما[8]، فكانت بذلك أداة من أدوات الخير والصلاح،

---

[1]-مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، دط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،2013 ،ص 233.

[2]-آثار الإبراهيمي، ج1، ص 7.

[3]-عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس(1308-1359هـ/1889-1940م) من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من تأسيسها سنة1931م إلى وفاته. ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط1، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع، رويبة، الجزائر، 2015، ص44- 45

[4]- محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي(1306-1385هـ/1889-1965م) رئيس جمعية العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، خطيب، من الكتاب البلغاء، العلماء بالأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين. ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص18-19.

[5]-الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي(1307-1379هـ/1890-1960م) خطيب، كاتب، صحفي، من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، (1931م) واختير نائبا للكاتب العام. ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص369-370.

[6]- مبارك بن محمد بن مبارك الهلالي الميلي(1316-1364هـ/1898-1945م) مؤرخ، كاتب، من رجال الإصلاح، كان من أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويعد من ألمع كتّابها. ينظر، عادل نويهض، ص504.

[7]-العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي أبو القاسم(1312-1376هـ/1895-1957م) أحد رجال الفكر الإصلاحي، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء، اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء، ثم نائبا لرئيسها البشير الإبراهيمي، ولما رحل البشير الإبراهيمي إلى المشرق (1956) تحمل مسؤولية رئاسة الجمعية وإدارة شؤونها في غيابه. عادل نويهض، المرجع السابق، ص96-97.

[8]-ينظر، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دط، نشر المكلف بإحياء تراث الجمعية: نوار جدواني، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، دت، ص 43.

وعاملا من عوامل التربية الصالحة والتهذيب النافع،[1] ويتجلّى هذا في تعريفها على أنها جمعية علمية دينية تهذيبية؛ علمية تعلّم وتدعو إلى العلم وترغّب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس، ودينية تعلّم الدين والعربية وتدعو إليهما وترغب فيهما، وتنحو في الدين منحاها الخصوصي وهو الرجوع به إلى نقاوته الأولى وسماحته في عقائده وعباداته، وتهذيبية تدعو إلى مكارم الأخلاق التي حضّ الدّين والعقل عليها لأنها من كمالهما... [2]

والشيخ البشير الإبراهيمي -كما تقدّم- أحد رجالات الجمعية، وقائد من قادتها البارزين، والحديث عنه«هو حديث عن الجزائر: أصالة وحضارة وصمودا ونهضة وتحررا، فقد جسّد الجزائر في شخصيته: نشأة وتكوينا وإشعاعا وقولا وكتابة وسلوكا».[3] ورغم الآثار التي خلفّها الرجل، إلا أنه يعدّ من المفكّرين الذين شغلتهم الاهتمامات القومية ومسؤولياتهم في الحركة الإصلاحية عن الإنتاج المكتوب، وهو في ذلك كالشيخ سالم بوحاجب بتونس، والشيخ محمد بن العربي العلوي بالمغرب الأقصى، وقبلهما حكيم الشرق جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، فهؤلاء قضوا حياتهم في تكوين الرجال لا في تأليف الكتب.[4]

ولقد بيّن هذا بقوله:«لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكني أتسلى بأنني ألّفْتُ للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه، فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب و رضى الشعب».[5]

وعدّ الشيخ العربي التبسيالبشير الإبراهيمي«فلتة من فلتات الزمان وأن العظمة أصل في طبعه»[6] ورأى نجله أحمد طالب أن العظمة الحقيقية تكمن في قلبه، فقد كان عظيما بعقله ووجدانه، بقلبه ولسانه، فكل من تقلّب في أعطافه نال من ألطافه(...)وكانت الخصال البارزة فيه الإيثار والحِلم والوفاء.[7] وعدّد الأستاذ أحمد توفيق المدني- في حديث مطول- الصفات التي أودعها الله فيه، مبرزا أنه امتلك علما غزيرا فيّاضا متعدد النواحي، عميق الجذور، واطلاعا واسعا عريضا يُخيّل إليك أن معلومات الدنيا قد جُمِعت عنده. وحافظة نادرة عزّ نظيرها. وذاكرة طيّعة جعلت صاحبها أشبه ما يكون بالعقل(الإلكتروني). كدائرة معارف جامعة سهلة التناول من علوم الدين التي بلغ فيها مرتبة الاجتهاد بحق، إلى علوم الدنيا مهما تباينت واختلفت، إلى شتى أنواع الأدبين القديم والحديث بين منظوم ومنثور، إلى تاريخ الرجال والأمم والدول، إلى أفكار الفلاسفة والحكماء من كل عصر ومصر، إلى بدائع الملح والطرائف والنكت، كل

---

[1]-ينظر، المرجعنفسه، ص 59.
[2]- ينظر، سجل جمعية العلماء، ص58- 59.
[3]-آثارالابراهيمي، ج1، ص 6.
[4]-المصدرنفسه، ص 6.
[5]-المصدرنفسه، ج5، ص 288.
[6]-المصدرنفسه، ج1، ص 16.
[7]-المصدرنفسه، ص 16-17.

ذلك انسجم مع ذكاء وقّاد، ونظرات نافذة، تخترق أعماق النفوس وأعماق الأشياء. وفصاحة في اللسان، وروعة في البيان، وإلمام شامل بلغة العرب، لا تخفى عليه منها خافية، وملكة في التعبير مدهشة، جعلته يستطيع معالجة أي موضوع ارتجالا على البديهة، إما نثرا أو نظما...و دراية كاملة بجميع ما في الوطن الجزائري، يحدّثك حديث العالم الخبير عن أصول سكانه وقبائله، وأنسابه ولهجاته، وعادات كلّ ناحية منه، وأخلاقها، وتقاليدها، وأساطيرها الشعبية، وأمثالها، وإمكانياتها الاقتصادية، وثرواتها الطبيعية..كل ذلك قد تُوّج بإيمان صادق، وعزيمة لا تلين، وذهن جبّار، منظّم، يخطط عن وعي، وينفّذ عن حكمة، وقوة دائبة على العمل، لا تعرف الكلل ولا الملل.[1] وأشار الشيخ محمد الغزالي إلى أن الرجل رُزِق بيانا ساحرا، وتأنقا في العبارة يذكر بأدباء العربية في أزهى عصورها.[2]

2-وقفة مع النص في إطار مفهومي السلطة والخطاب:

يرتبط مصطلح "السلطة" بالسياسة والحكم والحُكّام، فنسمع بالسلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية، والسلطة القضائية، ويوحي هذا اللفظ في استعماله العام بـ"السيطرة"، ولفظة السلطة ذات المصدر الأجنبي اللاتيني(potestas) تدل على« أهلية التصرف، كالأهلية القانونية لممارسة اختصاص أو صلاحية. وتدل على القوة أو القدرة سواء أكانت القدرة فردية أو جماعية، بحيث تكون قادرة على إخضاع الآخرين، وجعلهم يطيعون أو يمنحون إرادتهم».[3]

والمستفاد، أن السلطة تدل على الأهلية، والقوة والقدرة، والإخضاع، والمرسل يحتاج لأهلية وقوة وقدرة ليتمكن من إخضاع سامعه، وما من شك أن العلم قوة، والأخلاق والسمعة الطيبة قوة... وغيرها من الصفات الحسنة كلها توجب للخطيب(المرسِل) أهلية تجعل كلامه مقبولا ونافذا.

فالأهلية من بين الشروط التي وُضِعَتْ ليحاكَم على ضوئها نجاح الكلام أو فشله، فلقد وضع (سورل) شروطا أسماها "شروط النجاح"، ذكر منها الشروط التحضرية، وهي المعبر عنها بامتلاك الأهلية، فسياق الكلام والأهلية – على حد تعبير محمد مفتاح- يتضافران لجعل الكلام فعالا وذا معنى أو يجعلانه لاغيا وغير وارد.[4]

ولعل الأهلية هي المعبّر عنها – أيضا- بالوجاهة التي تعد مبدأ في الدرس التداولي، إذ لا يتصور كلام مفيد يصدره المرسل ويتسلمه المتلقي دون اعتماد على هذا المبدأ[5]

---

[1]-آثارالابراهيمي، ج1، ص 17.

[2]-المصدرنفسه، ج4، ص 5.

[3]- أحمد سعيفان، قاموس المصطلحات السياسية، والدستورية والدولية، عربي- انجليزي – فرنسي، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت لبنان، 2004، ص 203.

[4]-ينظر،محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجيةالتناص)، ط4، المركزالثقافي العربي، الدارالبيضاء المغرب، بيروت، لبنان، 2005، ص140-141.

[5]-ينظر، المرجع السابق، ص142.

أما من حيث دلالة السلطة على "القوة" فننقل عن "الشمري" أن فوكو يعتبر السلطة علاقة قوى، وكل علاقة قوى هي على الأصح علاقة سلطة،[1] وفي دلالتها على الإخضاع والسيطرة، ذكر الشمري أنه يقال إن شخصا ما يستطيع أن يمتلك السلطة على شخص آخر، بالقدر الذي يستطيع أن يسيطر على سلوكه.[2]

ولقد حدّد " الشمري"، أيضا، في كتابه(إستراتجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية) [3]مفهوم السلطة، وبيّن مصادرها، وأدواتها، وآلياتها اللغوية، ونبّهنا على صعوبة تحديد مفهومها في الخطاب، مشيرا إلى ضرورة توفر طرفين في الخطاب ولكل منهما دوره.

وفي سياق حديثه ذاك، ذكر أن السلطة عبارة عن علاقات في المجتمع، وقد تكون هذه العلاقات غير متكافئة، وأن سلطة المرسل تقتضي اختيار الإستراتيجية المناسبة للسياق، ورأى أنه من تمام السلطة لإنجاز الخطاب الاعتماد على المكان المادي لتفعيلها، فالمرسل يستمد درجة سلطته من المؤسسة التي ينتمي إليها.

ولم يغفل الحديث عن سلطة اللغة بوصفها الأداة الرئيسة في التفاعل مع المرسل إليه، وهي السلطة التشريعية التي تلزم المرسل بالتقيّد بقواعدها وأنظمتها العامة، وأظهر أن المرسل إليه تكون له سلطة إذا كانت مرتبته أعلى من المرسل، مما يوجب له الاحترام والتبجيل، فتكون حقا مكتسبا له ومفروضة على المرسِل، وعرّج كذلك على سلطة المجتمع المتمثلة فيما يسمح به من ألفاظ اللغة، وانتهى إلى أن مفهوم السلطة أو السيطرة في الخطاب مفهوم مجازي.

فالظاهر مما جاء في توطئة هذه الدراسة أن الشيخ البشير الإبراهيمي له أهلية علمية تعليمية إصلاحية أوجبت له وجاهة ومكانة داخل الجزائر وخارجها، وأوجبت له الاستطاعة في إقناع سامعه. أما الأهلية الخطابية اللغوية البيانية فهي التي نبتغي دراستها للنظر في فاعليتها وتأثيرها على سامعها.

3-سلطة التكرار:

التَّكرار والكُرور والتكرير والتَكِرة في اللغة من كَرّ بمعنى الرّجوع عليه. [4]وذهب ابن فارس (ت395ه) إلى أن الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد. من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرَّة الأولى. [5] وأورد ابن منظور(ت711ه) أن التَّكرار يدل على الرجوع والعطف والإعادة، والترديد والردّ والبعث، قال: الكَرُّ: الرجوع... وكَرَّ عَليه يَكُرُّ كَرًّا و كُرُورًا وتَكْرارًا: عطف...وكَرْكَرَه: أعاده مَرَّة بعد أُخرى... ويقال: كَرَّرت عليه الحديث وَكَرْكَرْتُه إذا رَدَّدْته عليه، وكَرْكَرْتُهُ عن كذا كَرْكَرَةً إذا رَدَدْتَهُ عليه...والكَرَّةُ: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء. [6]

---

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشمري، استراتجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية- دط، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، دت، ص121.
[2]-المرجع نفسه، ص121.
[3]-ينظر، المرجع نفسه، ص220- 254.
[4]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي [مادة ك، ر، ر].
[5]-ابن فارس، مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق:أنس محمد الشامي، دط، دار الحديث، القاهرة، 2008، [مادة ك، ر، ر].
[6]-ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دط، دار المعارف، دت، [مادة ك، ر، ر].

أما اصطلاحا فهو«عبارة عن الإتيان بشيء مَرَّة بعد أُخْرى».[1] وعرّفه الكفوي(ت1093ه) بقوله:« التكرار إعادة ذكر الشيء، فعلا كان أو قولا، وتفسيره بذكر الشيء مرة بعد أخرى اصطلاح»،[2] والتكرير والإعادة من سنن العرب في كلامها إذا أرادت الإبلاغ بحسب العناية بالأمر[وهو كثير في كلامهم وأشعارهم]، فقد كرر الحارث بن عباد قوله: ((قربا مربط النعامة مني)) في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر... [3]، ونحو تكرار المهلهل في رثائه لكليب قوله:((على أن ليس عدلا من كليب)) [4] ، وفوق هذا كله استعمله القرآن الكريم،[5] واستعمله النبي ﷺ في أحاديثه، واتخذه وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرق تبليغ مبادئها.[6] وعُدّ من طرائق الزيادات الإطنابية المفيدة، يستعمل لدواعٍ بلاغية.[7] [7] والتكرير أبلغ من التأكيد، فالكلام إذا تكرر تقرر،[8] ويلتقي التكرار مع التأكيد ويفترق معهويزيد عليه وينقص عنه، عنه، فإن التأكيد قد يكون تكرارا وقد لا يكون، وقد يكون التكرير غير صناعة وإن كان مفيدا للتأكيد معنى.[9] ويُذكر في هذا المقام أن محمد الأمين خلادي قام بدراسة تتبع فيها مصطلحي التكرار والترداد، وبيّن أن «الترداد أكبر من التكرار»،[10] وذلك أن الترداد إعادة مكون بياني(وحدة بيانية تدخل في تشكيل البيان العربي) أكثر من مرة.[11]

والقارئ والسامع لخطاب الشيخ البشير الإبراهيمي" الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر"[12] يقف على قوة التكرار والنبض الذي أحدثه داخل النص، فعبارة "أتمثله" التي تكررت (22) اثنتين وعشرين مرة.

وكذا تكرار عبارة التي تكررت (4) أربع مرات بحسب مقاطع الخطاب الأربعة، وبتتبع جهود المفسرين والعلماء في بيان بلاغة التكرار وسلطته، نجد الزمخشري يرى أن تكرار"الميزان" في قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا

---

[1]-الجرجاني، كتاب التعريفات، قاموس لمصطلحات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة للطباعة للنشر والتوزيع، د ت، ص 59.

[2]-الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2011 ، ص223.

[3]-ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1997، ص157.

[4]-أورد هذا الألوسي في تفسيره: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج27، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د ت، ص 97.

[5]-مثلا تكرار. ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة الرحمن(31) إحدى وثلاثين مرة، وتكرار﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾في سورة القمر(4) أربع مرات، وتكرار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ في سورة القمر(4)أربع مرات، وتكرار قوله تعالى ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ في سورة النمل(5) خمس مرات.

[6]-يرجع لـ أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد1و2، 2010، ص 73.

[7]-يرجع لـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، ج2، ط1، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، 1996، ص 65 65 وما بعدها.

[8]-الكفوي، المصدر السابق، ص 224.

[9]-الكليات، ص 225.

[10]-محمد الأمين خلادي، مدخل إلى التكرار الصوتي في البيان العربي ونظرية الترداد الجديدة(قراءة في مهايا الحدود وجهاز المصطلح)، مجلة الصوتيات، جامعة البليدة 2-علي لونيسي- الجز ائر، ع16، ص30.

[11]-المرجع نفسه، ص38.

[12]-آثار الإبراهيمي، ج3، ص 505-517.

تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:7-8] يدل على تشديد التوصية به.[1] وألفينا القرطبي يبرز أن التكرار في سورة الرحمن إنما هو للتأكيد والمبالغة في التقرير، واتخاذ الحجة عليهم.[2] وفي موضع آخر أشار إلى أنه يكون بغرض طرد الغفلة وتأكيد الحجة.[3] وأفصح الألوسي عن أن التكرار في سورة الرحمن أحلى من السكر إذا تكرر، وحسنه يتجلى في اختلاف ما يقرر به، ومثله كثير في كلام العرب[4] وذكر ابن الجوزي أن فائدة التكرار في سورة الرحمن تتمثل في تقرير النعم وتأكيد التذكير بها، ونقل عن ابن قتيبة أن من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام[5]

والظاهر أن حلاوة التكرار في النص المدروس بادية، كما يبدو أن صاحبها نزع إلى هذا الأسلوب تشديدا في التوصية على الخلال الحضارية النبيلة الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها الشاب الجزائري، وفيه تأكيد وتقرير وإقامة الحجة عليهم إذا هم لم يأخذوا بهذه الوصايا التي توجب لهم «السمو والسعادة في الكون والسيادة على الكون» على حد قوله،[6] إذن، فهو تكرير لتمكين المعنى وتأكيده في نفس المتلقي[7] وقد تدعو إليه الحاجة للتنبيه كطول الفاصل في الكلام[8] ويلحظ هذا بوضوح في تكرار عبارة((يا شباب الجزائر، هكذا كونوا... أولا تكونوا)) في نهاية كل مقطع، حيث جُعلت العبارة المكررة - كما أورد الميداني- فاصلة في الكلام، فكان لها تأثير فني جمالي بديع مستطرف، حتى كأنها أعلام ترفرف، أو لوحة على مقاطع من الطريق مع ما فيها من معنى يحتج لتثبيته والحثّ عليه.[9]فإذا كان التوجيه مضمرا في في عبارة (أتمثله) المكررة، فقد بدا صريحا من خلال لفت انتباه الشباب بالنداء (يا شباب الجزائر) + (كونوا...)، فكونوا توجيه مباشر، وهذا ينمّ عن الحنكة والأهلية الخطابية التي يتمتع بها المرسل؛ أهلية جعلت هذا الخطاب يجمع بين الإمتاع والإقناع.

4-سلطة التقابل:

تدل مادة (ق، ب، ل) في اللغة على المواجهة، فقد أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه) أن قولك «لقيته قِبَلاً أي مواجهة».[10] وذكر الجوهري (ت393ه) أن المقابلة تعني المواجهة والتقابل مثله[1]

---

[1]-ينظر، الكشافعن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج6، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بمشاركة فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، د ط، مكتبة العبيكان، د ت، ص6.

[2]-ينظر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج20، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق بعض الأجزاء محمد رضوان عرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص124.

[3]-ينظر، نفسه، ص125.

[4]-ينظر، روح المعاني، المصدر السابق، ج27، ص97.

[5]-ينظر، زاد المسير في علم التفسير، ج8، ط3، المكتب الإسلامي، 1984، ص110.

[6]-ينظر، آثار الإبراهيمي، ج3، ص 514.

[7]-ينظر، حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص71.

[8]-ينظر، المرجع نفسه، ص71.

[9]-ينظر، المرجع نفسه، ص72.

[10]- الخليل، العين، [مادة ق، ب، ل]

وإلى مثل هذا ذهب ابن فارس مبينا أن (القاف، والباء واللام) أصل واحد صحيح يدل على مواجهة الشيء للشيء.[2] وجاء في أساس البلاغة أن «... لقيته قِبَلاً وقَبَلاوقُبُلا: مواجهة وعيانا».[3]

فالتقابل أساس الحياة وعصبها،[4] فهو« يسكن النصوص والإنسان والعالم من حولنا؛ فلا تقال المعاني ولا تكتب إلا بعد أن تعرض بشكل تقابلي على المستوى الذهني؛ إذ إن الخطابات تنتج أصلا بكيفية متقابلة عن طريق عرض الأشياء على ما يقابلها، أو يماثلها، أو يضادها، أو يجاورها أو يتممها، أو يشرحها، أو غير ذلك».[5]

ويأخذ التقابل سلطته من حيث إنه «محاذاة المعاني بعضها ببعض، والتقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي، عبر مواجهتها ببعضها (وجها لوجه)، لإحداث تجاوب ما أو تفاعل معرفي، أو دلالي وتأويلي"[6]،وتجدر الإشارة إلى أن التقابل أسلوب قرآني، فعادة ما يُعطي الصّورة ومقابلها[7] فيكون الغرض من ذلك أن المجيء بالمقابلات أدعى لرسوخها في الذهن.[8]

والنص المدروس حافل بالتقابل، فقد وقفتالدراسة على التقابل التركيبي، والتقابل بالنفي، والتقابل اللفظي، وكذا تعدد المقابلات. فمن التقابل التركيبي ما جاء في الجدول الآتي:

الوجه	مقابله
أتمثّله مقدامًا على العظائم في غير تهور	محجاما عن الصغائر في غير جبن
أتمثّله بَرًّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا	مزورًّا عن الحضارة التي رمته بقشورها
محارم الخلق	محارم الخالق
مقصور اللسان إلا عن دعوة إلى الحق	أو صرخة في وجه الباطل
متين الاتصال بالله، مملوء القلب بالخوف منه	خاوي الجوامح من الخوف من المخلوق
مرة منجحة	ومرة خائبة
ذاك ذبول الاهتزاز	وهذا ذبول الاعتزاز
فتح عينيه على نور الدين	وفتح عقله على حقائق الدين
الجاهلية الأولى	جاهلية ثانية

ولعل المراد من إيراد هذه المقابلات حمل المتلقي على أن يزن الأمور بموازينها فيتبع ما يصلح حاله ويترك ما

---

[1]- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد الغفورعطار، ط4، دار الملايين، 1990، [مادة ق، ب، ل]

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة،[مادة ق، ب، ل]

[3]- الزمخشري، أساس البلاغة، ص490.

[4]- محمد بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، 2010، ص160.

[5]- المرجع نفسه، ص10.

[6]- محمد بازي، تقابلات النص، المرجع السابق، ص172.

[7]- الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم، ج14، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، د ط، د ت، ص8437.

[8]- المصدر نفسه، ج 5 ، ص2773.

يفسده، فأحيانا ألفينا الكاتب يردف التقابل بتوصية نحو: (أتمثّله مقدامًا على العظائم في غير تهور، محجاما عن الصغائر في غير جبن، مقدرا موضع الرجل قبل الخطو...) وأحيانا أخرى يردفه بالعاقبة نحو:(أتمثّله بَرًّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا، مزورًّا عن الحضارة التي رمته بقشورها، فأرخت أعصابه، وأنشت شمائله...) ومرة أخرى وجدناه يورد التقابل ليبين أن الوجه الثاني يتمم الوجه الأول نحو: (...فتح عينيه على نور الدين، فإذا الدنيا كلها في عينيه نيرة مشرقة، وفتح عقله على حقائق الدين، فإذا الدين والكون دال ومدلول عليه...وفتح فكره على عظمة الكون فاهتدى إلى عظمة المكون...)

ومن أمثلة التقابل بالنفي الذي يثبت معنى وينفي آخر، نورد ما يلي:

أتمثّله حِلْفَ عمل لا حليف بطالة
وجليس معمل لا جليس مقهى
وبطل أعمال لا ماضغ أقوال
ومرتاد حقيقة لا رائد خيال
يحمل ما حمل من خير لأن يد الإسلام حملته على الخير ولا يحمل ما حمل من شر لأن طبيعة الإسلام تأبى عليه الشر
أتمثّله مصاولاً لخصومه بالحجاج والإقناع لا باللجاج والإقذاع
مرهبا لأعدائه بالأعمال لا بالأقوال
ووُصلت بخيوط الشمس لا بفتائل البُرسِ جماته وذوائبه.

ومن أمثلة التقابل اللفظي الذي قد يكون للتضاد أو للتشاكل، أو للتجاور:

الوجه	مقابله
أصائله	أسحاره
أنسابها	أحسابها
الميوعة	الجمود
فضلا	عدلا
البرق	الرعد
ثار	فار
العاصفة	الصاعقة

والمتأمل في إيراد هذه المقابلات يلحظ تدرجا، وترتيبا منطقيا يحقق الانسجام داخل النص، ويضمن فهما وإدراكا سليمين.

-خاتمة: ومما تقدّم نخلص إلى ما يلي:

- النصّ المدروس نموذج من الخطاب النهضوي بالجزائر، ويمكن القول بأنّه يحدد السمات التي يتّصف بها أو ينبغي أن تتوافر فيه(تقابل، تكرار، توجيه، حجاج، توظيف تراث...
- النصّ مظهر من مظاهر أهلية الشيخ البشير الإبراهيمي اللغوية والأدبية والخطابية...
- فاعلية التكرار تتجلى من التعريفين اللغوي والاصطلاحي(الربط، التجديد، الإيقاع، التقرير، العناية بالأمر، الحلاوة...، ويؤكدها استناد/اعتماد الشيخ عليها.
- التقابل مدخل من مداخل الفهم والإدراك، فذكر الشيء مع مقابله يوضح المعنى ويعطيه حسنا، وله أنواع كثيرة (التماثل، التضاد، التجاور، التتميم...)، ومن الأشكال التي تمّ الوقوف عليها في النصّ المدروس: التقابل التركيبي، والتقابل بالنفي، والتقابل اللفظي، تعدد المقابلات.

-المصادر والمراجع:

1– الإبراهيمي، الشيخ محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، دت، (5 أجزاء).
2– الألوسي، شهاب الدين1270هـ:روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د ط، د ت.
3– بازي، د. محمد:تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، 4–

بدرالدين، د. أميمة: بدرالدين، التكرارفي الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد1و2، 2010.
5–الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف ت816هـ:كتاب التعريفات، قاموس لمصطلحات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحووالصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دارالفضيلة للطباعة للنشروالتوزيع، د ط، د ت.
6– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشرالمكلف بإحياء تراث الجمعية: نوارجدو اني، دارالمعرفة، باب الوادي، الجزائر، دط، دت.
7–ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي القرشي البغدادي ت597هـ: زاد المسيرفي علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط3، 1
8– الجوهري، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد الغفورعطار، دارالملايين، ط4، 1990.
9-خلادي، محمد الأمين، مدخل إلى التكرارالصوتي في البيان العربي ونظرية الترداد الجديدة(قراءة في مهايا الحدود وجهازالمصطلح)، مجلة الصوتيات، جامعة البليدة 2-علي لونيسي- الجزائر، ع.16
10الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمرت538هـ:
-أساس البلاغة، دارالفكرللطباعة والنشروالتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2006.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بمشاركة فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، د ط، د ت.
11- سعيفان، أحمد:قاموس المصطلحات السياسية، والدستورية والدولية، عربي- انجليزي – فرنسي، مكتبة ناشرون، بيروت لبنان،
12- الشعراوي، محمد متولي:تفسيرالشعراوي، خواطرحول القرآن الكريم، أخباراليوم، قطاع الثقافة، د ط، د ت.
13- الشمري، د.عبد الهادي بن ظافر:استراتجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية- دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، دط، دت.
14- ابن فارس، أبو الحسن أحمد ت395هـ:
-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1997.
-مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق:أنس محمد الشامي، دارالحديث، القاهرة، دط، 2008.
15-الفراهيدي، الخليل بن أحمد ت175هـ:كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، د. دار، دط، دت.
16- القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرج الأنصاري ت671هـ:الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشارك في تحقيق بعض الأجزاء محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع، ط1، 2006.
17- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي ت1094هـ:الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 2011.
18- د. محمد: تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجيةالتناص)، المركزالثقافي العربي، الدارالبيضاء المغرب، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
19-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظورالمصري ت711هـ: لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دارالمعارف، دط،
20-الميداني، عبد الرحمن حسن: البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، دارالقلم دمشق، الدارالشامية بيروت، ، ط1، 1996.
21- نايت بلقاسم، مولود قاسم:إنية وأصالة، دارالأمة للطباعة والنشروالتوزيع، دط، 2013.
22- نويهض، عادل: معجم أعلام الجزائرمن صدرالإسلام حتى العصرالحاضر، دارالوعي للطباعة والنشروالتوزيع، رويبة، الجزائر،

تجربة غسان كنفاني في الصحافة

محمد مدثرعالم

الباحث في الدكتوراه

بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، الهند.

mudassir.jnu@gmail.com

Abstract: **There areno dearth of articles and studies about Ghassan Kanafani' s literary works, a well-known figure in the Arabic Literature.The studies and articles which analyse Ghassan Kanafani's works are abundantly available, so much so that a reader finds it difficult to choose between the good study and the bad one, it is nearly impossible for him to judge the best and the trivial. Despite this, we rarely find reliable studies about his journalistic experience and the exact statistic on the contribution he made to the Palestinian cause. This journalistic experience of him is perhaps considered one of the most important causes to help him bring the Palestinian issue to the whole world, especially to the Arab world. Through his journalistic venture, He played an important role in the Arab-Israel conflict, whichpossibly factored in his brutal assassination by the Israeli Intelligence Agency.**

This study, therefore, aims to highlight Ghassan Kanafani's contribution to the real and revolutionary journalism. It also deals with his path-breaking experience in literary comic criticism in Arabic as well as his humorous remarks on issues of national and international importance, which got published in various leading Arabic journals, magazines and newspapers.

Key Words: **Arab-Israel conflict, Arab World,Ghassan Kanafani, Journalistic Experience, Palestinian Cause.**

الملخص: **تتو افركثيرمن المقالات، والدراسات حول غسان كنفاني رو ائيا وقاصا وباحثا مرموقا، وليستهذه الدراسات والمقالات التي تحلل أعمال غسان كنفاني تحليلا و افيا،وتناولها نقدا شاملا صعوبة المنال لدرجة أن الدارس يتعسرعليه الاختياربين جيدها ورديئها، ويستحيل له أن يحكم على أفضلها و أتفهها، وعلى الرغم من ذلك، فيندرما نجد دراسات جادة حول تجربته الصحافية، وما ساهم من خلالها في القضية الفلسطينية، ولعل تجربة هذه هي من أهم العوامل التي ساعدته على إيصال القضية إلى العالم أجمع وبالأخص إلى الوطن العربي، ولعب بها دورا هاما في ساحته النضالية، حتى يبدو أن دوره هذا دفع جهازالاستخبارات الإسرائيلية على ارتكاب جريمة اغتياله.**

فتهدف هذه الدراسة إلى إبراز مساهمة غسان كنفاني في الصحافة العربية وتجربته الناجحة في الصحافة الثورية، كما يتناول انطباعاته النقدية الساخرة التي دونها في مختلف الصحف والمجلات تحت عناوين مختلفة.

الكلمات المفتاحية:التجربة الصحافية، دراسات، الساحة النضالية، غسان كنفاني، القضية الفلسطينية.

تقديم:

لايحتاج أحد إلى التعرف بشخصية غسان كنفاني كراوئي وقاص ومسرحي بارع، باحث مقنع، وفنان تشكيلي ماهر، إلا أن عطائاته في الصحافة أكبر بكبير منها في القصص، والرو ايات والمسرحيات، ولعل صحافته هذه أكبر سلاح في ساحته النضالية، فهو كان صحفيا قبل كل شيئ، وله طابع خاص في كتابة، وله موهب غزير في تناول القضايا السياسية والاجتماعية تحليلا مقنعا، وكان يحتل مكانا مرموقا في مجال الصحافة، ومهارته فيها مسلمة لدى العامة والخاصة، كما يقول الشهيد حنا مقبل عن ذروة الصحافة التي وصل إليها غسان: "يكفي أن يشار إلى أنه وصل إلى مرتبة من الاتقان من حيث كتابة المانشيت، إلى كتابة الخبر، إلى صياغة المقال السياسي إلى درجة لم يصل لها أي صحافي فلسطيني، وكثير من الصحفيين العرب من الأسماء اللامعة"[1]

وبعد انخراطه في حركة القوميين العرب عضوا فعالا، بدأ يكتب المقالات السياسية في الصحف والمجلات، يوجه فيها سهام النقد إلى السلطات الإسرائيلية، كما يكتب فيها المقالات الساخرة يلدغ بها حكام العرب، وقد بلغ بكنفاني نبوغه في الصحافة إلى أنه طلب منه في عام 1960م أن ينتقل إلى لبنان ليعمل في صحيفة الحزب، ويصبح ناطقا بإسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهى فرع فلسطيني لحركة القوميين العرب، فيقول كنفاني:

"وفي عام 1960م طلب منى أن انتقل إلى لبنان لأعمل في صحيفة الحزب، وفي عام 1967م طلب مني أن أعمل مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهى عبارة عن فرع فلسطيني لحركة القوميين العرب، وفي عام 1969م باشرت عملي في صحيفة "الهدف" ومازلت"[2]

علا نجم غسان في مجال الصحافة بعد انضمامه إلى أسرة تحرير مجلة "الحرية"، وتولي عام 1963م رئاسة تحرير جريدة "المحرر" اليومية.

"بعد ذلك انتقل لرئاسة تحرير جريدة "الأنوار" (يومية – لبنانية)، مابين عامي (1967 – 1969م) وكان له في صفحتها الأولى عمود يومي عنوان (أنوار على الأحداث)، خصصه لمعالجة القضايا القومية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية"[1]

وفي أيامه الكويتية، عمل في المجلة "الفجر" الأسبوعية التي كان يصدرها بعض المنظمات لحركة القوميين

[1] حنا مقبل، ندوة "غسان كنفاني..قال الوعي الفلسطيني"، مجلة "الهدف"، العدد 496، 11تموز، 1981، ص35.

[2] عباس، إحسان، غسان كنفاني إنسانا أديبا ومنضلا، منشورات الاتحاد، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينين، ص133.

العرب، ثم بدأ يعمل محررا وناشرا لصحيفة "الرأي" الناطقة بإسم حركة القوميين العرب في الكويت، وذلك إلى جانب اشتغاله بالتدريس وأعماله الأدبية.

الصحف والمجلات والجرائد التي عمل فيها غسان كنفاني:

(أ) مجلة "الفجر" الأسبوعية يصدرها بعض المنظمات لحركة القوميين العرب.

(ب) صحيفة "الرأي" وهي الناطقة بلسان حركة القوميين العرب في الكويت، وعمل فيها حتى عام 1060م حتى مغادرته الكويت إلى بيروت.

"في أواخر سنة 1954م، بدأت مجموعة من أفراد حركة القوميين العرب تؤسس مقرا لها في دمشق، وأصدرت مجلة "الرأي"....، وقد وجد غسان في هذه المجموعة، وفي الاتجاه الذي تعمل فيه، وهو فلسطين، ما كان يبتغيه، فبدأ يتصل بأفرادها أولا، .....أخذ يكتب في المجلة"[2]

(ت) مجلة "الحرية" كانت مجلة عربية أسبوعية صدرت في بيروت، وقد اشترت امتيازها حركة القوميين العرب عام 1959م، فأصدرت العدد الأولى في 4 يناير عام 1960م للتعبير عن وجهة نظر الحركة[3].

(ث) جريدة "المحرر"، وظل غسان يعمل في هذه المجلات والجرائد والصحف التي رسخت إسمها كصحافي ممتاز، وبلغ إلى مالم يبلغه كثير من الصحفيين المرموقين العرب من شهرة ومقبولية، حتى عرض عليه عام 1963م رئاسة تحرير جريدة "المحرر".

يقول أوس داوود يعقوب: "وتولى عام 1963م رئاسة تحرير جريدة "المحرر" اليومية، وكان يشرف على الملحق الأسبوعي الذي تصدره جريدة "المحرر" بإسم ((فلسطين))[4].

فالملحق "الفلسطين" هي مجلة سياسية تحليلية نصف شهرية، صدر عددها الأول في 1964/11/05م واستمرت حتى 1967/07/06م.

"وكانت تعبر إلى حد كبير عن موقف حركة القوميين العرب من مجمل القضايا الفلسطينية، وكانت الأولى من نوعها كصحيفة علنية توزع مع المحرر"[5].

كان هذا الملحق يحمل عددا من المقالات التي تستوضح وجهة نظرية حركة القوميين العرب، وبالأخص تهتم بشؤون اللاجئين وقضاياهم، وإن مقالات غسان كنفاني في الملحق هذا تدل على عنايته البالغة بمسألة

---

[1] يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 20. لم توجد معلومات أخرى.

[2] يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 23.

[3] الأسدي، عبده، دليل صحافة المقاومة الفلسطينية (1965-1995)، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1998، صـ 57

[4] يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 20. لم توجد معلومات أخرى.

[5] المرجع نفسه.

الفلسطين، وتثبت أنه كان مفكرا سياسيا جادا، وجعلت منه فكرته المدونة في ملحق "فلسطين" مرجعا لمن يولون الاهتمام بقضية فلسطين من نحاحية تاريخها، وأخبارها، وأحداثها وشؤونها.

وفي فترة رئاسة تحريره لمجلة "المحرر" وبالتحديد خلال العام 1965م، كان غسان يكتب مقالات قصيرة ساخرة بعنوان "إيجاز"، وبتوقيع مختصر مثل أ.ف. على اسم إبنه فايز.

"هذه المقالات تنتمي إلى النوع الساخر نفسه، وتميل إلى النقد السياسي والاجتماعي"[1]

(ج) جريدة "الأنوار"، وهي جريدة لبنانية يومية، عمل فيها بصفة رئيس تحريرها، وقد ساهم فيها من خلال عموده اليومي في الصفحة الأولى بعنوان (أنوار على الأحداث).

"بعد ذلك انتقل لرئاسة تحرير جريدة الأنوار (يومية – لبنانية)، ما بين عامي (1967 – 1969م)، وكان له في صفحتها الأولى عمود يومي عنوان (أنوار على الأحداث)، خصصه لمعالجة القضايا القومية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية"[2].

(ح) صحيفة "الهدف"، صدرت من لبنان بشكل يومي، وبعد اشتراء الجبهة امتيازها بإسم غسان كنفاني أخذت تصدر أسبوعيا في بيروت، من 1969/07/26، بقطع كبير من عشرين صفحة، فصحيفة "الهدف" تعبر عن سياسة الجبهة وتمثل صوتها، وهي ناطقة بحالها.

يقول أوس داوود: "..... ولما أرادت الجبهة الشعبية أن يكون لها منبر إعلامي يعبر عن صوتها وسياستها، سعت إلى شراء امتياز صحيفة، فكان أن وجدت الهدف، فاشترت امتيازها، وسجلته بإسم الشهيد غسان كنفاني"[3].

فظل غسان يؤدي مهمته في صحيفة "الهدف" كرئيس لتحريرها منذا بدايتها حتى اشتشهاده، واعتبرت الصحيفة المركزية للجبهة، ولسان حالها، وأصبحت منبرا ترفع من خلاله أصوات لمن لا صوت لهم، وتحولت إلى ساحة لإطلاق حملات ضد الأعمال الشنيعة التي تقوم بها السلطات الإسر ائيلية الغاشمة.

وفي عددها الأول الذي صدر عام 1969م، وضحت الصحيفة غايتها فيما يلى:

- الرفض لكل الصيغ العاجزة المتخذة حينا طابع المساواة، وحينا طابع المهاودة، وحينا ثالثا طابع الوسطية، وهي تعتنق هذا الرفض الثوري أساسا للمعركة الثورية.
- أتت ردا على الصناعة الإعلامية العربية التي اسقطتها القيم التجارية وقيم المجتمع المنهار، وفي دوامة العجز والفشل.

---

[1] دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة، الطبعة الأولى، دار الأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، 1996م، ص04.

[2] يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص23. لم توجد معلومات أخرى.

[3] المرجع نفسه، ص: 23.

- وأنها لن تسمح لمو اقف الارتجال والانفعال والمز ايدة أن تحل مكان مو اقف الموضوعية العلمية[1].

كانت صحيفة الهدف أصبحت منبرا للإعلام الثوري تحت رئاسة تحرير غسان كنفاني، تنادي بالوحدة الوطنية، لم تعرض عن غايتها وهدفها منذ بدايتها، ولم تتردد قط في المجاهرة بمظلومية الفلسطينين مهما كلفها الأمر، وأدت واجباتها الصحافية بكل أمانة وثقة، ولم ينحط مستواها أبدا، وهي بمثابة صفعة على خد الصناعة الإعلامية العربية التي سارت وسمة عار على جبين الصحافة الصادقة، وإلى جانب حمله لمسؤولية رئاسة تحرير "الهدف"، كان غسان يعمل في الأركان الأخرى من الصحيفة الخاصة بالأحداث العربية وأحداث العدو.

نقل أوس داوو يعقوب كلاما عن غسان كنفاني يحدث فيه عن ظروف العمل في صحيفة الهدف:

"إن العمل في الصحيفة مرهق جدا، هذا هو شعوري الآن، وقد أتممت عدد هذا الأسبوع، إنني أشعر بالإرهاق، و أنه لأمر مروع لأي كان أن يعمل في صحيفة كهذه، ففي اللحظة التي تنهي بها آخر جملة من العدد الآخر تجد نفسك فجأة تجاه عشرين صفحة فارغة تملأها.... و أنه لمن الصعب أن يصدق الآخرون بأن ثلاثة أشخاص فقط يقومون بتحرير الهدف، وهذه الحالة قائمة منذ ثلاث سنوات"[2]

وكانت لافتتاحيات غسان في الهدف دوي مجلجل يصل إلى الوطن العربي والسلطات الإسر ائيلية، وتحمل بعض افتتاحياته نقدا لاذعا يوجهه إلى حكام العرب متشبثين بمقاعد سلطتهم، متظاهرين أن لا صلة لهم بالقضية الفلسطينية، و إنما يعملون على سياسة التحايد، وقد تعرض للسجن نتيجة لبعض افتتاحياته، اتهم فيها بالقدح والذم والإساؤة إلى ملكين عربيين، يقول غسان عن هذه التهمة "أن هذه التهمة بالذات تفقد المقال قيمته وتجعله بلامعنى، فالمقال ليس إلا نقدا لموقف سياسي،....."[3].

يستخدم غسان تو اقيع مختلفة في مقالات تنشر في الهدف، ومنها (غ.ك)، (فارس فارس)، (أبو فايز)، وغيرها من تو اقيع إلى جانب توقيعه الحقيقي يشير إلى إسمه (غسان كنفاني)، يتناول غسان في افتتحيات ومقالات الهدف قضايا عديدة متنوعة، ومن أهمها ما يلي:

- الوضع الداخلي للثورة الفلسطينية من كافة جو انبها، ووحدة العمل الوطني الفلسطيني، والقضايا المختلفة التي تهم الشعب العربي وظروف حياته.

---

[1] الأسدي، عبده، دليل صحافة المقاومة الفلسطينية (1965-1995)، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1998، صـ 171.

[2] يعقوب، أوس داوود، الشهيد غسان كنفاني: ظل الغياب، موقع ديوان العرب، تاريخ التصفح: 2011/07/21، الر ابط: https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF-%D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A

[3] يعقوب، أوس داوود، الشهيد غسان كنفاني: ظل الغياب، موقع ديوان العرب، تاريخ التصفح: 2011/07/21، الر ابط: https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF-%D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A

- تطورالعمل الثوري المسلح، وتعبئة الجماهيروتنظيمها وتجهيزها لمعركة التحرير.
- قضايا حركة التحرير الفلسطينية.
- فضح القوى الإمبرالية العالمية والصهيونية، والقوى الرجعية الحليفة لهما.
- القضايا الثقافية، طبقية الأدب والفن، إبرازإدباء الأرض المحتلة، تسليط الأضواء على الأدب الصهيوني، النقد الأدبي.[1]

تجربة غسان في الكتابات الساخرة/الضاحكة:

إن الكتابة الساخرة في الأدب العربي تعد تجربة نادرة، ونجح في هذه التجربة النادرة التي تعتبر متناقضة لوقارالأدب العربي ومتنافية لأخلاقه نجاحا أكسبه الشهرة، ولعل هذه الكتابات الساخرة كانت تعطيه حرية لنقل خواطره وتأملاته النقدية خفيفة أحيانا و مفجعة لاذعة أحيانا أخرى، وكأنه يريد بها الإنفلات من وطأة المستلزمات النضالية وموجات الحزن، وتخفيف وطأة هزيمة حزيران 67.

استخدم غسان كنفاني توقيع (فارس فارس) في مقالات ساخرة تنشر مرة في الأسبوع، وتتناول الأعمال الأدبية والفكرية والمفاهيم المختلفة، يقول محمد دكروب في مقدمة [غسان فارس فارس كنفاني في كتاباته الساخرة... الجادة) وهو مجموعة من مقالاته الساخرة الجادة:

"كان غسان يأنس إلى هذه الواحة، مرة في الأسبوع تحت اسم/قناع هو (فارس فارس)..... وكان فارس فارس يكتب في "ملحق الأنوار" الأسبوعي، ثم في مجلة "الصياد"، مقالات ساخرة تحت عنوان عام (كلمة نقد) منذ أواخر العام 1967م، وحتى الأسبوع الأول من تموز، وقت اغتالت المخابرات الصهيونية غسان كنفاني"[2]

تحت غطاء فارس فارس الخاص بالكتابات الساخرة، انفلت زمام القلم من يد غسان، و انطلق غسان على هواه، وكتب ما لايسمح به من الكتابة تحت اسمه المعروف.

"ينتقد وينكرويسخرويتمسخرويفضح ويكشف الزيف – في الفن والموقف – بما لم يكن ليتيح لنفسه أن يكتبه تحت خيمة اسمه المعروف[3].

وكان فارس فارس يتسع إلى أفق أوسع، لايقتصرعلى نقد الاتجاه الواحد، بل يطول نقده لكتب، وأعمال من الأدب والفكروالفن لا من البلدان العربية فحسب وبل من العالم، ويضعها على ميزان النقد.

وبذلك فتح بابا جديدا في الأدب العربي وهوالأدب الضاحك الجاد بين الضحكة الساخرة الخفيفة الدم و

[1] يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص23. لم توجد معلومات أخرى.
[2] دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة، الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، 1996م، ص 07 .
[3] المرجع نفسه، ص: 07.

وتقديم النكات الجادة المفجعة، وفيما يبدو أنه يلجأ إلى هذه الواحة لتخفيف معاناة هزيمة حزيران 67، وللتحرر من المسؤوليات النضالية، ولإتاحته وقتا ليستريح فيه حتى يثب من جديد إلى الساحة النضالية بكتاباته من القصص والرو ايات والمقالات التى محورها ومصدرها القضية الفلسطينية بالطابع الثوري والرمزي، وهو الطابع العام الذي يتصف به أعمال كتاب الفلسطينين وبالأخص ابداعات غسان كنفاني في تلك الفترة من تاريخ فلسطين الدامي إلا أن هذه المقالات السخرية الجادة تدل على وسعة ثقافة فارس فارس، وتبوح بتغيرات كانت تحدث في الفكر والفن والصراعات التجديدية آنذاك.

ومما يجدر بالذكر أن الأدب الساخر ليس وسيلة للتسلية، وليس فرصة يملأ بها فراغ الوقت، ولا تجربة عابثة وغايتها إدخال الفرح والسعادة على القراء أو يقصد به الاستهانة والسخرية اللاذعة لشخص ما، ولعمل ما، إنما هو "إفضاح الضحالة والادعاء، والضجيج الفارغ، وإلقاء الضوء على عناصر القوة والضعف"[1]. ويحتاج إلى ذوق رفيع، واطلاع واسع ومتابعة متواصلة لأحداث ومستجدات الزمن.

لقد جمع الأستاذ محمد دكروب مقالات غسان كنفاني الساخرة المدونة تحت عناوين مختلفة في جريدة "المحرر"، مجلة "الصياد" و"ملحق الأنوار" الأسبوعي في فترة ما بين 1965م – 1972م. وذلك في الكتاب المعنون بـ"مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة"، وتم ترتيب هذه المقالات في ثلاث مجموعات/فئات حسب تتابعها التاريخي.

يقول الأستاذ محمد دكروب في الصفحة الأولى من الكتاب عن ثلاث مجموعات من المقالات التي يحويها الكتاب في ثناياه:

"المجموعة الأولي: مقالات فارس فارس التي نشرها في "ملحق الأنوار" الأسبوعي، خلال العام 1968م، تحت عنوان عام هو: "كلمة نقد".

المجموعة الثانية: مقالات فارس فارس في مجلة الصياد،.....تحت العنوان العام نفسه .....في عام 1972م، حتى وقت اغتيل غسان كنفاني.

المجموعة الثالثة: مقالات قصيرة جدا كان غسان كنفاني ينشرها بشكل يوميات في جريدة "المحرر" تحت عنوان عام هو "بايجاز" خلال العام 1965م[2].

خلاصة الدراسة:

1) كان غسان كنفاني رو ائيا وقاصا وباحثا مرموقا وصحافيا وناقدا حاذقا، وكاتبا سياسيا وفنانا تشكيليا واعيا من وسائله الفنية، وتحمل جميع أعماله هدفا واحدا وهو إبراز القضية الفلسطينية، و إيصال معاناة اللاجئيين

[1] المرجع نفسه، ص 12 .

[2] دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة، الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، 1996م، ص5.

الفلسطينين إلى العالم وبالأخص إلى الوطن العربي.

2) تضحية أغلى ما يكون من جهود، وأموال وأرواح في سبيل تحرير فلسطين، والتفاني في القضية القومية وأهمها قضية فلسطين.

3) على الصحافة أن تؤدي واجباتها ممثلة لأصوات المظلومين المقهورين، وتقف صامدة في وجه السلطات الجابرة.

4) السلطات الإسرائيلية غاصبة وغاشمة، و أنشئت دولة أسرائيل على أكذوبة وادعاءات باطلة، واحتلت الأراضى الفلسطينية ظلما وقهرا بهدف توسيع مشروعها الاستيطاني الجائر.

5) لابد من حمل البنادق في مواجهة الأعداء، تطوير العمل الثوري المسلح، وتعبئة الجماهيروتنظيمها وتجهيزها لمعركة التحرير، والمنادي بالوحدة الوطنية، والمجاهرة بالقضية القومية.

6) كتاب مقالات فارس فارس قد أسس النقد التفاعلي لأنه يتيح للقارئيين فرصة لمناقشة آرائهم وتفاعلهم بأهم المعطيات والقضايا في المجتمع.

7) لم تكن الكتابة النقدية عند غسان كنفاني من أنواع التسلية والفكهة، و انما هو عمل شاق، يتوجب على الناقد أن يكون واسع الثقافة، وله متابعة متواصلة لتيارات الفكروالفن والمستحدثات التي تحدث في محيطه وفي العالم.

8) ليس من هدف مقالات فارس فارس ولا من شأنها أن تسخر من شخص أولعمل ما، و إنما هي"إفضاح الضحالة والادعاء، والضجيج الفارغ، وإلقاء الضوء على عناصر القوة والضعف".

9) تعد صحافة غسان كنفاني من أفتك الأسلحة النضالية ضد العدوان الإسرائيلي، وبها نادى بالوحدة الوطنية، والحملة الثورية والعمل المسلح ضد القوى الإمبرالية الصهيونية.

10) ولعل دوره هذا في الصحافة أدى بالمخابرات الإسرائيلية إلى اقتر افها بالجريمة الشنيعة من اغتياله.

الهوامش:

(1) حنا مقبل، ندوة "غسان كنفاني..قال الوعي الفلسطيني"، مجلة "الهدف"، العدد 496، 11تموز، 1981م، ص35.

(2) عباس، إحسان، غسان كنفاني إنسانا أديبا ومنضلا، منشورات الاتحاد، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينين، ص133.

(3) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 20. لم توجد معلومات أخرى.

(4) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 2

(5) الأسدي، عبده، دليل صحافة المقاومة الفلسطينية (1965-1995)، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1998، صـ 57

(6) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص 20. لم توجد معلومات أخرى.

(7) المرجع نفسه.

(8) دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة،الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت،1996م، ص04.

(9) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص23. لم توجد معلومات أخرى.

(10)المرجع نفسه، ص: 23.

(11) الأسدي، عبده، دليل صحافة المقاومة الفلسطينية (1965-1995)، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1998، ص171.

(12) يعقوب، أوس داوود، الشهيد غسان كنفاني: ظل الغياب، موقع ديوان العرب، تاريخ التصفح: 2011/07/21،الرابط-https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF: %D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A

(13) يعقوب، أوس داوود، الشهيد غسان كنفاني: ظل الغياب، موقع ديوان العرب، تاريخ التصفح: 2011/07/21،الرابط-https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF: %D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A

(14) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113، ص23. لم توجد معلومات أخرى.

(15) دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة، الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، 1996م، ص 07 .

(16) المرجع نفسه، ص: 07.

(17)المرجع نفسه، ص 12 .

(18) دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة، الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت، 1996م، ص5.

المصادروالمراجع:

(1) الأسدي، عبده، دليل صحافة المقاومة الفلسطينية (1965-1995)، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، 1998.

(2) حنا مقبل، ندوة "غسان كنفاني..قال الوعي الفلسطيني"، مجلة "الهدف"، العدد 496، 11تموز، 1981م.

(3) دكروب، محمد، مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة،الطبعة الأولى، دارالأدب، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، بيروت،1996م.

(4) عباس، أحسان، غسان كنفاني إنسانا أديبا ومنضلا، منشورات الاتحاد، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينين.

(5) يعقوب، أوس داوود، غسان كنفاني: الشاهد والشهيد، فصول من سيرته الإعلامية والسياسية، فكر – ملحق العدد 113.

(6)يعقوب، أوس داوود، الشهيد غسان كنفاني: ظل الغياب، موقع ديوان العرب، تاريخ التصفح: 2011/07/21،الرابط-https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF: %D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 – 6628

صورة المجتمع المصري في رواية "أرض النفاق" ليوسف السباعي

دراسة تحليلية

محمد مزمل حق
باحث الدكتوراه: قسم اللغة العربية وآدابها
الجامعة العالية، كولكاتا-الهند
mozammel.amu@gmail.com

Abstract:

"The land of hypocrisy"(أرض النفاق)one of the famous novel written by Egyptian prominent novelist Yusuf Sibai. In this acclaimed novel he talks about moral decadence and the dissolution of high values in human socio-political and cultural life and its various aspects in a critical way and ironic framework. The writer adopted a distinctive narrative style that testifies to his scientific superiority and artistry. He told in this novel a fictional story and criticized in a harsh and violent manner. The novel talks about the conditions of the Egyptian people and political topsy-turvy before the Palestine war 1948 in the late forties of the twentieth century. Therefore, some critics considered this novel one of Sibai's works that heralded the end of the monarchy and the establishment of the republic in Egypt. The novel was came about three years before the July revolution 1952 and became a movie in 1968 bears the same name as the novel. In this auspicious research paper I will summarize some pictures of society, reprehensible behaviors of people and their despicable morals, such as hypocrisy, betrayal, cheating, political intrigues, the biased of the Egyptian Newspapers, the profession of beggary and other social issues and images that are evident through the text of the novel.

Keywords: The land of hypocrisy, Egyptian people, socio- cultural life, political turmoil.

الملخص: رو اية "أرض النفاق" واحد من أروع الأعمال الأدبية ليوسف السباعي، نشرها عام 1949م. وهي رو اية اجتماعية تبحث في عدد من المشاكل الاجتماعية والانحطاط الأخلاقي والسياسية الفاسدة التي تنتشر بكثرة في المجتمعات العربية. وتتحدث الرو اية عن أحوال الشعوب المصري في أواخر الأربيعينات من القرن العشرين. حيث يسرد السباعي قصة خيالية ممتعة ولكنها و اقعية تعالج شتى الأنواع من المشاكل والعيوب للمجتمع المصري والعالمي في تلك الفترة. وينتقد بها نقدا عنيفا للمجتمع الذي يعيش فيه الكاتب. وينكشف في هذه الرو اية أحوال الاضطر ابات السياسية في المجتمع المصري قبل حرب فلسطين عام 1948م. ولذلك عدها النقاد واحدا من أعماله التي بشرت بانتهاء الملكية وقيام الجمهورية في مصر. فقد صدرت هذه الرو اية قبل ثلاث سنوات من الثورة المصرية الشهيرة وهي ثورة يوليو1952. وأصبحت فيلما سينمائيا وبطولة الفنان فؤاد المهندس عام

1968م، ويحمل هذا الفيلم نفس اسم الرواية. فنلخص في هذا البحث بعض الصور للمجتمع وسلوكيات الشعوب المذمومة وأخلاقهم الدنيئة مثل النفاق والخيانة والغش ودسائس السياسة ولعبة الحكم والحكام ومتحيز الصحيفة المصرية والمهن التسول والشحاذة، وما إلى ذلك من القضايا الاجتماعية وصُوَرِها التي تتجلى خلال نصوص الرواية من أفكار أديب الحياة يوسف السباعي.

الكلمات المفتاحية: أرض النفاق، الشعب المصري، أزقة القاهرة، الاضطربات السياسية، الخيانة، الخداع

تلخيص الرواية والشخصيات الرئيسية:

تتكون هذه الرواية من شخصيتين رئيستين وهما "الراوي"(بطل الرواية) و"تاجر الأخلاق". وهي تبدأ على لسان الراوي الذي يصادف ذات مرة حانوتا ويشاهد لافتة مكتوب عليها "تاجر أخلاق بالجملة والقطاعي"، فيشك الراوي في سلامة نظره في أول مرة، ويعود القراءة أكثر من مرة ، ويجد أنه بالفعل دكّان لتاجر أخلاق، ويتحمس لزيارته ليسأل عن صاحبه حول بضاعته، فيعرض عليه التاجر أكياس مساحيق الأخلاق، ويتضح له بأنه يبيع الأخلاق للمجتمع المصري، فيجدها البطل تملأ متنوعة من الأخلاق الرفيعة مثل الصدق والإخلاص والشجاعة والصبر والعفة والصراحة والكرم وغيرها من الأخلاق الحميدة. فيندهش البطل وقال للتاجر: زَنْ لي رطلا من مساحيق الشجاعة، فرد التاجر أن هذه البضاعة لا تباع هكذا، فقال الراوي إذن كيف؟ ورد التاجر أنه لا يبيع البضاعة هكذا، يبيعها لمدة يوم أو أيام بلا ثمن، والحساب سيكون يوم الحساب. فأخذ الراوي كيس شجاعة لعشرة أيام، وقال له صاحب الحانوت، إذا جرعت مسحوق الشجاعة تصبح رجلا شجاعا لمدة عشرة أيام، فإذا أعجبك الحال وسرك أن تكون رجلا شجاعا فاحضر إلي قبل انتهاء الأيام العشرة حتى أعطيك جرعة أخرى.

يظهر الشك والريب في قلب الراوي عن المساحيق، وفكر في وباء جديد، كيف تكون الحال إذا كان المسحوق سما أو مواد أخرى؟ اشتد عضب التاجر وقال له دَع المسحوق و انصرف من فضلك. خاف الراوي وقال له يجب أن تكون صبورا وخذ من جرعة الصبر لكي تحتمل سخافات الزبائن، فأخبر له التاجر بأنه شرب من شوال الصبر جرعة تلو الجرعة حتى كاد الصبر ينفد، وتناول أيضا من كل مساحيق التضحية والمروءة والإخلاص والشهامة، ولكن انتهى به الأمر إلى أن يتهمه الناس بالجنون، وهزم في دنيا اللئام شر هزيمة. وسأله الراوي لم لا يتجر في النفاق والجين والمكر والرياء والخسة، هذه البضائع لا شك فيها أن الناس أقبل عليها كثيرا. فأخبر له التاجر بأنه يبيع كل أنواع من البضاعة واشتد زحام الناس عليه، وكان أكثر البضائع رواجا هو "النفاق". وأصبح "النفاق" بضاعة حكومية حتى يحصل كل إنسان بضاعة النفاق، وهكذا سرى النفاق في مشروباتهم ومأكولاتهم في نباتاتهم وحيواناتهم وأضحت أراضيهم "أرض النفاق". بعد سماع هذه كله من التاجر قرر الراوي بأنه جرب في الشجاعة عشرة أيام، و انطلق طريقه إلي البيت.

ولما وصل البطل إلى البيت أذاب مسحوق الشجاعة في الماء وشربه. وبعد قليل تغير حاله وبدأت عليه ملامح عجيب لم تكن من قبل، وأول من وقعت عليه شجاعته وهي خادمة بيته وبدأت المعركة معها في شؤون عائلية حتى ثارت فثرى وهاجت فهجى وشتمته فشتمها ولعنت أبيه فلعن الراوي أجداد أبيها. هكذا بدأت المعركة والخصم بشعاجته من المسحوق. ثم يقذف بالطربوش من رأسه ويظن أن هذا جبن التقاليد والخوف من أن يتهم بالشذوذ، وليس هذا من شعار القومية بل هذا جهل سخف. وينزل الشارع ويقف أمام محطات الأوتوبيس ولا يستطيع أن أوقف أي عربة، وبدأ ينتقد الحكومة المصرية بأنها تترك شركة الأوتوبيس تعبث بمصالح الناس، والشركة تترك السائقين يتحكمون في الشعوب العامة، وأما الرعاة الذين يملكون زمام الشعوب فهم في عيشة راضية، لا يحسون جوع الشعوب وحاجاتهم. وهم لا يقومون بإصلاح مصالح الأمة.

فكر كل ذلك حتى يأخذ الأوتوبيس وهي تجري بسرعة، وكادا تنزلق قدميه وصرخ الركاب ووقفت العربة، واشتد الغضب في وجه الراوي على السائق، فينهل عليه اللكمات حتى قبضه البوليس ليحكم عليه. وخاصم في قسم البوليس مع رجل الشرطة لظلمه على إمرأة. هذا وباء الشجاعة على الراوي بعد شربه.

وبدأ ينتصر للضعيف وبمضي في كل شيء كان قد خاف منه قبل شرب المسحوق، وتعارك مع الناس لسوء الأخلاق والمعاملة، وهذا كله سبب له متاعب كثيرة، منها فصله عن وظيفته الحكومية، فلقد بدا شجاعا إلى مديره في مكتبه، وحاول أن ينتقده، فبعدها لم يستطع أن يتحمل، لقد جرح نفسه وتهشم وتعب كثيرا، فعاد إلى حانوت الأخلاق مستغيثا، ويقول للتاجير أعطني مسحوق آخر فلم أعد أتحمل، وكل هذا حصل لي في يوم واحد، فما بال في الأيام التسعة الباقية، فسأله التاجر ماذا تريد؟ فيقول، أريد مساحيق الجبن أو النفاق أو المكر. ورَدّ التاجر: بأن هذه البضاعة قد نفدت كلها، وقد بيعت منذ زمن، لأن عليها طلب كثير.

تردد الراوي ثم طلب منه مساحيق أخرى غير الشجاعة، فأعطاه من شُوّال مساحيق المرووءة، فشربها، فلم يسلم فأصبح قلبه يرق للمحتاجين والمحتالين واستعد أن يخلع كل ملابسه ويعطيها لأي إنسان يبدو الحاجة والفقر عليه، وبدأ أن يخلع قميصه لشاب محتاج ويلبس هو نفسه قميص النوم لأم الشاب، وشكّ الأهل أنه جن جنونه وقرروا أن يأخذوه إلى مستشفى المجاذيب، فهرب من البيت بسرعة وعاد إلى الحانوت مرة أخرى مستغيثا إلى التاجر. ولما وصل الحانوت طلب من التاجر أن يقضي بقية العشرة من أيام عنده حتى ينتهي آثار المسحوق، وفي الحانوت يشاهد الراوي مسحوق الأخلاق، فسأله عنه، فرد أن هذا المسحوق لو شربه الناس لذهب عنهم النفاق والرياء.

وفي أثناء المحادثة قرر البطل أن يبيت ليله عند التاجر ويسترق بضاعة من مساحيق الأخلاق ويلقيه في مياه النهر الذي يشرب منه الناس ، ويتظاهر بالنوم، ثم يتسلل في هدوء في منتصف الليل، ويأخذ الكيس ويهرول

مسرعا نحو النهر الذي يشرب منه الناس، وأحس صاحب الحانوت فلحقه عند النهر وتعارك مع الراوي في مسألة مساحيق الأخلاق، وفي النهاية يقع كيس المسحوق ويذوب في الماء. فاشتد عليه غضب التاجر لكنه رضي عنه بالأخير.

والآن قد وصلت المياه عروق الناس، وبدأت أن تملأ بالأخلاق، وتخلو من قلوبهم شائبة النفاق. وبعد وصول مسحوق الأخلاق تغير حال الناس، حتى السياسيون للانتخابات أصبحوا ينادون جماهيرهم "يا كلاب ويا أولاد الكلاب انتخبونا لكي ينادونا بالمعالي والسعادة وكل صوت بخمسين قرش ومن لم ينتخبنا فيلعن أبوه".[1] وخطباء الجامع و أئمة المساجد أيضا تغيرت لغتهم وقد غاب النفاق عن قلوبهم، ويعترف واحد منهم في خطبة الجمعة بأنه يدس قطعة من الحشيش داخل عمامته.

وذهب الراوي مع صاحب الحانوت يتأمل الناس إلى الطرقات، ويتحدث عن فعلتهم. ويشاهد وباء الأخلاق و آثارها حياتهم اليومية. لكن في النهاية قبض هو وصاحبه وحكم عليه بالإعدام، ولكن تقدم الراوي مر افعته أمام الحاكم فتحول الحكم من الإعدام إلى الحياة، وتخلص من عقوبة الزنزانة، وخرج هو وصاحبه من المحكمة محملين على الأكتاف والهتافات تعلو "يسقط النفاق والمنافقون، لا نفاق بعد اليوم، نريد ماء أخلاق، ليسقط أعداء الأخلاق".[2] هكذا يذهب النفاق عن المحاكم والجرائد ورئيس الوزراء ومحقق النيابة والأزواج والقاضي والصحافة، والإعلانات والبرلمان والعشاق والأحزاب السياسية ويسقط النفاق من كل جوانب الأخلاق. وتنتهي الرواية بمشهد الناس على باب المحكمة يحملون التاجر وصديقه ويهتفون للأخلاق. وقال السباعي في نهاية الرواية: "هذه قصة النفاق والمنافقين وأرض النفاق، قصة قد يكون فيها بعض الشطط وبعض الخيال، ولقد كنت أنوى أن أختمها كما يختم كتاب القصة عادة قصصهم الخيالية، على أنها حلم، وعلى أني فتحت عيني فوجدت نفسي راقدا على الأريكة في الدار. ولكن يخيل إلي أن ما بها من حقائق قد طغى على ما بها من خيال. يا أهل النفاق!! تلك هي أرضكم وذلك غرسكم..فما فعلت سوى أن طفت بها وعرضت على سبيل العينة بعض ما بها. فإن رأيتموه قبيحا مشوها، فلا تلوموني بل لوموا أنفسكم..لوموا الأصل ولا تلوموا المرآة. أيها المنافقون! هذه قصتكم، ومن كان منكم بلا نفاق فليرجمني بحجر."[1]

هكذا تناول يوسف السباعي خلال هذه الرواية أوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة ويعالج قضية الأخلاق للشعوب المصرية ومشاكل النفاق السائدة في المجتمع، وهي من أكبر المشكلات التي تواجه أمة العربية

---

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص: 243.

[2] المصدر السابق: ص:284.

والعالمية في الأربعينيات من القرن الماضي حسب هذه الرواية. فنقدم أمام القارئ بعض الصور من القيم الخلقية والاجتماعية التي يعبر عنها الكاتب في هذه الرواية.

المجتمع المصري: صورة النفاق والغش والخيانة في ضوء الرواية:

يتحدث يوسف السباعي في هذه الرواية عن آراء عامة الناس من المصريين الذين يغدون ويروحون بين مكاتبهم وبيوتهم ويركبون الترام ويشتركون آراءهم وأخيلتهم و أفكارهم حول قضية المجتمع والوطن، حول الأمانة والخيانة، حول الإيمان والنفاق. ويقارنون كل القضية مع الأجانب. إنهم قارنوا قضية الوطن المصري مع قضية الوطن الأجنبي خاصة مع الوطن الإنجليز، كيف قامت الأمانة والديانة بين الأجانب عامة. وكيف انتشر النفاق والخيانة والخداع بين الشعوب المصريين. فأخذ يضرب أحد من ركّاب الترام أمثلة بأمانة القوم في إنجلترا وفي الأجانب: " وأن بائع الجرائد يترك الجرائد على الطريق.. والناس يأخذون الجريدة التي يريدونها.. ويضعون القرش في صندوق بجوار الجرائد. وأخذ البعض يعلقون على هذا المثل بقولهم: إنه لو حدث عندنا (في مصر) مثل هذا لما وجد البائع..لا الجرائد ولا النقود. وهكذا انهمك الركاب جميعا في الحديث.وسمعت فصلا كاملا عن أمانة الأجانب، وأن حرماننا من هذه الفضيلة هو سر تأخرنا[2]." هذا وضع خاص سائد في المجتمع المصري بعد الأربعينيات من القرن العشرين، وانهمك الناس كل يوم ينتقدون ويقارنون كل القضايا الوطنية. وكان الراوي (البطل) من بينهم في طريقه إلى المكتب يسمع كلامهم كل يوم، ولكن بعد شرب مسحوق الشجاعة يقدم أمامهم أوضاع حقيقة للعالم الذي يعيشون فيه، ويتضح قائلا: "ليس لهم كل الفضل والتقدير، بل الإنسان هو الإنسان في كل أمة وفي كل جيل، لو بحثنا عن الواقع لوجدناهم شرا منا".[3]

ويبين السباعي حقيقة الحال بلسان الراوي خلال نصوص الرواية،كيف انتشر الغش والنفاق في أولاد الأجانب حينما يدرس الكاتب في إحدى مدارس الجيش البرطاني، وفيه طلاب خليط من جميع الأجناس، وفيهم طلاب انجليزي. وعندما حل موعد الامتحان يستوعب هو وأصحابه كل ما درسوا جيدا. ويحسون من الامتحان خشية ورهبة. ويظنون أن الغش في مثل هذه الامتحانات التي يراقبها الإنجليز أمر مستحيل. ويعتمد الكاتب وصاحبه على أنفسهم دون غش. وطلاب من انجليزي الجنس يغشون في الامتحانات، لأن الكاتب قد تناول أثناء الامتحان ورقة فيها إجابة لبعض الأسئلة. "وكل طلاب في المدرسة الجيش البريطاني يغشون في الامتحان وينقلون

---

[1] المصدر السابق: ص:286.

[2] يوسف السباعي: أرض النفاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص: 63

[3] المصدر السابق: ص:64.

من هذه الورقة. و اتضح في النهاية أن هذه الورقة كانت مكتوبة بمعرفة مر اقب الامتحان. وتمر على كل طالب ليغش منها ما يريد ثم يسلمها إلى جاره".[1]

هؤلاء هم الأجانب وجيل الإنجليز وصورتهم القبيحة، إنهم ليسوا خيرا من أمة مصرية أو أمة عربية كما يُحسن الظن بأخلاقهم، ولكن فيهم غشاش مخادع وكذاب ومنافق، وهذه الأجناس من الناس موجود في كل أمة وفي كل جيل. ثم قارن الكاتب بريشة قلمه بين الجيل القديم والجيل الجديد. إن الآباء والأجداد توجد فيهم أنانيون وكذابون و آثمون مثل هذا الجيل الجديد المصري. وتذكر جيوش الحلفاء ومعاملاتهم. كيف كان يبيعون مهماتها وأسلحتها وعربتها المسروقة بأبخس الأثمان. وكبار المتعهدين يرشون، وهم يسببون خسائر لأمتهم التي هم أمناء على أموالها. في الحقيقة إنهم لصوص، ومرتشون وغشاشون، سرقوا من أمتهم وخانوا أمتهم، وغشوا أمتهم. هؤلاء هم أهل بلاد بره الذي يرى فيهم مثلا عليا، وهم في الحقيق أشد انحطاطا وأردأ خلقا، وهذه الأجناس من شرار الخلق توجد في كل أمة وفي كل جيل في العالم، لا في العالم العربي فحسب بل في العالم كله.

صورة مكاتب مصر ومحاكمها في ضوء الرو اية:

يوسف السباعي أديب من أدباء الحياة. ساهم في أدبه و انتاجاته انعكاس المجتمع المصري الو اقعي الذي يعيش فيه الأديب. ويتأمل السباعي الحياة الشعبية المصرية من قريب. وراى كل العيوب التي شاعت في المجتمع المصري. فيه النفاق والرياء والمداهنة، وفيه السياسة القذرة، وفيه لعبة الحكم والحكام. توضح كل ذلك بلسان بطل هذه الرو اية. ورسم قلم السباعي تصوريرا عميقا للمكتب الذي يعمل فيه بطل هذه الرو اية في مصر. وتشكل المكاتب والمحاكم كل يوم جر ائم كثيرة.

بعد شرب جرعة الشجاعة ذهب البطل إلى مكتبه متأخرا نصف ساعة. وهذا ليس من عادته. وهو رجل شديد المواظبة، ولكنه تأخر لآثار الشجاعة التي تسيل في عروقه. فوبخه رئيس المكتب وزجره وسب أمام كل موظف، مع أن هذا الرئيس يشرب الخمر كل يوم ويترنح من فرط السكر، وله مشاجرة بينه وبين زوجته المخلصة المحصنة، لأنه بات بعض الليالي مع الر اقصات، وليس له أي فكر في شؤون المكتب، و إنه غير مخلص في عمله الموظفة. فهذا أخلاقه وهو يرأس المكتب.

بعد توبيخ الرئيس عاد البطل إلى قسمه، وفيه ملفات كثيرة، قد خيمت عليها العناكب وعلتها الأتربة، كلها مصالح الناس، قد أنهكها الروتين الحكومي. هذا هو السرطان لكل مكتب من مكاتب المصرية، وهذا هو الداء المستعصى والعلة المستحكمة ليس له أمل في الشفاء منه. وإن الآلة الحكومية تسير كالسلحفاة تغفو وترقد. ومن

[1] المصدر السابق: ص::65.

بينها ملفات للسيدة "زهرة عبد الحميد" زوجة المحروم "إبراهيم أفندي الواحد الموظف بوزارة الأوقاف. هذه المرأة تطلب من الحكومة عن نصيبها في معاش زوجها الراحل، ولم يترك لها زوجها سوى معاشه من الحكومة تعيش منه. وهذا الملف منتفخ حاشد بالأوراق مكتظة بالتأشيرات والامضاءات. وقد مضى على طلب المرأة سنتان. وفي الأخير رفضت الحكومة الطلب، لأن ميزانية الدولة لا تتحمل كل هذه الأعباء.

هذه هي الأوضاع التي تسير عليها حكومة مصر. وكان البطل من موظف هذا المكتب. فأراد أن يقوم بشجاعته إلى جانب هذه المرأة المظلومة. وكتب لها إلى الحكومة مذكرة يلتمس بها لإعادة النظر في هذا الملف. ولكن الحكومة تنهره وتهدد من وظيفته. وصاحب السعادة الوكيل يرمي إليه صفة المجنون. فقرر البطل أن يغادر المكتب لا يريد أن يوظف بينهم، بين هؤلاء المنافقين المداهنين، هي الحرفة التي تواصل إلى الحكم. الحكم في هذا البلد ليس وسيلة لشيء لقيادة البلد والنهوض به والعمل على رخاء الشعب واصلاح مصالح الناس. وهذه الأشياء لا تأتي في أذهان الحاكمين إلا عرضا. ويقول السباعي في نص هذه الرواية: "هذه اللعبة لعبة الحكم والحكام، وما يتبع ذلك من انتخابات وبرلمانات وأحزاب وسياسة، هي شر ما ابتليت به مصر!! إنها عقبة الكئود، والأغلال الثقيلة التي تعرقل سير الأمة وتثقل كاهلها[1]."

صورة أزقة القاهرة وحياة الشعب في ضوء الرواية:

وصل قلم يوسف السباعي في هذه الرواية إلى أزقة القللي في القاهرة وأحياءها، كيف يعيش فيها الناس وكيف يمضي حياتهم بين هذه الأزقة والسراديب القذرة النتنة. ويجول قلم السباعي و أفكاره في معظم الشوارع التي تسكن إلى جوانبها عائلات مسكينة بين القاذورات المتراكمة والسراديب الضيقة التي لا تتسع لمرور عرباتها الفخمة الطويلة العريضة. لا يلفت إليها وزير الأشغال ومدير التنظيم أنظارهم، خاصة إلى أزقة القللي والبولاق وزينهم وغيرها من البلدة التي تعيش فيها الأحياء من أجناسها. والحكومة المصرية لا شك مقتصرة في أمر هؤلاء التعسين. وقد تكون القذارة والتنتة فنًّا لهم. ويرى الكاتب بعين البطل إمرأة فنّانة القذارة جلست على قارعة الطريق بجوار الجدار، وهي لا شك فقيرة تعيش حياة قذرة بين القاذورات وتحرك الذباب. ورأى رجلا يبيع شقق البطيخ كأنه ورق الذباب وكأن هذا الرجل تمثال للقذارة يتمخط ويبصق بين ثانية وأخرى. ولوثت يده بماء البطيخ وحوله تناثر قشر البطيخ وعلى مقربة منه جدار يقضي الناس حاجتهم بجواره وتفوح منها رائحة الصُنان. فينصح البطل هذه الأحياء ودعاهم إلى النظافة والإيمان بعبارة تالية:

"يا أهل القذارة.. رحماكم.. إن النظافة من الإيمان.. وهي نوع من الإيمان لا يكلفكم كثيرا ولا قليلا.. لا

---

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص: 74.

يكلفكم أكثر من أن تتعودوه.. لا يكلفكم أكثر من أن تتناسوا قليلا فن القذارة..وتكفوا عن غلوائكم فيه.. إذا كنتم لا تطيقون النظافة، فكونوا قذرين، ولكن بقدر، لتجعلوا لكم يوما في الأسبوع تتمتعون فيه أنفسكم بالقذارة. تتمرغون في التراب، وتطلقوا أطفالكم في أكوام القمامة، وتسكبون من النوافذ ما شئتم من الماء لآسن..وتحتفلون فيه تكريم الذباب والبق وكل أنواع من الحشرات التي تعاونكم على التمتع بالقذارة. أما في باقي الأيام فاغتسلوا واغسلوا أطفالكم ودوركم ونظفوا أزقتكم وادفنوا القمامة، وحاربوا الذباب وغيره من حلفاء القذارة. افعلوا ذلك ..جربوا النظافة"[1].

ويؤكد البطل لهذه الأحياء أن ينظفوا كل شيئ حولهم، وإن لم تفعلوا فإنه يشتكي إلى الحكومة أن تفرضوا عليهم عقوبة الجلد على هؤلاء العشاق القذارة حتى تستقيم قناتهم ومعيشتهم ويحرضوا بعضهم بعضا على النظافة لأنها شطر من الإيمان.

صورة الشحاذة والتسول في المجتمع المصري:

تنتشر ظاهرة التسول في مصر بشكل كبير، ففي الشوارع يفترش المتسولون الأرصفة ويتمركزون أمام المحلات التجارية وداخل المواصلات العامة كالمترو وموقف الأتوبيس وسيارات الأجرة ويستخدم هؤلاء حجج مختلفة لاستجداء مشاعر المواطنين، منها مرض المزمن والعاهة، والمرأة المعيلة التي تخلى عنها زوجها أو فارق الحياة. والبعض قد يكون في احتياج حقيقي للأموال التي يحصل عليها عن طريق التسول، ولكن الأغلبية العظمى تتعامل مع التسول لمهنة وتجارة مربحة، رأس مالها هو مد اليد لطلب العون من الناس في الشوارع. يحسبهم البعض الفقراء وهم في الحقيقة أغنياء في زي متسولين. يعشون في كل أنحاء مصر متنكرين في ثوب رث.

ولقي البطل في هذه الرواية شحاذا في طريقه إلى البيت بعد جرعته من المروءة عند تاجر الأخلاق. وأراد أن يطعمه ويعطيه شيئا من النقود. ولكن هذا الشحاذ كان نشالا ينشل جيوب الناس. وينشل جيب البطل الذي يعطف ويرحم عليه وأراد أن يطعمه ويشبعه من الجوع في مطعم فاخر. وهذا ظهر حينما ينتهي من الطعام وأراد البطل يدفع ثمن ما تناوله من الطعام. ولكن هذا الشحاذ الماكر النشال قال لصاحب المطعم بعد أن يتأمل حال البطل "خلي الأكل في حسابي" وفي وجهه لمحة من السخرية الخفيفة. لأن هذا المتسول في الحقيقة من الأغنياء والأثرياء. وهذا التسول والشحاذة حرفته. وأخبره بأن في مصر ملائين من الشحاذين الذين يحترفون حرفة التسول ويمتلكون عقارات عديدة، وهم صاحب ملائين جنيهات. وأن الحصيلة الشهرية لهم تتجاوز آلاف جنيه. ونصح له الشحاذ أن يضع المروءة في موضعها، ويعطي الإحسان لمن يستحقونه. وذهب به إلى مجمع الشحاذين. وشاهد

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر1949، ص: 115.

هناك منظرا عجيبا، وهو أن رجلا يقف على قدميه سليم الذراعين، ولكن شد ذراعه على جسده بشدة وثنى ساقه من الركبة بطريقة، ثم شدها إلى فخذه بالأربطة بحيث لم يعد يشك الناظر إليه في أنه مقطوع الذراع والساق. وهناك إمرأة تمثل كأنها ضريرة. وأخبر الشحاذ أن لديهم مؤلفين لتأليف أغاني في التسول، وملحنين لوضع الألحان لها. وأراه حجرة المخزنة المليئة بجميع الأنواع التي يحصل عليها الشحاذون عن طريق التسول من كسرات خبز وملابيس قديمة وأطعمة، ولهم هيئة مسؤولة عن بيع هذه الأشياء. وهناك روضة الأطفال يتولون فيها تدريب الأطفال على مهنة التسول.

هذه هي الصورة للشحاذين الماكرين الذين يحترفون التسول والشحاذة ويحصلون عليها ملائين جنيه. ويحرمون كل من يحتاجون إلى هذا الإحسان. فنصح السباعي بلسان الشحاذ:

"إن هناك الملايين..ممن يستحقون العون، ولا يجسرون على أن يمدوا أيديهم للسؤال..وألئك الذين فقدوا كل شيء.. إلا ماء وجوههم.. والذين أضاعوا كل ما يملكون إلا كرامتهم. أولئك الذين يستحقون أن تهب لهم مروءتك..كل ما استطعت وتعطيهم من إحسانك فيضا غزيرا. وأؤكد لك أنك لن تجد صعوبة في البحث عنهم، فهم تحت بصرك.."[1].

صورة أهل الخداع:

يواجه البطل في هذه الرواية تجارا من المنافقين الذين يخدعون الناس بكل صراحة على الشوارع يبيعون سلاحهم الخاسر وغير صالح. ويرسم قلم السباعي هذه الصورة ينتقد نظام الحكومة التي لا تنفذ قوانينها على التجار المخادعين. حينما ذهب بطل هذه الرواية ليزور جاره مصاب بداء النسل والذرية ليعطف عليه بمروءته، وأراد أن يشتري بعض الأمواز لأطفال الجار ويشتري سبع أقات من الموز في شارع الأزهر. ويَعْبُر السكة الجديدة ويسمع صوتا من المنادي يبيع البيض ويظهر بأنه رجل ريفي وبجواره امرأة ريفية، وفي مجموعة من البيضاء زوج من الحمامتان، فاشترى منهما البيض والحمامتان وادفعهما سبعين قرشا. ولكن في الحقيقة بائع الموز والبيض كلاهما محتال، ولا يبدو عليهم قط إنهم مخادعون وظهر كل ذلك حينما فرّ منه الحمامتان المدربتان في الطريق، وخاب أمله في أخذهما، وحينما وصل إلى بيت جاره وقصّ عليهم قصة ما حدثت في الطريق، دهش الرجل وامر أته قائلا بأن كل البائع في شوارع المدينة مخادع غشاش، يغشون المشتري، وفحص قرطاس الموز فيبدو بأنه محشو بالقمامة، لقد خدعه التاجر.

في هذه الطريقة يخدع الناس كل يوم في البيع والشراء، ويعبر قلم السباعي بلسان البطل: "ليس الذنب

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص: 122.

ذنبي.. إنه ذنب الذي سكب النفاق والغش والخديعة في النهر.. ماذا يفعل ذو مروءة بين أهل الخداع في أرض النفاق"[1].

وقد توضح يوسف السباعي أفكاره الفلسفية ضمن هذا الخداع لإنقاذ الأمة من الداء الذي سرى في عروقهم حيث يقول: " إن الثمار في هذا البلد تجف وتذوى.. بلا تكاثر ولا تناسل .. أما الأشواك فقد بارك الله فيها فملأت ربوع الأرض .. إن المسألة تحتاج إلى قانون ينظمها.. فهي ليست مسألة أفراد، بل مسألة أمة[2]."

أحوال الخطباء في المساجد:

يقدم يوسف السباعي في هذه الرواية صورة الخطباء والأئمة في مصر الذين تولوا القضايا الدينية وأخذوا زمام الشعوب المصرية، يقودونهم ويرئسونهم وفي قلوبهم نفاق يخطبون أمامهم يوم الجمعة ويحثونهم على ترك المنكرات يتضحون لهم أضرارها ويذكرونهم ما أعد الله لهم من عقاب في الدنيا والآخرة، ولكنهم أنفسهم يرتكبون كل الجرائم والمنكرات، يحثونهم على ترك الحشيش وهم مدمنون فيه، يلقون الخطبة وفي قلوبهم نفاق يكتمونه. يحثون الناس بما لا تحث فيه أنفسهم، تاركا وراءه قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]

فحرض الكاتب يوسف السباعي شبان المصري أن يقيم مجتمعا فيها، كل إنسان من هذا المجتمع يكون على أحسن خلق مدى الحياة، لن توجد فيه شائبة النفاق والغش والخداع والرياء والجبن واللؤم والدناء والسفالة حتى يكفي أن يجعل أرضه أي مصر أرضا نموذجية، يوجد فيهم روح الأخلاق. ورسم قلم السباعي في هذه الرواية بأن بطلها تناول جرعة الشجاعة والمروءة حتى صار إنسانا شاذا. كان شجاعا بين الجبناء وكريما بين البخلاء ورجلا طيبا بين السفلة الأشقياء. وأراد أن يجعل كل إنسان في مصر بلا نفاق، يوجد فيهم مكارم الأخلاق. ولأجل هذه المهمة الكبرى يسرق مساحيق الأخلاق من تاجر الحانوت، ثم انطلق به إلى نهر النيل ويصب فيه ما به من مساحيق الأخلاق حتى يغير كل أنواع من سوء الأخلاق وشرها بين الناس. وتجعل أرض النفاق بلا نفاق. ولما علم صاحب الحانوت ما حدث له من الرجل من مساحيق الأخلاق خرج وراءه ليشاهد كلا هما أحوال الناس بعد أن تذوب عروقهم من ماء النيل.

ومن بين هؤلاء الناس هذا الخطيب الذي يخطب أمام الناس وظهر تأثير المياه الممتزجة في عروقه. وذهب به النفاق وتطاير وتبدد حتى قال أمام الناس في خطبته يوم الجمعة:

---

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص:157.

[2] المصدر السابق: ص:139.

"عباد الله هذا عهد بيني وبينكم.. أقسم أن لا أخطب فيكم وفي عمامتي أي فص من الشر.. أقسم ألا أنهاكم عن السوء قبل أن أنهى نفسي".

ويقدم أيضا أمام الناس نصيحة بالغة، وهذا ما يقدم قلم السباعي فكره الرئيسي عبر هذه الروية:

"لا تلوموني.. فأنا منكم.. منافق بين المنافقين.. أو هكذا كنت.. حتى أحسست فجأة بعد أن انتهيت من خطبتي أن كل ما بي من نفاق قد تطاير وتبدد. عباد الله.. إن في عمامتي وفي صدري فصوصا من السخائم سأقذف بها قبل أن أقيم الصلاة. عباد الله كونوا مخلصين من صلاتكم، واذكروا الله فيها، وفي غيرها. اذكروا الله دائما.. اسجدوا بقلوبكم وأرواحكم.. لا بأجسادكم، واجعلوا مياه الوضوء تغسل أفئدتكم ونفوسكم قبل وجوهكم و أقدامكم. عباد الله كونوا دائما طاهرين.. إن الطهارة طهارة النفس.. لا طهارة الجسد. عباد الله.. صلوا بأذهانكم في كل غدوة وروحة.. اجعلوا الصلاة وسيلة، لا تجعلوها غاية".[2]

هذه هي الأوضاع التي تدور أحداث الشعوب المصرية، وهي تتجلى بقلم يوسف السباعي، وفي حلمه تخلو مصر من نفاق، توجد فيها في كل الشعوب والسياسيين والقضاة المصريين مكارم الأخلاق.

أحوال السياسيين وحفلة انتخاباتهم في ضوء الرواية:

يتحدث السباعي في هذه الرواية عن أحوال السياسيين المصريين، وكيف تقوم فيها حفلة انتخابية أو معركة انتخابية. وكيف يفرغ للناخبين شربات أحمر مثلج من بعض المرشحين وبعضهم يذبحون فيها عجلا. ويقدم صورة معركة الطعام بين جمهور الناخبين في هذه الحفلة. وبعد معركة الطعام يلقي الخطيب خطبة سياسية انتخابية أمام الناخبين، ويقرأ تاريخ حياة المرشح ويقول بأنه من نسب الرسول ﷺ، ولم يحاول هو أن يعتمد على ثروة أبيه، بل شق طريقه بنفسه. وأخذ يقدم من نجاح إلى نجاح، هذا هو الرجل النموذجي الكامل. وقارن الخطيب بينه وبين المرشحين الآخرين. ولمّا تطاير النفاق من قلب الخطيب تبين الحقيقة أمام الناس، مثل "زينهم باشا" المرشح للانتخاب والمرشح الآخر "عبد الوحيد بك أمين" وغيرهم في ضوء الرواية، ليسوا من السياسيين المصلحين، كل منهم الرجل النموذجي السيئات الكامل النقائص. ليس من أحدهم من نسل النبي ﷺ. وإنهم جمعوا الأموال وتملكوا على الثروة بالغش والسرقة والتجارة في السوق السوداء.

ويهدف يوسف السباعي من السياسة المصرية هي وحدة وادي النيل تحت التاج المصري وطرد الجندي الانجليزي من أرض مصر والسودان والاصلاح الداخلي للوطن مثل إصلاح حال الفلاحين والعمال ورفع مستوى

---

[1] القرآن،سورة الصف ، 2-3.

[2] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر1949، ص:226-227.

المعيشة بين الطبقات الفقيرة. حتى لا يبقى بين المصريين أي عاطل أو مظلوم. ولكن زمام مصر آنذك في يد الجاهليين ليس لهم حنقة في السياسة ولا تجربة نافعة فيها. ولكن مع ذلك على كل السياسيين المصريين الذين يفكرون في مصالح الشعوب أن يبسطوا طرق الوحدة أو الاتحاد بين الأفراد والجماعة والاختلاط والامتزاج والتحاب وتبادل المنافع حتى يصبح لا غني لأحدهم عن الآخر ويصبح كل منهم كفرد واحد ولا تستطيع أن تحول بين اتحادهما أية قوة.

ولكن في العكس أول هدف لكل السياسيين المصريين هو دخول مجلس النواب وأن أصبح نائبا محترما وذا منصب وجاه. وفي هذه الرواية يقدم السباعي حقيقة ما تجول في قلوب السياسيين. ومن أحدهم يشرب ماء الأخلاق بعدما تذوب فيه مساحيق الأخلاق من قبل بطل هذه الرواية حتى تطاير نفاقه من قلبه ويخاطب الشعوب في حفلة انتخابية:

"أيها الناخبون الكرام.. أنتم كرام حتى تنتخبوني.. فإذا ما فزت في المعركة فأنتم أوغاد لئام. يا كلاب.. يا أولاد الكلاب.. لا بد لي من تملقكم وخطب ودكم ومجاملتكم ورشوتكم بالطعام والنقود والخطب والوعود.. حتى تجعلوني نائبا.. فإذا ما جعلتموني فاغربوا عن وجهي فما عادت بي إليكم حاجة. إياكم أن تكونوا حسن النية فتسألوني الوفاء بالوعود.. إياكم أن تطلبوا مني التوسط في قضاء حاجتكم فإني أؤكد لكم أني لن أجد من وقتي فسحة لسماع سخافاتكم. أيها الرعاع الحوش.. لقد ذبحت لكم عجلا.. أنزل الله في جوفكم بالسم الهاري.. أطعمتكم (فتة) جعلها الله في بطونكم نارا كاوية.. أنتم قوم لا تتحركون إلا للمنفعة.. منفعة الحيوب أو البطون. أليس كذلك يا شيخ علي؟ لقد لدعت مني ثمنا للخطب التي كتبتها جنيهين غير الغداء والعشاء. أيها الناخبون اللئام..سآخذ أصواتكم وأعطيكم ثمنها.. لا تنتظر مني وعودا، فأنا لا أشتري (شككا) سأدفع لكم نقدا.. الصوت بخمسين قرشا"[1].

هذه هي الأوضاع السياسة وعيوبها التي يقدمها يوسف السباعي بقلمه الساخر، وهؤلاء الناخبون وصورتهم التي قد تذوب عروقهم مساحيق النفاق، النفاق في السياسة وبين السياسيين والنفاق أيضا يذوب في عروق الناخبين الذين يأخذون الرشوة من كل أصواتهم. ويفكر السباعي انقاذ كل منهم من هذا المرض لإصلاح الجيل الجديد الذي لا تبقى فيهم شائبة النفاق. وصار بلاد مصر بلا نفاق.

صورة الصحافة المصرية في ضوء الرواية:

كان يوسف السباعي صحفيا كبيرا من الصحفيين الذين يرءسون جرائد مصرية شهيرة مثل جريدة

[1] يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص: 243- 244 .

الأهرام وغيرها. ويعرف أيضا عما يجري وراء كواليس الصحف المصرية، ويقدم أيضا هدف معظم الصحيفة المصرية. وهدف كل صحيفة مصرية ليس الوطنية ولا خدمة الشعب ولا فيها حرية الرأي ولا رفع منار الفضيلة المصرية وثقافتها. بل هدفها المكسب وأكل العيش والربح. "فإذا كانت الوطنية مربحة فلتحي الوطنية، وإذا كان الهزل والفكاهة أكثر ربحا، فلتسقط الوطنية وليحي الهزل والفكاهة. وإذا كان ذكر الفضائح أشد ربحا فلتحي الفضائح."[1] هكذا تحقق هدف كل صحيفة مصرية في نظر الكاتب.

إن يوسف السباعي روائي شهير الذي يقدم أفكاره في حرية الوطن، حرية من الإنجليز والصهيونية، حرية من جميع أغلال الأعداء المستعمرين، حرية في أقلام الصحفيين وآرائهم. لأنه يرى بعض الصحف تتملق شركات السينمائية الأميركية التي تساعد الصهيونية، وتتملق بعضهم السياسيين لكسب النقود فقط. ويقدم آراءه حول الصحفيين بلسان بطل الرواية :

"هذا كاتب قد فعلت فيه الجرعة (جرعة ماء الأخلاق) مفعولها.. إننا سننتظر منه خيرا كثيرا، فليس أنفع في الأرض من أهل الفكر المخلصين الصرحاء الذين يكتبون بقلوبهم، فهم خير قادة للبشرية وخير واق للإنسانية، ولكننا في هذا البلد قد أتلفناهم.. فقد تحولوا من كتاب وأهل فكر إلى باعة كلمات وتجار أفكار.. ستستأجرهم الجرائد لقاء أجر شهري فيوردون لها المقالات بكميات معرفة في مواعيد منتظمة..يكتبون لمجرد ملء الفراغ وسد الخانة.. إن الكاتب منهم لا يكتب حين تنضح في رأسه فكرة أو حين ينزل عليه وحي، إنه يكتب بلا فكرة وبلا وحي، يكتب لأن موعد تقديم المقالة قد حان"[2].

هذه هي الصورة لصحف مصر تنعكس في هذه الرواية بقلم السباعي، وبه يمثل بطل هذه الرواية حينما قبض عليه وعلى تاجر الحانوت في جريمة التي ارتكب كلاهما، ألا وهي مسحوق الأخلاق وذوبها في ماء النهر، حتى انتشر بين الشعوب وباء الأخلاق ونَقَص منهم النفاق. ورأى البطل في السجن في بعض الصحف المصرية، إن مياه النيل قد تذوب في عروق بعض الصحفيين ونَقَص منهم النفاق، وهذا ما ظهر في أقلامهم وفي عملهم الصحفية التي يشاهد فيها البطل عناوين المقالات بلا نفاق. إنهم كتبوا من وحي قلوبهم. ويلقون في كتابتهم حقيقة الأوضاع التي تدور فيها أحداث الوطن وأحداث الشعوب والقضايا الوطنية لإصلاح الناس ومجتمعهم. ويلقون الضوء على أحوال الوزراء واشتغالاتهم السياسية. ووزير التجارة ووزير المالية بينهما التنازع على بعض الاختصاصات والمواقف السياسي.

---

1 يوسف السباعي: أرض النفاق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949، ص:257.

2 المصدر السابق: ص:261- 262.

نتائج البحث:

يستنتج من هذا البحث بأن رواية "أرض النفاق" هي رواية اجتماعية و اقعية تحلل سوءات المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب، وتثير القضايا المختلفة وتعالج مسألة انتشار النفاق والأخلاق الدنيئة التي ابتلى بها الشعوب المصري قُبيل منتصف القرن العشرين. وفي ذلك الأيام تشهد مصر تدهورا في مختلف القطاع من القطاعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. من هناك بدأ العديد من الشعوب المصريين في ارتكاب أفعال منحرفة. ويقوم من الإجرائات التي لا تتفق مع الأعراف السائدة. وأراد الكاتب بهذه الرواية إصلاح المجتمع وحياة الشعوب التي تخلو من شائبة النفاق. وقد نالت هذه الرواية قبولا حسنا حتى تناول كثير من الباحثين والنقاد المعاصر نقدا وتحليلا من منظور مختلف. تقول باسمة العنزي كاتبة كويتية عن هذه الرواية: "أرض النفاق رواية قديمة جديدة تستحق القراءة، لما تبقى من متعة وما تبعث من تساؤلات، وما تلقي من أمنيات أبرزها أن ينتشر تجار الأخلاق بيننا، ويقل منسوب النفاق من حولنا".[1] وقالت أيضا: كيف لرواية كتبها أديب مصري قبل أكثر من نصف قرن أن تبدو لقارئها العربي، وكأنها تعبر عن الوقت الراهن بكافة تفاصيله السياسية والاجتماعية والنفسية".[2]

قائمة المصادر والمراجع:

1. السباعي، يوسف: أرض النفاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1949م.
2. يوسف السباعي بين الرومانسية و الواقعية ، لوسي يعقوب ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 2007 م.
3. فن الرواية عند يوسف السباعي ، نبيل راغب، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة 1980م.
4. العنزي، باسمة: لغة الأشياء /تاجر الأخلاق، جريدة الراي، نشر المقال في 28 يونيو 2010م الرابط: www.alraimedia.com/ampArticle/192811
5. الروائيون الثلاثة (نجيب محفوظ، يوسف السباعي، محمد عبد الحليم) يوسف الشاروني، مركز الحضارة العربية بالقاهرة ، 2003م.
6. يوسف السباعي سبعة وجوه ، حنان مفيد ، دار الشروق بالقاهرة ، مصر 2005م.

[1] العنزي، باسمة: لغة الأشياء /تاجر الأخلاق، جريدة الراي، نشر المقال في 28 يونيو 2010م الرابط: www.alraimedia.com/ampArticle/192811

[2] المرجع السابق. أنظر.

February 2022 (Vol-04 Issue 38) مجلة التلميذ
ISSN 2394 - 6628

توظيف التراث في مسرحيات جمال أبو حمدان

("حكاية شهرزاد الأخيرة " أنموذجا)

الدكتور معراج أحمد معراج الندوي
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عالية ،كولكاتا - الهند
merajjnu@gmail.com

Abstract: **Jamal Abu Hamdan, a Jordanian writer. He is best known in the Arab world for his plays which have been performed widely. Some of his creative works have been approved for study in literary appreciation courses and modern Arabic literature in Arab and foreign universities. In the fields of theater and story, he won the award for the best book in the field of children's literature in the International Year of the Child, the award for best playwriting at the Fifth Jordanian Theater Festival organized by the Ministry of Culture in 1997 He wrote five collections of short stories, tow novels and five plays. He dealt with cultural heritage in his plays derive its components from the heritage of the Arabs and Muslims. The play" Hikayat Shaerzad al- akheerah" shows past heritage that can unify polar identities and bring the best out of them in a loving relationship. The play, thus, explores the contested nature of identity. The research aims to identify the ways in which the cultured heritage is used in the Jordanian theatrical script.**

الملخص: كان جمال أبو حمدان قيمة أدبية أردينة عالية، فهو كاتب مسرحي من الطرازالاول، لقد فازلتميزه بالعديد من الجوائزفي مجال المسرح والتلفزيون بأعماله الدرامية التراثية والتاريخية العربية. إن عملية توظيف التراث في الفن المسرحي تتطلب الانفتاح على الآخر بوعي ونضج، محاولة الإفادة من كل منجزاته الإيجابية لتحقيق التقدم، وبناء مجتمع إنساني يقوم على الأخلاق والقيم السامية. لجأ الفنان المسرحي إلى التراث كوسيلة فنية حتى لا يسقط في المباشرة التي تقتل جمالية الإبداع، وينبغي أن يتم التفاعل الفني بين الدلالة التراثية كحقيقة وتاريخية للمرموزله، وبين الدلالة الفنية المعاصرة كوسيلة فنية. يسعى هذا البحث إلى الكشف عن التجربة المسرحية عند الأديب الأردني جمال أبوحمدان وملاحظة معالمها الأدبية، وإظهارجوانبها المختلفة للإطلاع على مدى التميزوالرقي والشفافية التي امتلكها أعماله. وتكشف الدراسة أيضا عن مسيرته وتجربته في توظيف التراث في مسرحية "حكاية شهرزاد الأخيرة".

الكلمات الرئيسية: جمال أبو حمدان، المسرح العربي، التجربة الإبداعية، توظيف التراث، حكاية شهرزاد الأخيرة

المدخل: التراث في مفهومه البسيط هو الذاكرة الإنسانية بكل تجلياتها المعرفية والعلمية والثقافية والأدبية والفنية. التراث هو الموروث الثقافي والفكري والأدبي والفني.[1] التراث من أهم القضايا التي انشغل بها الفكر العربي الحديث، بطرح مفاهيمه ومصطلحاته الإجرائية، ورصد قضايه الفكرية والمنهجية، و ابراز اشكالاته الويصة رؤية وموضوعا ومنهجا في مجالات المعرفة الأدبية والفنية والفكرية، نظرا لأهمية التراث العربي في بناء الثقافة العربية الحديثة ومدى دوره الكبير في الحفاظ على الهوية والذات والكينونة الوجودية. لقد خاض العديد من الكتاب في توظيف التراث في أعمالهم الأدبية ومهنم جمال أبو حمدان الذي كتب في أكثر موضوعات الإبداع الكتابي من شعر وقصة ومسرحية، ومسلسلات وبرامج إذاعية وتلفزيونية وكذلك تركت لنا من آثاره في فن الرواية.

ومن المعروف إن الإنسان لا يمكن أن يعيش دون تراثه وذاكرته وثقافته وفنونه وحضارته، ولقد عرف الإنسان العربي تراثه زاخرا بالمنجزات الهائلة في شتى الميادين والمجالات، وصار يضرب به المثل في الفكر والأدب من حيث الانجاز والاختراع والابتكار، ولقد امتد إلى الإبداع الأدبي والفني من الناحية العامة والمسرح العربي من الناحية الخاصة، إذ بدا المسرح العربي مساره الفني والجمالي والدرامي مستمدا من المسرح الغربي وسرعان انتقل إلى مرحلة التجريب والتحديث والتأصيل والتأسيس مع مجموعة من النظريات والاتجاهات والتجرب الإبداعية. لقد شغل المسرح العربي التراث العربي بشكل كبير، فهناك من تعامل التراث بطريقة تناصية حرفية، وهناك من تعامل معه بطريقة قائمة على الاقتباس والحوار والجدل، وهناك من وظفه بطريقة تأسيسية وتأصيلية.

عاش المسرح العربي فترة ليست بوجيزة في التقليد، و اقتباس النصوص الغربية من الأدب الإنجليزي والروسي والفرنسي، وذلك بسبب كون العرب أمة جديدة في فن المسرح، وكان الكتاب والمخرجون والممثلون يكتشفون أنفسهم من جديد من خلال ذلك الفن عن طريق البحث والتجريب من أجل صقل الظاهرة المسرحية الجديدة. ساهم كثير من الكتاب العرب من أجل إعادة المسرح العربي وتأسيسه على أساس الحداثة والهوية والأصالة.

إن الكاتب المبدع جمال أبو حمدان، فقد كان فتحا جدبدا في عالم المسرح الأردني، المسرح عند جمال أبو حمدان لم يتقيّد بنوع أدبي محدد، بل طال كثيرا من الفنون الأدبية والنثريّة، لأن المسرح الأدبي كما تعرفه صورة تعبيريّة حيّة تمسّ الواقع بكل تفاصيله. وبما أن التراث العربي هو نتاج الثقافة المدونة والمنقولة والشفاهية، وهو يشكل مجموع التكوينات المميزة للشعب العربي. تحاول هذه الدراسة أن تتناول التجربة الأدبية عند الكاتب الأردني جمال أبو حمدان وتسلط الضوء على توظيف التراث في مسرحيته "حكاية شهرزاد الأخيرة".

جمال أبو حمدان: مولده ونشأته:

ولد جمال ابو حمدان عام 1944م في قرية رساس، قرب السويدا في سوريا على درب ارتحال عائلته ما بين لبنان والأدرن.[2] تلقى دراسته الإبتدائة في عمان، ثم قصد إلى القاهرة، مصر لدراسته الثانوية، سافر إلى لبنان للحصول على شهادة الليسانس في الحقوق.[3] إن ترحاله كا ن له أثر كبير في نفسه ينعكس في أعماله الفكرية، عمل في الإذاعة الأردنية كمقدم للبرامج الثقافية حتى عام 1966م، ثم بدأ العمل في الخطوط الملكية الأردنية في عام1971م وتواصله حتى عام 1989م، استقال من الملكية الأردنية وتفرغ للعمل الثقافي والأدبي.

شارك في العديد من هيئات التهرير في المجلات الأدبية والثقافية في الأردن وخارجه، لقد ساهم مساهمة فعالة في تأسيس أسرة المسرح الأردني، وكتب للمسرح أعمالا قدمت في المهرجانات المسرحية في كل من دمشق والقاهرة وبغداد وبيروت،[4] نشرت له الصحف في الأردن وخارجه العديد من المقالات والأعمال الأدبية والفكرية في الحقول الثقافية المحختلفة حول مواضيع شتى. ترجمت البعض من أعماله إلى عدة لغات في الشرق والغرب، كما نشرت العديد من الأبحاث الدارسات عن أعماله الكتابية.

كتب هذا الفنان المبدع العديد من الأعمال التلفزيونية، أبرزها: "كأيام الرماد"، و"الصخر ينطق"، و"العطش والينبوع"، و"الغرف" و"حكايات من ورق"، و"الحجاج بن يوسف الثقفي"، و"الطريق إلى كابول." إن أعماله تلفزيونية تبلغ عدد إلى خمسمأة ساعة برامجية ودرامية، بثت عبر القناة التلفزة العربية المختلفة، كما اختيرت رو ايته "شرق القمر وعرب الشمس" لانتاجها كأول فيلم سينماء أردني بمناسبة اختيار مدينة عمان عاصمة الثقافة عام 2002م. اختير ليكون ضيف شرف مهرجان فيلادلفيا للمسرح الجامعي العربي في عام 2008م. وهو عضو في الهيئة التأسيسية لر ابطة الكتاب الأردنيين عام 1974م، وأحد مؤسسي اتحاد المسرحيين العرب. توفي السادس من أبريل عام 2015م في أركنساس في أمريكا ودفن فيها بعد صراع طويل مع مرض السرطان.

جو ائزه:

لقد نال جائزة الدولة التشجيعية في الآداب على موضوع النص المسرحي من وزارة الثقافة عام 1993م وجائزة الدولة التقديرية في حقل الآداب، الكتابة الدرامية التلفزيونية من وزارة الثقافة عام 2008م وجائزة ر ابطة الكتاب الأردنيين مرتين في مجالي المسرح والقصة، كما نال جائزة أفضل كتاب في مجال أدب الطفل في العام الدولي للطفل، وحصل على جائزة أفضل تأليف مسرحي في مهرجان المسرح الأردني الخامس الذي نظمته وزارة الثقافة عام 1997م وجائزة التأليف في مجال الرو اية من قبل اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية لعام 2002م عن رو ايته "شرق القمر غرب الشمس".

جمال أبو حمدان ومسيرته الفكرية والأدبية:

بدأ جمال أبوحمدان ممارسة الكتابة في سن مبكر، وهو كما يقول عن نفسه: "أنا أحب الكتابة، إنها معشوقي، فإذا لم تطردني من رحابها فأسظل ملازما لها، أنها ردي ودفاعي أمام تغول الحياة وخذلانها الكبير، وكما كنت متهيبا من ولوج عالمها في البدايات، أخشى أن أكون الآن متهيبا من التوقف عنها، إنني – كما اسلفت- أحبها وأذهب إليها كمحب وعاشق مرتبك أمام جلالها الكبير، إنني في حضرة الورق أحس بنفسي كبيرا، في حين أحس بنفسي صغيرا في حضرة الحياة وتعقيداتها، وذات يوم قلت: إنني لا امتلك رقعة بحجم ورقة على سطح الكرة الأرضية، لكنني عندما أجلس إلى بياض أوراقي، أحس أنني امتلك الكرة الأرضية كلها، هذا الاغواء ليس قليلا، وليس من سهل مقاومته."[5] إن هذه العبارة إن تدل على شيئ فإنما تدل على سيطرة الأد\يب عليها وامتلاكهه لكل أبعادها من خلال رؤيته إنسانية شاملة.

لم يتأثر جمال أبو حمدان في أدبه بأحد في ولا يرضي أن يقارن باحد، بل أنه يفضل أن يكون مختلفا، و إنما يتاثر بالأحداث والأشياء التي تدور حوله، وهي التي تشكل مصدر الإهام أو الفكرة عنده، وهو كان يعرف بان الفكرة تصل إلى الجماهير جميعا ولكن بصور و أبعاد مختلفة، فهي كبركة الماء التي نرمي في بؤرتها حجرا، بيدا ترددد بالتباعد شيئا فشيئا حتى يصل اثره إلى نهاية أطراف البركة.

جمال أبو حمان واسهاماته في مجال القصة القصيرة:

برز العديد من الكتاب الأردنيين الذين استفادوا من التجريب فكرة ورؤية ومعالجة فنية، وكان جمال أبو حمدان على رأسهم كما تدل مجموعته القصصية الأولى "أحزان كثيرة وثلاثة غزلان" الصادرة في مجلة "مو اقف" عام 1970م. لقد سار جمال أبو حمدان اتجاه خاص ومفهوم خاص، لا يشاركه أحد من أقرانه وهكذا يتميز بشخصية مستقلة"[6]

ومن أهم مؤلفاته القصصية:

1. مجموعة "أحزان كثيرة ثلاثة غزلان" عام 1970م
2. مكان أمام البحر" عام 1992م
3. "نصوص البتراء" عام 1994م
4. "ملكة النمل" عام 1998م
5. "البحث عن ويوياء" عام 1999م

الموضوعات الهامة في قصصه:

- التاريخ والتراث: يعتمد جمال أبو حمدان في قصصه كثيرا على التاريخ، يمثل شخصيات معينة ثم يحاول بعثها ضمن رؤية جديدة ومختلفة، يبرز الشخصيات التاريخية في أبعاد

معاصرة بنكهة هزلية المفارقة وتغريب المألوف. أراد جمال أبو حمدان أن يؤظف الشخصيات التاريخية ليبرز من خلالها إلى تعاسة الو اقع و انحططه، ثم يأتي بنموذج مقاوم لأحد الأبطال التراث الإنساني. استطاع أن يدمج القديم في روح العصر ليبين الفرق بين عظمة الماضي واضمحلال الحاضر.

- المدينة: إن قسوة الحياة المعاصرة وتعقداتها الكثيرة دفعت بالعديد من الأدباء إلى اتخاذ موقف سلبي من الحياة والإنسان والمجتمع. لقد حاولوا أن يتخلصوا من قيودها وأغلالها ولجأوا الهروب منها في أعمالهم المختلفة، وإن قصص جمال أبي حمدان تعكس ارتباطه الحاد بالصحراء والميل إلى الطبيعة، إضافة إلى المعاني الأخرى التي يرمزها من خلال قصصه، تركز قصصه على استحالة العلاقات الإنسانية في عالم المدينة الذي يحجب كل الأشياء حتى النجوم والقمر، فالحل عنده ليس المواجهة بهدف تغيير العالم نحوالأفضل، و إنما الهروب من المدنية والارتحال إلى الصحراء.[7]
- الموت: الموت هي قضية هامة تشغله ويتردد صداها في عدد كبير من قصصه، كما يعكس في قصصه "ليلى والذئب" و"كعك الحرب" و"العمر" و"الأسئلة. لقد استطاع أبو حمدان أن يبين بأن موت إنسان وفقده لم يعد بشكل تلك الأهمية من خلال حادثة موت طالب في إحدى المدارس والتي لم يأبه الأساتذة والمدير بها، بل إن مدير المدرسة حاول أن يستغل تلك الحادثة لخدمة العلم الذي يعتبره الأهم لتقدم البشرية.[8]
- الرمز: مال جمال أبوحمدان في قصصه إلى الرمزية، لقد حاول أن يمزج الأسطورة بالو اقع، والحلم باليقظة، وهذا الفرار من الو اقع في الفن ليس هو الو اقع المادي الخارجي عند شعور الإنسان، و إنما الو اقع هو مجموعة العلاقات المتشابكة بين الإنسان والعالم المحيط به، بين الماضي والمستقبل، بين التجارب الذاتية والأحلام والعواطف.[9] كما نجد في قصصه "كشف التباريح في ذكرى المفاتيح" و"فراس الصابئ"و"الطوفان" و"اللون" و"الانتظار". لقد بلغت القصة القصيرة عند أبي حمدان درجة من التطور الفني حيث شهدت قصصه نزعة قوية نحو التجريب والتميز، فإن تجربته زاخرة بالأشكال القصصية الجديدة التي تعود إلى تراكم خبرة الكاتب في مجال القصة وتفاعله مع التراث العربي.

إن جمال أبو حمدان يعتبر رائد التجريب والتحديث في القصة القصيرة حيث شكلت مجموعته القصصية

"أحزان كثيرة وثلاث غزلان" علامة كبرى ودليلا إبداعيا قويا على طاقات القصة القصيرة وخياراتها المفتوحة. كان يمثل أبو حمدان تجربة غنية تجلت في تنوع إبداعاته بما قدمه للذائقة الأدبية والفنية، فهو واحد من رواد القصة القصيرة بالأردن الذين استطاعوا رسم حضورهم على خريطة القصة العربية.

جمال أبو حمدان وإسهاماته في مجال الرواية:

لقد كتب المبدع الفنان جمال أبو حمدان رواية وأسماها "الموت الجميل" تناول فيها قضية الموت. إن قضية الموت من أهم القضايا التي طرحها الروائيون المحدثون في كتاباتهم من وجهات نظر متعددة ومتباينة ورصدوا الآثار السلبية والتدميرية التي تنتج عن وقوع هذه المأساة على الأحياء وعلى الأمن الاجتماعي والنفسي.[10] على الرغم من خوض جمال أبو حمدان في قضية الموت إلا أنه يمتلك رؤية فكرية مختلفة لما بعد الموت، وهو يقول: "إن بيني وبين الموت صراع ،وأعلم بأنه هو الذي سينتصر في النهاية".[11]

استعاد أبو حمدان في روايته "الموت الجميل" قريته "رساس" التي لم يعشي فيها ليوم من الأيام، غير أن هذه القرية الحقيقية أو المتخيلة ليست مجرد مكان ولكنها حفر عميق في ذاكرة الاشياء والناس، تشكل الرواية الاوراق التي تبين قدرة الكاتب التناصية مع الموت والحياة من خلال رؤية فتى قليل التجربة في الحياة، فتناول الكاتب قضية الموت في إطار الدهشة والسؤال والغرابة.[12]

هناك ثلاث شخصيات رئيسية في الرواية هم الراوي والغريب والغريبة، والحوار الذي يتناوله الراوي مرة في بضمير متكلم، ومرة بضمير الغائب، هو في الحقيقة حوار مونولوج ينبجس من الذات عبر الذات مع الذات. يركز السرد على كيفية القول أكثر من مادة القول بمعنى أن الكاتب يجعل من الكلام صورة مطابقة للإحساس بغربة الوجود والغربة اللاوجود، الموت والزوال. يقول الكاتب: "أخشى أن أظل غريبا في الموت، كما كنت غريبا في الحياة، لذا سأذهب لأموت في القرية.[13] إن العودة في الرواية إلى الأصل في رغبة الرجل الغريب إلى القرية والموت فيها، فالعودة ترمز إلى الماضي، وهي استعادة للعمق الأصل للنفس الإنسانية.

جمال أبو حمدان وإسهاماته في المسرح العربي:

كان جمال أبو حمدان محاميا، يعمل في الخطوط الجوية كنائب رئيس للشؤون القانونية، مع ذلك فقد كان نشيطا في إبداعه الأدبي حيث اصدر العديد من المؤلفات والمسرحيات. أعطى أبو حمدان اتجاهه نحو المسرح دفعة قوية للكتابة المسرحية في الأردن والعالم العربي جمعت بين التجريب والرصانة والقوة. وكان يحتل جمال أبو حمدان مكانة الصدارة في المسرح الأردني حوالي أربعة عقود، لقد خاض في مجال المسرحية وأصدر عمله الأول "الجراد" عام 1966م، وهو يقول في هذا الصدد: "بدأت علاقتي بالمسرح من خلال حالة استفزازية عندما أنشئت

أول جماعة للمسرح الأردني، وكانوا يعتمدون أعمالا مترجمة أو مقتبسة، وذات يوم، بينما كنت أزورهم، تكررت شكواهم من عدم وجود كتاب مسرح محليين، وبالتالي عدم وجود نصوص أصلية، فذهبت إل بيتي ووجدت بعض الأوراق البيضاء التي لم توسد بعد، وقلما طازج الحبر، فكتبت أول مسرحية محلية لتقدمها أسرة المسرح الأردني، حيث قدمت في مهرجان دمشق المسرحي، وهي تحمل إسم " الجراد".[14]

ومن أعماله المسرحية:

- "الجراد" عام 1966م
- "الجنرال أو المؤسس" عام 1968م
- "المفتاح" عام 1969م
- "علبة بسكويت لماري أنطو ايت" عام 1971م
- "عطشان يا صبايا" عام 1978م
- "حكاية شهرزاد الأخيرة" عام 1974م
- "ناس من ورق" عام 1991م
- "القضبان" عام 1992م
- "ليلى وذئب" (للأطفال) عام 1992م
- "حكاية بلا معنى" عام 1992م
- "الخيط" عام 2000م

لقد أسهم جمال أبو حمدان التراث بقوّة في بناء التجربة المسرحيّة، فكان بنية أساسية من بنى النص المسرحي لتعميق معنى الهُويّة والثقاف، فإن ذلك يؤهله لإعطاء البديل الحقيقي لغياب الفعل المسرحي، ولأنه يحمل طابعًا خاصًا فإن استلهامه لابد أن يؤدي إلى إثراء أي عمل عربي ينشد التأّصيل على صعيد الهوية القومية، ومن تلك المسرحيات مثلا مسرحية "الجراد" عام 1965م والجنرال عام 1967م والمفتاح عام 1968م والمتصلة عام 1968م تلك التي قدم بعضها للتمثيل على خشبات المسارح الأردنية والعربية. التراث كما يعكس في مسرحية "حكاية شهرزاد الأخيرة":

إذا كانت حكاية "ألف ليلة وليلة" تروي لنا التراث العربي على لسان شهرزاد، إذا كانت حكايات ألف ليلة وليلة بدأت في الليلة الأولى مع شهرزاد التي قدمت إلى السلطان حيلة لتنقيذ نفسها وعزها وكرامتها، إلا أن جمال أبو حمدان رسم لنا اللية الأولى بعد ألف ليلة وليلة. تبدأ هذه المسرحية من قلق البحث عن أشياء وعن تساؤلات،

تنطلق خلالها شرارة الدراما القوية على المستوى الخارجي والداخلي، فهي تعد من المسرحيات العربية القليلة التي تزخر بها الكم الهائل من التفاصيل الدرامية التي يتكون منها نسيج التناقض الأكبر والمفارقة الكبرى القائمة بين الوهم والحقيقة التي بقيت محجوبة خلف سحب الوهم الكثيفة. وهذا الوهم الذي يتلاعب بوعي الناس.[15] يقول الكاتب من خلال الحوار الذي أجرى بين أبطال المسرحية مسرور و شهرزاد:

مسرور: لكن الوقت يضيع.

شهرزاد: معي لا يضيع الوقت، ألست أحكم الوقت يا مسرور!

تعود إلى الانحناء على الصندوق، تبحث...

المخدة! أليست هنا!

مسرور: أية مخدة؟

طوال الليل و أنا ضائع بين أشياء غريبة في غرفة غريبة.[16]

قد لاحظنا في نقطة البداية، هي رحلة قلق ورحلة اختيارات صعبة، وشهرزاد بطلة المسرحية تعيش في الليلة الثانية بعد الألف. استلهم جمال أبو حمدان من حكاية ألف ليلة وليلة وكتبها بأسلوب مزج فيه بين فن الحكاية والإبداع المسرحي. تتكون المسرحية من مشهدين، المشهد الأول تلتقي فيه شهرزاد ومسرور السياف والبواب والخادمة، أما المشهد الثاني، فتلتقي فيه شخصيات من ألف ليلة وليلة أمثال علي الزبيق، وعلي شار، وقمر الزمان، والسند باد البحيري. يبدأ المشهد الأول بموت شهريار وينتهي بموت مسرور، والمشهد الثاني ينتهي بموت شهرزاد. والجدير بالذكر بأن شهرزاد تستعيد للقاء بشخصيات حكاتها في المشهد الثاني ولكنها تعلن أنها اليلة الأخيرة.

شهرزاد: إن البطلة الرئيسية "شهرزاد" تمثل الحرمان والخزلان كما يصفها الكاتب بقوله: "كنت أريد لمسة الرجل تدفق الدم الحار في الشرايين... وما كنت عندها أروي حكاياتي الطويلة، من يتسلى بالحكايات حين تمر الحياة حارة به، كانت ليالي من الصقيع على سرير سلطان نائم خجل وسلطانة ساهرة مجروحة الأنوثة.[17]

مسرور: يمثل الشهوة العمياء، فهو كما تقول له شهرزاد: "ولكن سيفك كتن أسرع من خنجري.. أنت لم تفعل شيئا... كنت أداة طيعة بقوة تجعلها، ،، كنت عبد الذك التشهى الذي ينفعل تحت جلدك."[18]

علي الزبيق: شخصية تمثل الشجاعة والمغامرة، فهو كما يقول نفسه في المسرحية: "جئنا هنا بعد انتظار لنرى أمرا في شهرزاد، لا لنلهو مع جواري القصر."[19]

السند باد: هو تاجر جواب الآفاق، يمثل الجشع والانتهازية والكذب.. وهو كما يصف تفسه: "الثروة تشبعني.. لكن أردت الجاه، فكانت تحملني الخيبة إلى جناح الرخ ليلقيني على فراش السلطان... و أنام على حلمي بالجاه والسلطان... كنت أضع وراء ثروة مغامرة، إذ لا يمكن فهم الثروة بدون مغامرة".[20] تنوعت الشخصيات عند جمال

أبو حمدان وتراوحت ما بين رمزيّة وفردية وأسطورية ومهنيّة ومجهولة.

إن الصراع واضح بين شخصية مسرور وشخصية شهرزاد، يضيج مسرور بالشهوة ويريد جسد شهرزاد، وأما شهرزاد هي تريد أن يظل بالوهم مثل الشخصيات التي حلفتها في حكاية ألف ليلة وليلة، فالصراع قائم من البداية إلى نهاية بين الوهم والحقيقة.[21] فمن خلال لقاء تلك الشخصيات وعلاقاتها ومعايشتها للحدث المسرحي ينشا جمال أبو حمدان صراعا ما بين بعض تلك الشخصيات يميز الحدث المسرحي عن أحداث الحياة بما فيه من توتر ودلالات ويضفي علي الشخصيات وجودا مسرحيا متميزا عن مثيلاتها في الحياة الو اقعية. لقد زاوج أبو حمدان بين الحوار الداخلي والخارجي ليبدع نصًا مسرحيًا متكاملاً يكشف عن الصراع الاجتماعي بين الطبقات، ويوضّح البعد الفكري لكل منها بلغة عالية، تستدعي التاريخ وتراوح في التعبير بين الوعي الذاتي والوعي الجمعي، كما تبيّن ثقافة الكاتب الواسعة.

استنتاج البحث:

كان جمال أبوحمدان وفيا للحكاية التراثية، فينقل الحكايات والقصص والأساطير التراثية العربية ويصيغها في قالب حواري بسيط، يدور بين مجموعة من الشخصيات التاريخية، لا يغير معالمها أو يتصرف في وقائعها، بل ينقلها كما هي في قالب حواري لتحيل على قضايا معاصرة يترابط فيها الماضي بالحاضر عن طريق الإسقاط والتماثل والتشابه والإحالة والكناية. لقد أسهم هذا المبدع في التعريف بالمسرح الأردني وأضاف عليه الطابع العالمي بهويته الأردنية وخصوصية الشعبية التراثية كما ساهم مساهمة فعالة في إخراج الفن المسرحي من ضيق المكان إلى رحابة العالمية. كان جمال أبو حمدان كاتبا مسرحيا من الطراز الأول وأغنى الحركة المسرحية والدرامية بأعمال متعددة ذات مستوى رفيع وترك وراءه نصوصا تتقمص روحه وتشهد أنه قامة إبداعية متنوعة ومتميزة وترمز لواحد من رموز الحياة.

الهوامش:

محمد عابد الجابري، التراث ومشكل المنهج، عمان، دائرة الثقافية والفنون، عمان، 19972م ص، 74

نسرين محمد علي ابو سعيد، رسالة للماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عام 2004م ص، 5

1 المصدر السابق، ص، 5

2 المصدر السابق، ص، 7

3 محمد جميل خضر، الرأى الثقافي، العدد 114553 عمان 15 من كانون الثاني عام 2002م صن 13

[1]. ابن خلكان , وفيات الأعيان , تحقيق إحسان عباس , المجلد السابع , دار صادر,ص13

[2]. الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج 21 , مؤسسة الرسالة , ط7 , 1990 , ص 215

[3]. الضبي , بغية الملتمس , تحقيق إبراهيم الابياري , ط1, 1989,ترجمة 1498 , ص683

1 محمود العبادي وآخرون، ثقافتنا في خمسين عاما، عمان دائرة الثقافة والفنون،عام 12م ص، 153
2 عبد الله رضوان، البنى السردية، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات، أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص، 19
3 جمال أبو حمدان، مكان أمام البحر، مجموعة قصصية، ص، 59
4 عبد الله رضوان، البنى السردية، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات، أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص، 91
5 أحمد الزغبي، إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية، أربد، دار الكتاني، عام 13م ص، 5
6 نسرين محمد أبو سعيد، مقابلة شخصية، مع الأستاذ جمال أبوحمدان، 1 من فيبرائر عام 2000م
7 طراد الكبيسي، قراءات نصية في روايات أردنية، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 2000م ص، 49
8 جمال أبو حمدان، الموت الجميل، ص، 25
9 محمد جميل خضر، الرأى الثقافي، العدد 114553 عمان 15 من كانون الثاني 2002م ص، 13
10 د. جميل نصف، دراسية في مسرحية حكاية شهرزاد بعد الألف، جامعة بغداد، العراق،عام 1992م ص، 1
11 جمال أبو حمدان، حكاية شهرزاد الأخيرة، ص، 7
12 المصدر السابق، ص،19
13 المصدر السابق، ص،21
14 المصدر السابق، ص،44
15 المصدر السابق، ص،56
1 د. صالح أبو أصبع، دراسة في أعمال جمال أبو حمدان المسرحية،، منشورات،أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص،129

---

[1]. ابن الخطيب , الإحاطة في أخبارغرناطة , المجلد الرابع , ط1 , 1977 , ص419

[2]. انظر في ترجمته زاد المسافر: 9 , نفح الطيب 3 / 237 , التكملة 3/ 134 , العبر 4/ 267

[3]. ابن منظور, لسان العرب , مادة صور

[4]. الجاحظ , الحيوان , تحقيق عبد السلام هارون , دار إحياء التراث. بيروت , ط3, 1969 ج3 , 408

[5]. العسكري ,أبو هلال ,الصناعتين , تحقيق مفيد قميحة , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1, 1981 , ص19

[6]. الجرجاني , عبد القاهر, أسرار البلاغة, تحقيق محمود شاكر, مطبعة المدني , ط1 , 1991 , ص165

[7]. ابن رشيق , العمدة في محاسن الشعر, تحقيق محمد محي الدين , دار الجيل. بيروت , ط5 , 1981 ,ص243

[8]. الصائغ , عبد الإله , الصورة الفنية عيارا نقديا , ط 1 , 1987 , ص 111 و112

[9]. ابن المعتز, عبدالله, البديع , تحقيق كراتشقوفسكي , دار المسيرة , ط 3 , 1982 , ص 2

[10]. القرطاجني , حازم , مناهج البلغاء وسراج الأدباء , تحقيق محمد المحتسب , 1981 , ص18 و19

[11]. الولي , محمد , الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي , ط 1 , 1990 ,ص 10

[12]. الصائغ , عبد الإله, الصورة الفنية معيارا نقديا , ص102

[13]. الولي , محمد , الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي, ص 12

[14]. دهمان , احمد , الصورة البلاغية عن عبد القاهر الجرجاني , دار طلاس , ط1 , 1986 , ص367

[15]. إسماعيل , عز الدين , الشعر العربي المعاصر , دار الفكر, ط3 و1978 , ص 127

المراجع والمصادر:

- د. إبراهيم خليل، مقدمات لدراسة الحياة الأدبية في الأردن، (دراسات ومختارات نقدية) دار الجوهرة، عمان، 2003م
- أحمد الزغبي، اشكالة الموت في الرواية العربية والغربية، (دراسة مقارنة) أربد، دار الكتاني، عمان، 1993م
- حسن عليان، القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية، وزارة الثقافة،عمان، 1994م
- رفقة محمد، توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 1997م
- طراد الكبيسي، قراءات نصية في الروايات أردنية، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 2000م
- د. عبد الرحمن ياغ، القصة القصيرة في الأردن، لجنة التاريخا لأردينة، عمان، 1993م
- عبد الله رضوان، البنى السردية (دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات،أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م
- د. عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م
- محمود العابدي وآخرون، ثقافتنا في خمسين عاما،عمان، دائرة الثقافية والفنون، عمان، 19972م

---

[1]. هلال , محمد غنيمي, النقد الأدبي الحديث , دار النهضة , ص 447

---

[1] محمد عابد الجابري، التراث ومشكل المنهج، عمان، دائرة الثقافية والفنون، عمان، 19972م ص، 74

[2] نسرين محمد علي ابو سعيد، رسالة للماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عام 2004م ص، 5

[3] المصدر السابق، ص، 5

[4] المصدر السابق، ص، 7

[5] محمد جميل خضر، الرأى الثقافي، العدد 114553 عمان 15 من كانون الثاني عام 2002م صن 13

[6] محمود العبادي وآخرون، ثقافتنا في خمسين عاما، عمان دائرة الثقافة والفنون،عام 12م ص، 153

[7] عبد الله رضوان، البنى السردية، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات، أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص، 19

[8] جمال أبو حمدان، مكان أمام البحر، مجموعة قصصية، ص، 59

[9] عبد الله رضوان، البنى السردية، دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات، أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص، 91

[10] أحمد الزغبي، إشكالية الموت في الرواية العربية والغربية، أربد، دار الكتاني، عام 13م ص، 5

[11] نسرين محمد أبو سعيد، مقابلة شخصية، مع الأستاذ جمال أبوحمدان، 1 من فيبر ائر عام 2000م

[12] طراد الكبيسي، قراءات نصية في رو ايات أردنية، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 2000م ص، 49

[13] جمال أبو حمدان، الموت الجميل، ص، 25

[14] محمد جميل خضر، الرأى الثقافي، العدد 114553 عمان 15 من كانون الثاني 2002م ص، 13

[15] د. جميل نصف، دراسية في مسرحية حكاية شهرزاد بعد الألف، جامعة بغداد، العراق،عام 1992م ص، 1

[16] جمال أبو حمدان، حكاية شهرزاد الأخيرة، ص، 7

[17] المصدر السابق، ص،19

[18] المصدر السابق، ص،21

[19] المصدر السابق، ص،44

[20] المصدر السابق، ص،56

[21] د. صالح أبو أصبع، دراسة في أعمال جمال أبو حمدان المسرحية،، منشورات،أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م ص،129

المراجع والمصادر:

- د. إبراهيم خليل، مقدمات لدراسة الحياة الأدبية في الأردن، (دراسات ومختارات نقدية) دار الجوهرة، عمان، 2003م
- أحمد الزغبي، اشكالة الموت في الرواية العربية والغربية، (دراسة مقارنة) أربد، دار الكتاني، عمان، 1993م
- حسن عليان، القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية، وزارة الثقافة،عمان، 1994م
- رفقة محمد، توظيف الموروث في الرو اية الأردنية المعاصرة، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 1997م
- طراد الكبيسي، قراءات نصية في الرو ايات أردنية، منشورات، وزارة الثقافة،عمان، 2000م
- د. عبد الرحمن ياغ، القصة القصيرة في الأردن، لجنة التاريخا لأردينة، عمان، 1993م
- عبد الله رضوان، البنى السردية (دراسات تطبيقية في القصة القصيرة الأردنية، منشورات،أربد رابطة اللكتاب الأردنيين،عمان، 1995م
- د. عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م
- محمود العابدي وآخرون، ثقافتنا في خمسين عاما،عمان، دائرة الثقافية والفنون، عمان، 19972م